بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نبذة من كلام القاضي الفاضلِ الأسعدِ محيي الدين

أبي عليٍّ عبدِ الرحيم ابنِ القاضي الأشرفِ [أبي المجدِ عليٍّ](١) بنِ الحسنِ بنِ الحسين(٢) ابنِ أحمدَ اللَّخْميِّ الكاتبِ المعروفِ بالبَيْسانيِّ — رحمه الله تعالى — إليه انتهت صناعةُ الإنشاء ووَقفتْ، وبفضله أَقرّتْ أبناءُ البيان واعترفتْ، ومن بحرِ علمِه رَوِيَتْ ذوو الفضائل واغترفتْ؛ وأمامَ فضله ألقت البلاغةُ عصاها(٣)، وبين يديه استقرّتْ(٣) بها نواها؛ فهو كاتبُ الشرقِ والغربِ فى زمانه وعصره، وناشرُ ألوية الفضل فى مصره وغيرِ مصره؛ ورافعُ عَلَمِ البيان لا مَحالَه، والفاصلُ بغير إطاله؛ (١١١) وقد أنصف بعضُ الكُتّاب فيه، ونطَقَ مِن تفضيله بِملءِ فيه؛ حيث قال:

---

(١) التكملة عن كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسى ج ٢ ص ٢٤٢ طبع مطبعة وادى النيل. وفى (ب): «أبي الحسين» بدل «أبي المجد». وفى وفيات الأعيان ترجمة القاضى الفاضل زيادة فى هذا النسب لم ترد فى الأصل ولا فى الروضتين؛ وهذا نص عبارته: «ابن القاضى الأشرف بهاء الدين أبي المجد عليّ ابن القاضى السعيد أبي محمد محمد بن الحسن» الخ. وكذلك ورد نسب القاضى الفاضل مشتملا على هذه الزيادة فى عقد الجمان للعينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٢) فى (ا): «أبي»؛ وهو تحريف.

(٣) يشير بهاتين العبارتين إلى قول معقر بن حمار البارقيّ؛ وقيل: الطرماح بن حكيم:

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر

انظر تاج العروس مادة «نوى».

كلُّ فاضلٍ بعدَ الفاضل فضْله، وكلٌّ قد عَرَف له فضلَه، وستقف إن شاء الله من كلامه على السحر الحلال، فترْوِى صداك من ألفاظه بالعذب الزُّلال؛ فمن ذلك قوله : وافَينا قلعةَ نجمٍ[(١)] [وهى نجمٌ[(٢)]] فى سحاب، وعُقابٌ فى عِقاب[(٣)]؛ وهامةٌ لها الغمامةُ عِمامه، وأَنمُلةٌ اذا خَضَبها الأصيلُ كان الهلال لها[(٤)] قُلامه .

ومن رسائله ما كتب به الى النظام أمير حلب : ورد كتاب المجلس السامى — حرس الله به نظامَ المجد [وأطلق فيه لسان الحمد][(٢)]، ودامت مساعيه مصافحةً ليد السعد، وأحسن له التدبيرَ فى اليومين : مِن قبلُ ومِن بَعد — فمرحبا بمَقْدَمِه، وأهلا بمَنْجَمه؛ والشوقُ تختلف وفودُ صُروفه[(٥)]، وتتنوّع صنوفُ ضيوفِه؛ فلابد أن تتبعّض اذا تبعّضت المسافات، وتَبرُدَ وتَخمُدَ اذا عُبِدتْ[(٦)] ودنت الطُّرقات؛ ولو بمقدار ما يدنو اللقاءُ على الرسول السائر، بالكتاب الصادر، والخيالِ الزائر، بالحبيب العاذر، والنسيمِ الخاطر، من رسائل الخواطر؛ وقد وجدتُ عندى أنسا لا أعهدُه؛ وعَددتُ نقصَ البُعدِ أحدَ اللقاءين، كما كنتُ أعُدّ زيادةَ البعدِ أحدَ النأيين؛ فزاده الله من القلوب

---

(١) كذا وردت هذه العبارة فى (أ)، (ب)؛ والذى فى كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٩ «والشيخ الفقيه قد شاهد ما يشهد به من كونها نجما فى سحاب» الخ والشيخ الفقيه هو زين الدين بن نجا الواعظ؛ والقلعة التى وصفها، هى قلعة حمص، كما ذكره صاحب الروضتين أيضا . وفى وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٠٣ طبع بولاق أن هذه القلعة يقال إنها قلعة كوكب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) العقاب بكسر العين : المراقى الصعبة من الجبال، مفرده عقبة بفتح العين والقاف .

(٤) فى الروضتين : « منها » .

(٥) فى الأصل : «فقود»؛ وهو تحريف .

(٦) عبدت : ذللت ومهدت . وفى كلا الأصلين : « بعدت »؛ وهو غير مستقيم؛ ولعل صوا ما أثبتنا كما يقتضيه ما قبله وما بعده من الكلام .

حُظوه، ولا أخلاه من بسطِ يدٍ وقدمٍ فى حظٍّ وحُظوه[(١)]؛ ووقفتُ على هذا الكتاب المشارِ اليه وما وقفتُ عنه لسانا شاكرا، ولا صرفتُ عنه طَرْفا ناظرا، و بلغتُ من ذلك جَهدى و إن كان قاصرا،واستفرغتُ له خاطرى وما أُعَدّه اليوم خاطرا؛ ومما أُسَرّ به أن يكون فى الخدمة السلطانية — أعلاها الله و رفَعَها، و وصَلَها ولا قطَعَها، وألّف عليها القلوبَ و جمَعَها، واستجاب فيها الأدعيــة وسمعها — من يكثّر قليلى، ويَشفِى فى تقبيل الأرض غليلى، فإن تقبيلَ سيّدنا كتقبيلى؛ فلو شرب صديقٌ وأنا عطشانُ لأرْوانى، ولو آستضاء بلَمعة فى الشرق وأنا فى الغرب لأَرانى؛ كما أنّ الصّــديق اذا مسّــتهُ نعمةٌ وجب عنها شكرى ، واذا وَصلتْ اليــه يدُ منعم وصلْتنى وتغلغلت الىّ ولو كنت فى قبرى .

ومنها : وأعود الى جواب الكتاب،الأخبارُ لا تزال غامضةً إلى أن يشرحَها، ومقفَلةً إلى أن يفتحَها؛ بخلاف حالى مع الناس،فإن القلوبَ لا تزال سالمةً إلا أن يجرحَها، والهموم خفيفة إلا أن يرجّحَها؛ والحقُّ من جهته ما تحقّق، وما استَنطَق بشكرٍ مَن أَنطَق؛ وفى الخواطر فى هذا الوقت موجودٌ يجعلها [فى][(٢)] العدَم، ويُخرجُها من الألمِ الى اللَّم[(٣)]،و يعادِى بين الألسنةِ والأسماعِ و بين العيونِ والقلم؛ وكلّما قلّت الحيلةُ المشكوكُ فى نُجحِها، فتَحَ اللهُ باب الحيــلة المطموعِ فى فتحِها ؛ وهى من فضل الله سبحانه والآستجارةِ بالآستخاره،فتلك تجارةٌ رابحةٌ وكُلّ تجارةٍ لا تخلو من خساره؛والله تعالى يَجمَع كلمةَ المسلمين على يد سلطاننا، ولا يُخلينا منه ومن [بنيــه][(٤)] حلّى زمانِنا، وشُنوفِ إيمــاننا، ويُسعدُنا مِن أكابرِهم بتيجان رءوسِنا، ومِن أصاغرِهم بخواتم أيمــانِنا ؛

(١) أراد بالحظوَة هنا : التفضيل أو الحظ من الرزق . وبالتى قبلها : المكانة والمنزلة .
(٢) كذا فى (ب) .
(٣) اللم بالتحريك : الجنون .
(٤) لم ترد هذه الكلمة فى كلا الأصلين ؛ وقد أثبتناها عن مسالك الأبصار .

ولو تفرّغت العزمةُ الفلانيّةُ لهذا الكلبِ العدوّ فترجُمَ كلبَه، وتكُفّ غَرْبَه، وتذيقه وبالَ أمرِه، وتطفئ شَرار شرِّه، وتعجّل له عاقبةَ خُسره، فقد غاظ المسلمين وعضهم، وفلّ جموعَهم وفضّهم، وما وجد من يكفى فيه ويكُفُّه، ويشفى الغليلَ منه بما يشُفُّه(١)، ولو جعل السلطانُ — عزّ نصرُه — غزوَ هذا الطاغيـة مَغزاه(٢)، وبلادَه مستقرّ عسكرِه ومثواه، لأخذ الله الكافر بطَغواه، ولأبقى ذكرا، وأجرى فى الصحيفة أجرا، ولأطفأ الحقدَ الواقد، بالحديد البارد، وغنِم المَغنَمَ البارد، وسدّد الله ذلك العزمَ الصادرَ والسهمَ الصارد(٣)، فلابدّ أن يُجرى سيّدُنا هذا الذكر، ولو لما أحتسبه أنا من الأجر، وما أورده المجلسُ عن فلانٍ من صفوِ شُربِه، وأمنِ سِرْبِه، واستقرارِه (١١٢) تحت الظلّ الظليلِ السلطانى — جعله الله ساكنا، وأحلّه منه حَرما آمنا — ومن مُعافاته فى نفسه وولدِه وجماعته، وأهلِ ولائه وولايتِه، فقد شكرتُ له هذه البشرى، وفرحتُ بما يسّر الله ذلك المولى له من اليسرى، غير أنى أريد أن أسمع أخبارَه منه لا عنـه وبمباشَرته لا باستنابتِـه، فلا عَرفتُ مودّتَه من المودّات الكُسالى، ولا أقلامَه إلا بلُبسِ السواد — على أنهـا مسرورةٌ سارّةٌ لا ثكالى، وإذا قنِـع صديقُه منه بفريضةِ تحيّة، لا تُؤدّى إلا فى ساعةٍ حوليّة، فإن يبخَل بها ذلك الكريمُ فقد انتحل الأسمَ الآخَر — أعاذه الله منـه، وصَرَف عنـه لفظَه كما صَرَف معناه عنه؛ وللمودّةِ عينٌ لا يَكحُلها اذا رَمِدتْ إلا إثمِدُ مدادِ الصديق، وما فى الصبر وُسْعٌ لصحبةِ أيامِ العُقوق بعد صحبةِ أيامِ العقيق؛ وقد بلغنى أن ولدَ المذكورِ نَزَع(٤) وترعرع، ونفع

(١) يشفه : يحزنه . (٢) المغزى : المقصد . (٣) الصارد من السهام : النافذ .

(٤) كذا فى كلا الأصلين بالنون والزاى ؛ ولعله من قولهم : نزع فلان إلى أبيه ينزع بكسر الزاى فى المضارع، أى ذهب اليه وأشبهه . أو هو من قولهم : نزع الى عرق كريم . أو لعله : « برع » بالباء الموحدة والراء المهملة .

وأينع؛ وخَدَم فى المجلس السلطانىّ، فسررت بأن تجمّع فى خدمته الأعقابُ والذّرارِى؛ والله تعالى يحفظ علينا تلك الخدمةَ جميعا، ولا يُعدِمنا من يدها سحابا ولا من جنابها ربيعا؛ وقد فتح سيّدُنا بابا من الأنس ونَهَجَه، وأُوثرُ ألّا يُرْتجَه؛ بمكاتباته التى يدُه فيها بيضاء، ويدُ الأيام عندى خضراء؛ بحيث لا يستوفى على الحساب، فى كل جواب؛ وأنا فى هذه الأحوال أُوثِرُ العُزلةَ وأبدأ فيها بلسانى وقلمى، وأتوخّى أن أشبّه حالةَ وجودى بعدَمى؛ فإنى أرى مَن تحتَها أروحَ ممن فوقَها، ومَن خرج منها أحظَى ممن أقام بها؛ وللودّات مقَرٌّ ما هو إلا الألسنه، والقلوبُ قضاةٌ لا تحتاج الى بيِّنه .

وكتب [جوابا][1] أيضا الى آخر وهو: وقفتُ على كتاب الحضرة — يسّر الله مَطالبَها وجمّل عواقبَها، وصفّى من الأكدارِ مَشاربَها، وحاط مِن غِيَرِ الأيّام جوانبَها، ووسّع فى الخيرات سُبلَها ومذاهبَها؛ ووقاها ووقى ولَدَها، وأسعدها وأسعد يومَها وغَدَها؛ وجمع الشملَ بها قريبا، وأحدث لها فى كلّ حادثةٍ صُنعا غريبا — من يد الحضرة الفلانيّة — لاعَدمتُ يدَها ومدَّها، وأدام الله سعدها — وشكرتُ الله على [ما][2] دلّ عليه هذا الكتابُ من سلامة حَوزتها[3]، ودوامِ نعمتِها، وسُبوغِ كفايتِها؛ وسألته سبحانه أن يُصحّ جسمَها، ويُميطَ همّى وهمَّها؛ فهُما همان لا يتعلّقان إلا بخدمة المخدوم — أجارنا الله فيه من كلّ هم، وأجرَى بتخصيصه السعدَ الأعمّ، واللّطفَ الأتمّ — وعرفت ما أنعمتْ بذكره من المتجدّدات بحضرتِه، ومن الأمور الدالّة على سعادته وقوّتِه؛ ولِلأمورِ أوائلُ وأواخر، ومواردُ ومصادر؛ فنسأل الله سبحانه أن يجعل

(١) لم ترد هذه الكلمة فى (ا) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٢) فى (ا) : «على دل» بدون «ما» ؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما فى (ب) .

(٣) حوزة الرجل : ما فى حيزه .

العواقبَ لكم، والمصادرَ إليكم، والنعمةَ عندكم، والنُّصرةَ خاصّةً بسلطانكم، والكفايةَ مكتنِفةً بجماعتكم[(١)]، وقد قاربت الأمورُ بمشيئة الله أن تُسفِرَ وجوهُها، والخواطرُ أن يستروِحَ مشدوهُها[(٢)]، "إنّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ" وفى كلّ أقدارِ الله الخيرة، وفى حكمته أنه جعل الخِيرةَ محجوبةً تحت أستار الأقدار؛ وقد علم الله تقسُّمَ فكرى لما هى عليه من المشقّات المحمولةِ بالقلب والجسد، والأمورِ الحاضرةِ فى اليوم والمستقبَلةِ فى غد؛ وهى فى جانب الخير، والخيرُ نِعمَ الوكيلُ لصاحبِه، ومَن أصلح جانبَه مع الله كان الله جديرا بإصلاح جانبِه .

ومنه : وعليه السلامُ الطيّبُ الذى لو مرّ بالبهيم لأشرق، أو بالهشيم لَأورق؛ وكتبُها الكريمةُ إن تأخرتْ فمأموله، وإن وصلتْ فمقبوله؛ وإن أنبأتْ بسارٍّ فمشهوره وإن أنبأتْ بشرٍّ فمستوره؛ وخادمُها فلانٌ يخدُم مجلسها خدمةَ الخادم لمخدومِه، ويكرِّرُ التسليم على وجهه الكريمِ المحفوفِ مِن كلّ قلب بحبّه، ومن كلّ سلامٍ بتسليمِه .

وكتب أيضا : وصل كتابُ الحضرة — وصل الله أيّامَها بحميد العواقب، وبلوغ المآرب، وصحِبتِ الدهرَ [على خير ما صحِبَه صاحب][(٣)]، وأنهضَنا بواجب طاعته، فإنه بالحقيقة الواجب — وكلُّ واجبٍ غيرِه غيرُ واجب — مِن يد فلانٍ، فرجوتُ أن يكون طليعةً للاقترابِ، ومبشِّرًا بالإياب، ومخبِرا بعَوْدِها الذى هو كعَوْدِ الشباب لو يعود الشباب؛ وأعلَمَنى من سلامة جسمها، وقلبِها مِن همِّها؛ ما شكرتُ الله عليه، واستدمتُ العادةَ (١١٣) الجميلَةَ منه، وسألته أن يوزِعها[(٤)] شكرَ النعمةِ فيه؛ وعرَفتُ الأحوالَ جملةً من كتابها، وكلُّها

(١) كذا فى الأصول . ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أن «اكتنف» يتعدى بالحرف ؛ ولعله مضمن معنى الإحاطة، فعدّاه بالباء؛ أو لعله : «لجماعتكم» باللام .

(٢) المشدوه : المدهوش .

(٣) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٣ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٤) يوزعها : يلهمها .

تَشهد بتوفيق سلطاننا، وبأيامه التى تعُود بمشيئة الله بإصلاح شانه وشاننا؛ والذى مدّه ظلّا، يَمُدّه فضلا؛ فالفضلُ الذى فى يديه، فى يد خلقِ الله الذى أحالهم فى الرزق عليه؛ فكيفما دعونا له دعونا لأنفُسنا، وكيفما كانت أسنّةُ رماحِه فهى نجومُ حرسِنا، فلا عدمت أيامه التى هى أيام أعيادِنا، ولا لياليه التى هى ليالى أعراسِنا .

ومن أجوبته : ورد على الخادم — أدام الله أيامَ المجلس وصفّاها من الأكدار، وأبقى بها مِن تأثيراته أحسن الآثار، وأسمَع منه وعنه أطيَبَ الأخبار وجعل التوفيقَ مقيما حيث أقام، وسائرا أينما سار — كتابُه الكريم، الصادرُ عن القلب السليم، والطبع الكريم، والباطنِ الذى هو كالظاهرِ كلاهما المستقيم؛ ولا تزال الأخبارُ عنّا محجمه، والأحاديثُ مستعجِمه؛ والظنونُ مترجّحه[(١)]، والأقوالُ مُسقمةٌ ومصحّحه؛ الى أن يردَ كتابُه فيُحقّ الحقَّ ويُبطِلَ الباطل، ويتّضِحَ الحالى ويَفتضِحَ العاطل؛ ويُعرَف الفرقُ ما بين تحريرِ قائل، وتحويرِ ناقل[(٢)]؛ فتدعو له الألسنةُ والقلوب وتستغفر بحسناته الأيامُ من الذنوب؛ والشجاعةُ شجاعتان : شجاعةٌ فى القلب وشجاعةٌ فى اللسان؛ وكلتاهما لديه مجموع، ومنه وعنه مَروىٌّ ومسموع ؛ وذخائرُ الملوك هم الرجال، وآراءُ الحُزَماء هى النصال، ومودّاتُ القلوب هى الأموال، ومجالسُ آرائهم هى المَعركةُ الأولى التى هى ربما أغنتْ عن معارك القتال ؛ والله تعالى يُمدّ المسلمين به حالَ تجمّعهم على جهاد الكفّار، ويُلهمهم أن يَبذُلوا فى سبيله النفْسَ والسيفَ والدّرهمَ والدينار؛ ويزيلُ ما فى طريق المَصالح من الموانع، ويَفطِمُ السيوفَ عن الدّماء الإسلاميّة ويحرّمُ عليها المَراضع؛ ويجعل للمجلس فى ذلك اليدَ العُليا، والطريقةَ المُثلى، ويجمع له بين خَيرَى الآخرةِ والأولى؛ والأحوالُ هاهنا بمصر مع بعد سلطانِها

(١) المترجحة : المتذبذبة .

(٢) فى الأصلين : «قائل» ؛ وهو تحريف .

وتَمـادِى غيبتِه عن مباشرة شأنها ؛ على ما لم يُشهَد مِثلُه فى أوقات السكون فكيف فى أوقات القلق ، على من يَحفَظ الله به من فى البلاد من الجموعِ ومن فى الطُّرقاتِ من الرُّفَق ؛ والأميرُ الولدُ صحيحٌ فى جسمِه وعزمِه ، متصرِّفٌ فى مصالحه على عادته ورسمِه ؛ جعـله الله نعم الخَلَفُ المسعود ، وأمتعه بظلِّ المجلس الممـدود، فى العمر الممدود؛ وعرَف الخادمُ أن المجلس ناب عنه مرّةً بعد مرّةٍ بمجلس فلان ويشكُر على ما سلف من ذلك المَناب، ويسـتزيدُ ما يستأنفُه من الخطاب؛ والبيتُ الكريمُ أنا فى وَلائه وخدمتِه كما قيل :

إنّ قلبي لَكُمْ لَكالكبِد الحـــرّى* وقلبي لِغيرِكم كالقـلوبِ

يسرّنى أن يَمُدّ الله ظلَّهم، وأن يَجمعَ شملَهـم؛ كما يسـوءنى أن تَختلفَ آراؤهم ولا تَنتظِمَ أهواؤهم؛ وهـذا المولى يَبلغُنى أنه سَـدّ وساد، وجَدّ وجاد، وخلف مَن سلَفَ مِن كرامِ هذا البيت من الآباء والأجداد؛ وآشتهرتْ حسنُ رعايتِه لمن جعله الله من الرعايا وديعه، وحسنُ(1) عنايتِه بمن جعله الله له من الأجنادِ شِيعه ؛ وإذ بلغنى ذلك سُررتُ له ولأبنِه ولجدّه ، وعلمتُ أنه لم يمت من خلّفه لإحياء مجدِه ؛ ومن آستعمله بحَسَنٍ فقد أراد الله به حَسَنا، ومن أحسن إلى خلق الله كان الله له محسنا؛ إن الله أكرمُ الأكرمين، وأعدَلُ العادلين؛ وكُتبُ المجلس السامى يُنعِم بهـا متى خَفّ أمرُها، وتيسّر حمْلُها، وتَفرّغ وقتُه لهـا ؛ والثقةُ حاصلةٌ بالحاصـل من قلبِه،وعاذرة وشاكرةٌ فى المبطئ والمسرع(2) من كُتبِه؛ورأيُه الموفّقُ إن شاء الله تعالى.

وكـتب : ورد كتابُ الحضرة السامية ــ أحسن الله لها المعُونه،ويَسَّرلها العواقبَ المأمونه، وأنجدَها على حرب الفئةِ الكافرةِ الملعونه ــ بخبَر خروجِ الخارجِ

(1) فى الأصلين : « ومن حسن » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ، إذ لا مقتضى لها هنا .

(2) فى (أ) : « من المبطىء » ؛ والسياق يقتضى الفاء، كما فى ب ، أى فى حالة الإبطاء .

من قلعة كذا، وما صَرّح به من الخوف الذى ملأ الصدور، والآستحثاثِ فى مَسِيرِ العسكر المنصور، وكلُّ ضِيقةٍ[1] وردت على القلوب ففزِعتْ فيها إلى ربّها فرّجتْ فَرَجَه وأذكَى لهـا اليقينُ سُرُجَه؛ ولَمْ تُشرِكْ معه غيرَه مستعانا، ولم تَدَعْ معه مِن خَلْقِـه إنسانا، فما الضِّيقةُ و إن كانت منذرةً إلا مبشِّره، والحطةُ و إن كانت وَعْرةً إلا ميسَّره؛ لاجرم أن هذا الكتاب أعقبه وُصولُ خبر نهضة فلان ــ نصَرَ الله نَهَضاته، وأدّى عنه مفترَضاته ــ فاستَنهَض العساكر، وقوتل العـدوُّ الكافر، فنفّس ذلك الخناق، وتماسكت الأرماق؛ وما أحسَب أنّ الأمر يتمـادى مع القوم، بل أقول: لا كَرْبَ على الإسلام بعد اليوم، تَتوافى بمشيئة الله ولاةُ الأطراف، و يزول من نفْسِ العدوِّ وسمعِه ما آستشعره بين المسلمين من الخلاف؛ ويجتمعون إن شاء الله على عدوِّهم، ويُذهِب الله بأهلِ دينه ماكان [من فسـاد][2] أعدائه فى أرضه وعُلوِّهم؛ وقد شَمِمنا رائحـةَ الهدنة بطلب الرسـول، وبخبرِ هلاكِ مَلِكِ الألمـانِ الذى هو بسـيف الله مقتول، والموتُ سيف الله على الرقاب مسلول .

ومنهـا : فأما ما أشار إليه من القِلاعِ التى شَحَنها[3]، والحصونِ التى حصّنها؛ والأسلحةِ التى نقَلها إليها، والأقواتِ التى ملأ بها عيونَ مُقاتِلتِها وأيديها، فإن الله يَمُنّ عليه بأن يسّره لهذه الطاعه، ورَزَقه لها الآستطاعه؛ فكم رزق الله عبدا رزقا حَرَمه منـه وفتح عليه بابا من الخير وصَرَفه عنه؛ لاجرم أنه وفّى قوما أجرَهم بغير حساب، ووقَف (١١٤)

(١) الضيقة بكسر الضاد : مثل الضيق (اللسان) .

(٢) عبارة الأصول : «ماكان أعدائه فى أرضه» الخ وهى على هـذا الوجه غير تامة ولا مستقيمة الإعراب ؛ والتكملة عن مسالك الأبصار ج ٧ ورقة ٣٠٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

(٣) فى (١) : «تحها» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما فى (ب) .

قوما بموقف مناقشةِ الحساب ، الذى ٱلمَصرِفُ عنه إلى ما بعده من العذاب ؛ الآن والله مُلِّكَ الملِكُ العادلُ مالَه الذى أنفقَه ، وأَودعَه لخير مستودَعٍ مِن ٱلذى رزقَه ؛ وشتّان بين الهمم : همّةُ ملِكٍ ذخر مالَه فى رءوس القِلاع لتحصينِ الأموال ، وهمّةُ ملِكٍ أَودع مالَه فى أيدى المُقاتِلة لتحصين القلاع

يبنى الرجالَ وغيرُه يبنى القرى * شتّان بين مزارعٍ ورجالِ

والحمد لله الذى جعل مالَه له مَسرّه ، يوم يَرَى الذين يكنزون الذهبَ والفضّةَ المالَ عليهم حسره ؛ ما أحسَبُ أحدا من هذه الأمّة إن كان عند الله مِن[(١)] أهلِ الشهاداتِ بين يديه ، وإن كان كريمَ الوِفادة لديه ؛ إلا تلقّاه شاكرا لهذا السلطان شاهدا بما يُولى هذه الأمّةَ من الإحسان ، "وَفِى ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ" سيحصُد الزارعون ما زرعوا ، والله يزيده توفيقا إلى توفيقِه ، ويلهم كلَّ مسلم [القيامَ][(٢)] بمفترَض بِرّه ويعيذه من محذورِ عقوقِه ؛ وأنا أعلم أنّ الحضرة تُفرِد لى شَطْرا من [زمانها المهمّ ، لكتاب تُلقيه الىّ ، وخبر سارٍّ تورده علىّ ؛ وأنا أُفرِد شطرا من][(٣)] زمانى لِشكرِها ، وأسرُّ والله لها بتوفيقِ الله فى جميع أمرِها ، فإن الذّاكر لها بالخير كثير ، فزاد الله طيبَ ذكرِها ؛ ورأيه الموفَّقُ فى أن يُجرِيَنى على كنف العادة ، و[لا][(٤)] يقطع عنى هذه المادّة ؛ إن شاء الله تعالى .

وكتب : ورد كتاب المجلس السامى — نصر الله عزائمَه ، وأمضَى فى رءوس الأعداء صوارمَه ، وشدّ به بنيانَ الإسلام ودعائمَه ، وٱستردّ به حقوقَ الإسلام من

(١) فى (أ) : « من عند » ؛ وقوله : « من » زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول ، والسياق يقتضى إثباتها إذ لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على تعدية "ألهم" بالباء .

(٣) هذه التكملة لم ترد فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٤) فى (أ) : «ويقطع» بسقوط «لا» والسياق يقتضى إثباتها كما فى (ب) .

الكفر ومَظالِمه، وأخلف نفقاته فى سبيل الله ومَغارِمه، وجعلَها مَغانمه — وكان العهدُ به قد تطاول، والقلبُ فى المطالَبة ما تساهل، ولحتُ أشغالَه بالطاعة التى هو فيها وما كلُّ من تَشاغَل تَشاغَل؛ فهنّأهُ الله بما رزقَه، وتقبلَ فى سبيل الله ما أنفقَه وعافى الجسمَ الذى أنضاه فى جهاد عدوِّه وأخلقَه، وقد وُفّقَ مَن أتعبَ نفسا فى طاعة مَن خلَقَها، وجسما فى طاعة مَن خلَقه؛ فهذه الأوقات التى أنتم فيها أعراسُ الأعمار، وهذه النفقاتُ التى تُجرَى على أيديكم مهورُ الحُور فى دار القرار؛ قال الله سبحانه فى كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وأما (١١٥)
فلان وما يسّره الله له، وهوّنه عليه، من بذلِ نفسِه ومالِه، وصبرِه على المشقّات واحتمالِه، وإقدامِه فى موقف الحقائق قَبل رجالِه؛ فتلك نعمةُ الله عليه، وتوفيقُه الذى ما كلُّ مَن طلبَه وصل اليه؛ وسوادُ العجاج فى تلك المواقف، بياضُ ما سوّدتْه الذنوبُ مِن الصحائف "يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا" فما أسعدَ تلك الوقَفات، وما أعودَ بالطُّمَأنينةِ تلك المرجِفات(١)؛ وقد علم الله سبحانه وتعالى منّى ما علم من غيرى من المسلمين من الدعاء الصالح فى الليل إذا يَغشَى، ومن الذكر الجميل لكم فى النهار إذا تجلَّى؛ والله تعالى يؤيّد بكم إيمانَكم، وينصُركم وينصر سلطانَكم، ويُصلحُكم ويصلح بكم زمانَكم، ويشكرُ هجرتَكم التى لم تؤثروا عليها أهليكم ولا أموالَكم ولا أوطانَكم؛ ويعيدُكم إليها سالِمين سالِبين، غانِمين غالِبين؛ إنه على كل شىء قدير.

وكتب: وصل كتاب الحضرة السامية — أيد الله عزمَها، وسدّد سهمَها وجعل فى الله همَّها، ووفَّر فى الخيرات قِسمَها — مبشِّرا بالحركة الميمونةِ السلطانيّة

---

(١) المرجفات من الإرجاف، وهو الزلزال.

الى العدوّ خذله الله، ومَسِيرِ المسلمين — نصرهم الله — تحت أعلامه أعلاها الله، ومُباشرةِ العدوّ واستبشارِ المسلمين بما أسعدهم الله من الجراءة عليه، ومن إضمارِ العَودِ اليه؛ وهذه مقدّمةٌ لما بعدَها، وهى وان كانت نُصرةً من الله فما نَقنَع بها وحدَها فالهمّةُ العاليـةُ [السلطانيّةُ] للحربِ التى تَسلُب الأجسامَ رءوسَها، والسيوفَ حدّها؛ فإن الجنّة غاليةُ الثّمن، والخطابُ بالجهاد متوجِّهٌ الى الملِكِ العادل دون ملوك الأرض وإلا فمَن؟ فهذه تُشترَى بالمشقّات، كما أن الأخرى — أعاذنا الله منها — رخيصةُ الثّمَن وتُشترَى بالشهوات؛ والحضرةُ الساميةُ نعم القرين ونعم المعين، وفَرْضُ ذى اللّهجة المُبِين، أن يستجيش ذا القوّة المتين، وكلمةٌ واحدةٌ فى سبيل الله أَنْمى من ألوف المُقاتِلة والمِئين؛ والله تعالى يوسّع الى الخيرات طُرقَها، ويُطلق بها منطلِقَها، ويُمتع الإخوان بخُلقها الكريم فما منهم إلا من يشكر خُلقَها؛ ورأيُها الموفّقُ فى إجرائى على العـادة المشكورة مِن كُتبِها، وإمطارى من خواطرها، لا عدمتُ صَوبَ سحبِها.

ومن كتاب كتبه الى القاضى محيي الدين بن الزكيّ: بعد أن أصدرتُ هذه الخدمةَ الى المجلس — لاعدِمتُ عواطفَه وعوارفَه، ولطائفَه ومعارفَه؛ وأَمتع الله الأمةَ عموما بفضائله وفواضـلِه، ونَفعَهم بحاضره كما نفعهم بسلفِه الصالح وأوائلِه، وعادى اللهُ عدوَّه ودلَّ سهامَه على مَقاتلِه — [ورد كتابٌ منه فى كـذا(١) وما بقِيتُ أذكر الإغبابَ، فإن سيّدَنا يقابله] بمِثلِه، ولا العتابَ فإن سيدنا يساجله بأَفيَض من سَجْلِه؛ ولا أُلقِى عليه من قولى قولا ثقيلا، ولا أقابِل به من قوله قولا جليّاً

(١) التكملة عن (ب) ومسالك الأبصار.

جليلا ؛ فقد شبّ[1] عمرو عن الطّوق ، وشَرُف البُراقُ عن السّوق ؛ وذلك العمرو[2] ما برح محتنكا[3] والطّوق للصّبيّ ، وذلك البُراقُ حِمى لا يقدّم إلا للنبيّ ؛ ومع هذا فلا تُقلّص عنّى هـذه الوظيفه ، وٱعتقِدْها مِن قُرَب الصحيفه ؛ فإنك تسكّن بهـا قلبا أنت ساكنُه وتَسرّ بها وجها أنت على النوى معاينُه .

وكتب إلى العماد : كانت كتبُ المجلس — لا غيّر الله مابه من نِعَمِه ولا قطع عنه موادَّ فضلِه وكرَمِه ، ولا عَدِمت ٱلدنيا خَطَّ قلمِه وخطوَ قدَمِه ؛ وأعاذنا الله بنعمة وُجودِه من شِـقوةِ عدَمه — تأخرتْ وشقّ عليّ تأخُّرُها ، وتغـيّرتْ عليّ عوائدُها والله يعيذها مما يغيّرُها ؛ ثم جاءت ببيت ابن حجّاج :

غاب ما غاب ووافا * نى على ما كنتُ أعهدْ[4]

وأجبتُه ببيت الرّضيّ :

ومتى تَدنُ النوى بهمُ * يجدوا قلبي كما عَهِدوا

كتابةٌ لا ينبغى مُلكُها إلا لخاطـرِه السليمانيّ ، وفَيضٌ لا يسـند إلا عن[5] نُوحِ قلمِه

(١) فى أساس البلاغة مادة «طوق» «جل» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين . وهـذا المثل لجذيمة الأبرش فى عمرو بن عدى ، كما فى جمهرة الأمثال .

(٢) كذا ورد هذا الاسم فى الأصلين مقرونا بالألف واللام ؛ ووجهه أنه نكر عمرا ثم أدخل عليـه حرف التعريف ؛ ومنه قوله :

باعد أم العمرو من أسيرها * حراس أبواب على قصـورها

قال فى مغنى اللبيب ص ٥٠ مانصه : وقيل : «ال» فى اليزيد والعمرو للتعريف ، وأنهما نكرا ثم أدخلت عليهما «ال» كما ينكر العلم اذا أضيف ، كقوله : «علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم» اهـ .

(٣) يقال : حنكته السن وٱحتنكته ، اذا أحكمته التجارب .

(٤) فى (أ) : «أعهده» ؛ والهاء زيادة من الناسخ ، إذ بها يختل الوزن ؛ ولم نقف على هذا البيت فى يتيمة الدهر ضمن شعر ابن حجاج .

(٥) لعله : «إلى نوح» إذ هو مقتضى اللغة ؛ أو لعله ضمن قوله : «يسند» معنى الأخذ والرواية فسوغ له هذا التضمين ذكر «عن» مكان «إلى» وعبارة مسالك الأبصار : «لا يصدر إلا عن» الخ وهى أظهر .

الطُّوفانى، أَوجبت على كل بليغ أن يتلوَ، "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِىَّ" و بالجملة فالواجب على كلّ عاقل ألّا يتعاطى ما لم يُعْطَه، وأن يدخل بابَ مجلس سيّدنا و يقولَ حِطّه؛ فأما ما أفاض فيه من سكون الأحوال بتلك البلاغة فقد كدت أسكَر لما ٱستخرجتُه من تلك المحاسن التى لو أن الزمان الأصمّ يَسمع لأسمعتْه، ولو أن الحظَّ الأشمّ يخضع لأخضعتْه؛ و بالجملة فإنه لا يُشنَأُ زمنٌ أَبقَى من سيّدنا نعمةَ البقيّةِ التى مهما وُجدتْ فالخيرُ كلُّه موجود، والمجدُ بحفيظته مشهود؛ (١١٧) وكما تيسّرتْ راحةُ جسمِه، فينبغى أن يقتدىَ به قلبُه فى راحة مِن همِّه؛ وأعراضُ الدنيا متاعُ المتاعب، وقد رفع الله قدره، و إلا فهـذه الدنيا وهدةٌ إليهـا مَصابُ المصائب؛ والحالُ التى هو الآن عليها عاكفٌ [إلا] (١) مِن علمٍ يدرُسُه، وأدبٍ يقتبسُه، وحريمِ عقائلَ يَذُبّ عنه ويحرسه ؛ هى خيرُ الأحوال، فالواجب الشكر لواهبِها، والمَسَرّةُ بالإفضاء إلى عواقبِها؛ وما ينقُص شيءٌ من المقسوم، وإن زاد عند المجلس فليس من حظّه، ولكن من حظِّ السائل والمحروم؛ فلا يَسمحِ ٱلمجلسُ بكتابٍ من كتبِه على يدٍ من الأيدى التى لا تؤدِّى، ولا يؤمَن أن تكون أناملُها حروفَ التعدّى، وهى إحدى ما تعلّقتْ به الشهواتُ من اللذّات، وهو يُنعِم بها على عادته فى كفِّ ضراوةِ القلب ودفعِ عاديتِه؛ موفّقًا إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى القاضى محيي الدين بن الزكىّ أيضا : كان كتابى تَقـدّم الى المجلس السـامى — أدام الله نفاذَ أمرِه، وعلوَّ قـدرِه، وراحةَ سرِّه ونعمةَ يسرِه؛ وأجراه على أفضل ما عوّدَه، وأَسعد جَدّه وأَصعدَه، وأَحضرَه أمثالَ العام المقبل وأَشهدَه ؛ ولا زال يلبَس الأيّامَ ويخلعها، و يستقبِل الأهلّة ويودّعها

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وهو محروس فى دنياه ودينِه ، مستلئمٌ من نُوَب الدهر بدرع يقينِه، كاشفٌ لليـل الخطبِ بنور جبينِـه ، وليومِ الجـدب بفَيض يمينِه؛ وأعمالُه مقبوله ،ودعواتُه على ظهرِ الغمام محموله؛ والدنيا ترعاه وهى تأتى برغمِها [1] ، والآخرةُ تَدَّخره وهو يسـعى لها سعيَها — من أيدى عِدّةٍ من المسافرين ، ولتقى بهم ما قَدَرتُ [2] أسماءهم ، ولِضيق صدرى بتاخير كتب المجلس ما حفظتُها .

وجاء منها : وما كأنا إلا أن دعونا الله سبحانه دعوةَ الأوّلِين أن يباعد بين أسفارِنا، وأردنا أن يقطع بيننا وبين أخبارِنا ؛ فأجيبت الدّعوه ، ولا أقول لِسابق الشِّقوه، ولكن لِلاحقِ الحُظوه؛ فإن مكابَدةَ الأشواقِ إلى الأبرار، تَسُوق الى الجنّة ولا تَسُوق إلى النار، وأُقسم اننى بالاجتماع به فى تلك الدار، أَبهجُ منى بالاجتماع به لو أُتيح فى هذه الدار ؛ فعليه وعلىّ من العمَلِ ما يجمع هنـالك سلكَ الشـمل ويصلُ جديدَ الحبل ؛ فثَمّ لا يُلقِى العصا إلا من أَلقَى هنا [3] العِصيان، وهناك لا تَقَرّ العينُ إلا ممن سهِرتْ منه هاهنا العينان؛ فلا وجه لجمع آسمى مع آسمه فى هذه الوصيّة مع علمى بسوء تقصـيرى ، وخوفى من سوء مَصـيرى ، ولكن لِيزيدَ سـيّدُنا من وظائفه وعوارِفه، — فكلّ فعلِه تفضّـل من فضلِه — ما يخلّصـنى بإخلاصِـه فإنى أسـتحقّ شفاعتَه لِشُفعةِ جِوارِ قلبى لقلبِه ، وهـذا معنى ما بعَث على شـغل الكُتّاب به، مع علمى باستقرار نفسِـه النفيسة، إلا أنه — أبقاه الله — قد أَبعَد عهدى مِن كُتبِه بمـا يقع التفاوضُ فيه ، والمراجَعةُ عنه؛ والخواطرُ فى هذا الوقت منقبضه، والشواغلُ لهـا معترِضه، وأيامُ العُمر فى غير ما يُفرَض من الدنيا للآخرة

(١) عبارة مسالك الأبصار : «وهو يأبى رعيها» ؛ وبها مع ما بعدها يتم السجع الذى التزمه القاضى فى رسالته .

(٢) فى (ب) : «قيدت» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : ''هنالك'' ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

منقرِضــه، ومتجدِّدُ نَوبةٍ بَيْروتَ قد غَمّت كلّ قلب، وهاجت ٱلمســلمين أشواقا الى الملِكِ الناصر، وذكرَى بما ينفعه الله به من كلّ ذاكر، وأَخَذَ الناسُ فى الترحّم على أوّلِ هذا البيت والدعاءِ للحاضر والآخر — وليس إن شاء الله بآخر؛ فمـا ٱدّخر المولى لهذه الحرب مجهودا، ولا فَلّتْ عسكرا مجرورا ولا مالا ممدودا

فإن كان ذنبى أنّ أحسَنَ مطلبى * إساةً ففى سوء القضاء لىَ العــذرُ

ومنه : وسـيّدُنا يستوصى(١) بالدار بدِمَشقَ فقد خَلتْ، وإنما الناسُ نفوسُ الديار، وأنا أعلم أن سـيّدَنا فى هذا الوقت مشدُوهُ الخاطر عن الوصايا، ومشغولُ اللسان بتنفيذِ ما ينفّذه ممـا هو متصب له من القضايا؛ فما فى وقتِه فضلةٌ ولكن فضْل، وسيّدُنا يُحسِن فى كلّ قضيّة مِن بَعد كما أَحسَن مِن قَبل؛ فهو الذى جعل بينى وبين الشام نَسَـبا [وأنشأنى فيــه الى أن ٱدّخرتُ(٢) عَقارا ونَشَبا] فعليــه أن يَرعى

(١١٦) ما أقناه(٣)، وينفىَ الشّوكَ عن طرِيقِ اليدِ إلى جَناه؛ والجارُ إلى هذا التاريخ ما ٱندفع جَورُه، ولا أُدرِكَ غَورُه؛ يَعِدُ لسانُه ما تُخاف يدُه؛ ويَدّعى يومه ما يكذّبه فيه غدُه؛ وأنا على ٱنتظار عواقب الجائرِين، وقد عرف الغيظُ منّى ألفاظا مجهولةً ما كنت أسمح بأن أعرفها، وكشَفَ مستورا من أسـباب الحَرَج ما يسرّنى أن أكشـفها ﴿لَا يُحِبُّ ٱللهُ ٱلْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ وأَسْوأُ خُلقا مِن السيّء الخلُق مَن أَحوَجه إلى سوء الخُلق؛ وما ذكرتُ هـذا لِيُذكَر، ولا طويتُ الكتابَ عليه لِيُنشَر، والسرُّ عند سيّدنا ميتٌ وهو يَقضِى حقَّه بأن يُقبَر .

---

(١) فى الأصل : "يتوصى" بسقوط السين المهملة وتشديد الصاد؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (ا) وقد أثبتناها عن (ب) . ليتم بها السجع الذى التزمه الكاتب فى أكثر رسالتـــه .

(٣) أقنيت فلانا، إذا أعطيته ما يقتنى .

وكتب : أدام الله أيامَ المجلس وخصه مِن لطفِه بأوفر نصيب، ومنحه من السعادة كلّ عجيب وغريب، وأراه ما يكون عنه بعيدا ممّا يؤمّله أقربَ مِن كلّ قريب — الخادمُ يخدِم ويُنهِي وصولَ كتابٍ كريم تفجّرتْ فيه ينابيعُ البلاغه، وتبرعتْ [له] (١) بالحكم أيدى البراعه، وجادَ منه بسماءٍ مزيّنةٍ بزينـةِ الكواكب، وهطلَ منها لأوليائه كلُّ صَوبٍ ولأعدائه كلُّ شهابٍ واصب (٢)، وتجلَّى فما الغِيدُ الكواعب، وما العقودُ فى التَّرائب، وتَفرَّق منـه جيشُ الهمّ فانظر ما تفعل الكتبُ فى الكتائب، وما وردَ إلا والقلب إلى موردِه شديدُ الظما، وما كُحِلَ به إلا ناظرهُ الذى عَشِيَ عن الهدى وقَرُب من العمى، وما نار إبراهيم بأعظمَ مِن نورِه، ولا سرورُه — صلّى الله عليه وسلم — حين نجا أعظمَ يومَ وصولِه مِن سروره؛ فحيّا الله هذه اليدَ الكريمةَ التى تَنهـلّ بالأنواء وتجزل سوابغَ النعماء، وتُعطى أفضلَ عطاءٍ يسرّها فى القيامه، وتحُوز به أفضلَ أنواع الكرامه؛ فأما شوقُه لعبده فالمولى — أبقاه الله — قد أُوتِىَ فصاحةَ لسان، وسحَبَ ذيلَ العِيِّ على سَحبان؛ ولو أنّ للخادم لسـانًا مُوات (٣)، وقلبا يقال له هِى هات (٤)؛ لقال

(١) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار؛ ولعله : « ثاقب » فإنه يريد الإشارة الى قوله تعالى : (الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) وأما الوصف بالوصوب، أى الدوام واللزوم فقد ورد فى القرآن للعذاب لا للشهاب؛ قال تعالى : « ولهم عذاب واصب » .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار؛ والقواعد تقتضى إثبات يائه والوقوف عليه بالألف فيقال : « مواتيا » إلا أن السجع اقتضى أن يجرى الكاتب المنقوص المنصوب مجرى المرفوع والمجرور فى الإعراب فيسكن ياءه ويحذفها فى الوقف؛ وهى لغة لبعض العرب ومنه قول الشاعر :
* ولو أن واش باليمامة داره * الخ البيت . والأصح جواز ذلك فى غير الضرورة؛ ومنه قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم بإسكان الياء انظر حاشية الخضرى ج ١ ص ٦١ طبع بولاق .

(٤) قال أبو الهيثم : يقولون عند الإغراء بالشىء : «هى هى» فاذا بنوا منه فعلا قالوا : هييت به، أى أغريته .

ما عندَه، وأذكَرَ عهدَه ووُدَّه، وباح بأشواقِه، وذمّ الزمنَ على ٱعتياقِه؛ وأما تفضّلُه بكذا فالخادمُ ما يقوم بشكرِه، ولا يقدِّرُه حقَّ قدرِه؛ وقد أحال مكافاةَ المجلس على (١) مليءٍ قادر، (٢) ومَسرّة خاطرة عليه يوم تُبلَى السرائر، واللهُ تعالى يصِلُه برزقٍ سنيٍّ يملأُ إناه، ويُوضح هداه؛ ولا يُخلِي ٱلمجلسَ مِن جميلِ عوائدِه، ويمنحُه أفضلَ وأجزلَ فوائدِه إن شاء الله تعالى .

ومن مكاتباته يتشوّق الى إخوانه وأودّائه، ومحبِّيه وأوليائه —

كتب إلى بعضهم :

أأحبابَنا هل تَسمعون على النوى * تحيّـــةَ عانٍ أو شكـيّةَ عاتبِ
ولو حَملتْ ريحُ الشَّمال إليكمُ * كلاما طَلبْنا مثلَه فى الجنائبِ

أصدر العبد هـذه الخدمة وعنده شوقٌ يَغُور به ويُنجد، ويستغيث من ناره بمـاء الدمع فيجيب ويُنجِـد؛ ويتعلّل بالنسيم فيُغرِى نارَه بالإحراق، ويَرفع النواظرَ إلى السُّلوان فيعيدها الوجدُ فى قبضة الإطراق؛ أسفا على زمنٍ تَصرَّم، ولم يُبقِ إلا وجدا تَضرَّم، وقلبا فى يد البين المُشتِّ يتظلّم

ليالىَ نحن فى غفلات عيش * كأنّ الدّهر عنّـا فى وَثاقِ

فلا تَنفَّس خادمُه نفسا إلا وصَلَه بذكرِه، ولا أَجرَى كلاما إلا قيَّده بشكرِه، ولا سار فى قفرٍ إلا شبَّهه برحيب صدْرِه، ولا أطلّ على جبل إلا ٱحتقره بعلىّ قدرِه، ولا مرّ بروضةٍ إلا خالَها تفتّحت أزهارُها عن كريم خُلقِه ونسيم عطرِه، ولا أَوقد ٱلمصطَلون نارا إلا ظنّهم ٱقتبسوها من جمرِه، ولا نزل على نهر إلا كاثَرَ دمْعَه بحرِه

(١) فى (أ) « جاءك » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والإحالة بالدين : نقله من ذمة إلى ذمة أخرى ، والاسم الحوالة بفتح الحاء .

(٢) الملىء والملىّ بتشديد الياء : الغنىّ القادر، أو هو الحسن القضاء للدين .

سقى الله تلك الدارَ عودةَ أهلِها * فذلك أجدَى من سحاب وقَطْرِه
لئن جَمَع الشَّملَ المشتِّتُ شملَه * فما بَعدَها ذنبٌ يُعَدّ لدهرِه (١١٨)
فكيف ترَى أشواقه بعد عامه * اذا كان هذا شوقُه بَعد شهرِه[(١)]
بعيدٌ قريبٌ منكمُ بضميره * يَراكم اذا ما لم تروه بفكرِه[(٢)]
ترَحّل عنكم جسمُه دون قلبِه * وفارقكم فى جهره دون سرِّه
اذا ما خلتْ منكم مجالسُ ودِّه * فقد عَمَرَتْ منكم مجالسُ شكرِه
فياليل لا تُجلِبْ عليهم بظُلمة * وطلعةُ بدر الدين طلعةُ بدرِه

ونسأل الله تعالى أن يمنّ بقُربِه ورحابُ الآمال فسائح ، وركابُ الهموم طلائح والزمن المناظرُ[(٣)] بالقرب[(٤)] مسامِح ؛ هنالك تُطلَق أعنّةُ الآمال الحوابس ، ويهتزّ مخضرًا من السعود عودٌ يابس

وما أنا من أن يَجمعَ الله شَملَنا * بأحسنِ ما كنا عليه بآيِسِ

وقد كان الواجب تقديم عَتْبِه ، على تأخيرِ كُتْبِه ؛ ولكنه خاف أن يجنىَ ذنبا عظيما ويؤلمَ قلبا كريما

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ * قليلٍ ولا راضٍ له بقليلِ[(٥)]

---

(١) كذا فى (ب) ومسالك الأبصار والذى فى (أ) «وان» وهو غير مستقيم .

(٢) فى كلا الأصلين : «يراد» ؛ وهو تحريف .

(٣) المناظر : المجادل .

(٤) بالقرب : متعلق بقوله : «مسامح» وقد ورد فى الشعر تعدية «سامح» بالباء ، قال الشاعر :

ولكن اذا ما جل خطب فسامحت * به النفس يوما كان للكره أذهبا

انظر اللسان .

(٥) البيت لكثير عزة الأغانى ج ١ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية .

وحاشى جلاله[(١)] من الإخلال بعهودِ الوفاء ، ومن انحلال عقودِ الصفاء، وما عهدتُ عزمَه القويَّ فى حَلْبة الشوق إلا من الضعفاء، وحاشيةَ خُلُقِه إلا أرقَّ مِن مدامع غُرَماء الجفاء

من لم يَبِتْ والبينُ يصدع قلبَه * لم يدر كيف تَقلقُلُ الأحشـاءِ

وكتب أيضا فى مثل ذلك : كتَبَ مملوكُ المولى الأجلِّ عن شـوقٍ قدَحَ الدمعَ من الجفون شرارا ، وأَجرَى من سيل المـاء نارا ، واستطال واستطار فمـا تَوارَى أُوارا، ووجدٍ على تذكّر الأيام التى عَذُبتْ[(٢)] قِصـارا، والليالى التى طابت فكأنما خُلقتْ جميعُها أسحارا

وبى غَمرةٌ للشوق من بَعـد غمرةٍ * أخوض بها ماء الجفون غِمـارا
وما هى إلا سَـكرةٌ بَعـــد سكرةٍ * اذا هى زالت لا تزال خُمـارا
رحلتم وصبرى والشبابَ وموطنى * لقد رحلتْ أحبابُنـا تتبـارى
ومن لم تصافح عينُــه نورَ شمسِــه * فليس يرى حتى يُراه نهـارا
سقى الله أرض الغُوطتين[(٣)] مدامعى * وحسبكِ سُحْبا قد بعثتُ غزارا
وماخدعتْنى مصرُ عن طيبِ دارِها * ولا عوّضتْنى بعـــد جارىَ جارا
أدارَ الصّبا لا مِثلَ ربعك مَربَعٌ * أرى غيرَكِ الربعَ الأنيس قفـارا

---

(١) يقال : حاشاك وحاشى لك ، والمعنى واحد، كما فى الصحاح للجوهرى ؛ وحاشى : اسم على الصحيح مرادف للبراءة ، كما فى مغنى اللبيب فى الكلام على «حاشى» التنزيهية .

(٢) فى مسالك الأبصار : «التى ذهبت» .

(٣) المراد بالغوطتين هنا : أرض الغوطة ، وربمـا ذكرها بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثنى ؛ والغوطة : هى الكورة التى منها دمشق ، اسـتدارتها ثمانية عشر ميـلا ، تحيط بها جبال عالية جدا ومياهها خارجة من تلك الجبال ، وتمد فى الغوطة فى عدّة أنهر فتسقى بساتينها و زروعها و يصب باقيها فى أجمة هناك و بحيرة .

فما آعتضتُ أهلا بعد أهلِكِ جيرةً * ولا خلتُ دار المُلك بعدَكِ دارا

وما ضرّ اليدَ الكريمةَ التى أياديها بيض فى ظلمات الأيّام، وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا ألسنةُ الأسنّةِ والأقلام ؛ لو قامت للودّة بشرطِها، ومحتْ[(١)] خطَّ الأسى بخطِّها ؛ وكَتبتْ ولو شطرَ سطرٍ ففرّغتْ قلبا من الهمّ مشحونا، وأطلقتْ صبرا فى يد الكمد مسجونا؛ ونَزّهتْ ناظرَ المملوك فى رياضٍ منثورةِ الحُلى، وحلّت عهودَه بمكارمَ مأثورةِ العُلا

وما كنت أرضى من علاك بذا الجفا * ولكنه من غاب غاب نصيبُه

ولو غيرُكم يَرمِى الفؤادَ بسهمِه * لَما كان ممن قد أصاب يصيبُه

ومالىَ فيمن فرق الدهرِ أُسوةٌ * كأن محبّا ما نآه حبيبُه

والمملوكُ مذ حطّت مصر أثقاله ، وجهّز الشامُ رحالَه ؛ وألقت آلنوى عصاها وحلّت آلأَوبةُ عُراها ؛ يكتب فلا يجاب ، ويستكشف[(٢)] الهمَّ بالجواب فلا ينجاب

يا غائبا بلقائه وكتابِه * هل يُرتجَى من غَيبتيك إيابُ

ومتى يصفِّى الله وِردَ الحياة من التكدير ، ويتحقّق بلقائه أحسَنُ التقدير "وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" . (١١٩)

وزمانٍ مضى فما عُرِف الأ وّلُ إلا بما جناه الأخيرُ

أين أيّامُنا بظلّك والشّمـ * ـلُ جميعٌ والعيشُ غضٌّ نضيرُ

---

(١) فى كلا الأصلين : «ومضت» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بالسين والتاء ؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أنه يقال : «استكشف الهم» مثلا ، بمعنى طلب أن ينكشف ويزول ، كما هو المراد هنا ؛ والذى وقفنا عليه انه يقال : « استكشف عنه » اذا سأل أن يكشف له عنه ؛ وهذا المعنى لا يناسب ما هنا .

وحوشى المولى أنــ يكون عَونا على قلبِــه ، وأن يرحل إثره الرِّىُّ على سربِه[(١)]، وأن ينســيَه بإغبْابِ الكُتبِ ساعاتِ قربه، وأن يُحوجه الى إطلاق لسانه بمــا يصون السمعَ الكريمَ عنه من عَتْبِــه[(٢)]، الأخ فلان مخصوصٌ بســلام كما تفتّحتْ عن الورد كمائمُه، وكما توضّحتْ عن القَطر غمائمُه

اذا سار فى تُرْبٍ[(٣)] تَعَرَّفُ تُرْبُها * بريّاه والتفّتْ عليهــا لطائمُه[(٤)]

وقد تَبِــع الخُلقَ الكريمَ فى الإغباب والجفوه،وأعْدَتْ عزائمُه قلبَه فاستويا فى الغِلظة والقســـوه

انــ كنت أنت مُفــارقى * من أين لى فى الناس أُسوه

وهبْ أن المولى آشتغل — لا زال شغلُهُ بمَسارِّه، وزمنُه مقصورا على أوطارِه — فمــا الذى شــغله عن خليلِه، وأَغفَله عن تَداُرك غليلِه ؟ هذا وعلائقُه قد تقطّعت وعوائقُه قد آرتفعت، وروضــةُ هواه قد صارت بعــد الغضارة هشِيما ، وعهودُه قد عادت بعد الغضاضة رمِيما

إن عهدا لو تعلمان ذميما * أن تناما عن مقلتى أو تُنيما

وما أَولى المولى أن يواصــل بكتبِه عبدَه، ويجعل ذكرَه عقدَه، ولا ينساه ويألَف بُعدَه، ويَستبدل غيرَه بَعدَه .

وكتب أيضا :

أكذا كلُّ غائبٍ * غاب عمّن يحبُّــه

غاب عنه بشخصِه * وســلا عنه قلبُــه

---

(١) لعله : «عن شربه» ؛ والشرب بفتح الشين المعجمة وسكون الراء : الجماعة يشربون .

(٢) فى (أ) : «غبه» ؛ وهو تحريف .

(٣) الترب : جمع ترباء، وهى الأرض ذات التراب . وهذا الجمع مطرد فى فعلاء مؤنث أفعل وفى مذكره.

(٤) اللطائم : جمع لطيمة ، وهى المسك .

ولو أن لى يدا تكتب، أو لسانا يُسْهِب، أو خاطرا يَستهِلّ، أو فؤادا يَستدِلّ؛ لوصفتُ إليه شوقا إن آستمسك بالجفون نَثَرَ عِقدَها، أو نزل بالجوانح أَسعَر وقْدَها؛ أو تَنفَّس مشتاقٌ أعان على نَفَسِه، وظنّه آستعاره من قبَسِه؛ أو ذَكَرَ محبٌّ حبيبا خالَه خطَر فى خَلَدِه، وتَفادَى من أن يَخطُر به ذِكْرُ جَلَدِه

حتى كأنّ حبيبا قَبلَ فرقتِه * لا عن أحبتِه ينأَى ولا بلدِه
بالله لا ترحموا قلبى و إن بلغتْ * به الهمومُ فهذا ما جنى بيدِه

ولولا رجاؤه أنّ أوقاتَ الفراق سحابةُ صيف تَقشَعها الرياح، وزيارةُ طيفٍ يَخلَعها الصباح؛ لآستطار فؤادُه كمدا، ولم يجد ليوم مسرّته أمدا؛ ولكنه يَتعلّل بميعاد لقياه، ويدافع ما أَعَلّه بلعلّه أو عساه

غِنًى فى يد الأحلامِ لا أستفيدُه * ودَينٌ على الأيّام لا أتقاضاهُ

ومن غرائبِ هذه الفُرقه، وعوارض هذه الشُّقه؛ أنّ مولاى قد بخِل بكتابه وهو الذى يداوِى به أخوه غليلَ آكتئابِه، ويَستعدِيه على طارق الهمّ إذا لجّ فى انتيابِه

كمِثلِ يعقوبَ ضلّ يوسفَه * فاعتاض عنه بشم أثوابِه

وهبْ أنّ فلانا عاقه عن الكتب عائق، وآختَدع ناظرَه كمن هو فى ناضرِ عيشٍ رائق؛ فما الذى عرض لمولانا حتى صار جوهرُ ودّه عرَضا، وجعَل قلبى لسهام إعراضه غرَضا؟

بى منه ما لو بدا للشمس ماطلعت * من المكاره أو للبرق ما ومضا[(١)]

وما عهدتُه — أدام الله سعادته — إلا وقد آستراحت عواذلُه، وعُرِّى به[(٢)] أفراسُ

(١) البيت لأبى العلاء المعرى (سقط الزند).

(٢) لعله: «منه»؛ يشير بهذه العبارة الى قول زهير بن أبى سلمى:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله * وعرى أفراس الصبا ورواحله

الصِّبا ورواحلُه ؛ إلا أن يكون قد عاد إلى تلك اللُّجج ، ومرِض قلبه فما على المريض حرَج ؛ وأيًّا[(١)] ما كان ففى فؤادى إليـه سريرةُ شوقٍ لا أُذيعها ولا أضيعها ، ونفسى أسيرةُ غُلّةٍ لا أُطيقها بل أُطيعها

وانى لمشتاق اليـك وعاتبٌ * عليك ولكن عَتْبة لا أُذيعُها

والأخ النِّظام — أدامَ الله ٱنتظام السـعد ببقائه ، وأعدانى على الوجد بلقائه — مخصوصٌ بالتحية إثرَ التحيّه ، وَوَالَهْفى على تلك السجيّة السخيّه ؛ وردتُ منها البابليَّ معتَّقا ، وظَلتُ مِن أسرِ الهموم بلقائها معتَقا (١٢٠)

خلائق إما ماءُ مُزنٍ بشُهْدة * أغادَى بها أو ماءُ كَرْمٍ مصفَّقا[(٢)]

وقد ٱجتمعتْ آراء الجماعة على هِجرانى ، ونسُوا كلَّ عهدٍ غيرَ عهد نسيانى

وما كنتمُ تعرفون الجفا * فبالله ممّن تعلّمـتمُ .

وكتب أيضا : إن أَخَذ العبدُ — أطال الله بقاء المجلس وثبّت رفعتَـه وبسَطَ بسطتَه ، ومكّن قدرتَه ، وكَبَتَ حسَدتَه — فى وصفِ أشواقه إلى الأيام التى كانت قصـارا وأعادت الأيامَ بعـدها طوالا ، والليالى التى جَمعتْ من أنوار وجهه شموسا ومن رغدِ العيش فى دارِه ظلالا

وَجدتُ ٱصطبارى بعدهنّ سفاهةً * وأبصرتُ رشدى بعدهنّ ضلالا

وإن أَخَذ فى ذكرِ ما ينطق به لسـانُه من وَلاءٍ صريح ، ويَعتقِـده جَنانُه من من ثناءٍ فصيح[(٣)]

---

(١) فى كلا الأصلين : «وأنى ما كان» ؛ وهو تحريف .

(٢) مصفقا ، نصب على الحال من "ماء" وهو من صفقت الشراب اذا حوّلته من إناء الى إناء آخر ليصفو .

(٣) الظاهر أن فى هذه الجملة والتى قبلها تقديما وتأخيرا فى بعض ألفاظهما ؛ ولعل الأصل فيهما هكذا : «ما ينطق به لسانه من ثناء فصيح ، ويعتقده جنانه من ولاء صريح» فان الثناء محـلّه اللسان ؛ والولاء ، وهو المحبة ، محله القلب .

تَعاطَى مَنالا لا يُنال بعزمه * وكلُّ ٱعترامٍ عن مداه طليحُ

ولكنه يعدِل عن هذين إلى الدعاء بأن يبقيَه الله للإسلام صدرا، وفى سماء الملّة بدرا، وفى ظلماتِ الحوادث فجرا، وأن يجمعَ الشّملَ بمجلسه وعِراضُ الآمال مطلوله[1] وسهامُ القُربِ على نحور البعد مدلوله، وعقودُ النوى بيَدِ اللّقاء محلوله؛ "وَمَا ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ بِعَزِيزٍ".

فقد يجمع الله الشّتيتَين بعد ما * يظنّان كلّ الظنّ أن لا تلاقيا[2]

وما رمت به النوى مراميَها، ولا سلكت به الغربةُ مواميَها[3]؛ إلا ٱستنجد شوقُه من الجفون هاميا، واستدعى من الزّفْرة ما يُعيد مَسلكه من الجوانح داميا، وصدَر عن مَنهل الماء العذبِ النمير ظاميا، وتعلّل بالأمانى فى الاجتماع "وآخر ما يبقى[4] الإياس الأمانيا[5]" والسلوةُ أن الطريقَ بحمد الله أسفرت[6] عن فضل اجتهادِه، وفضيلةِ جهادِه، ونُصرةِ الإسلام، وإعلاءِ الأعلام؛ وخدمةِ المجلس الفلانى — أعزّ الله نصرَه، وأسعَد بها جَدَّه، وبلغ بها قصدَه، وأمضَى فى الكفر حدَّه؛ وأورَى بها للإسلام قَدْحا، وشرُفت حديثا وشرحا، وأجهَدت الأعداء إثخانا[7] وجرحا

---

(١) المطلولة : التى نزل عليها الطل .

(٢) البيت لقيس بن الملوّح، وهو المعروف بالمجنون .

(٣) الموامى : جمع موماة، وهى المفازة من الأرض .

(٤) فى (ب) «ولا ضرما يبق» الخ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصول منصوبا؛ ولم يتضح لنا وجه نصبه فان القواعد تقتضى رفعه اذ هو خبر للمبتدإ وهو قوله : « وآخر» .

(٦) أسفرت بالهمز : تكشفت ؛ وهو مستعار من قولهم : أسفر الصبح، أى انكشف وأضاء إضاءة لا يشك فيه، كما فى اللسان (ج ٦ ص ٣٦) .

(٧) الإثخان : المبالغة فى القتل .

وأبقَ بها فى جبهة الدهر أسطرا * اذاما ٱنمحى خَطُّ الكواكب لاتُمحَى

اذا جاء نصرُ ٱلله فالفتحُ بَعــدَه * وقــد جاء نصرُ الله فليَرقب ٱلفتحا

فأما الخادمُ فيودّ ألّا يزالَ لشرف محصِّلا ، ولتلك اليدِ الكريمةِ مقبِّلا ، وللغُرّةِ المتهلّلة كالصباح مستقبِلا

محيًّـا اذا حيّاك منــه بنظـرةٍ * فتحتَ به بابا من اللطف مُقفَلا

ويرى أن خير أوقاته ما كان فيــه بالحاشية الفلانيّــة مكاثِرا، وتحت ظلال ألويتها سـائرا

فثَمّ ترى معنى السعادة ظاهرا * وثَمّ ترى حزبَ الهداية ظاهرا

والخادم يؤثر من المجلس المواصَلةَ بالمراسم(١) [التى يعُــدّ أيامها من المواسم](٢)، ويقابل بهـا أوجهَ المسَارّ طَلقــةَ المباسم، ويرتقبها ٱرتقابَ الصُّوّام للأهلّه ، والرُّوّادِ لمواقع السحائبِ المنهلّه .

وكتب عن الملك الناصر صلاح الدين الى تقى الدين بن عبد الملك :

سقى الله أرضَ الغُوطتين وأهلَهـا * فلى بجنوب الغُوطتين جنونُ

وما ذكرتْهـا النفسُ إلا اسـتفزّنى * الى طيبِ ماء النَّيرَبين(٣) حنينُ

وقد كان شكّى فى الفراق مروِّعى * فكيف أكونُ اليــوم وهو يقينُ

---

(١) المراسم والمراسيم : المكاتيب .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) .

(٣) المراد بالنيربين قرية نيرب ، وانما ذكرها الشاعر بالتثنية جريا على عادتهم من ذكر المفرد بلفظ المثنى ؛ وهذه القرية بدمشق على نصف فرسخ فى وسط البساتين وذكر ياقوت أنهـا أنزه موضع رآه ؛ وهذا الشعر لأبى المطاع وجيــه الدولة بن حمدان كما فى معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٨٥٥ طبع جوتنجن . وفى (أ) "البيرتين"؛ وفى (ب) : «بالنيرين» ؛ وهو تصحيف فى كلتيهما .

كم جَهْدِ ما تُسلّى القلوب ، وتُسرَّى[1] الكُروب ؛ لا سيّما إذا كان الذى فارقتـه أعلقَ بالأكباد من خِلْبها[2] ، وأقربَ الى القلوب من حُجبها ؛ وهل يَستروِح إلا أن يَفُضَّ ختامَ الدمع ، ويَخترِقَ حجابَ السمع ، ويستغيثَ بسماء العيون ذات الرَّجْع[3] ، لتجودَ أرضَ الخواطر ذاتَ الصـدع ؛ وهنالك أَوفَى ما يكون الشوقُ جنـدا ، وأَورَى ما يُورِى الوجدُ زندا (١٢١)

إلى زفـرةٍ أو عَبرةٍ مسـتباحةٍ * لِهذى مَراحٌ عنده ولذى مَغدَى

وقد علم الله أنّى مذ فارقتُه مادعانى الذكرُ إلا لبّيتُه بجوابٍ من ماء الغليل غيرِ قليـل ولا ذكرتُ خُلقَه الجميلَ إلا ورأيت الصبرَ الجميلَ غيرَ جميل

وغيرُ كثيرٍ فيه وجدُ كُثيّرٍ * ولوعةُ قيس والتياحُ[4] جميلِ

أهيم برسمٍ فيك للجدِ واضحٍ * وهاموا برسمٍ للغرام مُحيلِ[5]

وقد كتبتُ اليـه حتى كاد يشيب له المـداد ، لو لم يَخلع عليـه الناظرُ حلّةَ السـواد وحبّةَ الفؤاد ، فما رَدّ ، وجارَ عن خُلقِه الكريم فإنه قطّ ما وَدّ[6] وصَدّ ؛ وأُوثِرُ منـه ألّا يحكّم الفراقَ علىّ فيَشتَطّ ، ولا يمكّنَ اللوعةَ من مهجتى فتَخبِط[7]

فجُـد لى بدرٍّ من بحارِك إننى * من الدمع فى بحرٍ وليس له شطُّ

(١) تسرى بتشديد الراء : تنكشف .

(٢) الخلب بكسر الخاء : حجاب الكبد .

(٣) الرجع بفتح الراء : المطر بعد المطر .

(٤) الالتياح فى الأصـل : العطش ، والمراد هنا شـدّة الهيام والشوق . والذى فى الأصول : «وارتياح» ؛ وهو تحريف .

(٥) المحيل : الذى مضى عليه حول .

(٦) فى الأصول : «ما رد» بالراء ؛ وهو تحريف .

(٧) يقال : هو يخبط فى عمياء اذا ركب ما ركب بجهالة .

بكفٍّ بها للحرب والسلم آيةٌ * فيُحيي لديها الخطُّ أو يقتُلُ[١] الخطُّ

ونسأل الله الرغبة فى اجتماع لا يكدر وِردُه ، ولا يُنثَر عِقدُه ، ولا يعزُب عن آفاق الوفاق سعدُه

وما كان حُكمى أن أفارقَ أرضَكم * ولكنّ حُكمَ الله لسنا نردُّه

وكتب عنه أيضا إلى عز الدين فَرّوخ شاه[٢] :

أحبابَنا لو رُزِقتُ الصبرَ بعدكُم * لَمَا رضيتُ به عن قربكم عِوَضا

إنى لأَعجب أنّى بعد فرقتكم * ما صحّ جسمىَ إلا زادنى مَرَضا

أُنبيكُم عن يقينٍ أنّ قلبىَ لو * أضحى مكانَ جناحَىْ طائرٍ نَهَضا

هـذا ولو أنّه بالعهد فيك وفَى * لكان حين قضى الله الفراق قضى

كتبتُ — أطال الله بقاء المولى الولدِ — عن قَريحةٍ قَريحه[٣] ، و إنسانِ مقلةٍ جَريحٍ فى جَريحه ، ولوعةٍ صريحه ، وذكرةٍ اذا ذُكِر الصبرُ كانت طَريحه

وليـــلٍ بطىءِ طلوعِ الصـبا * حِ شوقا الى القَسَماتِ[٤] الصَّبيحه

أَبحتَ فؤادى وأنت المُباحُ[٥] * وما كان مِن حقِّه أن تُبيحَه

وما أَصحبَتْ[٦] فى قتال العذول * أعِنّةُ قلبٍ عليهم جَموحَه

(١) فى (١) : « يقبل » بباء موحدة ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ طبع بولاق ؛ والذى فى كلا الأصلين : « فرخشاه » بدون واو .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (ا) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضيها .

(٤) القسمات : واحده قسمة بكسر السين وفتحها وهى الحسن ، أو أعلى الوجه ، أو ظاهر الخدين .

(٥) وأنت « المباح » ، أى أنت الفؤاد الذى أبحته .

(٦) أصحبت : انقادت بعد صعوبة .

مُعــنًّى بريحِ شمــالِ الشآم * لقــد عذّب الله بالريحِ رُوحَه

فــلا رَوّح الله مِن قربِكم * فؤادى بخطرةِ يأسٍ مُريحَــه

ولولا التعلّلُ بأبنيــة ٱلمنى الخادعه ، والنزولُ بأفنيــةِ الأُسا (١) الواسعه ؛ لتصــدّعتْ أكبادٌ وتفطّرتْ ، وتجدّلتْ (٢) أفراسُ دموعٍ وتقطّرتْ (٢)

يا صــاحبي إنّ الدموع تنفّستْ * فدَعِ الدموعَ تبيح ما قد أضمَرَتْ

قد كنتُ أكتم عن وشاتى سرَّها * ولقدجرى طِرْفُ الحديث كما جرَتْ

لله ليـــلاتٌ قَرَنَّ نجومَهــا * بل بدرَها بوجوهِ عيشٍ أقــرَتْ

أغلتْ على السُّلوان شَوقُكم فمــا * باعت كما أمر الغرامُ مَن آشترَتْ

ومذ فارقتُ تلك الغرّةَ البدريّه ، والطلعةَ العزيزةَ العِزّيّه ؛ ما ظفرتُ بشــخصِه نوما ولا بكتابِه يوما

* فواعجبًا حتى ولا الطيفُ طارقا * !

وأَعجِبْ (٣) له فى الحرب نثرُ كتائبٍ * بكفٍّ أبتْ (٤) فى السِّلم نظْمَ كتابِ

يحاسبنى فى لفظةٍ بَعــد لفظةٍ * ومعــروفُه يأتى بغــيرِ حسابِ

ولو رضيتُ — وكلّا — بأن أَحملَ من هذا الجفاء كَلًّا ؛ لمــا رضِىَ به لخُلُقِــه الرَّضِىّ ، ولأخذ بقول الرِّضىّ : (١٣٣)

---

(١) الأسا بكسر الهمزة وتضم : جمع إسوة ، بالكسر والضم أيضا ، وهى ما يأتسى به الحزين .

(٢) تجدلت : من جدله بتشــد يد الدال وتخفيفها ، أى صرعه على الجــدالة بفتح الجيم ؛ وهى الأرض . وتقطرت : من قطره ، اذا ألقاه على أحد قطريه ، وهما جانباه .

(٣) كذا فى كلا الأصلين ومسالك الأبصار ؛ وفى هذا البيت حذف المتعجب منه ، والأصل : «وأعجب به له» الخ والذى يفهم من حاشــية الصبان على شرح الأشمونى ج ٣ ص ١٨ س ٢٧ أن ذلك الحذف سائغ لا شذوذ فيه ، إذ المدار على أن يدل عليه دليل .

(٤) فى كلا الأصلين : «أنت» بالتاء المثناة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى مسالك الأبصار ؛ و يدل عليه سياق ما قبله وما بعده .

هبونی أرضَى[١] فی الإیاس بهجرکم * أترضَی لمن یرجوك ما دون وصلِه

والرغبةُ مصروفةُ العِنانِ إلی الله أن یُبیح من اللقاء مَنیعا، و ینتجَ من اللّطفِ صنیعا

لو تأخذون بساعةٍ * من وصلِکم عُمری جمیعا
لرغبتُ فی أن تشتری * ان کنتَ ترضَی أن تبیعا
ومفارِقین مع الصِّبا * عزما[٢] فهل أرجو الطلوعا[٣]
أقسمتُ لو رجعوا لأعـ * ـقبَنی الصِّبا معهم رجوعا
هبْکم منَعتم [قُربَکم][٤] * ولبستُم بُعدا منوعا
أفتَمنعون بکم ضلو * عا قد شُغِفین بکم وَلُوعا[٥]
ما غایتی إلا الدمو * عُ وأستقِلّ لك الدموعا

وکتب [أیضا رحمه الله تعالی][٦] یتشوق :

فیارب إن البین أنْحتْ صروفُه * علیّ وما لی من معینٍ فکن معی
علی قربِ عذّالی وبعدِ أحبّتی * وأمواهِ أجفانی ونیرانِ أضلعی

هذه تحیّةُ القلب المعذّب، وسریرةُ الصبرِ المذبذَب، وظلامةُ عزمِ السلوِّ المکذَّب؛ أصدرتُها الی المجلس وقد وَقدتْ فی الحشی نارُها، الزَّفیرُ أُوارُها، والدموعُ شرارُها، والشوقُ أثارَها وفی الفؤاد ثارُها :

(١) لم یرد هذا البیت فی دیوان الشریف الرضی الموجود بین أیدینا .

(٢) لعله رغما بالراء المهملة والغین المعجمة .

(٣) کذا وردت هذه العبارة فی کلا الأصلین ؛ ولم یتضح لنا معناها ؛ ولعل الصواب : « فهل یرجوا الضلوعا » .

(٤) لم یرد هذا اللفظ فی (أ) وقد أثبتناه عن (ب) اذ لا یستقیم البیت بدونه .

(٥) ولوعا مفعول ثان لقوله : « تمنعون » ؛ یقول : أفتمنعون الضلوع ولوعا بکم وشوقا الیکم وقد شغفیت بقربکم فیما سلف .

(٦) لم ترد هذه العبارة فی (أ) .

لو زارنى منكم خيالٌ هاجرٌ * لَهَــدتْه فى ظُلُماته أنوارُها

أسفًا على أيّام الاجتماع التى كانت مواسمَ لسرور الأسرار، ومَباسمَ لثغورِ الأوطار؛ وتذكّرا لأوقاتٍ عَذُب مَذاقُها، وعَذّب فراقُها[1]؛ وروّحتْ بُكَرُها، وروّعتْ ذِكَرُها

والله ما نسيتْ نفسى حلاوتَهـا * فكيف أذكر أنّى اليوم أذكُرُها

ومذ فارقتُ الجنابَ النُّورىّ — لا زال جَنَى جنابِه نضيرا، وسنا سنائه[2] مستطيرا؛ وملكُه فى الخافقَين خافقَ الأعلام، وعزُّه على الجديدَين جديدَ الأيام؛ لم أقفْ منه على كتاب يَخلُف سوادُ سطورِه ما غَسَل الدمعُ من سواد ناظرِى، ويقْــدم[3] ببياضِ منظومِه ومنثورِه ما وَزّعه البينُ من سواد[4] خاطرِى

ولم يَبْقَ فى الأحشاء إلا صُــبابةٌ[5] * من الصبر تَجرِى فى الدموع البوادرِ

وأساله المَناب[6] بشريف الجناب، وأداءَ فرض، تقبيلِ الأرض؛ حيث تَلتقِى وفودُ

(١) فى كلا الأصلين : «مراقها» بالميم؛ وهو تحريف .

(٢) السناء بالمدّ : الرفعة وعلو المنزلة، يقال منه : أسناه اذا رفعه .

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥ والذى فى كتاب الفاضل من كلام القاضى الفاضل المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٨ أدب "ويغرم" بالغين المعجمة والراء. وفى كلا الأصلين : "ويعزم بياض" الخ بالعين المهملة والزاى المعجمة؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالسواد هنا، العدد الكثير، كما يفهم من سياق العبارة .

(٥) الصبابة بضم الصاد : «البقية» .

(٦) كذا فى (ب) وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٥؛ والمناب مصدرميمى من النوب، أى أن ينوب عنه، كما يدل عليه سياق ما بعده. والذى فى (أ) : "المتاب" بالتاء المثناة؛ والمعنى عليه غير ظاهر .

الدنيا والآخره ، وتَغمُر البيوتَ العامرةَ المنَنُ الغامره ؛ ويظَلّ الظلُّ غيرَ منسوخٍ بهجيرِه، ويُنشَر المجد بشخص لا تسمح الدنيا بنظيرِه

تَظاهَر فى الدنيا بأشرفِ ظاهرٍ * فلَم يُرَ أنقَى منــه غيرَ ضمــيرِه
كفانِيَ عزًّا أن أسَمَّى بعبــدِه * وحسبِيَ هَــدْيا أن أسير بنورِه
فأىُّ أمــيرٍ ليس يشرف قدرُه * إذا ما دعاه صادقا بأمــيرِه

وإننى فى السؤال بكتبه أن يوصلها ليوصل بهـا لدى تهانئَ تَملأ يدى، ويُودعَ بها عندى مسَرّةً تقتدح فى الشكر زنْدِى

عهدتُك ذا عهدٍ هو الوَردُ نَضرةً * وما هو مِثلُ الورد فى قصر العهدِ

وأنا أرتقِب كتابه آرتقابَ الهلال لتفطر عين عن الكرى صـائمه ، وترِدَ نفسٌ على موارد المـاء حائمه .

وكتب أيضا يتشوّق :

لاعَتْبَ أخشاه لِقطـعِ كتابِكم * وآسمعْ فعذرى بَعده لا يُعتَبُ
مهما وجدتُك فى الضمير ممثّلا * أبدا تُناجينى إلى مَن أكتبُ

كَتَبَ عبدُ حضرة مولاه — حرس الله سموّه [1]، وأدام مزيدَ علائه ونموّه، وقَرَنَ بالمَسارِّ رواحَه وغدوّه، وكَبَت حاسدَه وأهلَك عدوّه — عن سلامة ما آستثنى فيها الدهرُ إلا ألَمَ فراقِه، وعافيةٍ موصولةٍ بمرضِ قلبٍ لا أرجو موعدَ إفراقِه [2]

لو لم يكن إنسانُ عيـنِى سابحا * لخشيتُ حين بكَيتُ مِن إغراقِه

(١) فى (أ) : «وسموه» بالسين المهملة ؛ وهو تحريف .
(٢) إفراق المريض : برؤه وإقباله .

وعندى اليه(١) وجدٌ يكلِمُ الضلوع ، ويتكلّم بألسنة الدموع ؛ والنفسُ قريبةُ آستعبار، لِذكرِ أوقات السرور القِصار، وأنوارِها التى يكاد سنا برقِها يَخطَف(٢) الأبصار .

شهورٌ ينقضِين وما شَعَرنا * بأنصافٍ لهنّ ولا سِرارِ(٣) (١٢٣)

إذ العيشُ غضٌ وَرِيق ، والمهجُ لم يتقسّمها التفريق ، ولا سار منها إلى بلدٍ فريقٌ وبقىَ فى بلدٍ فَرِيق، ولا سقاها كؤوسَ وجدٍ للجفونِ المترَعةِ تُرِيق

ثمِلتُ منها ومالى * سوى الغرامِ رَحيق

وإلى الله الشكوى من شوقٍ فى الصّميم ، وصبرٍ راحلٍ وغرامٍ لا يَرِيم ، كأنّه غريم

زعموا أنّ مَن تَبَاعَد يسلو * لا ومُحيي العظامِ وهى رميمُ

ولقد آستغرب وُصولَ الرفاقِ وقد صَفِرتْ مِن كتابِه الكريمِ عيابُهم ، ولو زاره لَعدّه تحفةَ الخصِيص(٤) بالتخصيص ، وأُدرِكَ به بُغْيةَ الحريص ، ورأى للدهرِ المذنبِ مزيةَ التمحيص ، وَصالَ به على نوائبِ الأيامِ المتنابةِ صولةً لا يجدُ عنها من محيص

وحسِبتُنى لِوصولِه * يعقوبَ بُشِّر بالقميص

---

(١) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنه يقال : "وجد اليه" ؛ والذى يقال : "وجد به" ؛ ولعله أراد بالوجد هنا معنى التشوق ، فسوّغ له ذلك ذكر «إلى» مكان الباء .

(٢) فى كلا الأصلين : « بالأبصار » ؛ والباء زيادة من الناسخ ؛ أو لعل أصل العبارة : «يذهب» بدل « يخطف » وإذن فتثبت الباء ؛ فان الكاتب يشير الى قوله تعالى فى سورة النور : « يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » .

(٣) السرار بفتح السين وكسرها : الليلة التى يستسر فيها الهلال آخر الشهر ؛ ونقل عن الأزهرى أن كسر السين فيها لغة ليست بجيدة عند اللغويين .

(٤) المراد بالخصيص ، من خصصته بودّك ؛ وقد راجعنا كتب اللغة التى بين أيدينا مادة (خصص) فلم نقف على هذه الصيغة بهذا المعنى غير أننا وجدنا آستعمالها شائعا فى بعض كتب الأدب كمعجم الأدباء لياقوت ، فقد قال فى ج ٥ ص ١٥٢ عن أبى الفرج الأصفهانى ما نصه : «وكان أبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى من ندماء الوزير أبى محمد المهلبى الخصيصين به» الخ .

هنالك يَرتع فى تلك الرِّياض التى غصونُها أسطارُها، وشكلُها أطيارُها، وألفاظُها نُوّارُها، ومعانيها ثمارُها، وبلاغتُها أنهارُها، وجزالتُها تيارُها

إن أظلمتْ للنفسِ فيها ليلةٌ * قمرُ المعانى عنـدنا سمسارُها[1]

ويتلقّاه قَبل يدِه بقلبِه، ويكاد يسبق ضميرَه إلى أكلِه وشربِهِ

ويظنّه والطرفُ معقودٌ به * شخصَ الرقيب[2] بدا لعين محبِّه

وإذا ضنّ مولاه بمأثورِه، جاد عليه بميسورِه[3]؛ ...

فكأنّنى أهـديتُ لِلشمسِ السّنا * وطرحتُ مابينَ المصاحِفِ دَفترا

وعلى كلّ حالٍ فيسأله أن يواصلَه مِن مَراسِمِه بمـا ينتظره ناظرُه ليجد نورا، وقلبُـه ليستشعر به سرورا، وخاطرُه ليجعله بينه وبين الهمّ سُورا؛ وألّا يخلىَ رِفقةً من كتابٍ ولو بالقلائد القلائلِ من دررِ أقلامِه، ودرارىّ كلامِه .

وكـتب : لو آستعار الخادمُ — أدام الله نعمةَ المجلس — أنفَاس البَشر كلاما، وأغصانَ الشجر أقلاما؛ وبياضَ النهار أطراسا، وسوادَ الليـل أنقاسا[4]؛ ماعبّر عن الوجد الذى عبّرتْ عنه عَبَرَاتُه، ولا عن الشوق الذى لا يستثير مِثلَه مَعبدًا[5]

(١) المراد بالسمسار هنا، الدليل والهادى . وأصل معناه : المتوسط بين البائع والمشترى، أو هو السفير بين المحبين انظر القاموس .

(٢) كذا فى كلا الأصلين . ولعله : «الحبيب»، فان تشبيه كتابه بشخص الرقيب غير مناسب لما أراده من الآستبشار به، والتهلل لوروده؛ ويدل على ذلك أيضا قوله : "لعين محبه"؛ ولم نقف على هذا البيت فيما لدينا من المظان .

(٣) الظاهر أن هنا كلاما سقط من الناسخ إذ لا مناسبة بين معنى البيت وبين ما سبقه من الكلام؛ ولم نقف على هذه الرسالة فيما راجعناه من المظان .

(٤) أنقاس : جمع نقس بكسر النون، وهو المداد .

(٥) هو أبو عباد معبد بن وهب؛ وقيل : ابن قطنى مولى ابن قطر؛ مغنّ معروف غنى فى أوّل دولة بنى أمية ومات فى أيام الوليد بن يزيد الأغانى ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب .

إذا هَزِجتْ(١) فى الثقيل الأول نَبَراتُه(٢)؛ أسفا على ما عَدِمه فى هذه الطريق، من ذلك المحيّا الطّليق، والخُلُقِ الذى هو بكل مَكرُمَـةٍ خليق، والصفاتِ التى يَحسُن بها كلُّ حُسنٍ ويليق، ويُعذَر كلُّ جفنٍ يَسفَح ذخيرتَه شوقا إليها ويُرِيق

قِفا أوخذا فى العذْل أىَّ طريقِ * فمـا أنا مِن سكرِ الهوى بمُفيقِ
أما والهـوى إنّ الهوى لألِيَّةٌ * يعظِّمُها فى الحبّ كلُّ مَشُوقِ
لو انّ الهوى ممـا تصحّ هِباتُه * لقاسمتُ منه قلبَ كلِّ صديقِ

وما زار ناظرَ خادمِه الكرى إلا تمثّـل له مولاه طيفا يَهُمّ أن يتعلّق بأذيالِه، وقَبِـلَ تمويهَ ناظرِه على قلبِه فى وصالِه

وَوَدَّ أن سـوادَ الليل مُدَّ له * وزاد فيه سوادَ القلبِ والبصرِ(٣)

ولقد وَجَد طعمَ الحياة لِبعدِه مرّا، وقال بَعدَه للذّتَى ٱلعين والقلب: مُرَّا

وها هو يرجو فى غدٍ [وعد](٤) يومِه * لعــلّ غدا يأبى(٥) لمنتظرٍ عــذرا

وإلى الله سبحانه وتعـالى يَرغب أن يجعلَه بالسـلامة مكنوفا، وصَرْفَ الحِدْثان عن ساحتِه مكفوفا(٦)، وعنانَ الصُّروف عن فِنائه مصروفا، ووُفودَ الرجاء على أرجائه عُكوفا، وأنْ يُمتِع الوجهَ(٧) بوصفه الذى هو أشرفُ مِن كلِّ وجهٍ موصوفا

---

(١) يقال: هزج المغنى بكسر الزاى المعجمة وهزج بتشديدها، اذا طرّب بتشديد الراء وترنم؛ والذى فى كلا الأصلين: «رجحت»؛ وفيه قلب وتصحيف.

(٢) كذا فى (ب) والذى فى (أ) «مراته»؛ وهو تحريف.

(٣) فى كلا الأصلين: "السمع"؛ وهو غير مستقيم؛ والتصويب عن سقط الزند، والبيت لأبى العلاء المعرى

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى (أ) ولا يستقيم البيت بدونها.

(٥) فى الأصول: «يأتى»؛ وهو تحريف.

(٦) فى (أ): «مكنوفا» بالنون؛ وهو تحريف.

(٧) فى كلا الأصلين: «الوجد» بالدال؛ وهو تحريف.

مَن كان يُشرِك فى علاك فإنّنى * وجّهتُ وجهى نحوهنّ حنيفا

وقد(١) كان يَنتظر كتابا يشرّفه ويشنّفه، ويستخدمه على الأوامر ويصرّفه، ويجتنى ثمر السرور غضّ المَكاسر ويقتطفه؛ فتأخّر ولم يُحدِث له التأخيرُ ظنّا، ولا صرَفَه [عن] أن يَعتقِد أنّ مولاه لا تُحدث له الأيامُ بخلا بفضله ولا ضنّا

ولو تُصرَف السحْبُ الغزارُ عن الثّرى * لَمـا انصرفتْ عن طبعك الشيَمُ الحُسنى

وهو يَنتظرُ من الأمرِ والنهيِ ما يكون عملُه بحسبِه، ويثبت له عهد الخدّام بنسَبِه (١٢٤)

ومِن عَجَبٍ أنّى أحِنّ إليهمُ * وأسألُ عنهم مَن أَرى وهمُ معى

وتَطلبُهم عينى وهُم فى سوادِها * ويشتاقهم قلبى وهُم بين أضلعى.

وكتب أيضا : كتبتُ والعبَراتُ تمحو السطور، ويُوقد ماؤها نارَ الصدور ويَهتِكُ(٢) وجدا كان تحت السّتور، ويُرسِل من بين أضلعى نفَسَ الموْتور

قد ذَكرْنا عهودَكم بعـد ما طا * لت ليالٍ مِن بَعـدِها وشهورُ

عَجَبًا لِلقـلوبِ كيف أطاقتْ * بُعدَكم! ما القلوبُ إلّا صخـورُ

وما وردتُ المـاءَ إلّا وَجدتُ له على كبِـدى وَقْدًا لا بَرْدا ، ولا تعرّضتُ لنفحات النسيم إلا أَهدَى إلىّ جَهْدا، ولا زارنى طيفُ الخيال إلا وجدنى قد قطعتُ طريقه سُهْدا، ولا خَطِفَ(٣) لى البارقُ الشّامىُّ إلا باراه قلبى خُفوقا ووَقْدا

وأيسرُ ما نال مـنّى الغليـ * ـلُ ألا أُحِسَّ من المـاء بردا

---

(١) فى (أ) : « ومن » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى (أ) : «ويهبك» بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف .

(٣) « خطف لى » أى لمع لمعانا يخطف البصر .

فسقى الله دارَه ما شربتْ [من](١) الغمام، وأيّامَنا بها وبُدورُ ليالى تلك الأيّامِ تِمام

ذُمَّ اللّيالىَ(٢) بَعد منزلة اللّوى * والعيشَ بَعد أولئك الأقوامِ(٣)

وكان قد وصل منه كتابٌ كالطّيفِ أو أقصرُ زَوْرا، وكالحِبِّ أو أظْهرُ جَوْرا، والربيعِ أو أبهرُ نَوْرا، والنجمِ أو أعلى طَوْرا، والماءِ الزلالِ أو أبعَدُ غَوْرا؛ فنثرتُ عليه قُبَلى، وجعلتُ سطورَه قِبَلى(٤) بل قِبَلى(٥)، ووردتُ منه مَوردا

أهلًا به وعلى الإظماءِ أَنشُـــدُه(٦) * لو بَلّ من غُللى أَبللتُ مِن عِللى

إلا أنه — أبقاه الله — ما عزّزه(٧) بثان، ولا آنس غريبَه، وإنى وإيّاه غريبان

وكم ظلّ أو كم بات عندى كتابُه * سميرَ ضميرٍ أو جِنانَ جَنان

وأرغبُ إليــه — لا زالت الرّغبَات إليـه —، وأسألُه — لا خَيّم السـؤالُ إلا لديه —، أن يلاطِفَ بكتابه قلبى، ويمثّلَ لى بمثالِه أيّامَ قربى

---

(١) عبارة كلا الأصلين: «ما شربت الغمام» بسقوط «من» والسياق يقتضى إثباتها، كما فى مسالك الأبصار؛ يشير الكاتب بهذه العبارة الى قول الشريف الرضى:

سقى منى وليالى الخيف ما شربت * من الغمام وحياها وحياك

انظر ديوان الشريف الرضى.

(٢) البيت لجرير انظر ديوانه ص ١٢٤ طبع المطبعة العلمية وقد روى البيت فيه هكذا

* ذم المنازل بعد منزلة الصبا * الخ البيت.

(٣) فى ديوان جرير: «الأيام» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

(٤) قبلى بكسر القاف وفتح الباء، أى تجاهى، ويجوز ضبطه بضم القاف وسكون الباء، أى قصدى تقول: أنا أقبل قبلك، أى أقصد قصدك.

(٥) قبلى، هو جمع قبلة بكسر القاف.

(٦) يريد أنه ينشد كتابه، أى يطلبه على اظمائه إياه، وقلة جدواه فى شفاء غلته، كما يدل عليه عجز البيت. وفى كلا الأصلين: «وعن الظلماء»؛ وهو تحريف إذ المعنى عليه غير ظاهر.

(٧) عززه: من التعزيز، وهو التقوية والإعانة.

والله لولا أنــنى * أرجو اللّقا لقضَيتُ نَحْبي
هـذا وما فارقتُكم(١) * لكنّنى فارقتُ قلبى .

وكتب جواب كتاب ورد عليه :

شكرتُ لدهرى جَمْعَه الدارَ مرّةً * وتلك يدٌ عنـدى له لا أُضيعُها
وطلعة مولانا يطالِعُ عبـدَه * وكلُّ رُبوعٍ كان فيها رُبوعُها
فؤادٌ سـقاه لا يعـودُ غليلُه * وعينٌ رأته لا تَفيض دموعُها

ورد على الخادم كتابُ المجلس — أَعلى الله سـلطانه وأَثبتَه ، وأرْغَم أنفَ عدوّه وَكَبَتَه ، وأصماه بسهام أسـقامه وأَصمَتَه ؛ ولا أَخلَى الدنيـا من وجودِه ، كما لم يُخْلِ أهلَها مِن جودِه ، ولا عَطّل سمـاءَ المجد من صـعودِه ، كما لم يُعطّل أرضَها من سُعودِه — وهو كتابٌ ثانٍ يَثنِي إليه عِنانَ الثنـاء ، ويَصِفُ لى حسنَ العهـد على التّناء ، ويَستنهِضُ الأدعيـةَ الصالحةَ فى الأطرافِ والآناء ، ويبشِّرُ الخـادمَ بأنه وإن كان بعيـدَ الدارِ فإنه بمثـابة المقيم فى ذلك الفِنـاء ، وأن هـذه الخـدمةَ التى أنعم الله عليـه بهـا وثيقـةُ الأسـاسِ على الدهر شامخةُ البنـاء ؛ فقام له قائمـا على قدمِه ، وسجَدَ فى الطِّرس ممثِّلا سُجودَ قلمه ، وآستَرعى اللهَ العهدَ على أنه تعالى قد رعى ما أَوْدعه فى ذمّة كرمِه ؛ وصارت له نَجْرانُ(٢) علاقةَ خيرِ صَرَفَ إليها وجهَه فكأنها قِبلُه ، ودعا بنى الآمالِ إلى آعتقادِ فضلِ مالِكها فكأنّمـا يدعوهم إلى

(١) فى (أ) : «وما قد فارقتكم» ، و«قد» زيادة من الناسخ اذ بها يختل الوزن ، وهذا الشعر ينسب الى العينى من أهل مصر ، أو هو لظافر الحداد انظر خريدة القصر لعماد الدين الأصفهانى المأخوذ منه بعض أجزاء بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب ، والعينى الذى ينسب اليه هذا الشعر غير الحافظ بدر الدين محمود العينى صاحب عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان .

(٢) كذا فى (ب) ؛ وقد وردت هذه الكلمة فى (أ) مهملةَ الحروف من النقط ، ونجران فى عدّة مواضع ، منها نجران فى مخاليف اليمن من ناحية مكة .

ملّه ؛ والله يُوزِعُه شكرَ هذا الافتقادِ (١) على البِعاد ، ولا يُخليه من هذا الرأى الجميل الذى هو مَلجأُ الاستناد ، وعَقْدُ الاعتقاد ؛ والخادم لاينفكّ متطلّعا لأخبار المولى فتَرِده مُفْضلةً ومُجْمله ، ومُفَصَّلةً ومُجمَلَه ؛ ويَعرِف منها مايَعرِف به مَوْقعَ اللطف بالمولى فى أحوالِه ، ومكانَ النجح فى آمالِه ؛ وأنّه بحمد الله فى نعمةٍ منه — لاغيّر اللهُ مابه منها ، ولا صَرفَها عنه ولا صَرَفَه عنها — فيجدِّد لله الشكرَ والحمد ، ويبلِّغه مايَبلُغُه منها المرادَ والقصد ؛ ونسأل الله ألّا يخلىَ الدولةَ الناصريّةَ منه ناصرا لسلطانِها ، وعينا لأعيانِها ؛ وسيفا فى يدِ الإسلام يناضِل عن حقِّه ، وفرعا شريفا يَشهد مَرآه بشرف عرقِه ؛ والرأى أعلى فى إجرائه على ما عُوِّد من هذا الإنعام ، وزيادته شرفا بالاستنهاض — إن صَلَح له — والاستخدام . (١٢٥)

ومن جواب آخر : وَرَد كتاب المجلس — أدام الله وارداتِ الإقبال على آمالِه ، و [لا] سَلَبت (٢) الأيامُ نعمتَى جميلِه وإجمالِه ، ولا انحطّ قدرُ بدرِه عن درجتَى تمامِه وكمالِه ، وأحسن جزاءه عن ميثاق (٣) الفضل الذى نَهَض باحتمالِه — ووقفتُ منه على ما لا يَجِدُ الشكرُ عنه مَحيدا ، وآنستُ (٤) به القلبَ الذى كان وحيدا ، وعَددتُ يومَ وصوله السعيد عيدا ، ووردتُ منه بئرا معطَّلةً (٥) وحللتُ قصرا مَشيدا ؛ ولا يكلِّف الله نفسا إلّا وُسعَها ، وتلك الغايةُ ليست فى وُسعى ، ولا تَعلم نفسٌ إلا ماطَرَق سَمْعَها ، وتلك المحاسنُ ماطَرَق بِمثلِها سمعى ، ولا تتناول يدٌ إلّا ماوسعه ذَرْعُها ، وهذه الأوابدُ الأباعدُ ماطالها ذراعى ولا استقلّ بها ذَرْعى .

(١) افتقده وتفقده : طلبه عند غيبته .

(٢) فى (ا) : « وسلبت » بسقوط « لا » ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٣) فى كلا الأصلين : « ميقات » ؛ وهو تحريف .

(٤) فى (ا) : « وأنسيت » ؛ وهو تحريف .

(٥) تعطيل البئر ؛ ألاتورد كما فى أساس البلاغة ؛ يريد أنها صافية الماء عذبة المورد لقلة الزحام عليها المكدر لها .

ومن آخر : خلّد الله أيامَ المجلس ، وعضَـد الملّةَ الحنيفيّــةَ منه بحاميهـا ، والأركانَ الإسلاميّةَ من سـيفِه بشائدِها وبانيها ، وأمتَع الدولةَ المحمديّةَ بعزمته التى حسُنتْ الكفايةُ بها ، فلا غروَ أن تحسُن الكفايةُ فيها ؛ ولا عَدِمت الدنيـا نَضرةً بأيامه النّضيره ، والدينُ نُصرةً بأعلامِه النصيره ؛ الملوكُ يقبِّل الترابَ الذى يوماً يَستقِرُّ بحوافر سَيْلِه (١) ، و يوما يَستقِرّ بحوافر خيلِه — فلا زال فى يوم السِّلْم جُوده سحابا صائبا ، و يومِ الحربِ شهابا ثاقبا — و يُنهِى أنه وردتْ عليه المكاتبةُ التى آستيقظتْ بها آمالُه من وسَنها ، وأفادته معنًى من الجنّة فإنها أذهبَتْ ما بالنفوس من حَزَنها ، وتلقَّ الملوكُ قُبْلَها (٢) بالسجود والتقبيل ، وتحلّى بعقودِ سطورِها فهيهات بعد هذا شكوى التعطيل ؛ وآكتحَلَ من داء السهد بإثمِدِها (٣) ، وأدار على الايامِ كأسَ مَرقَدِها (٤) ، وأسمعتْه نَغمَ النِّعمِ التى هى أعجبُ إلى النفس من نَغَمات مَعبَدِها ، وأطالت الوقوفَ عليها رِكاب طَرْفِه [فما وقوفُ ركابِ طَرَفةَ (٥)] ببُرقةِ ثَهمَدِها (٦) ؛ وضَرعَ إلى من يشــفَع وسائلَ المتضرِّعين ،

(١) الحوافر جمع حافرة ، وهى الأرض المحفورة ، كما قاله الأزهرى .

(٢) القبل بضم القاف وسكون الباء الموحدة : الوجه انظر اللسان .

(٣) الإثمد بكسر الهمزة والميم : الكحل الأسود . و يقال إنه معرب . قال آبن البيطار فى المنهاج : هو الكحل الأصفهانى ، و يؤيده قول بعضهم : ومعادنه بالمشرق . وهو هنا مذكور على سبيل الآستعارة والتمثيل .

(٤) يريد أنه بهذه الرسالة قد أنام الأيام عن محاربته وأغفلها عن الكيد له .

(٥) التكلة عن (ب) ومسالك الأبصار .

(٦) البرقة والبرقاء : أرض غليظــة مختلطة بحجارة و رمل ، و جمعها برق بضم الباء وفتح الراء وبراق بالكسر انظر اللسان . وفى معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٧٩ طبع جوتنجن أن (برقة ثهمد) لبنى دارم وذكر فى ج ١ ص ٩٤٢ فى الكلام على (ثهمد) نقلا عن نصر أن ثهمد جبل أحمـر حوله أبارق كثـيرة فى ديار غنى ؛ ونقل عن غيره أن ثهمد موضع فى ديار بنى عامر . وقد أشار الكاتب بهذه العبارة الى قول طرفة ابن العبد فى مطلع معلقته :

لخولة أطلال ببرقــة ثهمــد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

ويملأ مواقع آمالِ المتوقّعين؛ أن يَغُلّ عنه كلّ يدٍ للخطوب بسيطه، ويفكّ به كلّ رِبْقةٍ(١) للأيّام بأعناق بَنيها(٢) محيطه .

ومن آخر : رفع الله عمادَ الإسلام ببقاء المجلس، وبَسَط ظلّه على الخلق، وملّك يدَه الكريمةَ قصبَ السّبق، وجَمَع بتدبيره بين ناصيتَي الغربِ والشرق؛ وألّف لقدرته طاعتَي الجهرِ والسرّ، وصرّف بعزمته زمامَي النّهى والأمر، وأحرز بجدّه مَسَرّتَي الأجرِ والنصر، وقَطّ(٣) بفتكته شوكتَي النفاقِ والكفر — وردتْ على المملوك مكاتبةٌ كريمةٌ رفعها حيث تُرفع العمائم، ومدّ اليدَ اليها كما تُمدّ إلى الغمائم؛ وفضّها بعد أن قَضَى باللثم فرْضَها، واستمطرتْ نفسُه سماءها فأرضتْ أرضَها؛ وكاد المملوكُ يتأمّلها لولا أنّ دمعَ الناظرِ إلى العين سبقَه، على أنه دمعٌ قد تلوّن بتلوّن الأيّام فى فراقه، فلو فاض لعَصْفَرَ(٤) الكتابَ وخَلّقه(٥)؛ فلا أعدمه الله المولى حاضرا وغائبا، ومُشافِها ومكاتِبا، وأحلّه(٦) فى جانب السعادة ويَعِزّ على المملوك أن يَحُلّ من مولاه جانبا .

ومن آخر : ورد كتابُه ووقفتُ على ما أودعه مِن فضلِ خطٍّ وفصلِ خِطاب، وعقائلِ عقولٍ ما كنا لها من الأكفاء وإن كنا(٧) مِن الخُطّاب، وآثار أقلام

(١) عبارة كلا الأصلين « كل رقبة للانام » الخ وهو تحريف لايستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا، ويعينه قوله : « محيطة » .

(٢) هذه الكلمة فى (أ) مهملة الحروف من النقط .

(٣) القط : القطع عامة .

(٤) يقال : عصفرت الثوب، أى صبغته بالعصفر، وهو نبات سلافته الجريال، وبذره القرطم وهو ريفى وبرى، وكلاهما ينبت بأرض العرب .

(٥) خلقه بتشديد اللام : طلاه بالخلوق، وهو طيب يتخذ من الزعفران وغيره .

(٦) وأحله، أى وأحل المملوك؛ يريد الدعاء لنفسه بأن ينزله الله فى جانب السعادة، أى جانب المكتوب اليه .

(٧) فى كلا الأصلين : « وان كانت » وسياق العبارة يقتضى ما أثبتنا؛ فان الخطّاب جمع خاطب، كما فى اللسان .

تُناضِل عن المِلّة نضالَ النِّصال، وكأنها فضلُ سبقٍ[١] لما تحُوزه من حقِّ السَّبقِ وخَصْلِ[٢] الخصال؛ فأُعيــذ الإسلام من عَدَمِه، ولا عدِمَ بَسطةَ قلمِه، وثبوتَ قدمِه؛ فإنه الآن عينُ الآثار، وأثرُ الأعيان، وخاطرُ الحِفظ إلا أنّ الخطوب تَصحب فيه خواطرَ النِّسيان؛ ولَئِنْ اهتصر الدهرَ سَطْوا[٣]، واختصر خطْوا[٤]، وإنه سيفٌ يمــانٍ إن قَدُم عهدا، فقد حَسُن فِرِندا[٥]، وخشن حدّا؛ وأجرَى نهرا، وأوْرَى شررا؛ واخضرّ خميلَه، وقَطع الأيّامَ جميلَه؛ وضارَب الأيامَ فأجفلتْ[٦] عن مضاربه ضرائبُها[٧]، وشَرَدَتْ عن عزمه غرائبُها؛ ولبِسَها حتى أَنْهجتْ[٨] بواليَا، ثم اختار منهــا أياما وأبى أن يلبسها لياليَا؛ لا جرم أن صحيفته البيضاءَ شعارُ شِعرِه، وروضة علمه الغنــاء[٩] قد جاتِ أنوارَ نَورِه، وزواهرَ زهرِه؛ فالزمانُ لا يعدو عليه[١٠] بزمانة تعدُو، ولا يتجاوز أوقاتَه إلّا موسُومةً بمحاسنه ولا يعــدو؛ حتى يمُتّ إليه عدوٌّ يلتفت[١١] أمس، ويَروِى اليــومَ (١٢٦)

(١) يريد، السبق الى الإسلام الذى كان من مفاخر بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كعليّ ابن أبي طالب وأبي بكر وغيرهما .

(٢) الخصل : الخطار الذى يتراهن عليه فى الرمى؛ يقال : أحرز فلان خصله، والمعنى أنه غلب . والخصال : مصدر خاصله، اذا راهنه فى الرمى .

(٣) فى كلا الأصلين : «سطورا» وهو تحريف؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا؛ واهتصر الدهر جذبه وأماله؛ ومن نعوت الأسد المهتصر .

(٤) واختصر خطوا : كناية عن الوثب، فإن الواثب يقلل الخطو الى غايته .

(٥) فرند السيف : جوهره .

(٦) أجفلت : نفــرت وأسرعت فى الهرب . وفى كلا الأصلين : «وأحفلت» بالحاء المهمــلة وهو تصحيف .

(٧) الضرائب : جمع ضريبة، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . وإنمــا ثبتت فيه التاء مع أنه بمعنى المفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٨) يقال : أنهج الثوب، إذا أخذ فى البلى .

(٩) فى كلا الأصلين : «الخنا» وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(١٠) فى كلا الأصلين : «عليه» وهو تحريف .

(١١) يلتفت، أى ينصرف عنه ويعرض .

أنّ قرابتَه مِن فضلِه أمَسّ؛ واللهُ يعلم أنّني لأَرَى له ولا أَرَى فيه، وأسُدّ عنه كلَّ خَرْقٍ تعجَز عنه يدُ رافيه؛ ضنّا بالصدور أن تخلوَ من صدرٍ كقلبها، ومحاماةً عن حقوقِ تقدمتِه التى أوجبها أن تُعارَض بسَلْبها .

ومن آخر : وصل كتابُ الحضرة فجعَل مستقَرّه النّعمةَ فى الصدور، وأخرجتْنى ظلماتُ خطّه إلى نور السرور؛ ووقفتُ وكأنّى واقف على طللٍ من الأحبّة قد بكَى عليه السحابُ بطَلّه، وابتَسم له الروضُ عن أخبار أهلِه وآثارِ منهلّه؛ فلم أزل أرشُف مسكَ سطورِه ولَماها، وأنزّه العينَ والقلبَ بين حسنِها وجَناها؛ وأُطلِقُ عِنانَ شوقٍ جَعَلتُ الأقلامَ له لُجُما، وحسِبتُ النِّقْسَ ليلا، والكتّابَ طيفا، والوقوفَ عليه حُلُما؛ إلى أن قضت النفوسُ وَطَرا، وحمَلتْ الخواطرُ خطرا، وقرنت (١) بما ظنّه سحابا ما ظنّه مطرا؛ هذا على أنه قريبُ العهد بيدِ النّعماء، فإن هَرَبَ فمن ماءٍ إلى ماء .

ومن آخر : فلمّا وقف على الكتابِ جَدّدَ العهدَ بلَثمِه ما لَم يصِلْ إلى اليد [التى] (٢) بعثتْه، وشَفَى القلبَ بضمّه عوضا عن الجوانح التى نفثتْه

وأين المطامعُ مِن وصلِه * ولكن أعلّلُ قلبا عليلا .

ومن آخر : وصلَ كتابُه، وكان من لقائه طيفا إلا أنه أَنِسَ بالضُّحى، وأثار حربَ الشوقِ وكان قطبَ الرّحَى

تخطّى إلىّ الهولَ والقفرُ دونه * وأخطارُه لا أصغرَ اللهُ ممشاه .

---

(١) فى كلا الأصلين : « وقرنته » ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من (أ) ؛ والسياق يقتضى إثباتها، كما فى (ب) .

ومن كلامه رحمه الله يصف بلاغة كتاب، قال : كتابٌ إلى نحرى ضمتُـه، وذكرتُ به الزمنَ الذى ما ذممتُه، وأكبرتُ قدرَه لحين تسلّمتُه [استلمتُه](١) والتقطتُ زَهْرَهُ لحين لمحتُـه استملحتُه، وامتزج بأجزاء نفسى لحين لحظتُه حفظتُه ؛ وجمعتُ بينه وبين مستقرِّه من صدرى، واستطلتُ به مع قِصَره على حادثات دهرى، وجعلتُ سِحره بين سَحْرى(٢) ونحرى، واستضأتُ به ورشفتُه فهو نهارى وهو نَهرى ؛ فإن أردتُ العطرَ بلا أثرٍ أمسكتُ مِسكه بيدى، وإن أردتُ السكرَ بلا إثم أدرتُ كأسَـه فى خَلَدى ؛ فلله أناملُ رقمتْـه، ما أشرفَ آثارَها ! وخواطرُ أملتْـه، ما أشرقَ أنوارَها ! ولم أزل متنقلا منـه بين روضةٍ فيهـا غدير، وليلةٍ فيهـا سمير ؛ وإمارةٍ لها سرير، ومَسَرّةٍ أنا لهـا طليقٌ أسير، ونعمةٍ أنا لهـا عبدٌ بل بهـا أمير ؛ حتى أدبرتْ عنى جيوشُ الأسى مفلوله، وقَصُرتْ عنى يدُ الهمّ مغلوله ؛ ومُلئتْ منّى مسامعُ المكارم حمـدا، وخواطرُ الصنائع ودّا ؛ وحطَّ الأملُ بربعى رحلَه، وأنبتَ الربيعُ بفِنائى بَقْـلَه ؛ ولبِستُ من الإقبال أشرفَ خلعه، ووردتُ من القبول أغزرَ شِرْعه، وانتجعتُ من رياض الرجاء أرجى نُجْعه .

وقال أيضا من آخر : هذا مِن عفـوِ الخواطر، فكيف إذا استدعى المجلسُ خَطِّيّـةَ(٣) خطِّه بجاءت تَعسِل(٤)، وحشدَ حُشودَ بلاغتـه فأتت من كل حَدَبٍ(٥) تَنسِـــل ! .

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ) وقد أثبتناها عن (ب) إذ السياق يقتضى إثباتها ؛ ويرشد إليها أيضا ما يأتى فى الجملتين اللتين بعدها ، والمراد بالاستلام هنا ، التقبيل ، تشبيها له بالحجر الذى يستلمه الحجيج .

(٢) السحر بفتح السين وسكون الحاء المهملة وفتحها : الرئة ، أراد ما يحاذيها من الصدر .

(٣) الخطية : رماح تنسب الى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنها تحمل إليه من الهند فتباع به .

(٤) عسل الرمح عسلا وعسلانا : اشتدّ اهتزازه واضطرب .

(٥) الحدب بفتحتين : الغلظ المرتفع من الأرض . وتنسل : تسرع .

ومن آخر : ورَتَعَ فى رياض بلاغتـه التى لم يقتطفهنّ مِن قبلِه غارس ولا جان ، وآجتـلى الحورَ المقصـوراتِ فى الطروس التى لم يَطْمِثْهنّ(١) إنسٌ قبـلَه ولا جانّ، وغَنِىَ بتلك المحاسن غنًى خيرا مِن المـال ، وآعتقد(٢) فيهـا كنوزا إذا شاء أنفق منها الجُمل، وإذا شاء أَمسَكَ منها الجمال .

وقال أيضا : كتابٌ آشتَمَلَ على بديع المعـانى وباهرِها ، وزَخَرتْ بحارُ الفضـل إلا أننى ما تعبتُ فى آسـتخراج جواهرِها ؛ بل سبَحتْ حتى تناولتُها ، وجَنحتْ إلىَّ فمـا حاولتُها؛ وآقتبستُ مِن محاسنِ أوصافه ، وبدائعِ أصنافه؛ نكتًا آستقلّتْ أجسادُها بالارواح ، وزُهِيَتْ جيادُها بما فيها من الغرر والأوضاح؛ فيالله مِن بدائعَ وروائعَ، ولطائفَ وطرائف! فيها ما تَشتهِى الأنفسُ وتَلَذُّ الأعين، وما يقرّط الأسماعَ ويقرّط الألسُن(٣)؛ فكأنه طرفُ(٤) طرف(٤) صَوبُه مِدرار ، وعَلَمُ عِلْم منصوبٌ فى رأسـه نار؛ صَحّح السحر وإن كان ظنًّا ، وفضـح الدرَّ إذ كان أبرعَ (١٣٧) معنى ، وأَسنَى حُسنا، وأَدنَى مجْنًى، وأَغنَى مَغْنًى ؛ فمـا ضره تأخيرُ زمانِه، مع تقدّمِ بيانِه؛ ولا مَن سبقَه فى عصرِه، مع أنه قد سَبق فى شعرِه .

---

(١) الطمث : الافتضاض ، وبابه نصر وضرب .

(٢) اعتقد : أحرز وآقتنى .

(٣) يقرط الأسماع ، أى يحلى به الأسماع كما تحلى الآذان بالأقراط ، وهو جمع قرط بضم القاف ، وهو ما يعلق من الحلىّ فى شحمة الأذن . (ويقرط الألسن) من التقريط ، وهو التقطيع ؛ أو هو من تقريط الفرس ، وهو إلجامه ؛ والمراد أن ما فى هذا الكتاب من البلاغة يقطع الألسن عن معارضته ويلجم الأفواه عن مساجلته ؛ وفى الأصول : «يفرط» بالفاء الموحدة فى كلا اللفظين ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٤) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد من معانى هاتين الكلمتين ما يناسب سياق ماهنا ؛ ولعل صواب العبارة : «فكأنه قطر قطر» الخ فالأولى مصدر قطر الماء يقطر ، اذا سال . والثانية بمعنى المطر ، كما تدل على ذلك بقية الجملة .

ومن آخر : ولله هو من كتاب لمّا وقفتْ عليه الغُلّةُ شَفاها ، ورأت وِرْدَها كلَّ ماءٍ غيره سَفاها[١]، ووطّأ مضاجعَ أُنسِها بعد أن كان الشوقُ يُقلِّب[٢] الجنوبَ على سَفاها[٣] ؛ فلا عدم ودَّها الذى به عن كلِّ مودّةٍ سُلوة ، ولا برحت كفايةُ الله تُحِلّها فى الذُّرا وتُعلى قدرَها فى الذِّروه، ولا فقد مما يُنعِم به أىَّ نعمه، ولا مما يُنشيه أىَّ نشوه .

ومن آخر : كتابٌ كريمٌ تبسَّم إلىّ ضاحكا، وظُنَّ مدادُه أنه قد جلا سَطرُه علىّ حالكا؛ فما هو إلّا سوادُ الحدقة منه انبعثت الأنوار، وما هو إلا سُوَيداءُ[٤] ليلة الوصلِ اشتملتْ على دجًى تحته نهار ، فلله هو مِن كتابٍ استغفر الدهرُ ذنبَ المشيب بسوادِه، واستدرك الزمانُ غلطَه بسدادِه .

ومن آخر : كتابٌ تقارعَت الجوارحُ عليه فكادت تَتَساهم، فقالت اليدُ: أنا أولى به، شَدَدتُ على مولاه ومولاى عَقدَ خِنصِرى ، ورفعتُ اسمَه فوق منبرى؛ وقبضتُ عليه قبضتى، وبسطتُ فى بسطِ راحتِه وقت الدُّعاء راحتى؛ وقالت العين : أنا أولى به، أنا وعاءُ شخصِه ، وإلىّ يرجع القلبُ فى تمثيلِه ونصِّه[٥]؛ وأنا سهرتُ بعد رحيلِه وحْشَة، وأنا إذا ذُكِر هجيرُ القلبِ عَلَلْتُه[٦] رشّةً بعد رشّة ؛ فقال القلب : طمعتما فى حقّ لأنى غائب ، وهل أنتِ لى يا يدُ إلّا خادم ؟ وهل أنتِ لى

(١) السفاه بفتح السين المهملة : الجهل .

(٢) فى (أ) : « نقلت » ؛ وهو تصحيف .

(٣) السفا : الشوك؛ وفى كلا الاصلين : «شفاها» بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) سويداء : تصغير لسوداء، ولعله صغرها لوصفهم ليلة الوصل بالقصر عادة .

(٥) النص هنا : الإظهار .

(٦) فى كلا الأصلين : « عليه » ؛ وهو تحريف لا تستقيم به الجملة ؛ وعللته : من العلل بفتحتين وهو الشرب الثانى .

يا عينُ إلا حاجب ؟ أنا مستقرهُ ومستودَعُه ، ومَرتَعه ومَشْرَعه ، وأنا أذكُره وبه أذكُركما ، وأُحضِرُه ولخدمتِه أُحضِركما ؛ فاليدُ أستخدمُها مَرّةً فى الكتابة إليه ، ومرّة فى شدّ الخِنصِر عليه ؛ ومَرّةً فى الإشارة الى فضله ، ومَرّةً فى الدعاء بكلّ صالحٍ هو مِن أهلِه ؛ والعينُ آستخدمتها فى ملاحظةِ وجهه آيبا(١) ، وفى تَوقُّع لقائه غائبا(١) ؛ وفى السهدِ شوقا الى قربِه ، والمطالَعةِ لما يَخرُج أمرى بكَتْبِه مِن كُتُبِه ؛ فهنالك سَلّمتا وآستَجرتا(٢) ، وألِفتا وآستأخرتا ؛ وكدتُ أَرشُف نِقَسه(٣) لِأنقلَه الى سُويداه ، لولا أنّ سواد العين قال : أنا أحوَجُ الى الآستمدادِ من هُداه .

ومن كلامه رحمه الله تعالى ما رُكّب نصف قرائنه على نصف بيت نحو قوله :

وَصَلَ كتابُ مولاى بعد ما * أصات(٤) المنادى للصّلاة(٥) فأعتما

فلما آستقرّ لدىّ ، «تَجلّى الذى من جانب البدر أظلَمَا» فقرأتُه ، «بعينٍ اذا استَمطَرتُها أمطرتْ دما» وساءلتُه ، «فساءاتُ مصروفا عن النطقِ أعجَما» ولَم يردّ جوابا ، «وماذا عليه لو أجاب المتيّما» ورددتُه قراءة ، «فعوجلتُ دون الحلمِ أن أتحلّما» وحفِظتُه ، «كما يحفظ الحرُّ الحديثَ المكتَّما» وكرّرتُه ، «فمن حيثُما واجهتُه قد تبسّما» وقبّلتُه ، «فقبّلتُ درّا فى العقود منظّما» وقمتُ له ، «فكنتُ بمفروض

---

(١) عبارة الأصول : « فى ملاحظة وجهه غائبا ، وفى توقع لقائه آيبا » ؛ وظاهر أن فى نهايتى هاتين الجملتين تقديما وتأخيرا ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٢) استجرتا : انقادتا ؛ يريد انهما وافقتاه على دعواه ؛ والذى فى كلا الاصلين : « استحرنا » بالحاء المهملة والنون ؛ وهو تصحيف لا يظهر له معنى .

(٣) فى كلا الأصلين : « نفسه » بالفاء الموحدة ؛ وهو تحريف ؛ والنقس بالكسر المداد .

(٤) فى كلا الأصلين : « أصاب » بالباء الموحدة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وأصات : نادى ؛ وهو من الصوت .

(٥) هذه اللام ساقطة من (أ) ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما فى (ب) .

المحبّــة قيّما[(٢)] » وأخلصتُ لكاتبِه ، « وليس على حكم الحوادث محكما » [(١)] ولَم أصــدُفه ، « ولكنّه قد خالط اللحم والدما » وأرخَتُ وُصــولَه ، « فكان لأيام المواسم موسِما » وداويتُ عليلَ « حَشّا ضَرّ ما فيــه من النار ضُرّما » وشفَيتُ غليلَ « فؤادٍ أمنيّــه وقد بلغ الظما » فأما تلك الأيام التى « حماها من[(٣)] اللوم المُقـامُ على الحمى » والليــالى العذابُ التى « ملأن نحور الليل بِيضا[(٤)] وأنجما » [فإنى[(٥)] لأذكُرها ، «بصبرٍ كما قد صُرِّمت قد تَصَرّما»] وأرسِـل[(٦)] الزفره « فلو صالحت[(٧)] رَضوَى لَرَضّ[(٨)] وهُدّما » وأرســل العبره ، « كما أنشأ الأفُق[(٩)] السحابَ المديّما[(١٠)] » وأخطب السُّلوه ، «فأسأل معدوما وأُقفِل[(١١)] معدما »

---

(١) كذا فى كلا الأصلين وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ وارتباط هذا الشطر بما قبله من النثر غير ظاهر ؛ ولعله : «ولست» بزيادة تاء الضمير يقول : إنى لا أملك ردّ الحوادث التى تعوقنى عن أن أكتب إليه بمـا عندى له من الشوق . و إذن يكون الارتباط واضحا .

(٢) ولم أصدفه ، أى لم أغشه بالصدف بفتح الصاد والدال ، كما يغشى الدر . والذى فى صبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٨ «ولم أصدقه» بالقاف المثناة وهو تصحيف .

(٣) كذا فى تذكرة الصفدى المحفوظ منها بعض أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٠ أدب . والذى فى كلا الأصلين وصبح الأعشى : « حماها على اللوم » الخ . ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على تعدية هذا الفعل ب « على » .

(٤) البيض : جمع أبيض ، ومن معانيه الرجل النقىّ العرض ؛ والظاهر أن ذلك هو المراد هنا ؛ يريد وصف خلانه وجلسائه بنقاء أعراضهم من الدنس والعيوب ؛ وانهم كالنجوم فى علوّ الشرف و بعد المنزلة .

(٥) هذه التكلة ساقطة من كلا الأصلين وصبح الأعشى ؛ وقد نقلناها عن تذكرة الصفدى ؛ اذ لا يستقيم الكلام بدونها .

(٦) فى كلا الأصلين : «وأرسلت» بصيغة المـاضى وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ليوافق ما بعده وما قبله .

(٧) فى (أ) : «فما صالحت» وهو غير مستقيم ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا كما فى (ب) وتذكرة الصفدى .

(٨) رض : من الرض ، وهو الدق والكسر .

(٩) أنشأ الأفق السحاب ، أى رفعه .

(١٠) المديم بتشديد الياء : من ديم السحاب ، أى دام مطره . و يقال : دوّم بتشديد الواو ، وهو الأصل كما يستفاد من اللسان .

(١١) أقفل : من القفول ، وهو الرجوع .

فأما الشكرُ فإنما « أفضّ به مسكا عليك مختّمًا » وأقوم منه بفرض « أرانى به دون البريّة أقْوما » وأوَفّى واجبَ قرض، «وكيف تُوَفّى الأرض قرْضا من السما» .

وقال أيضا : وصل[1] كتابُ الحضرة بعد أن عددتُ الليالىَ لطلوع صَـديعه[2] «وقد عشتُ دهرا لا أعُدّ اللياليا» ،و بعد أن آنتظرتُ القيظَ والشتاءَ لِفصلِ ربيعه «فما للنوى ترمِى بليلى المراميا» ! وآستروحتُ إلى نسيم سَحَرِه، «إذا الصيفُ ألْقَى فى الديار المراسيا» ومددتُ يدى لاقتطاف ثَمرِه ، « فلله ما أحلَى وأحمَى المجانيا[3] ! » ووقفتُ على شكواه مِن زمانه ، «فبتُّ لشكواه من الدهر شاكيا» وعجبتُ لعمى الحظّ عن مكانِه « وقد جمع الرحمن فيه المعانيا » وتوقّعتُ له دولةً يعلو بها الفضل « إذا هزّ مِن تلك اليراع عَواليا » ورتبةً يرتقِى صهوتَها بحكم العدل « فرُبّ مَراق يُعتدَدن مَهاويا» و إلى الله أرغب فى إطلاع سعودِه، «زواهرَ فى أفق المعالى زواهيا» وفى إنهاض عثَراتِ جدودِه، « فقد أعثرتْ بَعدَ النهوض المعاليا » .

وقال أيضا :

وَصلَ من الحضرة

كتابٌ به ماءُ الحياةِ ونَفحةُ الـ * ـحيا فكأنّى إذ ظفرتُ به الخِضْرُ

ووَقَف عبدُها منه على

عقودٍ هى الدرّ الذى أنت بحرُه * وذلك ما لا يَدّعِى مِثلَه البحرُ

(١) كذا فى (ب) ؛ ولم يرد من هذه الكلمة فى (أ) غير الحرف الأول، وهو الواو .

(٢) الصديع : الصبح .

(٣) فى (أ) : « المحاميا » وفى (ب) «المخاميا» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر تذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٩ وأراد بقوله : «وأحمى المجانيا» وصف مجانيها بالصيانة وأنها ممنعة غير مبتذلة .

ورتعتُ منه فى

رياضِ [يدٍ](١) تُجْنَى وعَينٍ وخاطرٍ * تَسابقَ فيها النَّورُ والزهرُ والثُّمْـرُ(٢)

وكَرَعتُ منه فى حياض

تَسرُّ مَجانيهـا اذا ما جنى الظما * وتُروِى مَجاريها اذا بَخِـل القَطرُ

وما زلتُ منه أنشد

كأنِّىَ سـارٍ فى سَريرة ليـلةٍ * فلمّـا بدا كبّرتُ إذ طلع الفجرُ

ووافَى على ما كنتُ أعهد

تخلتُ بأنّ العين مِن سُحْبِ كفِّه * فمِن ذى ومِن ذى [فيه](٣) يَنتثِر الدرُّ

وأسترجع فائتَ الدنيا من مَورِدِه

وما كان عندى بعد ذنبِ فراقه * بأنّى أرَى يوما به يَعـــد الدهرُ

ونفّس عن النفسِ بأبيض ثِمادِه(٤)، وعن العينِ بأسْوَدِ إثْمِدِه

به لهما سبحٌ طويلٌ فهـذه * على خاطرٍ بَردٌ وفى خَطَرٍ(٥) بدرُ

وجَدَّدَ اليه أشواقا جديدُها

يمرّ به ثوب الجديدين دائمـا * فيبلى ولا تَبلَى وإن بَلِيَ الدهرُ

وذَكّر أياما لا يزال يستعيدها

وهيهـات أن يأتى من الدهر فائتٌ * فدع عنك هذا الأمرَ قد قُضِىَ الأمرُ .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من (أ) ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى وصبح الأعشى ج ١ ص ٢٧٦ إذ بها يستقيم البيت .

(٢) الثمر بضم الثاء والميم جمع ثمار بالكسر كما فى المصباح ؛ وهذا الجمع يجوز فيه إسكان عينه المضمومة كما هنا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من (أ) ؛ واستقامة الوزن تقتضيها ؛ وقد أثبتناها عن (ب) وتذكرة الصفدى .

(٤) كذا فى كلا الأصلين . والذى وجدناه فيما لدينا من كتب اللغة أن الثماد بكسر أوله : الماء القليل كالثمد بالتحريك ، فكأنه يريد تشبيه الكتاب بالماء فى أنه يشفى الظمأ وينقع الغلة .

(٥) أراد بالخطر هنا : الامر المخوف .

وكلامُ(١) القاضى الفاضل — رحمه الله — كثيرٌ، بأيدى الناس منه عدّةُ مجلّدات، أَخبَرنى من أثق بقوله من القضاة الحكام الأعيان أنه يزيد على خمسين مجلّدا قد جُمِعتْ، أما ما لم يجمعه الناس فكثير جدا؛ وقد نَقل بعضُ مَن أَرّخ، أنه وجد للقاضى الفاضل مسوَّداتِ كتب صدرتْ عنه وأجوِبةٍ تزيد اذا جُمِعتْ على مائة مجلّد، ولا يحتمل الحال أن نورد له أكثرَ مما أوردناه، ورسائلُه المختارةُ كثيرةٌ قد يكون فيها أجودُ مما اخترناه ونحوه، وإنما أَوردنا له ما حضر فى هذا الوقت، إذ لم يمكن البحث عن كلامه والاستقصاء، وإن كان كلُّ رسائله مختارةً رحمه الله .

ذكر شىء من رسائل الشيخ الإمام الفاضل ضياء الدين

أبى العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العابد القدوة أبى عبد الله محمدِ بنِ عمرَ بنِ يوسفَ بنِ عمرَ بنِ(٢) عبد المنعم الأنصارىّ القرطبىّ رحمه الله، — وكانت وفاتُه بقنا من أعمال قوص فى سنة اثنتين وسبعين وستمائة —

كتب إلى شيخنا الإمامِ العلّامةِ تقىّ الدين محمد ابنِ الشيخ الإمام الحَبرِ مجدِ الدين أبى الحسن علىِّ بنِ وهب بنِ مطيع القُشيرىّ المعروفِ بابن دقيقِ العيد رحمهم الله تعالى : تخدُم المجلس العالىَ صفاتٌ يقِف الفضلُ عندَها، ويَقفُو الشرفُ مجدَها، وتَلتزِم المعالى حمدَها؛ وسِماتٌ يبتسم ثغرُ الرياسة منها، وتُروَى أحاديثُ السيادة عنها؛ الصدرىّ الرئيسىّ المفيدىّ؛ معانٍ استحقّها بالتميز، واستوجبها بالتبريز، وسَبكتْه (١٢٩) الإمامةُ لها فألفتْه خالصَ الإبريز؛ ومعالٍ أقرّتْه فى سويدائها، وأطلعتْه فى سمائها،

---

(١) كذا فى (ب) والذى فى (أ) « ومن كلام » وقوله : « من » زيادة من الناسخ .

(٢) كذا فى كلا الأصلين؛ وقد ورد هذا النسب فى بعض المصادر ساقطا منه هذا الجد الثالث وهو عمر انظر كتاب الطالع السعيد لكمال الدين الإدفوى ص ٥٤ طبع الجمالية فى ترجمة محيى الدين أحمد بن محمد ابن أحمد حفيد ضياء الدين أبى العباس ابن القرطبى .

وألبسته أفضلَ صفاتِها وأشرفَ أسمائِها، العلاّمىّ الفاضلىّ التقوىّ، نسبٌ اختص به اختصاصَ التشريف، لا تعريفا له[(١)] فالشمس تستغنى عن التعريف؛ لا زالت إمامتُه كافلةً بصون الشرائع، واردةً من دين الله وكفالة أمّةِ رسول الله أشرفَ الموارد وأعذبَ الشرائع[(٢)]، آخذةً بآفاق سماء الشرف فلها قَمَراها والنجومُ الطّوالع[(٣)]، قاطعةً أطماع الآمال عن إدراك فضلِه وما زالت تُقطّع أعناقَ الرجال المطامع[(٤)]، صارفةً عن جلاله مَكارهَ الأيام صرفا لا تَعتوِرُه القواطع، ولا تعترضه الموانع؛ ويُنهِى ورودَ عذرائه التى «لها الشمسُ خِدْنٌ[(٥)] والنجومُ ولائدُ» وحسنائه التى «لها الدرُّ لفظٌ والدّرارى[(٦)] قلائدُ» ومشرِّفته التى «لها من براهين البيان شواهدُ» وكريمتِه التى «لها الفضلُ وِردٌ والمعالى موائدُ[(٧)]» ووديعتِه التى «لها بين أحشائى وقلبى مَعاهدُ»

وآيتِـه الكبرى التى دلّ فضلُها * على أن من لم يشهدِ الفضل جاحدُ
وأنك سيفٌ سلّه الله للهدى * وليس لسيفٍ سلّه الله غامدُ

---

(١) فى (أ) : «لاتشريفا» وفى (ب) : «تشريفا» بسقوط «لا» ؛ وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام .

(٢) الشرائع جمع شريعة؛ وهى مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عدّا لا انقطاع له، و يكون ظاهرا معينا لايسقى بالرشاء . ولا تكرار بين ما هنا وما سبق لاختلاف المعنى .

(٣) أشار بهذه العبارة إلى قول جرير :

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٤) أشار بهذه العبارة إلى قول البعيث المجاشعى :

طمعت بليلى أن تريع وإنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

(٥) فى (أ) : «حدت» وفى (ب) «هدب» ؛ وهو تحريف فى كلتا النسختين .

(٦) الدرارى : الكواكب العظام التى لا تعرف أسماؤها، قاله الفرّاء .

(٧) فى كلا الأصلين وكتاب الطالع السعيد ص ٥٨ طبع الجمالية : «موارد» ؛ وهو تحريف لحصول التكرار به مع قوله : «ورد» .

فلمِثلِها يحسُن صَوغُ السوار، ولفضلِها يقـال : "أناةً أيها الفَلَكُ المُـدار" وإنها في العِلم أصلُ فرعٍ نابت، والأصل علةُ النشأة والقرار، وفرعُ أصلٍ ثابت (١)، والفرعُ فيه الورقُ والثمـار؛ هذه التي وَقفَتْ قرائحُ الفضلاء على استحسانها، وأوقفتْني (٢) على قدم التعبُّدِ لإحسانِها، وأيقنتُ أنّ مفترِقَ الفضائل مُجتمِعٌ في إنسانِها، وكنتُ أعلم عِلمَها بالأحكام الشرعية فاذا هي في التراّبُنُ مقفّعِها، وفي القصائد أخو حسّانِها؛ هـذه وأبيك أمُّ الرسائل المبتكَره، وبنتُ الأفكار التي هذّبتها الآدابُ فهي في سهل الإيجاز البرزةُ (٣) وفي صَونِ الإعجاز المخـدَّره، والمليئةُ ببـدائع البدائه، فمتى تقاضاها متقاضٍ لَم تقُل : "فَنَظِرَةٌ إلَى مَيْسَرَةٍ"؛ والبديعةُ التي لم تُوجِّه اليها الآمالُ فكرَها لاستحالةِ غيرِ مسبوقٍ بالشعور، ولَم تسمُ اليها مقلُ الخواطر لعـدَمِ الإحاطة بغيبِ الصدور قَبْلَ الصدور، والبديهةُ التي فَصّل البيانُ كلماتِها تفصيلَ الدرر بالشذور؛ إنّ كَلِمَها لَيميس في صدورها وأَعجازِها، ويختال في سطورها وإعجازِها، وتنثال (٤) عليها أغراض المعاني بين إسهابِها وإيجازِها؛ فهي فرائدُ آنتاقَتْ من أفكار الوائليِّ والإياديِّ، وقلائدُ آنتظمَتْ آنتظامَ الدراريِّ، ولطائمُ (٥) فُضّتْ عن العنبر الشِّحرِيِّ (٦) والمسـكِ الداريِّ (٦)؛ لا جرم أن غوّاصِي الفضائل ظلوا في غمراتها خائضين، وفُرسانَ

(١) كذا في (ب)، والذي في (ا) «وأصل فرع» وهو مكرر مع ماقبله.

(٢) كذا في كلا الأصلين؛ وأوقفه بالهمز لغة رديئة كما في اللسان؛ وقد نقلها ابن السكيت عن الكسائي وقيل : وقفه وأوقفه سواء.

(٣) البرزة : البارزة المحاسن. وفي (ا) : «البررة» براءين مهملتين؛ وهو تصحيف.

(٤) تنثال : تتتابع.

(٥) اللطائم : أوعية المسك، الواحد لطيمة.

(٦) الشحري : نسـبة الى الشحر، وهو صقع بساحل بحر الهنـد من ناحية اليمن قال الأصمعي : هو بين عدن وعمان، واليه ينسب العنبر الشحري «ياقوت». والداري : نسبة الى دارين، وهي فرضة بالبحرين فيها سوق كان يحمل اليها المسك من ناحية الهند «اللسان» مادة «دور».

الكلام أضحَوا فى حَلَباتها راكضين، وأبناءَ البيان تُليَتْ عليهم آياتُها "فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ" .

ما إنْ لها فى الفضل مِثلٌ كائنٌ * و بيانُها أحلى البيانِ وأمثلُ
فالعجــزُ عنهـا معجِزٌ(١) متيقَّنٌ * ونبيُّهـا بالفضل فينا مرسَـلُ
ما ذاك إلا أنَّ ما يأتى به * وحىُ الكلام على البراعة ينزلُ

بزغَتْ شمسا لا تَرضَى غيرَ صدرِه فَلَكا، وانقادت معانيها طاعةً لا تختار سواه مَلِكا، وانتَبــذَتْ بالعراء فلا تخشى إدراكَ الإنكار ولا تخـاف دَرَكا، ونَدَّت شواردُها فلا تقتنصها الخواطرُ ولو نصبَتْ هُدْبَ الجفون شَرَكا

فللأصـائِلِ(٢) فى عليائهـا سَمَــرٌ * إن الحديث عن العليـاء أَسْمـارُ(٣)
وللبصـائِر هادٍ مِن فضائِلِهـا * يهدى أُولى الفضلِ إن ضلّوا وإن جاروا
بادِى الإبانــةِ لا يخــفى على أحد * "كأنه عَــلَمٌ فى رأســه نارُ"

أَغْجِب بها من كَلِمٍ جاءت كغمام الظِّـلالِ على سماء الأنهـار! وسَرتْ كعليل النسيم عن أنديةِ الأسحار، وجُليَتْ محاسنُها كلؤلؤ الطلِّ على خدود الأزهار، وتجلّت كوجنة الحسناء فى فَلَك الأزرار، وأهدت نفحةَ الروض متأوِّدَ الغصن بليلَ الإزار، فأحيتنا بذلك النفَسِ المِعطار، وحيّتنا بأحسنَ [من](٤) كأسَىْ لَمًى وعُقار، وآسَىْ ريحانٍ وعذار، ١٣٠

(١) المعجز بكسر الجيم وفتحها مصدر ميمىّ بمعنى العجز .

(٢) الأصائل، جمع أصيل، وهو المحكم الرأى . وفى كتاب الطالع السعيد ص ٥٩ : « فللأفاضل » والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) الأسمار بفتح الهمزة جمع سمر بفتح السين والميم، وهو معروف؛ ويجوز أن يقرأ : « إسمار » بكسر الهمزة على احتمال أن أسمر فلان بالهمز لغة فى سمر كما فى اللسان عند قول عبيد بن الأبرص :

فهن كنبراس النبيط أو الـ * فرض بكف اللاعب المسمر

(٤) كذا فى (ب) والطالع السعيد؛ ومكان هذه الكلمة فى (أ) باء موحدة بعدها ألف؛ ولا يفهم لهـا معنى .

ولؤلؤَى حَبَبٍ وثغر، وعَقِيقَىْ شفةٍ وخمر، وربيعَى زهرٍ ونهر، وبديعَى نظمٍ ونثر، ولم أَدْرِ ما هى أثغورٌ ولآلئ؟ أم شذورُ قلائد، أم توريدُ خدود، أم هيفُ قدود، أم نهودُ صدور، أم عقودُ نحور، أم بدورٌ ائتلقَتْ فى أضوائها، أم شموسٌ أشرقت فى سمائها؟

جَمَعن شتيتَ الحسن مِن كلِّ وجهة * فحَيَّرن أفكارى وشَيّبن مَفرِقِى
وغازلها قلبى بودٍّ محقَّقٍ * وواصلها ذكرى بحمدٍ مصدَّقِ
وماكنتُ عَشّاقا لذات محاسنٍ * ولكن من يبصرْ جفونك يَعشَقِ
ولم أدر والألفاظُ منها شريفةٌ * الى البدر تسمو أم إلى الشمس ترتقِى

إنما هى جملةُ إحسان يُلْقِى اللهُ الرُّوحَ مِن أمرِه على قالبها، أو روضةُ بيان «تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»، أو ذاتُ فضلٍ اشتملَتْ على ذواتِ الفضائل، وجنت ثمر العلوم فأَجْنَتْها بالضحى والأصائل، أو نفسٌ زكت فى صنيعها، ونَفَثَ رُوحُ القُدُس فى رُوعِها، فسلكَتْ سُبُلَ البيان ذُلُلا، وعدمَتْ مماثِلا فأضحت فى أبناء المعالى مَثَلا، وسَرَتْ الى حَوْز الأمانى والأنامُ نيام، فوَهب لها واهبُ النعم أَشرَفَ الأقسام، فجادت فى الإنفاق، ولَم تُمسكْ خشيةَ إملاق، وقيّدتْ نفسَها فى طَلَق[1] الطاعة فجاءها توقيعُ التفضيل على الإطلاق

أَيْنَ لِىَ مَعْزاها أخا الفهم إنها * الى الفضل تُعْزَى أم الى المجد تُنسَبُ
هى الشمسُ إلّا أنّ فكرَكَ مَشرِقٌ * لإبدائها عندى وصدرىَ مَغربُ
وقد أَبدعَتْ فى فضلها وبديعها * فجاءت الينا وهى عنقاءُ مُغرِبُ[2]

(١) فى طلق الطاعة» اى فى قيدها؛ وأصل الطلق بالتحريك، القيد من جلود.

(٢) شبه هذه الرسالة بالعنقاء المغرب، وهى التى أغربت فى البلاد ونأت ولم تحس ولم تر؛ والمراد أن هذه الرسالة غريبة فى بلاغتها وحسن بيانها، ولا عهد للكتاب بأمثالها.

فأعرَب عن كلّ المعانى فصيحُها * بما عجزَتْ عنه نزارٌ ويَعرُبُ
ومذ أشرقَتْ قبل التناهى بأوجِها * عفا فى سناها بدرُ تمٍّ وكوكبُ
تناهت علاءً والشبابُ رداؤها * فما ظنكم بالفضل والرأس أشيَبُ
لئن كان ثغرى بالفصاحة باسما * فثغرك بسّام الفصاحة أشنبُ
وإن ناسبَتْنى بالمجاز بلاغةٌ * فأنت إليها بالحقيقة أنسَبُ
ومذ وردَتْ سمعى وقلبى فإنها * لتُؤكل حُسْنا بالضمير وتُشرَبُ
وإنى لَأشدو فى الورى بثنائها * كما ناح فى الغصن الحمامُ المطرِّبُ
وتشهد أبناء البيان إذا انتدَوا * بأنىَ من قسّ الإيادىّ أخطَبُ
وإنّى لَتدنينى الى المجد عصبةٌ * كرامٌ حوتهم(١) أوّلَ الدهر يَثرِبُ
وأنّى إذا خان الزمان وفاءَه * وفىٌّ على الضراء حرٌّ مجرّبُ
إباء أبت نفسى سواه وشيمة * قضى لى بها فى المجد أصلٌ مهذّبُ
ونفسٌ أبت الا اهتزازا إلى العلا * كما اهتزّ يومَ الرّوع رمحٌ ومِقضَبُ(٢)
ولى نسبٌ فى الأكرمين تَعرّفَتْ * إليه المعالى فهو ريّانُ(٣) مخصِبُ(٤)
نَمَتْهُ أصول فى العلاء أصيلةٌ * لها المجدُ خدْنٌ والسيادةُ مَركَبُ
تَلاقَى عليه المطعمون تكرّما * اذا احمرّ(٥) أفقٌ بالمَجَرّة(٥) مجدِبُ
من اليمنيّين الذين سما بهم * الى العزّ بيت فى المعالى مطنّبُ

(١) فى كلا الأصلين : « حوطم » ؛ وهو تحريف .
(٢) المقضب : السيف القاطع .
(٣) فى بعض المصادر « عريان » ؛ وما أثبتناه هو المناسب لما بعده من الوصف .
(٤) المراد بوصف هذا النسب بالإخصاب ، كثرة ما يعدّ فيه من الكرام وأصحاب المفاخر .
(٥) احمرار الأفق كناية عن الجدب . والعرب تقول : سنة حمراء اذا كانت شديدة ؛ وذلك لأن آفاق السماء تحمرّ فيها . والمجرّة : البياض المعترض فى السماء، والنسران عن جانبيها .

قَروا تُبّعا بِيضَ المواضى ضَحاءه(١) * وكُومَ(٢) عِشارٍ بالعشيّات تُضْهَبُ(٣)

فرحّله الجودُ العميم ومنصُل(٤) * له الغمدُ شرقٌ والذوائبُ مَغرِبُ

وهم نَصَروا والدين عزّ نصيرُه * وآوَوا(٥) وقد كادت يدُ الدين تُقضَبُ

وخاضوا غمار الموت فى حومة الوغى * فعاد نهارا بالهدى وهو غيهبُ (١٣١)

أولئك قومى حسبي الله مثنيا * عليهم وآىُ الله تُتلى وتُكتَبُ

هذه اليتيمة أيدك الله مِلْحتُها الإحماض(٦)، وتحليتُها(٧) الألفاظَ فى أبعاض الاعتراض لِتَسرحَ مقلُ(٨) الخواطر فى مختلفات الأنواع، ويتنوّعَ(٩) الواردُ على القلوب والأسماع، وإلا فلا تَماثُل فى الأدوات، وان وقع التماثُل فى الذوات، كالجمع بين النُّورِيّة فى

(١) ضحاءه، أى فى وقت ضحائه، والضحاء: إذا امتد النهار وكرب أن ينتصف. وفى كلا الأصلين. «ضحاة» وهو تحريف.

(٢) الكوم: النياق العظيمة الأسنمة؛ واحده كوماء بفتح الكاف.

(٣) فى كلا الأصلين وغيرهما من المصادر: «تهضب» بتقديم الهاء على الضاد، ولم نجد من معانيه ما يناسب السياق. «وتضهب» بالبناء للجهول: من قولهم ضهبه بالنار كنعه، إذا لوّحه وغيره، كما فى القاموس وشرحه، وهم يمدحون الشواء الذى لم يتم نضجه لما فى ذلك من التعجيل بقرى الأضياف أنشد الكلابىّ

خير الشواء الطيب الملهوج * قد هم بالنضج ولما ينضج

أو لعله من ضهب اللحم بتشديد الهاء، أى قطعه، واذن يكون صواب البيت: «بالعشىّ تضهب» بإفراد العشىّ ليستقيم الوزن.

(٤) المنصل: السيف.

(٥) فى كلا الأصلين: «بهم» بالباء؛ وهو تحريف.

(٦) كأن الكاتب يريد تشبيه رسالته اذا نسبت الى رسالة ابن دقيق العيد بإحماض الابل بعد أن تسأم الحلو من النبات؛ كما يرشد الى ذلك سياق الكلام الآتى؛ والاحماض مصدر أحمضت الابل اذا أكلت الحمض وهو ما ملح وأمر من النبات؛ وهو كفاكهة الابل تأكله عند سآمتها من الخلة.

(٧) فى (أ) «تجليهم»، وفى (ب) «وتحكيم»، وهو تحريف فى كلتا النسختين.

(٨) كذا فى الطالع السعيد؛ والذى فى كلا الأصلين: «بنقل» الخ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى.

(٩) فى كلا الأصلين: «وينبوع»؛ وهو تصحيف.

السراج والشمس ، واشتمال الإنسانيّة على[1] القلامة والنفس، والتوارُد الإدراكىّ بين كلّىّ بالعقل، وجزئىّ بالحسّ[2]؛ وكالعناصر فى افتقار الذوات اليها، وان تميّزت الحرارة عليها؛ وكالمشاركة الحيوانيّة فى البضعة اللسانيّة، واختصاص الناطقيّة بالذات الإنسانيّة؛ فسيّدنا ثمرُ الروض ونسيمُه، وسواه ثراه وهشيمُه، وزهرُه وأنداؤه، وغيرُه شوكُه وغُثاؤه؛ والبدرُ وإشراقُه، وسواه هلاليّتُه ومُحاقُه؛ اشتراكٌ فى الأشخاص، وامتياز فى الخواصّ؛ ومشابهة فى الأنواع والأجناس، ومغايرة فى العقول والحواسّ؛ كالورد والشّقيق، والقَهرمان[3] والعقيق؛ تماثلًا فى الجواهر والأعراض، وتغايرًا فى تميز الأغراض؛ فسيّدنا من كلّ جنسٍ رئيسُه، ومن كلّ جوهرٍ نفيسُه؛ وأما حسناءُ الملوك على مذهبهم فى تسمية القبيح بالحَسَن، والحَسَن بالقبيح، والضرير بالبصير والأخرس بالفصيح؛ فما صَدّت ولا صَدّت[4] يمنى كاسها. ولا شذّت فى مذهب ولائه عن اطّراد قياسها، ولا زَوَتْ عن وجه جلالته وجهَ إيناسها، ولا جهلَتْ أنه فى العلوم الشرعيّة ابن أنَسها، وفى المعانى الأدبيّة أبو نواسِها؛ ولا خفىَ عنها أن سيّدنا مجرَى اليمين[5]، وفى وجه السيادة إنسانُ المقلة وغرّةُ الجبين، والدرّةُ فى تاج الجلالة

---

(١) كذا فى الطالع السعيد؛ والذى فى كلا الأصلين : «فى»؛ وهو غير مستقيم .

(٢) أشار بهذه العبارة الى ما هو معروف فى كتب المعقول من أن الماهيات الكلية انما يدركها العقل دون غيره؛ وذلك لأنها ليس لها وجود فى الخارج، وأما جزئيات هذه الماهيات وأفرادها فإنها تدرك بالحس لوجودها الخارجىّ .

(٣) يقال فيه أيضا «الكهرمان» بالكاف؛ والكهرم بجعفر . انظر تاج العروس مستدرك مادة «كهم» .

(٤) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

صددت الكأس عنا أم عمرو * وكان الكأس مجراها اليمينا

(٥) أشار بهذه العبارة الى قول عمرو بن كلثوم فى البيت السابق فى الحاشية رقم ٤ من هذه الصفحة «وكان الكأس مجراها اليمينا»؛ والمعنى أنه أولى من سواه بالتقديم .

والشَّذْرةُ فى العقد الثمين ؛ وأنه الصدرُ الذى يَأْرِزُ (١) العِلمُ إلى صدرِه ، وتُقْتَرَحُ (٢) عقائلُ المعانى مِن فكره ، وتأتمّ الهداةُ ببدرِه ، وتَنتمِى (٣) الهدايةُ الى سرّه ، وأنّها فى الإيمان بمحمديّته أمُّ عمارة (٤) لا أمُّ عمرِه ؛ وأنّه غايةُ فخـارِها ؛ ونهايةُ إيثارِها ، [وآيةُ نهارِها] (٥) ومستَوطَنُ إفادتها بين شموس فضائله وأقمارِها ؛ فكيف تَصُدّ وفيه كلّيّةُ أغراضِها ، ومنه عليّـةُ جملتِها وأبعاضِها ، وفى محلّه قامت حقائقُ جواهرِها وأعراضِها ؛ لكنّها توارت بالحجاب ، ولاذت بالاحتجاب ؛ وقُـرِّبَ بالمجلس الكمالىّ ليكمّل ما بها مِن نقصِ كمالٍ وكمالِ عيب ، وتَجمَعَ بين حقيقتَى إيمان الشهادة والغيب ، وتُعرَضَ على الرأى التقوىّ سليمةَ الصدر نقيّةَ الجيب ، وأَشهَدُ أنها جاءت تمشى على استحياءٍ وايست كبنت شعيب (٦) ؛ هـذا ولَم تشاهدْ وجهَ حسـنائه ، ولا عاينَتْ سُكَينةَ (٧) حسينِه وهند (٧)

(١) يأرز : يأوى و يلجأ ؛ وفى كلا الأصلين : «بارذ» ؛ وفى الطالع السعيد : «يأزر» وهو تصحيف فى جميعها .

(٢) تقترح : تستنبط أو أنها تبتدع من غير سبق مثال ؛ وفى الطالع السعيد «تفترع» والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٣) تنتمى : تنتسب ؛ وفى الطالع السعيد : «و تنتهى» بالهاء ؛ والمعنى يستقيم على كلا الوجهين .

(٤) أم عمارة : هى نسيبة بنت كعب إحدى نساء بنى مازن بن النجار؛ وكانت ممن شهدوا بيعة العقبة الثانية هى وأسماء بنت عمرو بن عدىّ أم منيع احدى نساء بنى سلمة ، انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥٥ ط بولاق والمراد وصف هذا الإيمان بأنه ثابت لا يقبل الشك لأنه عن مشاهدة وعيان كإيمان أم عمارة .

(٥) لم ترد هذه العبارة فى (أ) وقد أثبتناها عن (ب) وكتاب الطالع السعيد ص ٦٢ طبع الجمالية .

(٦) أشار بهـذه العبارة الى قوله تعالى فى سورة القصص : «فجاءته إحداهما تمشى على استحياء» الآية انظر تفصيل هذه القصة فى كتب التفسير .

(٧) يريد السـيدة سكينة بنت الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ؛ وكان قد تزوجها مصعب بن الزبير ثم مات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ؛ وآخر من تزوجها زيد ابن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ وكانت وفاتها سنة سبع عشرة ومائة (وفيات الأعيان) . أما هند فهى بنت أسماء ابن خارجة وكان قد تزوجها الحجاج بن يوسف الثقفىّ بعد بشر بن مروان ؛ وكانت سكينة وهند من أجمل نساء العرب وأظرفهن .

أسمائه ، ولا قابلت نيّرَ فضلِه وبدرَ سمائه ؛ أقسم لقد كان يصرفها الوجل ، ويقيّدها الخجل ؛ عالمةً أنّ البحر لا يُساجَل ، والشمسَ لا تُماثَل ، والسيفَ لا يُخاشَن ، والبدرَ لا يحاسَن ؛ والأسدَ لا يُكْعَم [1] ، والطّودَ لا يُزْحَم ؛ والسحابَ لا يبارَى ، والسيلَ لا يُجارَى ؛ وأنّى تبلُغُ الفَلَكَ هامةُ المتطاوِل ، "وأين الثريّا مِن يدِ المتناوِل" ؛ تلك عوارفُ آستولت على المعالى آستيلاءَها على المعالم ، وشهدَتْ لها الفضائل بالسيادة شهادةَ النبوّة بسيادة قيس بن عاصم [2] ؛ ولا خفاءَ بواضح هذا الصواب ، عند مقابلة البداية بالجواب ؛

فالشمسُ أَوْضح مِن ضياء الأنجمِ * ما البيّنُ الأعلَى كداجٍ مظلِمِ
يا مُـثريا مِن كلّ عـلمٍ نافعٍ * أيقاس مـثرٍ فى العلوم بمعـدمِ
أَوْكَفْتَ [3] فضلَك فى رذاذ غمائمى * ما للرذاذ يدٌ بنَوْء المُرْزِمِ [4]
وانصبّ بحرُك فى ربيع [5] خواطرى * ما للربيـع وفيض بحرٍ أعظمِ
وسَللتَ سيفَ العلم أبيضَ مِخذَما * كالبرق يلمع فى غمامٍ مُثْجِمِ [6]
فَللتَ حدِّىْ مِعضَدٍ [7] فى راحتى * ما للكهام وحدّ أبيضَ مِخذَمِ [8] (١٣٢)

---

(١) يكعم : يشد على فيه ، وهو من كعم البعير أى شدفاه عند هياجه لئلا يعض أو يأكل . أو هو من كعمه الخوف : اذا أمسك بفيه ، وهو على المثل .

(٢) أشار بهذه العبارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم فى قيس بن عاصم المنقرى : "هذا سيد أهل الوبر" (الأغانى) ج ١٢ ص ١٥١ طبع بولاق .

(٣) كذا ورد هذا الفعل فى كلا الأصلين بالألف ؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغة أنه يتعدى بنفسه لا بالهمز ، يقال : وكفت العين الدمع أى أسالته قاله اللحيانىّ . أما أوكف بالألف فلم نقف عليه إلا لازما يقال : أوكف البيت والسطح بالمطر ، أى هطل وقطر .

(٤) المرزم : من أرزم الرعد إذا اشتدّ صوته .

(٥) الربيع : النهر الصغير .

(٦) المثجم : السريع المطر ؛ وفى (ا) : «متخم» بتاء مثناة بعدها خاء فوقية ؛ وهو تصحيف .

(٧) المعضد : السيف الذى يمتهن فى قطع الشجر .

(٨) المخذم بكسر أوله من السيوف : القاطع .

يا سابقا جُهدى[1] مصلٍّ عفوِه * ما للسُّكَيت[2] يدٌ بعفو مطهَّم[3]
بذّ السوابقَ فى العلوم وحازها * بالكسب منه والتراث الأعظمِ
العلم علمُ محمد وكفى به * وعلىٌّ البابُ المبلِّغ فاعلَمِ
ماكنتُ أوّلَ مُجحِمٍ عن موردٍ * عذُبتْ مواردُه لقَرْنٍ[4] مُجحِمِ
سابقتُ سُبّاقا شَأَوتُ[5] بيانَهم * ببديع نثرٍ أو بليغ منظَّمِ
وسقيتُ بالكأس الكبيرة منهما * لما سقوا بالأصغر المتثلِّمِ
حتى اذا سابقتُه وهو[6] ابنُ بحـ * ـر أو أبو بحرٍ إليه يَنتمى
طارت فضائله إلى عليائها * بجناح فَتْخاء[7] ونسرٍ قَشْعَمِ
وسما به العلم الأجلّ محلّه * حتى تَوَقّل[8] فى المحلّ الأعظمِ
ومشى حضارا[9] فانثنيتُ مقصّرا * أتجول خيلى فى مقرّ الهَيثم[10]

(١) فى (أ) : « عهدى » بالعين المهملة ؛ وهو تحريف . والمصلى من الخيل ، الذى يجىء بعد السابق ؛ سمى بذلك لأن رأسه يلى صلا المتقدم . والصلا : منحدر الوركين .

(٢) السكيت : العاشر من خيل السباق .

(٣) المطهم : الحسن التام كل شىء منه على حدته ، فهو بارع الجمال .

(٤) القرن من القوم : سيدهم . والمجحم اسم فاعل من الإجحام وهو التقدم ؛ ويستعمل فى التأخر أيضا فهو من الأضداد ؛ ومثله الاحجام بتقديم الحاء فانه يستعمل فى المعنيين أيضا . مستدرك التاج مادة (جحم) .

(٥) فى كلا الأصلين : «شادت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به البيت ؛ وشأوت : غلبت .

(٦) فى كلا الأصلين : «فهو» بالفاء . والسياق يقتضى الواو ؛ فان الجملة بعدها فى موضع الحال .

(٧) الفتخاء العقاب اللينة الجناح لأنها اذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما وذلك لا يكون إلا من اللين .

(٨) توقل ، أى صعد بتشديد العين ؛ وأصله من التوقل فى الجبل وهو التصعيد فيه .

(٩) الحضار : مصدر حاضرة ، أى سابقة فى العدو ، وهو هنا على الاستعارة يريد المسابقة فى التفضل والذى فى (أ) « خطارا » وهو تحريف ؛ وفى (ب) « مطارا » ؛ وهو وان صح حمله على أنه مصدر ميمى بمعنى الطيران الا أنه غير ملائم لقوله قبل : « ومشى » .

(١٠) الهيثم : فرخ النسر .

لا عار إن عضلت بدائهُ فكرتى * بابن المقفّع أو بنجــل الأهتم[1]

يا أعلمَ الفضــلاء لستُ مقــاوِلا * فُصْحَى بناتِك[2] باللسان الأعجمِ

لو حاولتْ فِكرى مساواةً لها * يوما لجـاءت بالغــراب الأعصمِ[3]

أَقتصِرُ فللبيان فى بحر فضائله سَبْحٌ طويل، وِللسعىِ فى غاياته مُعرَّسٌ ومَقِيل، ولِلَحامد بُثَينة محاسنه صَبابةُ جميل، وإنّى وإن كنتُ كثيّرَ عَزّةِ ودّه، إلا أنّى فى حلبة الفضل لستُ مِن فُرسان ذلك الرَّعيل؛ لا سيّما وقد وردتُ مَشرَع ألفاظه التى راقت معانيها، ورقّت حواشيها، وأدنَتْ ثمرات الفضل من يمين جانيها؛ فجاءت كالنسيم العليل، والشذا من نفحة الأصيل، والشرابِ الباردِ والظلِّ الظليل

طبــعٌ تَدفّق رقّةً وســلاســةً * كالمـاء عن متن الصفاة يسيلُ

كالمقلة الحسناءِ زان جفونَهـا * كَحَلٌ وأخرى زانهـا التكحيلُ

والروضة الغنـاء يَحسُن عَرْفُها * وتزاد حُسنـا والنسيمُ عليــلُ

والخـاطرُ التقــوِىُّ كَمَّلَ ذاته * عِلما وليس لكامل تكميلُ

والله تعـالى يبقيه جامعا للعلوم جمع الراحة بنانَها، رافعا له رفع القناة سنانَها، حافظا له حفظ العقائد أديانَها، والقلوبِ إيمـانَها

---

(١) نجل الأهتم، هو عمرو بن سنان بن سمىّ بن سنان بن خالد بن منقر؛ والأهتم هذا لقب لقب به أبوه لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوسه فهتم فاه وقد وفد عمرو بن الأهتم هو والزبرقان بن بدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ان من البيان لسحرا» وبنو الأهتم: أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والإسلام، وكان يقال: «الخطابة فى آل عمرو (زهر الآداب ج ١ ص ٥ و ٦ طبع الرحمانية .

(٢) أراد بداته، رسائله؛ وفى كلا الأصلين: «بيانك»؛ وهو غير مطابق لما قبله من الوصف.

(٣) الغراب الأعصم: الذى فى جناحيه ريشة بيضاء ويقال هذا للشئ الذى يعزوجوده .

لِيُضحِيَ نديماً للمعالى كأنه * نديما صفاءٍ مالكٌ وعَقيلُ[1]
ويصبحَ ظلُّ الفضل من فَيْءِ ظلِّه * على كَنَف الإسلام وهو ظليلُ
وينشأ أبناءُ العلوم وكلُّهم * بحسنائه فى العاشقين جميلُ
دَلالته فى الفضل من ذات نفسه * وليس على شمس النهار دليلُ

وكتب — رحمه الله تعالى — رسالةً الى الصاحب شرف الدين الفائزىّ[2] عند ما ورد عليه كتابٌ يذكر أن رسول الخليفة وَصَل يلتمس إجابةَ المَلِك المعزّ[3] أوّلِ ملوك الترك إلى صلح المَلِك الناصرِ صلاح الدين يوسف[4] — وقد كان الناس يذكرون أن الملك الناصر يريد أن يَهجُم بعساكره على الديار المصرية، وأنه لا يجيب إلى الصلح، [فلما][5] جاء الرسول بذلك ظهر للناس خلافُ ما ظنّوه — :

(١) مالك وعقيل، هما نديما جذيمة الأبرش، وكان يضرب بهما المثل فى طول الاجتماع؛ وهما اللذان عناهما متمم بن نويرة بقوله فى رثاء أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

زهر الآداب (ج ٣ ص ١٦٠) طبع الرحمانية .

(٢) شرف الدين الفائزى، هو هبة الله بن صاعد وزير الملك المعز، ووزير ابنه الملك المنصور بعده؛ والفائزى نسبة الى الملك الفائز ابراهيم بن العادل لأنه كان فى خدمه أولا، وكان فى صباه نصرانيا ثم أسلم؛ مسالك الأبصار ج ٧ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ وذكر ابن إياس فى كتابه ج ١ ص ٩٣ أن الأمير سيف الدين قطز المعزى نائب السلطنة بالديار المصرية فى عهد الملك المنصور ابن الملك المعز قد قبض على الشيخ شرف الدين هذا وصادر أمواله وصلبه على باب القلعة وولى مكانه فى الوزارة زين الدين يعقوب بن الزبير .

(٣) هو عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى، تولى السلطنة بالديار المصرية فى سنة ثمان وأربعين وستمائة، ولقب بالمعز؛ وقتل فى سنة خمس وخمسين وستمائة انظر تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ١٩١ و ٢٠٠) طبع الأستانة .

(٤) هو الملك الناصر يوسف صاحب حلب ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ وقد قتله هولاكو ملك التتر فى سنة تسع وخمسين وستمائة، انظر تفصيل ذلك فى تاريخ أبى الفدا (ج ٣ ص ٢٢٠، ٢٢١) طبع القسطنطينية .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من (أ)؛ والسياق يقتضى إثباتها

(١٣٣) لِأمرِكَ أمرُ الله بالنجح عاضـدُ * فَصُلْ آمِرا فالدهر سيفٌ وساعدُ
وقُلْ ما آقتضت عليـاك فالعزّ قائمٌ * بأمرِكَ والمجــد المؤثّل(١) قاعدُ
وَنَمْ وادعا فالجَـدُّ يقظـانُ حارس * لمجـدك والعـادى لبأسـك راقدُ
فمـا تُـبرِم الأيّامُ ما آلله ناقض * ولا تنقض الأيّامُ ما آلله عاقــدُ
وقد بَرزتْ بكر المكارم والعــلا * وفى جيدها من راحتيك قلائدُ
فَحَفَّت بها الأملاكُ وهى مواهب * وسارت بهـا الرّكبان وهى محـامدُ
وزُفَّتْ لهـا النعماءُ وهى مصادر * رفعنـا لهـا الأمداح(٢) وهى مواردُ
فنــثَّرها الإحسانُ وهى لآلئُ * ونظَّمها الإفضالُ وهى فرائــدُ
فلا زلتَ محروس العلا يابن صاعدٍ * وجَــدُّك فى أفق السيادة صاعدُ
تُسَــرّ بك الدنيـا ويَبتهجُ الورى * وتُستوكَفُ النُّعمى وتُحوَى المقاصدُ

وَرَد كتابٌ كريم ، ونبأٌ عظيم؛ لَمْ تُجْـرِ ينبوعَه جياد الأقلام ، ولَمْ تَجُـدْ بنوئه عهاد الأيام ، ولم تَظفَر بمثله أعياد الإسـلام ؛ فتُلِيَ على عذبات(٣) المنـابر، وجُلِيَ على آماق الأبصار وأحداق البصائر، وكانت بشراه البِكرَ العَوانَ(٤) ، لِمـا آبتَدَأَتْ(٥) به من البشارة

(١) فى (أ) : «الموشك» ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا فى كلا الأصلين . ولم نقف على هذا الجمع للمدح فيا بين أيدينا من كتب اللغة ؛ كما أن الذى يستفاد من كتب الصرف عند الكلام على « أفعال » أن هـذه الصيغة لا تطرد جمعا «لفعل» بفتح أوله وسكون ثانيه اذا كان صحيح الفاء والعين .

(٣) المراد بعذبات المنابر، أعاليها ؛ والعذبة بفتح العين والذال من كل شىء : طرفه .

(٤) العوان : النصف فى سنها من النساء وغيرهن ؛ وفى كلا الأصلين : « القران » وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٥) فى كلا الأصلين : «ابتدلت» وهو تحريف . أراد بهذه العبارة أنها بكر لانها لم تسبق بمثلها ؛ وعوان، لانها تلد البشائر .

ولِما تَلِدُه من البشائر، وطليعةَ المَسارِّ التى واجهَت ٱلآمالَ ووجهُ السعد سافر، ومقدّمةَ الأمن التى لا يُسَرّ بها إلا مؤمن ولا يساء بها إلّا كافر، وتحيّةَ ٱلله التى أحيت قلوب العباد، ومنّةَ(١) الله التى سكنتْ لهـا السيوفُ فى الأغماد، ونعمةَ الله التى عمّتْ كلّ حاضر وباد، ورحمةَ ٱلله التى رحم بها هـذه الأمّةَ وما زال بالمؤمنين رحيما، وفضْلَ الله على هـذه الملّة(٢) وكان فضل الله عليها عظيما، وسعادةً سارت بها الأيام الى المقام المعزّىّ بين الخَبَب والتقريب، ومَركبَ عزٍّ قدّمتْه عناية ٱلله تقدمةَ الجَنيب، وكتابًا عنايتُه(٣) هـذا عطاء الله، وعُنوانُه «نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ»، وسِلْمٌ(٤) جلّل وجه الإسلام بُرَدَ لباسِه القشيب، وسلامةً جنتْ يمين الإيمان ثمرَ غصنها الرطيب، وعزٌّ ألبس المُلكَ خِلَعَ شبابه بعد ما خَلَع غبارُ الوقائع [عليه](٥) رداءَ المَشيب، وشمسُ سعادةٍ منذ طلعتْ فى أفقها لَمْ تَجنح للغيب، ولطفٌ خفىٌّ قعد له كلُّ حمدٍ وقام به كلُّ خطيب، ومَملكة تُسـمِعُها الأيّامُ: قِفا نَضحكْ بمَسارِّ الإنعام لا قِفا نَبـكِ من ذكرى حبيب، وغنيمة باردة حازتها يدُ المُلك ولسانُ السنان غيرُ ناطق وكفُّ السيف غيرُ خضيب

بتسديد(٦) رأيٍ لو رأته أميّـةٌ * لمَـا ٱحتفَلتْ(٧) يوما بقتل شَبيبِ(٨)

---

(١) فى كلا الأصلين: «وأمنية»؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٢) كذا فى (ب)؛ والذى فى (أ) «الأمة» وهو وإن صح به المعنى إلا أن فيه تكرارا مع ما سبق فى الجملة التى قبلها. (٣) عنايته: أى مقصده. (٤) سلم بالرفع معطوف على قوله: «نصر».

(٥) هذه الكلمة ساقطة من كلا الأصلين؛ والسياق يقتضى إثباتها.

(٦) فى كلا الأصلين: «بنشيد»؛ ولم نقف‌عليها لدينا من كتب اللغة على معنى له يناسب السياق؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الوزن والمعنى.

(٧) فى كلا الأصلين: «اختلفت»؛ وهو تحريف.

(٨) شبيب: هو أبو الضحاك شبيب بن يزيد بن نعيم الشيبانى الخارجىّ؛ وكان خروجه فى زمن الحجاج مع صالح بن مسرح من بنى امرئ القيس؛ وقد بايعته الخوارج بعد قتل صالح؛ وكان يلقب بأمير المؤمنين وكان موته غرقا فى نهر دجيل، وهو دجيل الأهواز لا دجيل بغداد فى سنة ١٧٧ أو ٧٨ على اختلاف فى الرواية؛ وكانت ولادته فى سنة ٢٥ أو ٢٦ انظر كتاب ملخص تاريخ الخوارج وغيره من كتب التاريخ.

الى غير ذلك من فكرةٍ صاحبيّةٍ شَرَفيّةٍ سَكَن المُلْكُ تحت ظلالها ونام ، وقعد بأمرها وقام؛ وتحرّكَتْ لها العزائم، وسكنَتْ لهـا الصوارم، وآستُنزِلت العُصْم وذُعِرَتْ العواصم ، وهِممٍ إذا سمَتْ سامت آلسماء واذا همَتْ أهمت آلغائم ، وعزٍّ تحت ظل ظلاله الشرفُ مقيم و فى خدمته المجدُ قائم ، وعزمٍ آستيقظ له جفن النصر والسيفُ فى جفنه نائم ، وسيفِ حزم على عاتق المُلك منه نِجادٌ وفى يد جبّار السموات منه قائم ؛ وآراءٍ آستَفتح عقائلها فأَنجبَتْ(١) ، ورَمى غرض إصابتها فأَكثبَتْ ، (أى أصابت)(٢) وأَعمَل رائدَها فاستيقظت له آلهمم والأنام نيام، وجلس فى صدور رِياستها والعالمون قيام، وتدبير أُحكِم بإبرام النقض ونقضِ الإبرام، وذُعِر به رابضُ الأُسد وأُنِّس به نافرُ الآرام؛ وأجال به خيله فى مَسارِى الأرقم، ومَقَرِّ الهَيثم، وأمضاه فى مَضايق خطْبِـه فأغناه عن سنّ السِّنان وشفةِ اللّهذم؛ هذا ولمـا(٣) صَدقتْ عزائمُ المملكة التى نظم الله قلادةَ مُلكِها فليس لهـا انتثار، ولمعَتْ كواكب أَسَلها(٤) فى ليـل الرَّهَج وسمـاءِ الغبار ، وبَنَتْ حوافر خيلِها سورا من متراكم النَّقع المُثار، وحصَّنَتْها يد الله بمـا أظهرَتْه مِن

---

(١) فى كلا الأصلين : «فأنتجت» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى جميع رسالته .

(٢) الذى وقفنا عليه فيا لدينا من كتب اللغـة أن الإكثاب هو المقاربة والمداناة ، وهو من الكتب بالتحريك بمعنى القرب فلعل تفسيره هنا بالإصابة منظور فيه الى مراد الكاتب .

(٣) لم يرد فى هذه الرسالة كلها ما يصح جعله جوابا (لمّـا) هذه ، والظاهر أن بعض عباراتها قد سقط من الأصل ؛ ولم نقف عليه فيا راجعناه من المظان .

(٤) الأسـل : الرماح ؛ وانمـا سميت الرماح أسـلا تشبيها لها بالأسل ، وهو نبات من الأغلاث يخرج قضبانا دقاقا لمس لها ورق ولا شوك الا أن أطرافها محدّدة وليس لهـا شعب ولا خشب ؛ وشبهت الرماح به فى طوله واعتداله واستوائه ودقة أطرافه .

كامِن الغيب وأَخفته(١) مِن طلائع الأقدار، وحضَنَتْها(٢) رعاية الله وله مِن القدر أعوانٌ (١٣٤)
ومِن الملائكة أنصار

فعمّت عمومَ اللّيلِ واللّيــلُ مظلمٌ * وجاءت مجيءَ الصبحِ والصبحُ مُشرقُ
ومَدّت غمــامًا من سنابك خيلها * بسَـــلِّ المَواضى المَشرَفيّات يبرُقُ

فى كَتائبَ إذا سارت ســوابقُها ملأتْ عَرْضَ الغـبراء، وإذا نُشِرَتْ خوافقها سترَتْ وجهَ الخضراء؛ وكادت تُذْعَر الآسادُ بمَواضي حتوفِها، وتسكن المنايا تحت ظلال ســيوفِها؛ لاسيما إذا أنجمتْ(٣) أنجُمُ عواليها، ولمعَتْ بروقُ مَواضيهــا؛ وجاءت خيلُها كالصخر الأصمّ والطود الأشمّ أعجازُها وهَواديها؛ من كلِّ كُمَيْتٍ(٤) حلوٍ فى الإزار، بين الشُّقرة والأحمرار، كأنه وَرْديّةُ العُقار

يُحِسّ وقــعَ الرزايا وهى نازلةٌ * فيُنهِب الجرىَ نفْسَ الحادثِ المَكِرِ(٥)

وكلِّ أشقرَ(٦) كأنمــا قُدَّ أديمُهُ مِــن لهبِ النار، مُعارٍ رداءَ الحُسن، وأَحَقُّ الخيلِ

---

(١) فى (أ) «وألحقته»؛ وهو تحريف.

(٢) فى كلا الأصلين: «وحصنته» بالصاد؛ وهو مكرر مع ما قبله فى أول الجملة السابقة. وحضنتها بالضاد المعجمة: أى حفظتها وكفلتها وهو مستعار من حضانة المرأة للصبي، أى تربيته وحفظه.

(٣) أنجمت: ظهرت.

(٤) قال ابن الأعرابي: الكمتة كمتتان: كمتة صفرة، وكمتة حمرة؛ والكميت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث؛ ولونه الكمتة، وهى حمرة يدخلها قنوء. وقال سيبويه: سألت الخليل عن كميت، فقال: هو بمنزلة جميل (بضم الجيم)؛ وقال: إنما هى حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما فيقال: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب.

(٥) البيت لأبي العلاء المعرى انظر سقط الزند.

(٦) الأشقر من الدواب: الأحمر فى مغرة حمرة صافية يحمر منها السبيب والمعرفة والناصية. وأما فى الإنسان: فهى الحمرة تعلو بياضا.

بالركض المُعار[١]، لا تعـلَق به المَذاكِي[٢] يوم رِهان ولا تَشُـقّ له الحوادثُ وجهَ غبار كأنمـا لبس ثوبا من خالص النُّضار

عِتاق لو جرت والريحَ شأوا * لفاتتـــه وأوثقـــه[٣] إسارُ
غَدت ولهـا حُجول من لُجَينٍ * وراحت وهي من عَلَقٍ نُضارُ

وكلِّ أدهمَ كريمِ النِّجار، غَذىِّ اللِّبانِ[٤] الغِـزار، كأنما فُصّلتْ ثيابه من سـواد الليل وصِيغَتْ حُجولُه من بياض النهار

بأَغرَّ يَبتسم الصـباح بوجهـه * حُسنا ويَسفِر عن مُحيَّا مُسـفرِ
خَلَع الظلامُ عليه فضـلَ ردائه * وثَنى من التحجيل ثوبَ مقصّرِ

وكلِّ أشهبَ أُفرِغ فى قالَب الكمال، وَجِيهِىِّ[٥] الأب أَعوَجِىِّ[٥] الخال، إن مشى ضاق بزهْوِه فَسيحُ المجال، وإن سعى رأيتَ البرقَ ملجَما بالثريّا مسرَجا بالهـلال، كأنّما آنتَعَل خدَّ الجنوب وآشتَمَل بثوب الشَّمال[٦]

---

(١) المعار: «المسمن» بتشديد الميم المفتوحة، يقال: أعرت الفرس: أى أسمنته. أشار بهذه العبارة الى قول الشاعر:

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيـل بالركض المعار

(٢) المذاكى من الخيل: التى تم سنها وكملت قوتها.

(٣) أراد بالريح هنا معنى الهواء، فأعاد عليها ضمير المذكر مع أن التأنيث هو الأكثر فيها؛ وانمـا آثر التذكير دفعا للالتباس، فانه لو أنث الهاء لم يعلم مرجعها أهو العتاق، أم الريح.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى كلا الأصلين؛ والذى وقفنا عليه فيما لدينا من كتب اللغـة أن جمع اللبن ألبان، كسبب وأسباب؛ فلعل المراد باللبان هنا: ذوات اللبن، وواحده لبون (اللسان نقلا عن المحكم).

(٥) الوجيهى: نسبة الى الوجيه، وهو اسم فرس من خيـل العرب نجيب تنسب اليه كرام الخيل وكان لغنى بن أعصر. والأعوجى: نسبة الى أعوج، وهو اسم فرس سابق ركب صغيرا فاعوجت قوائمه، واليه تنسب كرام الخيل أيضا فيقال: الأعوجيات و بنات أعوج؛ وكان هذا الفرس لهلال بن عامر.

(٦) هذه الباء ساقطة من كلا الأصلين؛ واللغة تقتضى إثباتها.

مِن الجياد التى لم تَبْـــدُ فى رَهَجٍ * إلّا أَرَتْكَ بياضَ الصبح فى غَسَقِ
ولا جرَين مع النَّكْباء (١) فى طَـلَقٍ (١) * إلّا آحتقَرتَ آلتماعَ البرق فى الأفقِ

وكلّ مطهّم إن رَكض قَلِق السماطُ لرَكضِه ، وخِلت بعضَه منفصلا عن بعضِه وإن مشى رأيتَ الطودَ فى سمائه والرياحَ فى أرضه ؛ وإن خطا ظننتَه يَرْتَع فى روض المَجَرّة ويَكرَع فى حوض الغمام ، وخلتَه الأشَمَّ مِن آبنَىْ شَمامٍ (٢) ، همُّه جهـة الأمام وصوتُه حركةُ اللجام ، كأنه قطعةٌ من سماءٍ أو ظُلّةٌ من غمام

جرَى (٣) والريحَ فى طَلَقَ رِهانٍ * فقـامت دونه ومضى أَماما
وَمدّ من السـنابِكِ ثوبَ غَيمٍ * ولَم أرَ قَبلهـا ثوبا غمـاما

عليها كُلُّ كَمىٍّ لابَسَ الحربَ ولابسَتْه (٤) ، ومارسها ومارسَتْه ؛ وكَتبَتْ عليـه المواضى فى صدره كتابا أعجمَتْه أطرافُ الأَسَل ، وجَنَى ثَمرَ الحديدِ أحلى عنـده من العسل وسار إلى مهج الأبطال كسيف القضاء وحثِّ (٥) الأجل ؛ له حُنْكَةُ الأشيَب ونجـدةُ الغلام ، وصنعةُ الضرب الفَـذِّ والطعنِ التُّؤام ، والفتكاتُ التى تُطلِـع صبح الصوارم

(١) النكباء : ريح انحرفت ووقعت بين ريحين ، أو بين الصبا والشمال . والطلق بفتحتين : الشوط الواحد فى جرى الخيل .

(٢) شمام : اسم جبل لباهلة ، كما فى ياقوت . وقال ابن برى : هو جبل بالعالية ، وهـذا الجبل له رأسان ، يقال لهما : ابنا شمام قال لبيد :

فهل نبئت عن أخوين داما * على الأحداث إلا آبنى شمام

(٣) فى كلا الأصلين : « فجرى » ؛ والفاء زيادة من الناسخ .

(٤) الى هنا انتهت النسخة المشار اليها بحرف (ب) .

(٥) الحث : الإعجال ، وإضافته إلى الأجل من إضافة المصدر الى مفعوله . أو لعله : « وحتم » بفتح الحاء وسكون التاء .

فى ليـل القَتام ، والفَعَلاتُ التى لهـا فَتَكاتُ الأَوْرَقِ(١) فى النَّقَـد وصَولاتُ الأُسْد فى السَّوام

يمشى الى الموت عالى الكعب معتقِلا * أَظمَى(٢) الكعوب كمشى الكاعبِ الفُضُلِ(٣)

يُحسِنُ فى بحار الدروع سَبْحَ(٤) الفوارس ، بين بدور اليَلَب(٥) ونجومِ القَوانس(٦)؛ من كلِّ سابغة لاتصل إليها ألسنةُ الحداد ، كأنها أثواب الأراقم خِيطت بأعين الجراد ؛ كفيلة بحمايةِ الأنفُس وصيانةِ المُهج ، تُنير مسالكَ لابِسِها فى دياجى الرَّهَج ، إنما هى البحر ولا حرج(٧)

اذا ما مشَوا فى السابغات حسِبتَهم * سيولا وقـد سالت بهنّ الأباطحُ

وكلِّ أبيضَ هندىٍّ تألّفتْ من المِلح أبعاضُه ، البَرَدُ جسمُه والبرْقُ إيماضُه ؛ المَفارقُ مغارِبُه والأجفانُ مَطالعُه ، والأنفُس مواردُه والمنايا منابعُـه ؛ لو أُثمِرَ لأنبت رءوسا (١٣٥) ولو تفجّر لسال نفوسا ، ولو تكشَّف صافى حديدِه لرأيتَ فيه عُبوسا

---

(١) فى الأصل : «الأوراق» ؛ والألف زيادة من الناسخ . والمراد بالأورق هنا : الذئب ، فان لونه الورقة ، و يقال للذئبة : الورقاء ؛ قال فى اللسان مادة (ورق) مانصه : وكذلك شبهت العرب لون الذئب بلون دخان الرمث ، لان الذئب أورق قال رؤبة :

فلا تكونى يا ابنة الأشم * ورقاء دمى ذئبهـا المدمى

اهـ والنقد بفتحتين : صغار الغنم ، واحدته نقدة .

(٢) الأظمى من الرماح : الأسمر ؛ وهو من المعتل اللام ، وليس من المهموز .

(٣) الفضل بضمتين : المختالة التى تفضل من ذيلها ، كما فى اللسان مادة (فضل) .

(٤) فى الأصل : «تحت» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٥) اليلب محركة : الترسة ، أو هى جلود يخرز بعضها الى بعض تلبس على الرءوس خاصة .

(٦) القوانس : جمع قونس ، وهى أعلى بيضة الحديد .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قولهم : "حدث عن البحر ولا حرج" والمراد أنه لا لوم على من يطيل فى وصف هذه الدروع مهما توسع فى ذلك ، لشبهها بالبحر فى بريقها واطراد متنها .

سَلِيلُ النار دَقّ ورَقّ حتى * كأنّ أباه أَورَثه السُّلالا (١)
ودَبَّت فوقه حمـرُ المنايا * ولكن بعد ما مُسِخَتْ نِمالا

وكل أَسمَرَ اذا انتحى فهو صاحٍ واذا آنثنى فهو نشوان ، واذا ورد دمَ ٱلقلب فهو ظمآنُ القناةِ ريّانُ ٱلسنان؛ اذا خطب النواصىَ وخَطَ (٢)، واذا كَتبت ٱلمواضى نقَط؛ واذا قصُرت يدُ القِرْنِ طال، واذا صَلِيَتْ نارَ الحرب العوالى صال

تَوَهّـم كلَّ سابغةٍ غديرا * فرنَّق (٣) يشرب الحَلَقَ الدّخالا (٤)

وكلِّ صفراءَ رَقشاءِ (٥) الأديم ، كأنها أَرقمُ الصَّريم (٦)؛ لها فَلَكٌ بالرزيّة دائر، وسهمٌ بالمنيّة طائر، إن رَكِب فهو مقيم وإن نزل فهو سائر؛ مع عزائمَ بَنَتْ على (٧) الدولة سورا، وجَعلَتْ بينها وبين الذين لايؤمنون بالدولة المعزّيّة حجابا مستورا؛ على أنها غنيمةٌ لم تحتج إلى الإيجاف والإيضاع (٨)، وطَلِبَةٌ ألفاها على طرف الثمام (٨) وحبلِ الذراع؛ وعنايةٌ جاءت على آختيار المراد ومرادِ الآختيار ، ونعمةٌ كَرّتْ هى والتوفيق فى قَرَنٍ

(١) "سليل النار" يريد أن هذا السيف قد ولدته النار لأنه أخرج بها من معدنه؛ وطبع سيفا بواسطتها والشعر لأبى العلاء المعرى انظر شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبع بولاق .

(٢) وخط : طعن طعنا نافذا؛ و بابه وعد .

(٣) قال فى شرح التنوير على سقط الزند ج ١ ص ٢٩ طبع بولاق فى تفسير هذه الكلمة : رنق الطائر: اذا حام حول الماء ليشرب اهـ والبيت لأبى العلاء المعرى .

(٤) الدخال : المتداخل بعضه فى بعض انظر شرح التنوير على سقط الزند . والذى فى الأصل : «الحلق الدجالا» ؛ وهو تصحيف .

(٥) الرقشاء : المنقوشة؛ يريد القوس .

(٦) الصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٧) فى الأصل : «عليها» ؛ والسياق يقتضى حذف الهاء .

(٨) يقال : هوله على طرف الثمام : إذا كان هين المتناول، كما يقال : هو على حبل الذراع : إذا كان ممكنا مستطاعا .

وجَرَتْ والسعادةَ فى مضمار، ومنحةٌ رَكَضَتْ بها الى المقام المعزّىّ سوابقُ الأقـدار ومعنًى خفىٌّ من نعم الله لم تَلِجه عقائل الأفكار ؛ واذا سبَقت عناية الله فليس لأمر حتمه الله رافع ، واذا لحظَتْ السـعادة آمرأ وقفَتْ دونه آمال المطالب وتقطّعَتْ خلفه أعناق المطامع ، وآستولت يمينه على آفاق سمـاء(١) الشرف فلها قمراها والنجوم الطوالع، وهذه مواهبُ لا تدركها دقائقُ ٱلأَسْطُرْلاب(٢) ولا دَرَج الشمس ولا رَصْدُ الطـــوالع

لعمرك ماتدرى الضَّواربُ بالحصا * ولا زاجراتُ الطـيرِ ما آلله صـانعُ.

ويُنهِى(٣) أنّ حاملها مَن عَقدَتْ عليـه الملوك خناصرَها، وآختَصّ منها بالصحبة ناصرَها؛ وله فضـلٌ لا يذاد عن مَنهل العلم سَوامُه، ولا تُجهَل فى مسالك الشرف

---

(١) فى الاصل : «يمين» ؛ وهوغير مستقيم ؛ والصواب ماأثبتنا ، فانه يشير بهذه العبارة إلى قول جرير:

أخذنا بآفاق السماء عليكمو * لنا قمراها والنجوم الطوالع

(٢) الأسطرلاب بفتح الهمزة وضم الطاء : ميزان الشمس ، وبه يعرف مقـدار الساعات وأخذ الأرصاد ومطالع الكواكب .

(٣) الظاهر أن هـذا الكلام من قوله : «وينهى» إلى قوله فيما سـيأتى : «من أفقها صبحا» ، ليس من تمـة الرسالة السابقة ؛ وانما هو بعض رسالة أخرى سقط أولها من الأصل الذى بين أيدينا ؛ ويدل على ذلك أمران : أحدهما ، أن المكتوب اليه بالرسالة السابقة هو الصاحب شرف الدين الفائزى وزير الملك المعز كما تقدم ، أما هذه الرسالة ففيها ما يدل على أن المكتوب اليه غير الصاحب شرف الدين ، فانه يقول فيها : «وقد صـير الجناب الزينىّ لما يحاوله» الخ ولم يقـل : الجناب الصاحبىّ أو الشرفىّ أو الفائزى نسبة الى أحد ألقاب شرف الدين ؛ والظاهر ان الزينىّ نسبة الى زين الدين يعقوب بن الزبير وزير الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز أيبك التركمانى ؛ وزين الدين هذا قد تولى الوزارة للملك المنصور بعد الصاحب شرف الدين الفائزىّ كما تقـدم بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٦٣ من هذا الجزء نقلا عن ابن إياس . الأمر الثانى ، اختلاف الغرض فى كلتا الرسالتين فانه فى الرسالة الأولى يهنىء الصاحب شرف الدين بالصلح بين الملك الناصر والملك المعز؛ وفى الرسالة الثانية يوصى بخير لإنسان .

أعلامُه، وله نفسٌ سَمَت حتى أَخذَتْ سماء السيادة بيمينها، وهمّةٌ اذا رأيتَ ذاتها الكريمة تَوسّمتَ الرِّياسةَ فى جبينها، وأبوّةٌ لاتّجر من المعالى إلّا فى ثمينها، وقد أكلته السنة بل السنوات، وترادفت عليه الملمّات بل المؤلمات، وقد صيّر الجناب الزينىّ لما يحاوله ذَرِيعه، ووَرَد المنهلَ الرَّحْبَ وإنه لعذبُ الشريعه، وقد أصاب به مولانا طريقَ المَصنع فألبَسَه ثياب الصنيعه، ومولانا أَولى مَن أَولاه شرَف جلاله ونظر اليه بعينٍ كريمةٍ يقابِل بها ما يقابِله من كرم خلالِه، فالإبريزُ قد يَشتبِه إلّا على نُقّادِه، والغيثُ قد يُخْلِف [1] إلا على رُوّادِه، والماء قد يأجَن إلا على وُرّاده، وسيّدنا مصعبُ الهمِ وهذا آبن قيس رقيّاته [2]، ومهلبُ الشِّيم وهذا حبيب أبنائه [3]، وواثقُ الإحسان وهذا فى الجلالة آبنُ [أبى] دُواده [4] وفى الأدب آبنُ زيّاته [5]، فليضعْه حيث

(١) كذا فى الأصل؛ ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على أنهم عدوا الإخلاف مرادا به الإمحال وقلة المطر بهذا الحرف؛ ولعله ضمن قوله: «يخلف» معنى «يبخل» فسوغ له هذا التضمين ذكر «على».

(٢) يريد عبيد الله بن قيس الرقيات، وهو شاعر من بنى عامر بن لؤى؛ وذكر ابن سلام فى كتاب طبقات الشعراء (ص ١٣٧ طبع ليدن) أنه نسب الى الرقيات لأن جدات له توالين يسمين رقية. وفى الأغانى (ج ٤ ص ١٥٥ طبع مطبعة بولاق): أنه لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سمين جميعا رقية: منهن رقية بنت عبد الواحد، وابنة عم لها يقال لها: رقية، وامرأة من بنى أمية يقال لها: رقية. وكان عبيد الله منقطعا الى آل الزبير، فمدح مصعبا، وهجا عبد الملك؛ وهو القائل:

إنما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

(٣) فى الأصل: «أبياته»؛ وهو تصحيف، فان الذى وقفنا عليه فى كتب التراجم أن حبيبا هذا من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه.

(٤) ابن أبى دواد: هو القاضى أبو عبدالله أحمد بن أبى دواد الإيادى؛ وكان أصله من قرية بقنسرين واتجر أبوه الى الشام، وأخرجه معه وهو حدث، فنشأ أحمد فى طلب العلم، وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ مابلغ؛ قال أبو العيناء: مارأيت رئيسا قط أفصح ولا أنطق من ابن أبى دواد؛ وتولى القضاء فى زمن المعتصم والواثق الى أن أصيب بالفالج فى زمن المتوكل؛ وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين اه ملخصا من وفيات الأعيان.

(٥) ابن الزيات: هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات؛ وكان من أهل الأدب والفضل، عالما بالنحو واللغة كاتبا شاعرا؛ وقد استوزره المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس، وأقره ابنه الواثق هارون على ما كان عليه فى أيام أبيه المعتصم بعد أن كان متسخطا عليه؛ ولما قام المتوكل بالأمر قبض على ابن الزيات، واستصفى أمواله، وحبسه فى التنور حتى مات فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين اه ملخصا من وفيات الأعيان. والذى فى الأصل: «ابن زياده» بالدال؛ وهو تحريف.

وضعتْه السيادة صدرا، وليُطالِعْه كما أطلعتْه الفضائل بدرا؛ وليَصرِف اليه عنايةً تَعلَق بها الحمدُ عَلاقةَ غَيلانَ[١] بميّه، والحَكَمِ[٢] بأميّه؛ وهو يعلم - أدام الله أيامه - أن المناصبَ عرائس، والصنائع قلائدُها، والولاياتِ مَآدب، والمكارم موائدُها، والليالى - كما علمت - حَبالَى، والسيّئات والحسنات ولائدُها؛ وخيرُ من لَبِس ثوبَ نعمة كأهلُ هذا الإمام، وإن الحسنة اليه لأشرفُ مواهب الأيام، فاْغتنِمْها فإنّها غاية الاْغتنام؛ وأعيذ مولانا بالله أن يَجعل نظَره إليه لمحا، أو يَضرب عنه الذكر صفحا، أو يكون مولانا روضةً ثم لا يجِدُ هذا الصدرُ منها نفحا، ومَطلَعَ آفاق الشرف ثم لا يَستوضِح هذا الملتمِسُ مِن أفقها صبحا .

ومثل صدر هذه الرسالة لبعض الكتّاب المتقدّمين[٣] :

[١٣٦] الحمد لله مقلِّب القلوب، وعالِم الغيوب؛ الجاعلِ بعد عسرٍ يسرا، وبعد عداوةٍ ودّا، وبعـد تحاربٍ اْجتماعا، وبعـد تباينٍ اْقترابا؛ رأفةً منه بعباده ولطفا، وتحنّنا عليهم وعطفا؛ لئلا يَستتِمّهم[٤] التتابُع، فى التـدابر والتقاطُع؛ وليكونوا بَررةً إخوانا، وعلى الحقّ أعوانا؛ لا يتنكّبون منهجا، ولا يركبون من الشبهة ثَبَجا؛ بغير دليلٍ يهديهم

(١) غيلان : هو أبو الحارث غيلان بن عقبـة بن نهيس بن مسعود بن حارثة، وهو المعروف بذى الرمة؛ وكان من فحول الشعراء، وهو أحد عشاق العرب المشهورين؛ وصاحبته مية بنـت مقاتل ابن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى، وكان كثير التشبيب بها فى شعره، وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة اهـ ملخصا من وفيات الأعيان ترجمة ذى الرمة .

(٢) يريد الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو والد مروان ثالث خلفاء بنى أمية .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى الأصل؛ ولم يرد فيما سبق صدر رسالة تصح المماثلة بينه وبين ما أورده هنا لبعض الكتّاب المتقدمين . ولعله قد سقط من الأصل الذى بين أيدينا .

(٤) فى الأصل : «يستتم بهم» والباء زيادة من الناسخ اذ لم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن هذا الفعل متعدى بالحرف والتتابع بالياء المثناة : التهافت؛ أو هو اللجاجة . ويريد بقوله : «لئلا يستتمهم» الخ أن اللجاجة فى الخصومة تستأصلهم بتمامهم ولا تبقى على أحد منهم .

قصد المسالك، ولا مرشد يذودهم عن دَرْك المهالك؛ أحمده على نعمه التى لا يحصى الواصفون إحصاءها، ومننه التى لا تحمل الخلقُ أعباءها؛ حمدا يتجدّد على ممرّ الأزمان والدهور، ويزيد على فَناء الأحقاب والعصور؛ وإنّ أحقّ ما استعمله العاملون ولَحِق به التالون، وآثره المؤمنون، وتعاطَى بينهم المسلمون؛ فيما ساء وسرّ، ونفع وضرّ؛ ما أصبح به الشَّمْل ملتئما، والأمرُ منتظما، والفتقُ مرتتِقا، والسيفُ مغمودا ورواقُ الأمن ممدودا، فحُقِنَتْ به الدماء، وسكنَتْ معه الدهماء، وانقمع به[1] الأعداء؛ واتصل به السرور، وأُمنَتْ معه الشرور؛ وليس بذلك أَولى، والى إحرازِ الثواب به أدنى من الصلح الذى أمر الله تبارك وتعالى به، وخَصّ وعَمّ ورغّب[2].

ولنعد الى كلام الشيخ ضياء الدين بن القرطبي

فمن ذلك ما كتب به أيضا الى الصاحب شرف الدين الفائزى جوابا عن كتاب شفاعة يوصى على أخيه نجم الدين، فأجابه الشيخ: يخدُم الجنابَ الشرفىّ — رفع الله قدره بين أوليائه، وأطاب ذكره فى مقام عليائه؛ وأطال عمره مقترنا بعزِّه، وأقرّه فى كنف سلامته وكهف حرزِه — وردَتْ الأوامر المطاعه، المقابَلةُ بالسمع والطاعه؛ فى حق أخى الملوك مولانا نجمِ الدين، فتَلقّى راية طاعتها بيمينِه، وأقرّها من تعظيمه فى أسرّة جبينِه، وأَحلّها من شرف الامتثال فى مستودَع دينـه؛ وقابل حاملَها بأوفر ترحيبِه، وأقربِ تقريبِه؛ وواجَهه بإجلال الأخوّه، وخلال[3] البنوّه؛ وأَحلّه كنفَ قلبِه، وأَوْدعه بين شَغاف[4] القلب وخلْبِه[4]، وأعاده الى معهود ولائه وحَسَبِه؛ وقرّر له

(١) فى الأصل: «له» باللام؛ وهو تحريف.

(٢) الظاهر أن لهذا الكلام بقية قد سقطت من الأصل الذى بين أيدينا؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان.

(٣) فى الأصل: «وجلال» بالجيم؛ وما أثبتناه هو المناسب لقوله: «البنوّة».

(٤) الشغاف: غشاء القلب وغلافه، وهو جلدة أليسها. والخلب: حجاب الكبد.

فى كلّ شهر عشرة دنانير وهى نهـاية قدرته ، وأعلَمَه أنّهـا أعْوَد نفعا من ولايتـه وأقربُ عونًا من إمرَته ؛ وعاهد اللهَ ألا يتعرّض لجنديّة أبدا ، ولا يَمدّ لطلب ولاية يدا ، ولا يَقِف بين يدَى الأمراء بعدَها ، ولا يتجاوزَ بجلالة أبوَيه حدَّها ، ولا يهمل شرف نسبته التى لَم تُصاعِرْ[1] [لهـا][2] الأيّامُ خدَّها ؛ وأخذ عليـه عهود الله والممـلوك فى الوفاء مهما عهِدَها ؛ وقد توَجَّه الى المَشارع الصاحبيّـة التى استَعذَب وِرْدَها والمكارمِ الشرفيّة التى أَلِف حَمْدَها ، والصنائع الإحسانيّة التى وَجد فى مرارة الفقـر حلوَهـا وفى حرارةِ الغـربة بَرْدَهَا ؛ وعاوَدَ عُشّ الفضل الذى منـه دَرَج ، وبيتَ الكرم الذى اليه دَخَل[3] ومنـه خَرَج[3] ، وسماءَ الإحسان التى أَطلعتْ نجمَ إمامتِه فعَرَّج عليها وإليها عَرَج ، وبحرَ المعروف الذى اذا أَطنب لسانُ ثنـائه قالت شـواهد بيانه : « حدِّثْ عن البحر ولا حَرَج » ؛ ومولانا يضعُه تحت كَنَفه ، ويرفعُـه لله ولسـلَفِه ، ويقابله الجنابُ الشرفىُّ بمـا عَرَفه من شرَفِه ؛ ويُعينُـه على جارِيه الذى هو مادّةُ رفقِـه ، وأوّلُ ما أجراه الله على يد مولانا من رزقِه ؛ بكتاب يُجـزل له العَزَمات ويُتِمّها[4] ، ويُسكن رُوحَ الحياة فى جسد فاقته ويُبقيها ؛ فهو ذو ضرّاءَ لاتسدّها إلا القناعه ، وذو فاقةٍ لاترفعها إلا السَّعةُ التى تمدّ باعَه ؛ والله يجعل مولانا وقايةً لمن لجأ إليه ، وإعانةً لمن اعتمد عليه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) صاعر خدّه وصعره بتشديد العين المهملة : أماله كبرا ؛ وقرئ : (ولا تصاعر خدك للناس) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها . والضمير عائد الموصول وفى قوله : «خدّها» يعود الى «الأيام» .

(٣) عبارة الأصل : «الذى منه دخل واليه خرج» والصواب العكس كما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : «و يبعثها» ؛ وهو تحريف .

وكتب إليه أيضا شفاعةً فى بعض الأعيان فقال : (١٣٧)

ويُنهِى أنّ الله تعالى متولّى سرائرَعبادِه، ومُجازيهم على مخالفَةِ أمره وإن كان على وَفْق مرادِه؛ أَعَدّ دارَىْ ثوابِه وعقابِه، وحذّر أُولى العقوبة مِن أليم عذابِه؛ ثم عمّت رحمته فشَفَّع فى العصاه، وعفا عن الجناه؛ فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ﴾ ثم بُذلتْ عوارفُ الإحسان، وعواطفُ الحَنان؛ حتى شَـفَع الى خَلقِه، فى العفو عن حقّهم وحقّه؛ صفة كَرمٍ رحمانيّه، وصِلة عفوٍ إحسانيّه، وصـنائع ٱلطافٍ ربانيّه، فشفع إلى الصدّيقِ فى مِسْـطَح، فقال : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِى ٱلْقُـرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ فقدّم مُوجباتِ العطف بما قدّم من القرابة والمسكنة والمهاجَرة، ثم تلقّاها مِن أجرِ الآخرة بكرم المُجازاة وربح المعاملة، وحُسنِ جزاء المنعم، تعريفا بمواقع الإحسان، وتكريما لنوع الإنسان؛ ومملوكُ مولانا فلان ٱلذى أنزل حاجتَه بعبدِك[1]، وقَصَده قَبل قصدِك؛ وأَسكَن حريمَـه مجاورا لحريمه وتَشفّع به إلى صدر الزمن وكريمِه،واستَوهَبه الذنب وإن كان معترفا بعظيمه؛ والصنعُ الجميل ثمرةُ الأيام، والفضلُ أثبتَتْه ألسن الأقلام؛ ولله لحظاتٌ تَلحظ عبادَه ويرحم الراحمين، ويجزى المتصدّقين، ولا يضيع أجر المحسنين؛ وإن مولانا عِقالُ[2] الشرف وذو الفضل الأُنُف[3]، والعارفُ فى صنائع الإحسان كيف تُؤكَل الكَتِف؛ وقد أَحلّته

(١) فى الأصل : «لعبدك» باللام؛ والسياق يقتضى الباء كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : «عقائل» ؛ وهو غير مستقيم؛ والمراد بقوله : «عقال الشرف» أن الشرف محتبس عليه لا يفارقه؛ وهو مستعار من عقال البعير : وهو الحبل الذى يعقل به عن النهوض .

(٣) الفضل الأنف : أى الذى لم يسبق اليه؛ وهو استعارة من قولهم : « روضــة أنف » أى أنها لم ترع، «وكأس أنف» أى أنها لم يشرب بها قبل ذلك .

على ملاءةِ[١] أياديك، وألبسته مُلاءَةَ معاليك، وأحلته بضمان الله كَنَفَ ناديك؛ وأنت الكريم أخلاقا ونسبا، والطّيّبُ أعراقا وأبا، والصّدرُ الذى إذا سامته الأيّام خُطّةَ ضيم ابى، واذا أوطأته مَهانةً[٢] وخسفا نَبا؛ وأحقُّ مَن قَبِل هـذه الشفاعةَ كرمُك[٣] وأَولى من رعاها شيمُك، والمعالى جنودُ الشرف وأحقُّ عَلَمٍ رُفِع[٤] عليها عَلَمُك؛ والله تعالى يبقيه للأنام ملاذا، وللأمل مَعاذا، ويهب عزمَه مَضاء وقلمَه نفاذا؛ إن شاء الله تعالى.

وكتب الى[٥] قاضى القضاة تاج الدين بن خلف :

يخدِم الجنابَ التاجىَّ — أدام الله شرف الملّة ببقائه، وأعلى كلمةَ الأمّة بعلائه وأجرَى ألسنةَ الأقلام بثنائه، ورفَع ألويةَ أوليائه بولائه — ويُنهِى ورودَ مشرّفته الّتى تجلّت فى سماء السيادة حُسنا، وسهلَتْ لفظا وجَزُلَتْ معنى، وغدا لسان الإحسان عليها يُثنِى، وعِنانُ الفضائل اليها يُثنَى؛ وقدأخذَتْ برقاب المعانى، وأطربَتْ إطراب المثانى، وبعثَتْ روحَ الحياة الى روح الأمانى، وثنت إلى فضلها الأوّلِ عِنانَ الثانى

فحىَّ هلا[٦] بالمكرُمات وبالعلا * وحَىَّ هَلا بالفضل والسُّؤدُد المحض

(١) الملاءة بفتح الميم : القدرة والغنى، وهو مصدر ملؤ الرجل فهو ملىء : أى صار ثقة غنيا .

(٢) فى الأصل : «بها»؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «لومك» بلام بعدها واو؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : «وقع»؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «اليه»؛ وهو غير مستقيم .

(٦) يقال : حىّ هلا بكذا بلا تنوين : أى عليك به؛ ويقال فيه أيضا : حىّ هلا بالتنوين وحى هل بفتح الجزأين كخمسة عشر؛ وكلها يراد به الحث .

لا جَرَم أنّ المملوك سجد لله ثم لجلالة (١) ذلك الأستغفار ، وقبولِ كلماتِ الأعتذار ؛ وعَلِم أنّ مولانا لبس حلّةَ التواضع لتمام شرف الأصطناع ، وليحُوزَ أقسام السيادة بالصدرِ الرَّحبِ والخُلُقِ الوَساع (٢)

سجيّة (٣) نفسٍ شرّفَ الله مجدَها * بما شاءَ من فضل لديها ومن حلمِ
وسُؤدُدِ آباء وكسبِ سيادة * تَضُمّ إلى عزّ العلا شرفَ العلمِ

هذا مع إساءتنا التى تسوّد وجوهَ الأمل ، ويقضى كفرُها — لولا إيمان مولانا — بإحباط العمل ، على أنها مُلازَمةُ المعلولات للعلل

وما كنتُ جانِى فتنةٍ غيرَ أنّها * إذا وقعتْ أردتْ مسيئاً ومحسنا ١٣٨
ولو رشقَتْنى مُصْمِياتُ سهامِها * لألْفَتْ لها حُكما من الله بيّنا
وإن جلال الله يشهد انّنى * بَذلتُ مِن الوُسع الّذى كان ممكنا
وحَذرتُ حتى لم أَجِد متحرِّزا (٤) * وأَسمعتُ لكن لم أَجِد ثَمّ أُذّنا (٥)
وكانت صعابٌ تقتضيها مشيئةٌ (٦) * وهل لقضاء الله ردٌّ إذا دنا

وأما إشارة مولانا إلى الحاجب الذى هو لمولانا أشرفُ مِن حاجب بنِ زُراره بما (٧) أَودَعه أثناءَ تلك الكلم مِن لطيف الإشارة وشريف العباره ؛ فجزاءُ مولانا على الله فى جبره لقلب المملوك المنصدع ، وصِلةِ أمله المنقطع .

---

(١) لعله : «لإجابة» كما يدل عليه قوله بعد : «وقبول» الخ .

(٢) الوساع بفتح الواو : الواسع .

(٣) فى الأصل : «تحية» بالتاء المثناة والحاء المهملة ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) فى الأصل : «متحذرا» ؛ وهو تحريف إذ لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب اللغة .

(٥) الأذن بضم الهمزة وتشديد الذال : جمع آذن ، وهو المستمع ؛ يقال : اذنت اليه وله : اذا استمعت اليه معجبا بما يقول .

(٦) فى الأصل : «طباعا» ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى ؛ والفعل قبلها تام لا يحتاج الى منصوب إذ معنى الكون هنا : الوقوع والحصول .

(٧) هذه الباء ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

وكتب إلى الصاحب قاضى القضاة بدر الدين السنجارى — وهو يوم ذلك متولى الحكم والوزارة بالديار المصرية :

لا زال الإسلام يستضىء ببدرِه، والإيمانُ يَأرُزُ(١) إلى صدرِه، والشرفُ يَتضاءل عند قدر جلالته وجلالةِ قدرِه، والآمالُ والآجالُ مصرَّفةٌ بين بسطةِ نعمته وسـطوةِ قهرِه، هذه على ذكرِه وهذه على شكرِه، والمكارمُ والمحامدُ تَتعلّق وتَتألّق هذه بنشْرِه وهذه ببشْرِه، والعزمُ والرأىُ إذا فُلَّ أو فالَ(٢) ٱستغاث وٱستضاء هذا بنصرِه وهذا بفكرِه

ولا غرو أن تَثنِى الوِزارة جيدَها * إلى ناظمٍ فى جيدها عِقدَ فخرِه
الى أحوذىّ(٣) الرأى إن ناب معضِلٌ * أراك جلىَّ الأمرِ إيحـاءُ سرِّه
إذا ٱستغزرَ الذهنَ(٤) الذكىَّ تضاءلَتْ * له فكرتا قيسِ(٥) ٱلذكاءِ وعَمـرِه(٥)

(١) فى الأصل : «بارز» ؛ وهو تحريف . و يأرز : يأوى ويلجأ .

(٢) فال الرأى يفيل كيبيع : ضعف وأخطأ . والذى فى الأصـل : « اذا قل أوقال » بالقاف فى كلتيهما ؛ وهو تصحيف .

(٣) الأحوذىّ : هو الذى يسوق الأمور أحسن مساق لعلمه بها .

(٤) فى الأصل : «الدهر» ؛ وهو تحريف .

(٥) يريد : قيس بن زهير بن جذيمة العبسىّ صاحب الحروب بين عبس وذبيـان بسبب الفرسين : داحس والغبراء؛ وكان فارسا شاعرا داهية، يضرب به المثـل فيقال : "أدهى من قيس" اه ملخصا من سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون . وعمرو : هو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛ ويكنى أبا عبد الله ؛ أسلم بأرض الحبشة عند النجاشى، ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسـلم مهاجرا؛ واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على غزوة ذات السلاسل ؛ وبعثه أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ؛ وولاه عمر رضى الله تعالى عنه فلسطين، ثم كتب اليه أن يسير الى مصر فسار اليها وفتحها، وولاه عمر إياها ؛ وقد شهد صفين مع معاوية بن أبى سفيان ؛ وقد ولاه معاوية مصر أيضا فلم يزل بها واليا الى أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر؛ انظر طبقات ابن سـعد فى القسم الثانى من الجزء السابع ص ١٨٨ طبع ليـدن . وكان عمرو بن العاص يضرب به المثل فى السياسة والدهاء .

فيُطلِع رأيا واضحا من سداده * كما ٱنشقّ بُرْدُ الليل عن ضوء فجرِه
إلى سؤدُدٍ أجرتْ معاليه خيلَه * سوابقَ غُرًّا(١) فى بَهيمات دهرِه
وكم سابقٍ أجرى إلى غاية العلا * ولكن طوى سبْقا مُلاءةَ حُضرِه
بحلم تجلَّى فى أسرّة وجهِه * وجودٍ تجلَّى من طلاقة بشرِه
يمينا لقد أضحت جلالةُ قدرها * على شرف ٱلمقدار من دون قدرِه

سطّرها الملوك بعد ما لبست الوِزارةُ حلّة فخرِها ، وسحبتْ ذيل ٱفتخارِها ، وبدا معصم شرفها فى حلية سِوارِها ، وتجلت معانيها بين شموس فضلها وأقمارِها ، وجَنينا ٱلغضّ من زهرِها ، والطيّب من ثمرِها ، وحَمِدنا جميل تأثيرها وحميدَ آثارِها

وحيّتْ على بعد المدى نفَثاتُها * بأطيَبَ من رَنْدِ(٢) الرُّبا وعَرارِها(٢)

وٱجتلَى الملوك حسناء إحسانِها فما ضارعتْها البدورُ مذ فارقتْ سَرارَها ، ولا الأنجمُ ولو نظم الفَلَكُ أنوارَها ، ولا الروضةُ وقد عقدت الغمائمُ إزارَها(٣) ، ولا أطلالُ ميّةَ وقد دبّجت يدُ(٤) الأنواء أزهارَها ، ولا أَرْدانُ عزّةَ وقد أُوقدتْ بالمَنْدَل(٥) الرطب

(١) فى الأصل : «عزا» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد : «فى بهيمات» .

(٢) الرند : الآس ؛ أو هو العود الذى يتبخر به ؛ وقيل : إنه شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به ، وليس بالكبير ، وله حب يسمى الغار . والعرار : النرجس البرى .

(٣) يريد تشبيه النبت والأزهار حول الروضة بإزار عقدته الغمائم عليها ، كما يدل عليه قول أبى تمام :

حتى تعمّم صلع هامات الربا * من نوره وتأزّر الأهضام

والذى فى الأصل : «أزرارها» والراء الأولى زيادة من الناسخ .

(٤) عبارة الأصل : «ذبحت يد النوار» ؛ وهو تحريف .

(٥) المندل والمندلى : العود الذى يتبخر به . قال الأزهرى : وهو عندى رباعى لأن الميم أصلية وقد أشار بهذه العبارة الى قول كثير :

بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

والروى فى هذا الشعر مرفوع ، وقوله : «أوقدت» مبنى للمجهول ، ويدل على ذلك قوله قبل هذا البيت :

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

الأغانى ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق وإنما خالف الكاتب هنا حركة الروى فى شعر كثير لاقتضاء السجع نصب الراء .

نارَها"؛ صلة جاءت كبُرد الشباب(١)، وبَرد الشراب؛ اقتضابا قبل السؤال، وابتداء الآمال؛ والمملوكُ يحضر عقيبها ليجتليَ وجه المنعم قريبا، ويجتنيَ غصنَ النِّعَم رطيبا

ومتى لم أَقُم بشكرك للنا * س خطيبا فلا وُقيتُ الخطوبا

وكتب الى الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين(٢) (١٣٩) على بن محمد المعروف بابن حِنّاء(٣):

رفع الله قــدر الجناب الصاحبيّ التاجيّ فى شرف الأقــدار، وأَجْرَى بإرادته وسعادته ســوابقَ الأقدار، وألبَسَه حليــة الشرف التى هى على رأس رياســته تاجٌ وفى مِعصم سيادته سِــوار، وحلّةَ النعم التى ينكمش(٤) لأجلها رُدْن المساءة وينسحب بمِثلها ذيل المَسَار، وأَمضَى عزائم آرائه التى اذا سَــطت يوم البأس نفــذتْ نفوذ

---

(١) فى الأصل: «الشتاء»؛ وهو تحريف.

(٢) كذا فى الأصل؛ والذى وجدناه فى المصادر التى بين أيدينا أن الصاحب بهاء الدين جد الصاحب تاج الدين؛ وأما أبوه فهو فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين. فقد ورد فى كتاب المنهل الصافى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ فى ترجمة الصاحب تاج الدين هذا: أنه محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حناء المصرى وزير الديار المصرية؛ وكان مولده فى سنة أربعين وستمائة؛ وتفقه وبرع ونظم ونثر، وحدث بمصر ودمشق، وانتهت اليه الرياسة فى عصره بالقاهرة؛ وتوفى فى سنة سبع وسبعمائة. وفى كتاب أعيان العصر وأعوان النصر المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ: ان الصاحب تاج الدين هذا قد تولى الوزارة بالديار المصرية مرتين؛ ورأى من العز والوجاهة ما لم يره جده الصاحب بهاء الدين. وانظر (مستدرك التاج) مادة «سلم» فقد نص فيه على ان تاج الدين حفيد الصاحب بهاء الدين.

(٣) كذا ورد هذا الاسم بالهمز فى مستدرك التاج مادة (سلم).

(٤) الانكماش: التقلص.

السهم ومضت مَضاء الغِرار[1]، واذا سرت فى ليل الخطب هدت هداية النجم ووضحت وضوح النهار، وأرضى همّته التى اذا همّت أغنت عن الأبيض المرهَف والأسمر الخطّار، واذا أمّت شأت[2] ناصيةَ الحَنفاء[3] وبذّت قاصية[4] الخطّار[3]؛ وأرهف أقلامه التى اذا أجراها أنبتت خال النِّقس، فى وجنة الطرس، وطرّزت بالظلماء أرديةَ الشمس؛ واذا هزّها أنست هزّ العوامل، وأصابت من الأمر الكُلَى والمفاصل، وإذا أمضاها لنعمة أو لنقمة فللجانى لعابُ الأفاعى القواتل، وللعافى أَرْىُ[5] الجَنى اشتارته أيدٍ عواسل؛ ولا زال ربعه مَربعا للجلال ومَصيفا، ومَرتعا لسَوام الآمال وخريفا، ومَشرَعا وارد الظلال وَرِيفا؛ وحرما آمنا تُجبَى اليه ثمرات الحمد وتُجنَى منه ثمرات الرِّفد، وتقف المعالى عليه "وقوف مطايا الشوق بالعَلَم[6] الفرد"؛ فإنه الربع الذى وقفت به الآمال وقوفَ غَيلانَ[7] بدارميّه، وعكفت [عليه][8] المحامد[9]

(١) الغرار بالكسر: حد السيف والرمح.

(٢) فى الأصل: «شابت»؛ وهو تحريف. وشأت: سبقت؛ والمضارع يشأو كيدعو.

(٣) الحنفاء والخطار بتشديد الطاء المهملة: اسما فرسين لحذيفة بن بدر الفزارى؛ وفى الأصل: «الحيفا» بالياء المثناة؛ وهو تحريف.

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل؛ ولعله يريد بقاصية الخطار: الغاية التى ينتهى اليها فى جريه.

(٥) فى الأصل: «أرق» بقاف مثناة بعدها ياء؛ وهو تحريف. والأرى: عسل النحل. يشير بهذه العبارة الى قول أبى تمام فى صفة القلم:

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

واشتارته: جنته واستخرجته من الوقبة.

(٦) العلم: الجبل، والمراد بالعلم الفرد هنا: جبل فرد شرقى الحاجر يقال له: أبان، فيه عيون ونخيل ومياه.

(٧) غيلان: اسم ذى الرمة الشاعر. وفى الأصل: «عليلان»؛ وهو تحريف. وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا الجزء.

(٨) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والسياق يقتضيها.

(٩) فى الأصل: "التجافل"؛ وهو تحريف لا معنى له.

عكوف توبةَ على حبّ الأخيليّه(١)؛ والجنابُ [الذى](٢) فاءت ظلالُه وفاضت مواهبُـه وجاءت مَذانبُه(٣)، وجادت سحائبُـه، وجلّت شيمـه وتجلّت غياهبُـه؛ فى روض المعـالى الذى فاحت نسـائمُه، وناحت حمـائمُه، ومَنشإ المجـد حيث شـاب فأُرخيَتْ ذوائبُـه وشبّ فقُطّعت تمـائمُه، وبيتِ الرياسـة الذى اذا دنوتَ حباك بإكرامـه واذا نأيت حيّتك مكارمُه، وصـدر السيادة الذى خضعت له الأعنـاق هيبة "لِأبلجَ لا تيجانَ إلّا عمائمُه"

ولا زال بدرا فى سمـاء سـيادة * يشـار إليـــه فى الورى بالأناملِ
بسيط مساعى المجد يركب نجـدَه * من الشرف الأعلى وبذلِ الفواضلِ
إذا سـيل(٤) أغنى السامعين جوابُه * وان قال لم يترك مقـالا لقـائلِ
محـــدّد أيّامِ الحيـاة فكلُّها * لطـالبِ علم أو لقاصـدِ نائلِ

ويُنهِى ولاء مخبوءا بسـويداء قلبِه، موضوعا بين شـغافه وخِلْبِه؛ وثنـاءً مسموعا فى محافل الأنام، معلَنا(٥) فى صحائف الحمد بألسنة الأقلام، جديدا على ذهاب الليالى واختـلاف الأيام؛ ودعاءً سابَقَ أراعيلَ(٦) الرياح، ووَضَحَتْ أنوار إجابتـه وضوح

(١) الأخيلية : هى ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل : ابن الرحالة بن شدّاد بن كعب بن معاوية، وهو الأخيل؛ وهى من النساء المتقدّمات فى الشعر من شـعراء الإسلام؛ وكان يهواها توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمـرو بن عقيـل الأغانى ج ١٠ ص ٦٧ طبع مطبعة بولاق. وقد أوردلها أبو الفرج أخبارا كثيرة فانظره.

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل.

(٣) المذانب : مسايل المـاء الى الأرض. أو هى الجداول تسـيل عن الروضة بمائها إلى غيرها، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون.

(٤) فى الأصل : «سال» بالألف؛ وهو تحريف.

(٥) فى الأصل : «مقلبا» بالقاف والباء الموحدة؛ وهو تصحيف.

(٦) أراعيل الرياح : أوائلها.

الصباح، وطار الى ملإ القبول بقادمة كقادمة الجناح؛ وتحيــة اذا واجهتْ وجه الجهام أمطر، واذا هزتْ أعطاف الكَهام[(١)] أثر؛ أرقّ من النسيم السَّحَرى، وأعطر من العنبر الشِّحرىّ؛ وأصفَى من ماء المَناقع[(٢)]، وأحلى من "جنَى النحل ممزوجا بمــاء الوقائع"[(٣)] يرى ذلك فى شرع المروءة واضحا واجبا ...[(٤)]؛ تحيّة من أُولىَ النعمة فشكَرَها وعرف العــارفةَ وما أنكرَها، وآمن بيــده البيضاءِ من غير سوء ومذ آمن بهــا ما كفرها؛ كيف لا وقد آمتزج بحبها لحُمه ودمُه، وسبّح بحمدها قلمُه وفمُه، وجرت شِيَمُ حمــده على أعرَق جيادها والخيْرُ من سبقتْ به إلى شكر المنعم شِيَمُــه؛ لا سيّما وقد جنى الطّيِّبَ من ثمارِها، ووَرد العذب من أنهارِها[(٥)]؛ فلا أعدم الله مولانا صنائعَ (١٤٠) الإحسان الذى آنعقدتْ عليــه كلمةُ الإجماع، وأنشَده لسانُ المحامد عن شرف آلاصطناع

فلو صوّرتَ نفسك لم تزدها * على ما فيك مِن كرم الطباع[(٦)]

ولا زال اللطف صدَى صوتِه إذا دعا، والنجحُ قرينَ مساعيه أنَّى ســعى، وحاكمُ الفضل يصــدِّق دعواه حَوْزَ كلِّ فضيلة كيف آدّعى؛ حضر المملوك مهنّئا نفســه بهنائه، ساعيا فى خدمته سعى الأَجْدل[(٧)] فى هوائه، والنجمِ فى سمائه؛ من ملازمة

---

(١) الكهام من السيوف : الكليل الحدّ .

(٢) المناقع : مجامع الماء . وفى الأصل : «النقائع» وهو تحريف إذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق .

(٣) الوقائع جمع وقيعة وهى مكان صلب يمسك الماء، وكذلك النقرة فى الجبــل يستنقع فيها الماء وماؤها يضرب به المثل فى الصفاء فيقال : «أصفى من ماء الوقائع» ؛ وقوله : « جنى النحل » الخ عجز بيت لذى الرمّة ، وصدره : ونلنا سقاطا من حديث كأنه * الخ كما فى كتاب نهاية الأرب ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) الظاهر أن هنا جملة ساقطة من الأصل بها يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته هذه وغيرها من رسائله وان كان المعنى يستقيم بدونها . ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٥) فى الأصــل : "شهادها" وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته .

(٦) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى .

(٧) الأجدل : الصقر .

وجهه الذى ألقى الله عليه محبة منه فاستنار، واكتسى حلة الحياء فألبسته حلة الوقار، واجتلته المقل فرأت رونق الخفر عليه باديا، وائتمت به الهداة فألفته نجما فى سماء السيادة هاديا، وقالت الأمانى فى ظله فأنشأ جوده قائلا :

* نزلت على آل المهلب شاتيا (١) *

ورأيته والناس مومئون من ليث عليه مهابة (٢) فكانوا الكروان (٣) أبصرن بازيا (٤)؛ أبهة الجلاله، وجلالة الأصاله، وأصالة الشرف، وشرف الفضل الأنف، ورياسة ورثها خير سلف لخير خلف، وشيم علمته فى المعالى كيف تؤكل الكتف؛ فصادف ركابه العالى قد استقل، وحل من دارة العز حيث حل؛ فأقام رجاء أن يعاين أسرة جبينه، ويقبله كتقبيل الندى فى يمينه؛ وحين جنحت الشمس الى مستقر الأنوار وطوى الفلك بيد القدرة رداء النهار، وأشرف اليوم من خشية طيه (٥) على شفا جرف هار، وثوب (٦) داعى العصر وحيعل، وعاين نير الفلك فى وجه السماء كعين الأقبل (٧)؛

---

(١) تمام البيت : «غريبا عن الأوطان فى زمن المحل» الأمالى لأبى على القالى ج ١ ص ٤١ طبع دار الكتب المصرية . ولم يعين أبو على قائل هذا الشعر .

(٢) كذا فى الأصل؛ والظاهر أن صواب العبارة : «من كثب اليه مهابة»؛ كما يرشد اليه قوله : «من» ولم يقل : «الى» . والكثب بفتحتين : القرب؛ واذن فقوله : «مهابة» يقرأ بالنصب أى : «من مهابة» .

(٣) الكروان بكسر الكاف وسكون الراء : جمع كروان بفتحهما : وهو طائر طويل الرجلين أغبر دون الدجاجة فى الخلق، وله صوت حسن؛ يكون بمصر، وهو من طيور الريف والقرى ولا يكون فى البادية .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قول ذى الرمة فى بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

من آل أبى موسى ترى الناس حوله * كأنهم الكروان عاين بازيا

والبازى : ضرب من الصقور .

(٥) عبارة الأصل : «من حاشية طيفه»؛ وهو تحريف .

(٦) التثويب : ترديد الصوت .

(٧) الأقبل، من القبل بفتحتين : وهو فى العين : إقبال سوادها على الأنف، أو هو مثل الحول .

ثَنَى عِنانَه إلى مَثْـوَى قرارِه ، وٱنثنى يسابق أدهمَ ليـلِه بأشهب نهارِه ؛ وعلى الرغم أخفق مسعاه ، ولم يَقِلْ[١] قلبُـه الشوقَ الذى دعاه ؛ لكن سار وأقام خالصُ ولائه وعاد بعد ما أَودع الحَفَظةَ مرفوعَ دعائه ؛ فعرّف ٱللهُ مولانا بركاتِ هذا الشهر الذى سارت به إلى إحسانه مطايا أيامِه ، وجعلَه مثبِتا لحسناته ممحّيا[٢] لآثامه ، وحلّاه[٣] بالمقبول من صيامه والمشهورِ من قيامِه ؛ وأراه صـدرَ برِّه أَثلَج ، ووجهَ بدرِه أَبلَج ، وثغـرَ ٱبتسامِه عن رضوان القبول أَفلَج ؛ ورقّاه درَجَ تَضاعُفِ حسناتِه ، ولقّاه من كرم الله مذخورَ إحسانه وموعودَ هباتِه ؛ وأراه الأملَ فى بَنِيه ، وأرانا فيهم ما رأينا فيه ؛ فهو غابُ[٤] العلم وهم أغصانه وشجُرُه ، ومُطَهَّمُ السابقين وهم حُجولُه وغُررُه ؛ وانى لأَلمح[٥] من مَخايل شرفهم وشرف مَخايِلِهم ، وشمائِلِ شيمِهم وشيمِ شمائلِهم ؛ نجابةً[٦] تضعُهم من الرِّياسة فى أنفِها ، ومن السيادة بمكان شَنَفِها ؛ فهم جذوة فضـلٍ مُبرِقه ، ودوحةُ عِلمٍ مُورِقه ونَبعـةُ سيادةٍ مُعرِقه ، وشموس معالٍ فى أفق كلّ شرف مُشرِقه ؛ سمت بهـم أَصالة النسب ، وفضيلةُ الأدب المكتسَب ، وجمعوا بين شرف العمومة والخؤولة فى كرم المنتسَب ؛ فللعلا ألسنٌ تثنى محامدها على الحميد من فعلهم وشيمهم ، وللندى مواهبُ عُزِيَتْ[٧] مذاهبها الى العليِّين من كرمهم وهممِهم ؛ لا زالت محاسنهم قلائدَ الأجيـاد وأيامُهم مواسمَ الأعياد ، وحرمهم المخصب بالمكارم سواء العاكفُ فيه والبـاد ؛ إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى الأصل : « يقبل » ؛ والباء زيادة من الناسخ . (٢) ممحيا بتشديد الحاء المهملة ، من محاه تمحية : أى بالغ فى محوه . (٣) عبارة الأصـل : « بالتقبل فى » الخ ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله بعد : « والمشهور من » الخ . (٤) فى الأصل : «باغ» ؛ وفى حروفه قلب لا يظهر به المعنى . والغاب : الآجام ؛ وهو من الياء ، وقد جعلت جماعة الشجر غابة لأنه مأخوذ من الغيابة . (٥) فى الأصل : « لأتلمح » ؛ ولم نقف على هذا الفعل فيما لدينا من كتب اللغـة . (٦) عبارة الأصل : « نحابة بعضهم » ؛ وهو تحريف فى كلا اللفظين لا يظهر له معنى . (٧) عبارة الأصـل : « عذبت مواهبا على » ؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

وكتب الى القاضى شمس الدين الأصفهانى الحاكم — وكان بالأعمال القوصيّة — رحمهما الله تعالى — :

أَوْضح الله صـنائعَ المجلس فى بهيم الآمال غررا ، ونظم أياديَه فى أجياد الأيّام دررا ، وصفّى مشارعَ أمانيــه إن كان مَشرَعُ الأمانىِّ كدِرا ، ولا زال الإسـلام يشـدو بحمده مفتخرا ، والأيّامُ تتلو مجدَه سُـوَرا ، والشرعُ المحمدىُّ يكون بمضائه فى ذات الله منتصرا

فقــد نشرت يمنـاك أرديةَ العــلا * تُحــلِّى بلادَ الله بالدين(١) والعــلمِ
وأمضيتَ أمرَ الله فى شرع أحمــد * وقيّدتَ شكــرَ الله فى مطلق الحُكمِ ١٤١
وتُرضِى كلا الخصمين فى السّخْط والرضا * كأنك تُعطِى الخصمَ ما كان للخصمِ

الى غير ذلك من محاسنَ وضحت وضوح النجم فى الليــل البهيم ، وسرت الى الحمـد سُرى المُجِـدِّ الى الشرف الصميم ، وحدَّثتْ عن مساعيه فجاءت بالنثر البـديع والدرّ النظيم ، وأثنتْ عليه ثناءَ وارفِ الروض على واكــفِ الوَبل بألسنة النسيم

وهزّت جناحَى فضــله وجلاله * الى دَرَك العلياء من غاية المجـــدِ
وقالت معاليــه لىَ المجــد كلُّه * فما ٱبنةُ(٢) ذى البردين والفرسِ الوَردِ

(١) فى الأصل : « فى الدين » ؛ وهو تحريف .

(٢) ذو البردين : عامر بن أحيمر بن بهـدلة بن عوف ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعت عنـد عمرو بن المنذر بن ماء السماء فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ، فقال له : أنت أعز العرب؟ قال : نعم ، لأن العز كله فى معد ، ثم نزار ، ثم مضر ، ثم تميم ، ثم سعد ، ثم كعب ، فمن أنكر ذلك فليناظر ؛ فسكتوا ؛ فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك؟ فقال : أنا أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ؛ فأخذ البردين وانصرف (سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين بن نباتة) وقد أشار بهـذا الشطر إلى قول قيس بن عاصم المنقرىّ لزوجتـه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبىّ — وكانت قد أتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : أين أكيلى؟ فلم تفهم ما يريد فأنشأ يقول :

أيا ٱبنــة عبد الله وٱبنــة مالك * و يا ٱبنــة ذى البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسى لنا * أكيلا فإنى لست آكله وحـــدى

الأغانى ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق .

فلا عدمه الإسلام إماما فاضلا، وحكما فاصلا ، وساعيا الى غايات الفضائل واصلا ، وفاعلَ حسناتٍ صيَّر الحاصل من ثنائه باقيا والباقيَ من عملِه الصالح حاصلا؛ المجلس — أدام الله أيامه — يعلم أن الأيام مستّنى بحدّ شَباتِها، ورمتنى عن قوس أذاتِها، وجنتنى الحنظلَ من شَجَراتِها، والمرَّ من ثمراتِها، وأَضرمتْ من نار ألمى مالم تُطفئْه مقلتى بفيض عبراتِها

كأنى لم أَطْلُع بأفـق سمائـها * ولَم أتقلّب فى ثيـاب سماتِـها
ولم أكُ منها فى سويداء قلبهـا * مَخايلَ من هدى العلا وهداتِها

— أستغفر الله — فإنها ٱسترجعتْ ما لم يكن مستحَقّا، وأبقت إن شاء الله لمجلسه السامى ما كان حقّا، وأسكنتْه(١) — أدام الله نعمته — وفَلَكَ السعادة شرقا ومَطلِع الشمس أفقا، وأحلّته(٢) من كَنَف السيادة قلبا ومن رأس الرِّياسة فَرْقا

وتُطلِعـه ٱلآمال خـيرَ غمـامة * فتُلمِعُـه بَرقا وتُوكِفُه وَدْقا
وتبقيـه للدين الحنيفىِّ عصمةً * وللهَدْىِ والإضلال إن أَبهما فَرْقا
وتُـبرِزُه فى صـدر كلّ فضـيلة * كما بَذّ شأوَ الفاضلين بهـا سَبْقا

حضر مملوكُ مولانا الولَدُ [وقد](٣) رَفع من المحامد الشمسيّة لواء ، والتزَم العبوديّةَ والإخلاصَ وَلاء ، وعمّر الأفنيـةَ ودادا والأنديةَ ثناء؛ وقال : أحسن مولانا حين أساءت ٱلأيام، وأَولى نعمةً حاتميّةً و إنها أشرفُ الإنعام

(١) فى الأصل : « وسقته »؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «ومحله»؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) لم ترد هـذه الكلمة فى الأصـل؛ وقد أثبتناها لأن ذلك هو الأكثر فى كلامهم؛ فان فى جملة الماضى المثبت الواقعة حالا أربع صور مرتّبة فى الكثرة، وهى : جاء زيد وقد قام أبوه، ثم جاء زيد قد قام أبوه، ثم جاء زيد وقام أبوه، ثم جاء زيد قام أبوه وهـذا خلاف مذهب البصريين، فإن مذهبهم لزوم « قد » لهذه الجملة مطلقا ظاهرة أو مقدرة انظر شرح الأشمونى ج ٢ ص ١٦٩ طبع بولاق .

وما لىَ لا أُثني عليــه بصـالح * وأشكره والشكرُ بعضُ حقوقِه
وأملأ من حسن الثنا كلَّ مَسمَع * وإنّى لأخشى بَعــدُ إثمَ عقوقِه

ثم سار وقلبي يتبَعُــه ، ودمعى يشيِّعُه ، ولسانى يستحفِظه اللهَ ويسـتودِعُه؛ وعليه من الديون ما أحاط به إحاطة الجفون بمقلِها ، والأغمادِ بمُنصُلِها(١) ؛ لتَوالِى هــذه المغارم التى طَمَّ جُداها(٢)، والمظالِمِ التى عَمّ رداها ، والمحنةِ التى ملَكَتْنى يداها؛ من خراجٍ طَمى بحرُ ظلمِه، وزاد على حدّ الجور رسمُه(٣) وخُصِصتُ من بين هذا العالم بوَسْمِــه(٤)؛ للزومِ قام بوصفِى فتبعه لازمُه ، ومعنًى وجب لذاتى فاستحال عدَمُه؛ وقد كان المـلوك وولدُه فيما سلف يجودان بمـا يَجِـدان لقانع ومُعترّ، وغنىٍّ ومضطرّ ؛ صيانةً للأعراض مِن أعراضِ اللَّوم، ورغبــةً فى صِلة حمدِ الأمس بفائد(٥) اليوم ؛ وسجيّةَ نفس تأنف من عَلاقة الذم؛ وإن كان هــذا فيما لا يجب فالقياسُ فيما يجب انبعاثُ النفس اليــه مِن حَتْم المروءة أمضَى(٦) ، والدّينُ بأداء الواجب أقضَى ؛ لانه

(١) المنصل بضم الصاد وفتحها : السيف .

(٢) عبارة الأصل : «ضم جيداها» ؛ وفى كلا اللفظين تحريف لايستقيم به المعنى . والجداء بضم الجيم والمدّ : مبلغ حساب الضرب، كقولك : ثلاثة فى ثلاثة جداؤها تسعة ؛ يريد بقوله : «طم جداها» أنه قد زاد مبلغ حساب هذه المغارم .

(٣) فى الأصل : «جدل» ؛ وفيه تصحيف وزيادة لام .

(٤) يريد أن هذا الخراج قد لزمه لزوم الوسم للوسوم ؛ والوسم : أثر الكيّ . والذى فى الأصل : «برسمه» بالراء ؛ وهو مكرر مع ما قبله .

(٥) الفائد : المستفاد ؛ يقال : فادت لفلان فائدة ، أى حصلت .

(٦) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا : «فالقياس انبعاث النفس اليه فيما يجب أمضى من حاتم المروءة والدين أمضى بأداء الواجب» الخ وفيها تقديم وتأخير لا يظهر بهما المعنى ؛ واستقامة الكلام تقتضى اثباتها على هذا الوجه . وقوله : «انبعاث» فاعل «ليجب» ؛ وقوله : «من حتم» بيان لـ«ما» ؛ وقوله : «أمضى» خبر المبتدإ فى أول الجملة .

مؤيّد بإبرام الشرع[1]، وقد صحّ هـذا القياس بجامعيّة الأصل والفرع؛ لكن ضاقت يد القـدرة عن نفاذِها، واعتاضت من وابل الثروة برذاذِها؛ واذا توافرت القرائن أفادت فوق ما تفيد غلباتُ الظنون من مَدار الشرعيّات عليها، وانتهاءِ غالب الأحكام إليها؛ وقد كان المملوك حرّك عزائم سيّدنا قاضى القضاة — شرّف الله قدرَه، وأدام على الإسلام أمرَه — إلى تَحرّيها[2] العلومَ الكريمةَ بما هى عالمه، وحُكمها بما هى حاكمه؛ ليكون[3] له مستنَد يدفع أقوال المتعرِّضين، ويصرف آعتراضَ المعترِضين؛ ولئلّا يقفَ (١٤٢) له واقف فيجرِىَ قلمه الشريف بأمرٍ جازمٍ يجب الوقوفُ على مثالِه، والمسارعَةُ إلى آمتثالِه؛ فيعزّ آستدراكُ الأمرِ بعد إحكامِه، ويكون السعىُ فى معارضته كالنقض لأحكامِه؛ فكتَبَ بمـا[4] يقف مولانا عليـه، وتشـير مروءتُه وديانتُه اليه؛ ويقرِّر مع نائبه ما يقف عنده، ولا يتجاوز حدَّه؛ غيرَ ذاكرٍ عن مولانا منْعا ينفِّر عنه الرُّواه[5]، ولا مشنّع[6] بكتّاب سـيّدنا قاضى القضاه؛ بل يكون كالشافع، اذا صمّم الخصمُ آعتذر بمـا هو لهـذه المصالح كالجامع؛ ليكون المملّك[7] فى إرضائه بحسب الإمكان ويَرَى الخصمُ ما أخذه بعد اليأس نوعا من الإحسان؛ فالنفوس اذا مُنِعتْ كلَّ المنع طَلبَتْ كلَّ الطلب، وتعلّقَتْ فى دَرَك أغراضها بكل سبب؛ وإذا أُخذتْ بالكلام

(١) فى الأصل: «صابت» بالصاد المهملة والباء الموحدة؛ وهو تحريف.

(٢) فى الأصل: «تحريك» بالكاف؛ وهو تحريف.

(٣) «ليكون» أى ليحصل ويثبت؛ فالفعل هنا تام لا يحتاج إلى منصوب، ويحتمل جعله ناقصا، واسمه ضمير يعود الى «تحرّيها»، وخبره قوله: «مستندا» بالنصب.

(٤) فى الأصل: «بمـا» والباء زيادة من الناسخ؛ إذ لم نقف فيما لدينا من كتب اللغـة على أن «قرّر» يتعدّى بالباء.

(٥) فى الأصل: «الذوات» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف.

(٦) فى الأصل: «مشيع» بالياء المثناة؛ وهو تصحيف.

(٧) عبارة الأصل: «المماليك فى إرضائهم»؛ وهو غير مستقيم؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

البين(١)، وعوملت بالسهل اللين(٢)، بعد درء سورتها(٣) بالمنع، ودفع شهوتها بالدفع؛ اتّسق حُكم الأشياء وانتظم، وانشعب صَدعُ هذا الجرح والتأم؛ وجرَى الأمرُ على سداد بحفظ النظام وحفظِ الحرمة والحفظ للشارع، ولذلك قال : "أقيلوا ذوى الهيئات عَثَراتهم" لا سيما مع شهادات ضروراتهم؛ بسَطَ الله يمينَ سـيدنا فى المعالى كما بسط لسانَه فى المعالم، وقيّـد عليه لسان المحامد كما أطلق يدَه بالمكارم(٤)؛ وعليه تحية الله التى تُوالِى عليه نفحاتِهـا، وتُهدِى إلى آماله العالىَ [من](٥) مقترحاتِها .

وكتب إلى شهاب الدين محمود متولى سَمهودَ(٦) من عمل قوص — وكان بينهما مودّة، فاستدعاه للسلام عليه — فكتب :

إلينـا فإنا قـــد حللنا بأرضـكم * على فرط شوقٍ لابن عثمان دائم
وزرناك محمـودا كما زار أحنفٌ(٧) * لنَيل الأمانى ربعَ قيس بن عاصمِ(٨)

(١) فى الأصل : «اللين» باللام، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده فى الجملة الآتية .
(٢) فى الأصل : «بالمهل»؛ وهو تحريف . (٣) السورة : الحدّة . (٤) عبارة الأصل : «يد المكارم» بسقوط الهاء والباء؛ والسياق يقتضى إثباتهما . (٥) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها . والهاء فى قوله : «مقترحاتها» تعود إلى «آماله» .
(٦) سمهود، ويقال سمهوط : قرية كبيرة على شاطئ غربى النيل بالصـعيد دون فرشوط (ياقوت) وقال فى تاج العروس : المشهور فى هذه القرية أنها بفتح السين وبالدال فى آخرها .
(٧) الأحنف : هو الضحاك، وقيل : صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة، ينتهى نسبه الى سعد ابن زيد مناة بن تميم؛ ويكنى أبا بحر؛ وهو الذى يضرب به المثل فى الحلم، وكان من سادات التابعين؛ وأدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه؛ وروى عن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، وروى عنه الحسن البصرى وأهل البصرة؛ وشهد مع على رضى الله تعالى عنه وقعة صفين؛ وخرج مع مصعب بن الزبير الى الكوفة، فات بها سنة سبع وستين وقيل سنة إحدى وسبعين (وفيات الأعيان) ترجمة الأحنف بن قيس .
(٨) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد، ينتهى نسبه الى سعد بن زيد مناة ابن تميم؛ ويكنى أبا على؛ وكان شاعرا فارسا كثير الغارات مظفرا فى غزواته حليما؛ أدرك الجاهلية والإسلام فساد فيهما؛ وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية؛ وأسلم وحسن إسلامه، وأتى النبي صـلى الله عليه وسـلم وصحبه فى حياته، وعمر بعده زمانا، وروى عنه عدّة أحاديث، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسـلم : "هذا سيد أهل الوبر" (الأغانى ج ١٢ ص ١٤٩ طبع بولاق) أخبار قيس بن عاصم .

ولسنا بغاةً للنــدى والتماســه * وان كنتَ معروفَ الندى والمكارمِ
ولكن وفاءً بالإخاء لمن وفَى * وقد خان حتى حدُّ سيفي وقائمي
وجدتك ذخرى والزمانُ محاربى * كما كنت عَونى والزمانُ مسالمى
فلا غرو أن أُثنِي اليــك أعنّتى * كما قد ثَنت يمناى خِنصَرَ خاتَمِى

يُهــدى الى المجلس السامى الشرفىّ تحيّــةَ الله التى تمحاها أنفاس النسيم معطّرةً بعَرْف الرياض ، مكلّلةً بأندية الكرم الفيّاض ، تغـاديه فى السحر والمَقِيـل ، وتُراوحه فى الطَّفَل والأصيل ، وتشاهد محاسنَه(١) المقل أَحسَنَ من محاسن بثينة فى وجه جميل ؛ وأثنيتَـه(٢) التى تنتظم فى الأجياد ٱنتظامَ القـلائد ، وتَرِد على الأسماع ورود الهِيم(٣) على عِذاب المَوارد ؛ ويوليه(٤) من حبّـه مزيّةَ الآختصاص ، ومن مُوالاته السوانحَ التى لا تمتد إليها يد الآقتناص ؛ فهو نسيم الأنس ، ومسرّةُ النفس ، وذخرُ اليوم والأمس ؛ مصعبىُّ الهمم ، مهلّبىُّ الشِّـيم(٥) ، حاتمىُّ الكرم ؛ فاق أخلاقا ، وراق أعراقا ، وسمـا نفسا ، وطلع فى سماء الشرف شمسا

وأَلفيتُــه فى نفسِــه وولائه * وحسنِ معانيــه كما ٱنتظم الدرُّ
وضاع شــذا أنفاســه فانتشقتُه * على النأى منــه مثلما ٱبتسم الزهرُ
ولاحت معاليــه بآفاق مجــدِه * كما لاح فى ليــل التّمـام لنا بدرُ

(١) فى الأصل : «مجاشفه» ؛ وهو تصحيف .

(٢) الظاهر أن هذه الجملة والتى بعدها متقدّمتان من تأخير ؛ واستقامة الكلام تقتضى تأخيرهما عن الجملتين اللتين بعدهما ، أى بعد قوله فيما سيأتى : (يد الاقتناص) . والأثنية : جمع ثناء .

(٣) الهيم : الإبل العطاش . وفى الأصل : «الهم» بسقوط الياء .

(٤) عبارة الأصل : «وله لأولى» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٥) فى الأصل : «النسيم» ؛ وهو تحريف .

لا جُرِم إتيانى[(١)] اليه، و إيثارَ تسليمى عليه؛ مع أنى كنت أعهد له خلوةً حلوةً مع الله ووقفةً على بابِه، والتجاءَه فى جنح الليــل إلى جنابِه، ودمعةً يرسلها إذا ٱسترســل فى محرابِه؛ وضراعةً يتابعها خشوعُه، وزفرةً يشتمل عليها قلبه وتفرّق عنها ضلوعُه

فياليت شــعرى هل أقامت بثينة * على عهــدها أم قد ثنتها الشواغلُ

وهــل ذلك الودّ الذى كان بيننا * بوادى الخزامى مثــلُ ماكان أوّلُ[(٢)]

(١٤٣) وكتب اليه — رحمهما الله — يستدعى منه ثلاثة أسهم ومليات[(٣)]

— وقد أوردنا بعض هــذه الرسالة فى الفن الأوّل فى السواقى، ونُوردها فى هــذا الموضع بجملتها لتكون متتابعة يتلو بعضُها بعضا — :

والسيفُ يُنْدَب فى الوغى فيهزّه * نَدْبُ الكمىِّ الى مضاء غِرارِه

والحرُّ أولى بانتـــداب خلالِه * لمؤمِّــل فيـــه قضـا أوطارِه

فلذلك حرّكتُ العزائمَ العاليــةَ المولويّةَ الشرفيّــةَ — أدام الله علاها ، ورفع لواها وأودع أسماعَ الأنام ثناها؛ ولا زالت مرفَّهةَ السرائر، منوَّرةَ الضمائر، سائرةً فى قطب المعالى سير الفَلَك الدائر، آخذةً بحظها من شرف المفاخر، جامعةً بين دَرَك إحسان

(١) عبارة الأصل : «لا جرم إتناى» ؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين .

(٢) لم يلتزم هنا ألف التأسيس وهى التى يكون بينها و بين الروىّ حرف متحرك ، و يجب على الشاعر التزامها اتفاقا . انظر الحاشية الكبرى للدمنهورى على متن الكافى ص ١١٧ طبع بولاق .

(٣) كذا فى الأصل والسفر الأوّل من هذا الكتاب ص ٢٨٩ طبع دار الكتب المصرية ، وضبط فيه بفتح الميم وتشديد الياء ، ولم نقف فيما لدينا من كتب اللغة على لفظ «المليات» بالمعنى الذى يريده الكاتب فى هذه الرسالة ؛ فإنه يريد بالمليات : أوان من خزف يستخرج بها المــاء من السواقى كما يفهم من وصفها الآتى وتسمى هذه الأوانى بالقواديس ؛ كما فى مستدرك التاج مادة «قدس» .

الله فى اليـوم الأوّل واليوم الآخر — تحريكَ الطُّسْمية[1] عزائمَ الأَسوَد بن عفار[2] وبعثَها إلى إنالة الأمل آنبعاثَ الهمم العربيّـة يومَ ذى قار[3]، وآستَجشتُ عزائمها استجاشةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عزائمَ الأنصار، واستنجدتُها استنجادَ العثمانيّة بالهاشميّة يوم الدار[4]، واستحثثتُها سرعةَ الإجابة استحثاثَ أَدهمِ الليل أشهبَ النهار، فإنها

(١) كذا فى الأصل؛ ولعله: «الجديسية» نسبة الى جديس؛ فان الذى حرّك الأسود بن عفار للذود عن شرفه وشرف قومه، هى عفيرة أخته، وهما من جديس لا من طسم؛ وقد بينا ذلك فى الحاشـية التى تليهـا .

(٢) كذا فى الأصل ومستدرك التاج والكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٤ طبع ليدن) بالعين المهملة والذى فى تاريخ الطبرى القسم الأوّل (ص ٧٧١ طبع أوربا): «ابن غفار» بالغين المعجمة. وأشار بهذه العبارة الى ما كان بين طسم وجديس — وهما قبيلتان من العرب البائدة — وذلك أن ملك طسم كان قد سام جديس أنواع الذل، وأمر ألا تزف فتاة من جديس الى زوجها حتى يفتض هو بكارتها، فزفت فتاة من جديس الى زوجها، وقبل زفافها أتى بها الى ملك طسم، فافتضها، وكانت اسمها عفيرة، وهى الشموس أخت الأسود بن عفار هذا، فخرجت على قومها فى حالة تثير الحمية فى نفوسهم وتحرضهم على أن يقوموا فى وجه هذا الظالم ليحفظوا شرفهم وأعراضهم؛ فخطب الأسود بن عفار فى قومه وائتمروا بطسم وملكهم ليفنوهم عن آخرهم ويخلصوا من ظلمهم، فصنعوا طعاما، ودعوا اليه ملك طسم وقومه ودفنوا سيوفهم فى الرمل فلما حضروا وجلسوا الى الطعام أخذتهم سيوف جديس فلم تبق منهم أحدا . انظر تفصيل هذه القصـة فى الكامل لابن الأثير (ج ١ ص ٢٥٢، ٢٥٣ طبع ليدن) وغيره من كتب التاريخ .

(٣) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط؛ وبه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس، وهو أوّل يوم انتصف فيه العرب من العجم، وهذه الوقعة من مفاخر بكر بن وائل (ياقوت) فى الكلام على ذى قار وانظر تفصيل هذه القصة فى كتب التاريخ .

(٤) يريد دار عثمان بن عفان رضى الله تعـالى عنه التى حوصر فيها وقتله الثوار بها فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . انظر ذلك مفصلا فى كتب التاريخ . ويشير بقوله: «استنجاد العثمانية بالهاشمية» الى كتاب قيل: ان عثمان بعث به الى على رضى الله تعالى عنهما يستنجده على من حاصره جاء منه: أما بعد فقد بلغ السيل الزبى، وتجاوز الحزام الطبيين، وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه؛ الى أن قال: فأقبل الى على أى أمريك أحببت

فان كنت مأكولا فكن خير آكل ✽ والا فأدركـنى ولمـا أمزق

”تمـام المتون شرح رسالة ابن زيدون للصفدى“ .

لَلتى ثَنَيتُ عليها خِنصَرَ الاعتماد ، وصرفتُ اليها عَقيدةَ الاعتداد(١) ، وجعلتُها من القلب فى سويدائه ومن المقلة فى السواد ، واعتمدتُ عليها اعتمادَ بكرٍ على الحارث بن عُبَّاد(٢) ؛ لا جرم أنها والحمد لله تعالى ساعيةٌ لآمالى متى استَسعيتُها ، وصدًى صوتى متى دعوتُها وفاتحةُ كتابِ المحامد متى تلوتُها ؛ وأعيذها بالله أن تَنكُبَ عن قضائها(٣) ، أو تقفَ دون غاية انقضائها ؛ وإنها لأَورَقُ(٤) فرعا من أفنان السَّلَمه(٥) ، وأعرقُ أصلا فى الوفاء من أصل السَّلِمه(٦) ، وأرشَقُ سهما فى كنانة سَلِمه(٧) ، وأوثَقُ فى حفاظ المودّة من ابن شُبرُمه(٨) ؛ يقينً

(١) فى الأصل : «الاعتذار» بالذال المعجمة والراء ؛ وهو تحريف .

(٢) كذا ضبطه العلامة الشنقيطى بضم العين فى إحدى نسخ القاموس مادة "نعم" وهـذه النسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩ لغة ش . وضبط كذلك بالقلم فى شرح التبريزى على ديوان أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش عند قول ابى تمـام :
كم وقعة لك فى الهوى مشهورة * ما كنت فيها الحارث بن عباد . والحارث بن عباد : هو أحد فرسان بنى بكر بن وائل و رؤسائهم ؛ وكان قد اعتزل الحروب التى وقعت بينهم و بين بنى تغلب ، وهى المسماة بحرب البسوس . ثم شهدها بعد ذلك لمـا قتل مهلهل بن ربيعة ابن أخيه بجيرا ، وقال مهلهل حين قتله : "بؤ بشسع نعل كليب" فغضب عندذلك الحارث بن عباد وقال :

قـربا مربط النعـامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال

الأبيات — والنعامة : فرسه — فأتوه بها ، فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم ، وكان أول يوم شهده يوم قضة ، وهو يوم تحلاق اللم ، و إنمـا قيل له : تحلاق اللم ، لأن بنى بكر حلقوا رءوسهم ليعرف بعضهم بعضا ، وقاتل يومئذ الحارث بن عباد قتالا شديدا ، فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة ، وفى هذا اليوم أسر الحارث ابن عباد مهلهل بن ربيعة ثم أطلقه اهـ ملخصا من تاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ طبع ليدن) .

(٣) عبارة الأصل : «أن تكتم عن نصابها» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا إذ هو مقتضى السياق .

(٤) هو من ورق الشجر يرق كوعد يعد والأكثر فى هذا الفعل «أورق» بالألف ، قاله الأصمعى .

(٥) السلمة : شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها وورقها يسمى القرظ ، ولها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل فى الشتاء وتخضر فى الصيف . وقال أبو حنيفة : السلم سلب العيدان طولا شبه القضبان وليس له خشب وان عظم وله شوك دقاق طوال حادّ . والكلام هنا على الاستعارة .

(٦) السلمة بكسر اللام : الصخرة ؛ يريد أنه ثابت العهد على الأيام ثبوت الصخر . (٧) سلمة بكسر اللام : بطن من الأنصار . (٨) لعل المراد بابن شبرمة : سعيد بن النضر بن شبرمة الحارثى الكوفى ، من المحدّثين انظر مستدرك التاج . وفى الأصل : «ابن أبى شبرمة» ؛ وقوله : «أبى» زيادة من الناسخ .

أحطتُ بأنبائه، إحاطةَ رســول ابن داود(١) يوم إنبائه؛ فلا أشـكّ(٢) فى شرف نفسهـا وسمـوّ نجمها ووضـوح شمسها، وزيادةِ يومها فى الوفاء على أمسِها(٣)، كما لا تشـكّ الإياديّة فى فصاحة قُسِّها، ولا العـامريّةُ فى عَلاقة قيسِها؛ وقد توجّه اليـه حاملُها لحمل السهام التى أسهمتْ له من الموالاة(٤) أوفرَ أقسامِها، ونَشرتْ رداءَ ذكرِه على أفئدة قلوبها وألسـنة أقلامِها؛ عنـد اشتداد الحاجة إليهـا، وجرّ ثِقـلِ السواقى عليها؛ وحركةِ الحرّ التى حلّت شمسُه بُرجَ حَمَلِها(٥)، وتوالت جيوشُ جنودِه بين صدور ظُباها وأطرافِ أسَلِها؛ تجفِّف أنداءَ الثرى، وتُعيـد عنبرَ الأرض عِثْيَرا(٦)، وتُشيب مَفارِقَ نَباتِها، وتُذيق المماتَ أكبادَ خَبّاتها(٧)؛ فاستَنصرَ العزائمَ العاليةَ المولويّةَ الشرفيّةَ فى إطفاء لَهيبه واقتَضينا إعانته قبل انتضاء(٨) قُضُبِه، وبعثْنا لمحلّ الهمة الشرفيّة قبل سطوته على قَضْبِه(٩) وقَصَبِه؛ لتجرىَ جداولُها على صفحة الثرى مستفيضه، وتُجنَى ثمراتُ رياضها من

---

(١) أراد برسول ابن داود: الهدهد؛ وقصته مع نبى الله سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم مشهورة.

(٢) فى الأصل: «ان فى شرف» وقوله: «ان» زيادة من الناسخ.

(٣) فى الأصل: «أمنها»؛ وهو تحريف.

(٤) الموالاة، من والى فلان فلانا: اذا أحبه وصادقه.

(٥) الحمـل من بروج السماء: أوّل البروج، وأوّل هذا البرج الشرطان — وهما قرنا الحمل — ثم البطين ثلاثة كواكب، ثم الثريا، وهى ألية الحمل؛ هذه النجوم على هذه الصفة تسمى حملا. قال فى اللسان: وهذه المنازل والبروج قد انتقلت؛ والحمل فى عصرنا هذا أوّله من أثناء الفرغ المؤخر اهـ كلامه؛ والحمل من البروج الربيعية.

(٦) عبارة الأصل: «عبير الأرض عنبرا»؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين لا يستقيم به المعنى؛ والعثير: الغبار.

(٧) فى الأصل: «صمات» بالصاد؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٨) فى الأصل: «انقضاء» بالقاف؛ وهو تحريف.

(٩) القضب كل نبات يقتضب فيؤكل طريا غضا.

أنداء همّته أريضــه (١)، وتغازل مقلُ النفوس لحظاتِ أزهارها، وتفتن أفنــانُ (٢) فنونها بنَوح بلبلها وهَزارِها، ويبوح شذا الروض عن (٣) سرّها وآثارِها (٤)؛ هذا مع أنّها خَطبتْ حُسنَ إحسانه، وتقلّدتْ جميلَ برّه وجزيلَ آمتنانه؛ والربيع مُنَمْنَم العــذار، مُوشّى الإزار، قد لبس رداء شــبابه، وماسَ فى خَضِر ترابِه وخَضِلِ رَبابِه (٥)؛ يهزّ أعطاف سَنائه (٦)، ويَخطِر فى بُرد هوائه وبَرد مائه، فكَلّل وجنــاتِ نَوْره ببَرَد أندائه؛ والثرى عنبرىُّ الأديم، سَحرىُّ النسيم، رَنْدىُّ الشميم؛ موشَّحٌ بقلائد غدرانه، مغازِلٌ بعيون نرجِسِه بسّام بثغر أُقْحُوانه؛ لا يغرّد (٧) ذبابُه ولا يطرِّب، ولا يَصِر (٨) بسُحُراته الجُنْدُب؛ تطلُع شمسه محتجبةً فى ضبابِها (٩)، مقنّعةً مِن سحابِها؛ جاريةً فى أثنــاء حُبُكِها (١٠)، جائلةً فى أدنى فَلَكِها؛ تسعى فتُسرع، وتكاد أن تغرب حين تَطلُع؛ والجوّ معقود الأزرار، فاختىُّ (١١)

(١) الأريضة: المعجبة للعين.

(٢) الأفنان: الأغصان؛ واحده فنَن، كسبب. ويريد بالفنون: ضروب النبات، واحده فن.

(٣) كذا فى الأصل؛ ولم نقف فيما بين أيدينا من كتب اللغة على تعدية «باح» بهذا الحرف؛ ولعله ضمن يبوح: معنى يكشف فسوّغ له هذا التضمين ذكر «عن».

(٤) فى الأصل: «وأسرارها»؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله.

(٥) فى الأصل: «ذبابه» بالذال المعجمة؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى. والرباب: السحاب.

(٦) فى الأصل: «شبابه»؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه آخر الجملة الآتية. إذ به يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته.

(٧) فى الأصل: «لا يفر» وفيه تصحيف ونقص.

(٨) فى الأصل: «ولا يضر بشجراته»؛ وهو تصحيف فى كلا اللفظين. والصرير والصرصرة: صوت الجندب.

(٩) فى الأصل: «ضيائها»؛ وهو تحريف.

(١٠) حبك الشمس: طرائقها، الواحد حبيكة.

(١١) الفاختىّ، نسبة الى الفاختة، وهى ضرب من الحمام المطوق لأن لونها يشبه الفخت: وهو ضوء القمر.

الإزار، غَيمُه منسكب، ونُورُه منسحب، ولِيلُه يضمّ أطراف نهاره، ويلفّ وجهه في حاشية إزارِه ؛ يَنفِي القذاةَ (١) عن مائه، ويَجمع الحواسَّ على جَلْوائه (٢)، ويُعشِي المقل من ضوء سَنائه (١٤٤)

فلو أن ليـلى زارنى طيفُ أنسها * وماءُ شـبابى قاطـرٌ فى ذوائبى
ضَممتُ عليهـا البرد ضمّـةَ آلِف * وألصقتُ أحشائى بهـا وترائبى
ولكن أتتنى بعـد ما شاب مَفرِقى * وودّعتُ أحبـابى له وحبـائبى

والحاجةُ داعيـةٌ إلى ثلاثة أسهم ، كأنهـا هَقْعةُ (٣) الأنجُم ؛ ممتدّة آمتداد الرمح، مقوّمة تقويم القِدْح ؛ غير مُشعَّثةِ الأطراف، ولا معقَّدةِ الأعطاف، ولا مسوّسةِ الأجواف ؛ تُحاسِن الغصون بقوامِها ، والقدودَ بتمـامِها ؛ وتُخالِف هيفَها بامتلاء خصورها ؛ وتُساوِى [بين] (٤) هَواديها وصدورِها ؛ معتدلة القدود، ناعمـة الحدود ؛ مع مليات (٥) أخذت النار فيها مَأخذَها فاسودّتْ، وتطاولت عليها مدّةُ الجفاف فاشتدّتْ ؛ وترامت بها مدّة القِدَم ، كأنها فى حيّز العدم ؛ صِلاب المَكاسر ، غِلاظ المَآزر ؛ تشبه أخلاقه فى هيجاء السِّلْم ، وتَحكِي (٦) صـلابة آرائه فى نفاذ الرأى ومَضاء العزم ؛ تَكظِم على المـاء بقَبضِها ، فتجود على الأرض بفَيضِها (٧) ؛ تمدّ يدَ أيدها (٨) فى آقتضاء إرادتهـا ، وتَطلعُ

(١) فى الأصل : «ينفر الدوات» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : «ملوايه» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) الهقعة : ثلاثة كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافى إذا طلعت مع الفجر آشتدّ حر الصيف .

(٤) لم ترد هـذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن السفر الأول من هـذا الكتاب ص ٢٨٩ الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٩٤ من هذا الجزء .

(٦) فى الأصل : «وتجلى» ؛ وهو تحريف .

(٧) فى الأصل : «لنفيظها» وفى السفر الأول من هذا الكتاب : «بغيظها» ؛ وهو تصحيف فى كليهما .

(٨) الأيد : القوّة .

طلوعَ الأنجم فى فلَكِ إدارتها ، وتُعانِق أخواتها معانقةَ التشييع ، فآخرُ التسليم أوّلُ التوديع ؛ على أنها تؤذِن بحقائق الأعتبار ، وتجرِى جَرْىَ الفَلَك المُدار فى فَناء الأعمار

تَمـرّ كأنفاس الفتى فى حيـاته * وتسعى كسعى المرء أثنـاء عمرِه
يفارق خِلٌّ خلّه وهو سـائرٌ * على مِثل حال الخلّ فى إثر سيرِه
ويُعلِمه التّدوارُ لو يعقل الفتى * بأن مرور العمر فيه كمَرّه
فمن أدركتْ أفكارُه سرّ أمرِها * فقد أدركت أفكارُه سرّ أمرِه
ومن فاته الإدراكُ أدركه الردى * إذا جُرِّعتْ أنفاسه كأسَ مُرّه

هــذه آخر خَطَوات القلم ، ومنتهى خَطَرات الكَلِم ؛ فقُم فى سرعة وصولِها وتعجيلِ رسولِها

بعزمِ [غدا] يُنبِى لمروانَ عَزْمَه * براهِطَ (١) إذ جاشت عليـه القبائلُ

غيرَ معتمد عليه ، ولا مفوِّض أمرا اليه ؛ فلَم أعتمد عليه آعتماد الصُّوفه (٢) ، وإنمـا هو العِماد عند أهل الكوفة (٣) ؛ وإنمـا هو حمار سَير ، وذَنَب طَير ؛ يَحمِل ورقة مطويّةً عن

(١) راهط : موضع فى الغوطة من دمشق . (ياقوت) ومنعه من الصرف باعتبار أنه علم على البقعة . وأشار بهذا الى وقعة مرج راهط المشهورة وكانت بين عساكر مروان بن الحكم أحد خلفاء بنى أمية وأتباع عبد الله بن الزبير ، وهم القيسية ، وكان النصر فيها لجنود مروان .

(٢) كذا فى الأصـل ؛ ولم نجد من معانى هــذه الكلمة ما يناسب السياق ؛ ولعل صواب العبارة : " اعتماد آل صوفة " ، وآل صوفة : قوم كانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون ؛ قال فى الأساس : ولعل الصوفية نسبوا اليهم تشبيها بهم فى النسك والتعبد ا ﻫ ؛ يريد الكاتب بهذه العبارة : أنه لم يعتمد على هذا الرسول اعتماد المفوض اليه فى كل أمر ، كاعتماد أهل النسك والعبادة على خالقهم وتسليمهم اليه فى جميع الأمور .

(٣) العماد عند أهـل الكوفة : هو المسمى بضمير الفصل عند البصريين مثل « هو » فى قولك : « زيد هو القائم » ؛ وتسميته عمادا لأنه يحفظ مابعده حتى لايسقط عن الخبرية كالعماد فى البيت الحافظ للسقف من السقوط كما نص على ذلك فى كتب القواعد ؛ وكأن الكاتب يقول : إن هذا الرسول لا يصلح إلا لأن يحمل ما يكلف بحمله ، ولا يصلح لأن يفوض اليه أمر آخر يحتاج الى فطنة ودقة نظر ، فهو كضمير العماد الذى ليس له فائدة فى الجملة لا كونه عمادا لمـا يليه .

عِلمِه، مزوِيَّةً عن فهمِه؛ "كما يحمِل الزَّندُ الشرارَ إلى العَظْم" والله تعالى يُحلّه من السعادة أشرفَ آفاقِها، ويحرسه فى طَفَل الشمس وإشراقِها

ويُجـريه من ألطافه نحو غاية * تُبلِّغـه الألطافُ حلوَ مَذاقِهـا
ويُلبِسـه فخرَ السـيادة والعلا * كما لبسَتْ أسمـاءُ[١] فخـرَ نطاقِها

إن شاء الله تعالى .

ذكر شيء من إنشاء المولى [القاضى[٢] الفاضل البارع الأصيل] الأجل محيي الدين عبد الله [بن عبد[٢] الظاهر] رحمه الله تعالى

كان رحمـه الله من أجلّ كتّاب العصر، وفضلاءِ المصر، وأكابرِ أعيان الدُّوَل والذى افتخر بوجوده أبنـاء عصره على الأُوَل؛ له من النظم الفائق ما راق صناعةً وحُسنا، ومن النثرِ الرائق ما فاق بلاغةً ومعنى؛ فقصائدُه مدوّنةٌ[٣] مشهوره، ورسائلُه بأيدى الفضلاء ودِفاترهم مسطوره؛ وكلامُه كاد يكون[٤] لأهل هـذه الصناعة وعليهم

---

(١) أسماء : هى بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنهما ؛ وكانت تلقب بذات النطاقين، وأصح الأقوال فى تعليل ذلك اللقب أنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه وهما فى الغار. وقيل لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخرى عصاما لقربته ؛ وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج مع أبى بكر مهاجرين صنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت أسماء من نطاقها وأوكت به الجراب فلذلك كانت تسمى ذات النطاقين (تاج العروس) وتوفيت أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال، وكان قتله يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٨ ص ١٨٦ طبع ليدن .

(٢) هاتان العبارتان لم تردا فى (أ) وقد أثبتناهما عن (ج) .

(٣) فى (أ) : "مبينة" .

(٤) كذا فى (ج) والذى فى (أ) «كاد أن يكون» بزيادة «أن» والذى اخترناه هو الأكثر فى خبر « كاد » فإن اقتران خبرها «بأن» قليل ؛ بل نص بعضهم على أن ذلك مخصوص بالشعر ؛ ومنه قول الشاعر :

* كادت النفس أن تفيض عليه * الخ البيت .

حجّه ، وطريقُه فى البـلاغة أسهل طريق وفى الفصاحة أوضحُ محَجّه ؛ وهو رحمه الله ممن عاصرتُه(١) ولسـوء الحظ لم أشاهدْ محيّاه الوسيم ، ولم أفُز بالنظر إلى طلاقة وجهه الكريم ؛ والذى أُورده من كلامه هو ممّـا نقلتُـه من خطّه ، وتلقَّيتُه ممّن سمعه من لفظِه؛ فمن كلامه — رحمة الله عليه — ما كتبه عن السلطان الملكِ الظاهرِ ركنِ الدين بيبرس الصالحىّ — رحمه الله — إلى ملك الغرب، كتب :

تحيّاتُ الله التى تَتابَع وفودها وتَتوالَى، وتشرق نجومُها وتَتلالا ، وتنفق إسرافا ولا تخاف من ذى العرش إقلالا ؛ تخصّ ٱلحضرةَ السنيّةَ السَّريّه ، العالميّةَ العاداتيّـةَ المستنصريّه ؛ ذخيرةَ أمـيرِ المؤمنين، وعصمةَ ٱلدنيـا والدين، وعُدّةَ الموحّدين ؛ لا زالت سماؤها بالعـدل مُغدِقةَ الأنواء مُشرِقةَ الأنوار، ورياضُها بالفضـل مُورِقةَ الأغصان مُونِقةَ الثّمار؛ ولا برحتْ ضَوالُّ الأمانى فى أبوابها تُنشَد، وقصائدُ القُصود(٢) فى اتصافها تُنشَد، وسُرى الآمال عند صباح أمرها يُحمد، وأحاديثُ الكرم عن جودها تُرسَل والى وجودها تُسنَد، وسلامُه الذى يكاثرُ نسيمَ الروضِ الأنيق ، ويفاخر جديدُه عتيقَ(٣) ٱلمسك وأين الجديد من العتيق ؛ يغادِيان تلك الأنداءَ(٤) المباركةَ مُغاداةَ الغوادى

(١) فى (أ) : «عاجزته» بالجيم والزاى؛ وهو تحريف .

(٢) القصود : جمع قصد؛ وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء ، وانما جمع القصد مع أنه مصدر — والمصدر لا يثنى ولا يجمع — نظرا لاختلاف أنواعه ، ويدل كلامهم على أن جمع المصدر موقوف على السماع، فإن سمع الجمع عللوا باختلاف الأنواع ، وان لم يسمع عللوا بأنه مصدر أى باق على مصدريته وعلى هذا فجمع القصد موقوف على السماع اه ملخصا من المصباح .

(٣) عتيق المسك : قديمه؛ وفى كلا الأصلين : «فتيق» بالفاء. وهو وإن كان صحيح المعنى الا أن مقابلته فى العبارة بالجديد مرتين يرجح ما أثبتنا . وفتيق المسك بالفاء : فعيل بمعنى مفعول، وهو من فتق المسك بغيره : اذا أخرج رائحته بشىء يدخله عليه .

(٤) الأنداء : جمع النادى، وهو القوم المجتمعون؛ وفى حديث أبى سعيد : "كنا أنداء نخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم" .

من وابل المطر[1]، ويراوحانها مُراوَحةَ الرِّقة للأُصُل والبُكَر، حيث العزّة القعساءُ يمتدّ رواقُها، والنعمةُ الغرّاءُ تُخصَفُ[2] أوراقُها، والدِّيمةُ الوَطْفاءُ[3] يتوالى إغداقُها، ويتتالى إغراقُها؛ وحيث العدل منشور الجناح، والحقّ مشهور السلاح، والإنصافُ مبرورُ الأقسام لطالبِه باقٍ لا يزاح؛ سجيّةٌ نتوارث توارُثَ الفخار، ومزيّةٌ تَستأثِر بالهداية آستئثارَ النجوم بالأنوار، وشِيَمٌ تُستصحَب آستصحابَ الأهلّة للإبدار؛ فلذلك يتلفّت الأمل اليها تلفُّتَ السارى الى تبلُّج الصباح، ويرتاح الى تلقّى إحسانها آرتياحَ الظامئ إلى ارتشاف الماء القَراح؛ ويحتمِى بها فى المطالب آحتماءَ الليث بالغابه، ويَستمِدّ إسعافَها آستمدادَ الحديقة من السحابه؛ ويهزّ عَدلها كما هزّ الكمىُّ المُرْهَف، وينبِّه فضلَها تنبيهَ النسيم جفنَ الزهر الأَوْطَف[4]؛ فيناجِى بالجُؤور[5]، ويلتمِسُ لها حسنَ الصنع الذى لا يزال مبتسمَ الثغور؛ فما قصّ عليه من مناجاته، وطَوَى عليه طويّةَ مفاوضاته، أنّ القاضىَ زينَ الدين بنَ حَباسةَ من بيتٍ أسلَف سلفُه جميلا، وغدا هو على مكارمه دليلا، وكان له غلام قد سيّر معه جملةً[6]... والآحتفالُ الحفىُّ[7] مسئولٌ

(١) لعله : «بوابل» فإن السياق يقتضى الباء .

(٢) تخصف أوراقها : أى تتصل أجزاؤها اتصالا لا انقطاع فيه ، وخصف الورق : هو أن يوصل بعضه ببعض للاستتار به .

(٣) الوطفاء من السحب : المسترخية لكثرة مائها ؛ أو هى الدائمة السح الحثيثة .

(٤) الأوطف : المسترخى . والمصدر الوطف بالتحريك ؛ يريد تشبيه الزهر فى سكونه بالجفن الذى غشيته سنة من الكرى فاسترخى .

(٥) فى كلتا النسختين : « بالأجور » بتقديم الهمزة ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . والجؤور : جمع (جأر) بسكون الهمزة مصدر جأر يجأر : اذا دعا وتضرع ؛ وانما جمع المصدر هنا نظرا لاختلاف أنواعه ؛ وقد سبق الكلام فى جمع المصدر فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا السفر

(٦) كذا وردت هذه العبارة فى كلا الأصلين ؛ وهى غير واضحة المعنى ، والظاهر أن لها بقية تتم معناها سقطت من الأصول التى بين أيدينا ؛ ولم نقف عليها فيما راجعناه من المظان .

(٧) الحفىّ بتشديد الياء : المبالغ فى البر والإكرام . وفى (ج) «الخفى» بالخاء المعجمة ؛ وهو تصحيف .

فى تقدّمٍ يجيب النجاحُ داعِيَه، و يغدو الفلاحُ مُراوِحَه ومُغادِيَه؛ وٱعتناءٍ يستخلص حقَّه ممن عليه ٱعتَدَى، و يَرَى مِن قبسِـه نورا يجد به هدى؛ فببارقةٍ يضىء لديه الحالك، و بلمحةٍ يهتدِى "بحيث ٱهتـدت أمُّ النجوم الشوابك"[١]؛ وما هو إلا رسمٌ يرسم به وقد قرب البعيد، وآب الشريد، وخاف الخائف، وكَفَّ الجانف[٢]؛ و جُمِعت الضَّوالّ، وضاق على ٱلمختزِل[٣] واسعُ المجَال؛ مَهابة قد سكنت القلوب، وسياسة قوِىَ الطالبُ بها وضعف المطلوب، وعزّة لا يزال الرجاء يُنيب إليهـا فيما ينوب؛ وأىُّ مطلب تُناجَى فيه الآلاءُ المباركةُ فلا يُصحِب قيادُه، و يُستسـقَى له مُزْنٌ ولا تُعاهَد عِهادُه[٤]؛ وأىُّ ذاهبٍ لا يُسترجَع به ولو أنه عشيّاتُ الحمى[٥]، وأىُّ فائتٍ لا يُرَدّ ولو أنه زمن الشبيبة المعسولُ اللَّمى؛ وحسبُ العانى أن يحطّ برحابها رحالَه، أو أن يوفد إلى (٢) أبوابها آمالَه؛ وقد تبادرتْ إليه المَناجحُ متسابقه، وٱنتظمتْ لديه ٱلمصالح متناسقه؛ فحينئـذ يُفعَم إناءُ تأميلِه، و يَستوعِب الإحسان لجملة[٦] قصده وتفصـيلِه؛ ويناديه

(١) الشوابك : من شبكت النجوم اذا دخل بعضها فى بعض واختلطت، وكذلك اشتبكت وتشابكت. وأم النجوم : المجرّة وهذا عجز بيت لتأبط شرا، وصدره : «يرى الوحشة الأنس الأنيس و يهتدى» بحيث اهتدت الخ انظر ديوان الحماسة. ومعنى الشطر الثانى من هذا البيت أنه يستغنى عن الدليل فى أسفاره كما تستغنى المجرّة؛ والعرب تقول : هو أهدى من النجم.

(٢) الجانف، من الجنف بفتح الجيم والنون : وهو الميل والجور.

(٣) المختزل : الخائن؛ يقال : اختزل الوديعة : إذا خان فيها. والاختزال فى الأصل : الاقتطاع.

(٤) تعاهد بالبناء للمجهول، من المعاهدة : وهى المعاقدة والمحالفـة. والعهاد، جمع عهد : وهو المطر بعد المطر؛ أو هو أول مطر الوسمىّ.

(٥) يشير بهذه العبارة الى قول الصمة بن عبد الله بن طفيل القشيرى :

وليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا

ديوان الحماسة (باب النسيب).

(٦) هذه اللام ساقطة من كلا الأصلين؛ وقد أثبتناها ليصح الإعراب بالكسر فى قوله : «وتفصيله»؛ كما هو مقتضى السجع الذى التزمه الكاتب فى رسالته.

السعد من تلك البقعة المباركه ، فيوافيه التوفيقُ بصحائف القبول تحملُها الملائكه ؛ أمتع الله ببركاتها التى آمتدّ رواقُها ، وأنار آلحالكَ إشراقُها ؛ ولا زالت يراوحها تسليمٌ عَطِرُ النفحه ، وتصافحها تحيّاتٌ جميلة الصفحه ؛ بمنّه وكرمه .

وكتب رسالة صَيديّة عن(١) السلطان الملكِ الظاهرِ إلى الأمير عز الدين الحلّى(٢) نائبِ السلطنة بالقلعة :

هذه المكاتَبة إلى المجلس لا توارت شُموسُ أنسِه ، ولا أُذبِلتْ ثمارُ غرسِه ولا برح غدُه فى السعد مُرْبيا على يومه ويومُه على أمسِه ؛ تتضمّن إعلامَه بأنا خرجنا إلى الصيد المبارك بجنود تملأ السهل والجبل ، وتستحيي الشمس منها فتستتر فى سحابها من كثرة الخجل ؛ تَسير على الأرض منها جبال ، وتأوِى الرمال منها الى أورَف ظلال ؛ وتوجّهنا إلى جهة الطّرّانة(٣) وإذا بحشود(٤) الوحوش قد توافدتْ ، وعلى مناهل المناهج قد تواردتْ ؛ والأجلُ يسوقُهم ، والبِيدُ تعقّهم(٥) ، والمنايا تَعوقُهم ؛

(١) فى (أ) : «إلى» ؛ وهو غير مستقيم .

(٢) هو عز الدين أيدمر بن عبد الله الحلى الصالحى النجمى ؛ كان من أكابر الأمراء وأحظاهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر بيبرس ، وكان يستنيبه فى غيبته ؛ وكانت وفاته فى سنة سبع وستين وستمائة تاريخ العينى المسمى بعقد الجمان المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ والنجوم الزاهرة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

(٣) الطرّانة مشدّدة الراء : اسم لوادى هبيب ، وهى كورة من حوف رمسيس ، وتعرف ببرية شهاب ، وبرية الأسقط ، وميزان القلوب ، وبها قبر أبى معاذ الكبير (مستدرك التاج) .

(٤) الحشود : الجموع ، وهو جمع حشد بفتح الحاء وسكون الشين .

(٥) تعقهم : أى تنبو بهم ، وتتجافى عنهم .

ولم تزل أيدى الخيل تجمعهم فى صعيد، وتَطوى بهم سطورا فى طروس البِيد، حتى أحاطت بهم إحاطةَ الفَلَك بالنجوم الزواهر، والأجفانِ بالعيون النواظر، وجُرِّدَتْ السيوف فظنّتها غُدُرا، ورُميتْ النبال فحسِبَتْها شَرَرا، وعُزِلَتْ[1] الرماحُ بالسهام وحيّتها السِّلام[2] بالسَّلام، وسَكنتْ نهارا من العَجاج فى ظلام، وضاقت عليها الأرض بما رَحُبتْ، وأَدركتْ المنيّةُ منها ما طَلبتْ، وراسلتْها المنايا، وأهدت اليها رياحينَ تحايا، فمن صريعٍ وصديعٍ وطريحٍ وطريد، وجريحٍ ومقبِلٍ وشريد، وقائمٍ وحصيد، ولم تَسلم فى هذا اليوم غيرُ غزالة السماء فإنها استترت بالغيوم، وخافت أن يكون الهلال قد نُصِب فخّا لصيدها وصيد غيرها من النجوم، والموتُ[3] أَسَرَ كلَّ مَهاةٍ مَهابَه، ونال الحتف من كل طَلًا[4] طِلابَه، وفتكت الظُّبا بالظِّبى، وقالت السهام لِأجيادها: مَرحبا، وثَنَينا الأعنّة والشفار قد أُنهِلتْ، والظهورُ قد أُثقِلتْ، والكُنُسُ[5] خاوية على عروشها، والبِيدُ قد أَوحشتْ من وحوشها، وما نشتمل عليه من محبّة المجلس وإيثارِه، ونَجِده من الوحشة له مع دنوِّ دارِه، وسرورُه بما عساه لنا يتجدّد، وحبورُه بما يَرِد من جهتنا وهذا لا نشكّ فيه ولا نتردّد، أَوجب أن نخصّه به ونُتحِفَه، ونصِفَه له على جليّته إذ كنّا بالتخصيص به لن ننصفَه، وقد بعثْنا إليه منه قِسما، ولم نَنسَ عند ذكرِنا أنفسَنا له آسما.

---

(١) لعله: «وعززت» بالبناء للمجهول من التعزيز: وهو التقوية والإعانة. أو لعل المراد بقوله: «وعزلت الرماح» الخ: أن العمل فى الصيد كان بالسهام دون الرماح فشبه ترك العمل بها بالعزل.

(٢) السلام: الحجارة، واحده سلمة بكسر اللام.

(٣) فى كلا الأصلين: «وللوقت»؛ وهو تحريف.

(٤) الطلا بالفتح: من أولاد الوحش من حين يولد الى أن يتشدد.

(٥) الكنس: جمع كناس بكسر الكاف، وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تكتنّ فيه من الحر. وفى كلا الأصلين: «والكناس» بصيغة المفرد؛ وما أثبتناه هو مقتضى السياق.

⁂

وكتب عن السلطان الملكِ المنصورِ سيفِ الدين قلاوون

إلى صاحب اليمن جوابَ كتابٍ عزّى فيــه السلطانَ عن ولدِه الملكِ الصالح علاءِ الدّين علىّ[(١)] — وكان الكتابُ الذى ورد فى ورق أزرق ، وسيّره فى كيس اطلسَ أزرق، والعادةُ أن يكون فى كيس أطلسَ أصفر — :

أعزّ الله نُصرتَه وأحسن بتسليته الصبرَ على كل فادح، والأجرَ على كلّ مصاب قَرَح القــرائح، وجرح الجوارح، وأَوفَد مِن تعازيه كلَّ مسكِّنٍ طاحت[(٢)] به من تلقاءِ صــنعاء اليمن الطوائح، وكتب له جزاءَ المصبِّر عن جارٍ من دمعٍ طافحٍ، على جارٍ لسو يداء القلب صالح[(٣)]، المملوك يخدُم خدمة لا يذُود المواصَلةَ بها حادث، ولا يؤخّرها عن وقتها أمرٌ كارث، ولا تَنقُصها عن تحسينها[(٤)] وترتيبها بواعثُ الاختــلاف ولا اختلافُ البواعث، ويُطلِع العِلمَ الكريمَ على ورود مثالٍ كريم لولا زرقةُ طرسه، وزرقةُ لِبْســه، لقال : "وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"؛ يتضمّن ما كان حدث من رزءٍ تلافاه الله بتَناسيه، وتوافَق هو والصبر فتولّى التسليمُ تبيينَ عاسيه[(٥)]

---

(١) كذا فى كلا الأصلين وتاريخ العينى المعروف بعقد الجمان ؛ والذى فى ابن إياس (ج ١ ص ١١٧) (نور الدين) مكان (علاء الدين) فلعله لقب آخر له . وكانت وفاة الملك الصالح هذا فى سنة سبع وثمانين وستمائة بعد أن مرض بالدوسنطارية الكبدية ؛ وكان أبوه قد عهد اليه فى الأمر من بعده ، وخطب له معه على المنابر فلما مات جعل أبوه الولاية من بعده الى ابنه الملك الأشرف خليــل انظر تاريخ العينى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٢) طاحت به : أى أسرعت به ، وهو مستعار من قولهم : « طاح به فرسه » اذا أسرع به كالسهم .

(٣) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٥٧ . وفى كلا الأصلين : «صائح» ؛ وهو تحريف .

(٤) فى كلا الأصلين : «تحيتها» ؛ وهو تحريف لا يظهر به المعنى .

(٥) العــاسى : الشديد الظلمة ، يقال : عسا الليل : اذا اشتدّت ظلمته ؛ قال فى شرح القاموس : « والغين أعرف » .

وتمرينَ قاسِيه؛ فشكرنا الله على ما أعطى وحمِدناه على ما أَخذ، وما قلنا : هذا جَزعٌ قد آنتبَه إلا وقلنا : هــذا تَثبُّتٌ قد آنتبَذ[١] ، ولا توهمنا أن فِلْذة كبِدٍ قد آختُطِفتْ (٣) إلّا وشاهَدْنا حولنا مِن ذرّيّتنا ــ والحمد لله ــ فِلَذ ؛ وأحسنّا الآحتساب ، ودخلت الملائكة علينا مِن كلّ باب ، ووفّانا آلله أجر الصابرين بغير حساب ؛ ولنا ــ والشكرُ لله ــ صبرٌ جميلٌ لا نأسف معه على فائت ولا نأسَى على مفقود ، وإذا علم الله حُسنَ الآستنامة إلى قضائه والآستكانة إلى عطائه عوّض كلّ يوم ما يقـول المبشِّر به : هــذا مولًى مولود ؛ وليست الإبل بأَغلظَ أكبادا ممن له قلبٌ لا يبالى بالصدمات كثرتْ أو قلّتْ ، ولا بالتباريح حَقُــرتْ أو جلّتْ ، ولا بالأَزَمات إن هى توالتْ أو تولّتْ ، ولا بالجفون إن ألقت ما فيها من الدّموع والهجوع وتخلّتْ ؛ ويَخاف من الدهر من لم يَحلِب أشطُرَه ، ويأسف على الفائت من لا تنتابه الخطوب الخطِرَه ؛ على أن الفادح بموت الولدِ آلملكِ الصــالح ــ رضى الله عنــه ــ وإن كان مُنْكِيا[٢] والنائحَ بشجوِه وإن كان مُبكيا ، والنائجَ[٣] بذلك الأسف وإن كان لنار الأسى مُذكيا ؛ فإن وراء ذلك من تثبيت الله ما ينسفه نسفا ، ومن إلهــامه الصبرَ ما يجدّد لتمزيق القلوب أحسن ما به يُرفا ؛ وبكتاب الله وبسنة نبيّه صلّى الله عليه وسلم عندنا حُسنُ اقتداء نَضرب به عن كلّ رِثاءٍ صفحا ، وما كنّا مع الله ــ والمنّة لله ــ نُعطِى لمن يؤنِّب ويؤبِّن[٤] أذنا ولا نُعيرها لمن يَلْحَى ؛ إذ الولد الذاهب مَرّ فى رضوان الله تعالى سالكا

(١) انتبذ : أى ترك الحزن والجزع ؛ من النبذ وهو الطرح والرمى .

(٢) كذا فى كلا الأصلين ؛ ولم نجد فيا لدينا من كتب اللغة أنه يقال : «أنكاه» من «نكأ» المهموز ولا «أنكاه» من «نكى» المعتل اللام ؛ والظاهر أن الكاتب أراد المجانســة بين قوله : «منكيا» وقوله بعده : «مبكيا» . ونكأ الجرح بالهمز : أى قرفه وقشره . وهو هنا على الاستعارة .

(٣) النائج بالجيم : الصائح ؛ يقال : نأج ينأج : إذا صاح .

(٤) أبنه : أثنى عليه بعد موته .

طريقا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتا(١)، وانتقل سارّا بارّا صالحا وما هكذا كُلُّ الموتى نعيا ولا نعتا ؛ وان كان نفَعنا(٢) فى الدنيا فها نحن بالصدقات والترحُّم عليه ننفعُه، وان كان الولدُ عملَ أبيه — وقد رَفَع الله روحَ ولدنا فى أعلى علّيّين تحقّق أنه العملُ الصالح «والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» ؛ وفيما نحن بصدده من اشتغال بالحروب، [ما](٣) يُهوّن ما يَهُول من الكروب؛ وفيما نحن عاكفون عليه من مكافحات الأعداء [ما](٣) بين المرء و بين قلبه يَحُول، ومُلهٍ عن تخيّل أسف فى الخاطر يجُول

اذا اعتاد الفتى خَوضَ المنايا * فأهْوَن ما يمــرّ به الوُحولُ(٤)

ولنا بحمد الله ذرّيةٌ دَرّيه(٥)، وعقودٌ والشكر لله كلُّها دُرّيه

اذا سيّدٌ منهم خلا قام سيّدٌ * قَؤولٌ لما قال الكرام فعولُ(٦)

---

(١) الأمت : ما ارتفع من الأرض؛ وقوله : «لا عوج فيها ولا أمتا» أى لا انخفاض فيها ولا ارتفاع (اللسان) .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٣٠٨ . والذى فى كلا الأصلين : «نفعه» بالهاء .

(٣) هاتان الكلمتان لم تردا فى كلا الأصلين؛ وقد أثبتناهما عن صبح الأعشى اذ لايستقيم الكلام بدونهما .

(٤) الوحول بالحاء المهملة، جمع وحل بسكون الحاء : كفلس وفلوس؛ وأما بالتحريك فجمعه أوحال كما فى المصباح؛ والوحل بالتسكين لغة رديئة كما ذكره الجوهرى والصاغانى، واقتصرا على ذكر الوحل بالتحريك (التاج) وفى (ج) "الوجول" بالجيم، وهو تصحيف؛ والبيت لأبى الطيّب المتنبى .

(٥) درية بفتح الدال وتشديد الراء : نسبة الى الدر، وهو اللبن . والمراد بهذه الكلمة ما يلزمها من معنى الانتساب ومشابهة الذرية لابيها وأمها فى الأخلاق والصفات .

(٦) البيت للسموءل بن عادياء من قصيدته المشهورة؛ وفى بيت السموءل : «منا» فغيرها الكاتب بقوله : «منهم» تبعا لسياق الكلام .

ما منهم الا من نظَرَ سعدَه ومَن سـعدُه يُنتظَر، ومن يحسن أن يكون المبتـدا وأن تسدّ حالُه بكَفالتِه وكِفايتِه مَسَـدّ الخبر (١) « والشمسُ طالعـةٌ إن غُيِّبَ القمر » لا سيّما مَن الدينُ به إذ هو صـلاحُه أَعرَف ، ومَن إذا قيـل لبنـاء ملكٍ هذا عليـه قد وَهَى قيـل : هذا خيرٌ منه مِن أعلى بناءِ سـعدٍ أَشرَف (٢) ؛ وعلى كلّ حال لا عُدِم إحسانُ المولى الذى يَتنوّع فى بِرّه ، ويعاجِل قضـاءَ الحقوق فتساعِف مَرسومَه فى توصـيله طاعةُ بحرِه وبَرّه ؛ وله الشـكرُ على مساهمة المولى فى الفرح والترح ، ومشاركتِه فى الهناء إذا سَـنَح ، وفى الدمع اذا سَـفَح ؛ وما مِثلُ مكارم المولى من يَعزُب مِثـلُ ذلك عن علمِها ، ولا يُعـزَى الى غير حُكمِها وحلمِها ؛ وهو — أعزه الله — ذو التجارب التى مَخَضتْ له من هذه وهذه الزُّبده ، وعَرَضتْ عليه منهما الهَضْبةَ والوَهده ؛ والرغبةُ الى الله تعالى فى أن يجعل تلك المصيبة للرزايا خاتمـه وكما لم يجعلها للظهور قاصمـة فلا يجعلها لعرا الشـكر فاصمه (٣) ، وان يجعلها بعـد حَملِ هذا الهمّ وفِصالِه على عليّه فاطمه ، وأن يحبّب الينا كلَّ ما يلهى عن الأموال والأولاد من غزوٍ وجهاد ، وأن يجعلنا ليس يُجـدّ لدينا على مفقود تأدبا مـع الله غيرُ السيوف فإنها تُعرَف بالحِداد ، وألّا تُقصَف رماحُنا إلا فى فَودٍ أو فى فؤاد ، ولا تُحوّل

(١) يشير بهذه العبارة الى ما ذكره النحاة من وجوب حذف الخبر وسدّ الحال مسدّه ، وذلك اذا كان المبتدا مصـدرا بعده حال لا تصلح ان تكون خبرا كقولك : ضربى العبـد مسيئا ؛ انظر تفصـيل ذلك فى كتب القواعد والمعنى أن معاينة صفاته الكريمة تغنى عن الإخبار بها .

(٢) أشرف على الشىء : أى أطل عليه . وقوله : « من أعلى » متعلق به ، وفى هذا اللفظ تورية عن الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وكان أبوه قد عهد اليه بالملك بعد وفاة أخيه الملك الصالح علىّ المتقـدّم ذكره ؛ وجلس على سرير الملك يوم الأحد سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة بعد وفاة أبيه قلاوون ؛ والملك الأشرف هو الثامن من ملوك الترك على الديار المصرية (تاريخ ابن إياس) ج ١ ص ١١٩ ، ١٢١ .

(٣) فى (أ) : « فاحمه » ؛ وهو تحريف .

سروجُ خيلنا مِن ظهر جوادٍ فى السَّرايا إلّا إلى ظهر جواد ، وألا تُشَقَّ لدينا إلا أكباد أكّاد(١) ، ولا تُجَزَّ(٢) غيرُ شعور ملوك التتار تُتوَّج(٣) بها رءوسُ الرماح ويُصعَد بها على قِمَمِ الصِّعاد(٤) ، والله يشكر للمولى سعىَ مَراثيه التى لولا لطف الله بما صبّرنا(٥) به لأقامت الجنائز ، وٱستخفّت(٦) النحائز ، ولَهَوْت بالنفوس فى ٱستعمال الجائز من الأسف وغيرِ الجائز ، ولا شغل الله لبَّ المولى [بفادحه] ، ولا خاطِرَه بسانحة من الحزن ولا بارحه ولا أَسمعه بغير المَسرّات من هواتف الإبهاج صادحه ؛ بمنّه وكرمه .

ومن إنشائه رحمه الله تقليدُ السلطان الملكِ الأشرفِ صلاح الدين خليل بولاية عهد السلطنة من أبيه السلطان الملكِ المنصور — سقى الله عهدهما صوب الرحمة — وهو :

الحمد لله الذى لم يزل له السمعُ(٧) والطاعةُ فيما أمر ، والرضا والشكرُ فيما هَدَم من الأعمار وما عَمَر ، والتفويضُ فى التعويضِ(٨) إن غابت الشمس وبقى القمر

(١) أراد بالأكّاد : الجاحدين ؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة ، كما أننا لم نجد فى كتب القواعد مايسوّغه ؛ فإن صيغة أفعال مطردة فى جمع الأسماء الثلاثية دون الصفات ، وأما غير ذلك فسماعى . ولعل الكاتب أراد المجانسة بين «أكباد» و «أكّاد» .

(٢) فى كلا الأصلين : «تجر» بالراء المهملة ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى إحدى النسختين : (تنوح) وفى الأخرى : «تنوح» وهو تصحيف فى كلتيهما .

(٤) الصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة التى تنبت مستوية فلا تحتاج الى تثقيف .

(٥) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ؛ والذى فى (أ) "بها ميزنا" ؛ وهو تحريف لا يتضح به المعنى .

(٦) فى كلتا النسختين : «واستحقت» ؛ وهو تصحيف . والنحائز : جمع نحيزة وهى الطبيعة ، يريد هنا : طبيعة الصبر والاحتمال .

(٧) كذا فى (ج) وصبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٦ ؛ والذى فى (أ) : «الحمد» مكان «السمع» .

(٨) فى كلتا النسختين : «فى التفويض» بالفاء ؛ وهو تحريف .

نحمده على أن جعل سلطاننا ثابتَ الاركان ، نابتَ الأغصان ، كلّ روضة من رياضه ذات أفنان ، لا تُزعزعه ريحٌ عقيم (١) ، ولا يُحرجه رزءٌ عظيم عن الرضا والتسليم، ولا يُعتبَط (٢) من جملته كريم إلا ويُغتبَط من أُسرته بكريم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيد قائلَها لله تفويضا ، وتُجزِل له تعويضا وتُحسن (٣) له على الصبر الجميل فى كل خطبٍ جليلٍ تحريضا ؛ ونشهد أن محمدا عبدُه الذى أنزل فى التسلية به : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » والنبيُّ الذى أوضح الله به المناهج وبيّن السُّبُل ، صلى الله عليه وعلى آله ما تجاوبت المحابرُ والمنابرُ فى (٤) البُكَر والأُصُل ، وما بُدِّدت عقود ونُظِّمت ، ونُسِخت آياتٌ وأُحكمت ونُقِضت أمور وأُبرِمت ، وما عَزَمت (٥) آراءٌ فتوكّلتْ وتوكلت فعزَمتَ ؛ ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من كان للخليقة نعم الخليفة، ومنهم من لم يُدرِك أحدٌ فى تسويد النفس الحَصِيفة (٦) ولا فى تبييض الصحيفة مُدَّه ولا نَصِيفه (٧)، ومنهم من يسرّه الله

---

(١) الريح العقيم : هى غير اللاقح ، أى لا تأتى بمطر انما هى ريح الإهلاك ، كما قاله أبو اسحاق الزجاج . وقيل : لا تلقح الشجر ولا تنشئ سحابا ، عادلوا بها ضدها وهو قولهم : ريح لاقح : أى أنها تلقح الشجر وتنشئ السحاب .

(٢) اعتبط الموت فلانا : أخذه شابا صحيحا من غير علة ، كأعبطه .

(٣) فى احدى النسختين : «عن» ؛ وفى الأخرى : «عز» ؛ وهو تحريف فى كلتيهما .

(٤) فى كلتا النسختين : «والبكر» بالواو مكان «فى» ؛ وهو تحريف .

(٥) يقال : عزم الرأى بالبناء للفاعل : أى عزم عليه ، وهو من قبيل القلب للمبالغة ، كما يقولون : هلك الرجل ، وإنما هو أهلك بالبناء للمجهول ؛ ويدل على أن للفعل هنا مبنىّ للفاعل قوله : «فتوكلت» بالبناء للفاعل أيضا وفى قوله «توكلت» إسناد مجازىّ وهو المسمى بالمجاز العقلىّ .

(٦) يقال : حصف الرجل وزان «كرم» حصافة فهو حصيف : اذا كان جيد الرأى محكم العقل .

(٧) أشار بهذه العبارة الى قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا أصحابى فإن أحدكم لو أنفق ما فى الأرض جميعا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه" ؛ والنصيف كأمير : نصف الشىء ، كالعشير والثمين فى العشر والثمن . قال فى التاج : «ومنه الحديث» وأورد الحديث السابق .

لتجهيز جيش العُسرة[1] فعرف اللهُ ورسولُه معروفَه، ومنهم من عمل صالحا أرضى ربه فأصلح فى ذريّته الشريفه؛ وبعد، فإن من الطاف الله بعبادِه، واكتنافِ عواطفِه ببلادِه[2]، أن جعلنا كلّما وَهَى للملك ركنٌ شديدٌ شيّدنا ركنا عِوضَه، وكلّما اعترضت للمقادير جملةٌ بَدّلنا آيةً مكانَ آيةٍ وتناسينا تجلُّدا تلك الجملةَ المعترضه؛ فلم نُحوِج اليومَ لأمسِه وإن كان حميدا، ولا الغارسَ لغرسِه وإن كان ثمره يانعا وظلُّه مديدا؛ فأطلعْنا فى أفق السلطنة كوكبَ سعدٍ[3] كان لحُسن الاستخلاف مُعَدّا، ومَن لِقبيل المسلمين خيرٌ ثوابا وخيرٌ مَرَدّا، ومَن يبشّر الله به الأولياءَ المتقين ويُنذر به من الأعداء قوما لُدّا، ومن لَم يَبقَ [إلّا به][4] أنسُنا بَعد ذهاب الذين نحبّهم [وبقِيَ][5] كالسيف

(١) جيش العسرة: هو الجيش الذى سار به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك. قال ابن عرفة: سمى بذلك لأنهم ندبوا اليها فى حمارّة القيظ فعسر ذلك عليهم وغلظ، وكان إبان إيناع الثمرة الخ (تاج العروس) وكان عدد ذلك الجيش ثلاثين ألفا؛ وكان ممن جهز هذا الجيش عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فانه أنفق عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وخمسين فرسا؛ وجاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه بكل ماله، وغيرهما من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجد بتبوك جيش الروم الذى أراد قتاله. انظر تفصيل ذلك فى كتب السيرة؛ وتبوك: موضع بين وادى القرى والشام.

(٢) كذا فى كلا الأصلين؛ ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة تعدية «اكتنف» بالباء؛ والذى وقفنا عليه انه يقال «اكتنفه» بلا واسطة حرف؛ ولعله ضمنه معنى الإحاطة؛ فسوّغ له هذا التضمين تعديته بهذا الحرف؛ أو لعله: «لبلاده» باللام.

(٣) إلى هنا انتهى ما وجد من النسخة المشار اليها ب (ج).

(٤) هذه العبارة ساقطة من الأصل. وقد أثبتناها عن صبح الأعشى (ج ١٠ ص ١٦٧) إذ لايستقيم الكلام بدونها.

(٥) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الأعشى؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها؛ فإنه يشير بها الى قول عمرو بن معديكرب الزبيدىّ:

ذهب الذين نحبهم * وبقيت مثل السيف فردا

كما فى ديوان الحماسة؛ وفاعل «بقى» ضمير يعود على «من».

فَرْدا، والذى ما أَمضَى حَدَّه [فى](١) ضَريبــة إلا قَدّ البِيضَ(٢) والأبدانَ قَدّا، ولا جَهز(٣) رايةَ كَتيبةٍ إلا

أَغنَى(٤) غَنـاءَ الذاهبِين * وعُدّ(٥) للأعداء عَدّا

ولا بعَثه جزَعٌ فقال : « كم من أخٍ لى صالحٍ » إلا لقِيَــه وَرعٌ فقال : « وخُلقتُ يوم خُلِقتُ جَلْدا »(٦) ؛ وهو الذى بقواعد السلطنة الأَدرَى وقوانينِها الأعرَف، وعلى الأولياء الأعطَف و بالرعايا الأرأف ، والذى ما قيل لِبناءِ مُلكٍ : هذا عليه قد وَهَى إلا وقيل : هذا بناءٌ مِثلُه منه أسمى مُلكًا وأشرَف ، والذى ما برِح النصرُ يُتنسّم مِن مَهابّ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل وصبح الأعشى ؛ والسياق يقتضى إثباتها . والضريبة : ما ضربته بالسيف ، و إنما دخلته التاء وان كان بمعنى مفعول لأنه صار فى عداد الأسماء .

(٢) البيض بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى من الحديد ما يلبس على الرأس فى الحرب ، وقيل لهـا البيضة تشبيها لهـا ببيضة النعام . قاله أبو عبيدة فى كتاب الدروع ، وقال : البيضة اسم جامع لمـا فيها من الأسماء والصفات التى من غير لفظها ، ولها قبائل وصفائح كقبائل الرأس تجمع أطراف بعضها الى بعض بمسامير يشد بها طرفى كل قبيلتين ؛ قال : ور بما لم تكن من قبائل وكانت مصمتة مسبوكة من صفيحة واحدة فيقال لها : صماء .

(٣) فى الأصل : «جهر» بالراء ؛ وهو تصحيف .

(٤) البيت لعمرو بن معديكرب من القصيدة التى سبقت الإشارة اليها فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١١٣ من هــذا السفر و روايته فى ديوان الحماسة : «أغنى » بضم الهمزة وكسر النون مسندا الى ضمير المتكلم ، وانمـا أسند هنا الى ضمير الغائب تبعا لسياق الكلام .

(٥) روايته فى الحماسة : « أعد » بضم الهمزة والدال المشددة وفتح العين مسندا الى ضمير المتكلم وأسنده الكاتب هنا الى ضمير الغائب لمـا قدمنا فى الحاشية التى قبل هذه . و يريد بقوله : «وعد للأعداء» الخ أن الأعداء يقولون فيه : خذوا فلانا فإنه يعدّ بألف انظر شرح التبريزى على ديوان الحماســة (ج ١ ص ٩٣) طبع بولاق عند شرحه لهذا البيت .

(٦) هذان الشطران من القصيدة التى سبقت الاشارة اليها فى الحاشيتين رقم ٤ ، ٥ من هذه الصفحة لعمرو بن معد يكرب ، أولها صدر بيت ، والثانى عجز بيت آخر ؛ والبيتان هما :

كم من أخ لى صالح * بوّأته بيــــدىّ لحـــدا

ألبستـــه أثـــوابــه * وخلقت يوم خلقت جلدا

تأميله والفلاح ، ويتبسّم ثغرُه فتتوسّم الثغور من تبسُّمه النجاح ، وينقسم نُورُه على البسيطة فلا مصرَ من الأمصار إلا وهو يَشرئبّ الى ملاحظة جبينِ عهده الوضّاح ويتّفق آشتقاقُ النعوتِ فيقول التسلّي للتملّي سواءٌ الصالح والصلاح ؛ والذى ما بَرِح لِشعار السلطنة الى توقّله (١) وتَنقُّله أَتمُّ حنين ، وكأنّما كوشفت الإمامةُ العبّاسيّةُ بشرف مسمّاه فيما تقدّم مِن زمن مَن سَلَف مِن حِين (٢) ، فسمّتْ ووَسَمتْ بآسمِه أَكابرَ الملوك [وأَخايِرَ السلاطين] (٣) فخوطب كلٌّ منهم مجازا لا كهذه الحقيقة بـ«خليل» أميرالمؤمنين ؛ والذى كم جلا بهاءُ جبينه مِن بهيم ، وكم غدا المُلكُ بحُسن رأيه (٤) ويمنِ آرائه يَهيم وكم أبرأ مَوردُه العذبُ هيمَ عِطاشٍ ولا يُنكَرالخليل اذا قيل عنه : إنه إبراهيم (٥) ؛ ومن تَشخص الأبصارُ لِكماله يوم ركوبه حَسيره ، وتُلقِي البنانُ سلاحَها ذَهْلا وهى لا تَدرِى لكثرة الإيماء إلى جلاله إذا يبدو مَسيرَه ؛ والذى ألهم الله الأمّةَ بجوده ووجوده صبرا جميلا ، وآتاهم من نَفاسة كرمه وحراسةِ سيفه وقلمه تأمينا وتأميلا ، وعَظُم فى القلوب والعيون ، بما مِن بِرِّه سيكون ، فسمّته الأُبوّة الشريفة ولدا (٦) وسمّاه الله : خليلا ؛ ولمّا تحتّم من تفويض أمرِ المُلكِ اليه ما كان الى

(١) توقل فلان فى مصاعد الشرف : اذا صعد فيها ، وهو مستعار من التوقل فى الجبل : أى التصعيد فيه .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « من زمن سلف ومن حين » ؛ والمعنى يستقيم بها أيضا .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ؛ وأخاير : جمع أخير ، وهذه لغة بنى عامر ؛ يقولون : هذا أخير من هذا وأشرمنه بالألف فيهما ؛ وسائر العرب تسقطها منهما فتقول : هذا خير من هذا وشر منه (المصباح) .

(٤) الرأى هنا بمعنى المرآى والمنظر ؛ فلا تكرار بينه وبين قوله بعد : «آرائه» ، والذى فى صبح الأعشى : « روائه » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ والرواء : حسن المنظر .

(٥) إبراهيم : أى إبراء هيم ؛ والإبراء من البرء : وهو الشفاء . والهيم بكسر الهاء : العطاش ؛ ولا يخفى ما فى قوله : « إبراهيم » من التورية .

(٦) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨ ؛ والذى فى الأصل : « أبا » ؛ وهو غير مستقيم .

وقته المعلوم قد تأخر، وتُحُيِّنَ[١] حِينُه فَكَمَل بزيادة[٢] كزيادة الهلال حين بادر تمامه فأبدر؛ اقتضى حُسنُ المناسبة لنصائح الجمهور، والمُراقبـةِ لمصالح الأمور، والمُصاقَبـةِ[٣] لمَناجح البلاد والثغور، والمقاربة[٤] من فواتح كل أمرٍ ميسور؛ أن نفوِّض اليـه ولاية العهد الشريف بالسـلطنة الشريفة المعظَّمه، المكرّمة المفخّمة المنظّمه؛ وأن تُبسَـط يدُه المنيفـةُ لمصافحتهـا بالعهود، وتحكيمِها فى العساكر والجنود، وفى البحور والثغور وفى التَّهائم والنجود؛ وأن يُعْقَدَ بسيفها وقلمها كلُّ قطع ووصْل، وكلُّ فرعٍ وأصل وكلُّ نصر ونصْـل؛ وكلُّ ما يَحمى سرحا، ويَهمى مَنحا، وفى المُثيرات فى الإعداء[٥]
(٥) على الأَعداء نَقْعا وفى المُغيرات صـبحا؛ وفى المنع والإطلاق، وفى الإرفاد[٦] والإرفاق وفى الخميس إذا ساق[٧]، وفى الخُمُس[٨] اذا آنساق، وفى السيوف "إذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ: مَنْ رَاقٍ"، وفى الرماح إذا آلتفّت آلساقُ منهـا بالساق؛ وفى المعاهَدات والهُـدَن

---

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٨؛ والتحين: الانتظار والطلب؛ والذى فى الأصل: «وتحرر»؛ وهو تحريف إذلم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة بالمعنى المناسب لسياق ما هنا.

(٢) عبارة صبح الأعشى: «فكمل زيادة» بدون باء.

(٣) المصاقبة: المقاربة والمواجهة.

(٤) فى الأصل: «والمقارنة» بالنون؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا بقرينة ذكر «من» بعده.

(٥) الإعداء بكسر الهمز: مصدر أعداه اذا حمله على العدو بتخفيف الواو، وهو الجرى.

(٦) الإرفاد بكسر الهمزة: الإعطاء، والاسم الرفد بكسر الراء. والإرفاق بالكسر أيضا: النفع، يقال: أرفق فلان فلانا ورفقه: أى نفعه.

(٧) اذا ساق: أى اذا ساقه، فالمفعول محذوف، وهو ضمير يعود الى «الخميس».

(٨) أراد بالخمس: خمس ما يغنمه الجيش فى الحرب، وهو المذكور فى قوله تعالى فى سورة الأنفال: (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول).

وفى الفداء بما عُرِض من عَرَض وبالبَدَن للبَدَن (١) ، وفيما ظهر من أمور المُلك وما بَطن ، وفى جميع ما تستدعيه بواعثه فى السرّ والعلَن ، وتسترعيه نوافثه (٢) من كَبْت وكَتْب متفرّقين أو فى قَرَن ؛ عهدا مباركةً عُوَذُه (٣) وتمائمه ، وفواتحه وخواتمه ، ومناسمه (٤) ومواسمه ، وشروطه ولوازمه

[على عاتق المَلْك الأغرّ نجادُه (٥) * وفى يد جبّار السموات قائمُه]

لارادّ لحكمه ، ولا ناقضَ لبرمِه (٦) ، ولا داحضَ لما أثبتَتْه الأقلام من مكنون علمه .

ويزيده مَرُّ الليالى جِدّةً (٧) * وتقادُمُ الأيام حُسنَ شبابِ

---

(١) « وبالبدن للبدن » أى أنه متحكم فى الفداء بالأسير لأسير مثله ، كما كانت تلك عادتهم فى تبادل الأسرى ؛ والذى فى الأصل وصبح الأعشى : «بالبدن» بالباء مكان اللام ؛ وهو غير ظاهر ، اذ ليس فيما سبق ما يصح تعليقه به .

(٢) تسترعيه : تستحفظه ، والمراد بالنوافث هنا : الحوافظ ، والنوافث فى الأصل : الرواق جمع نافثة من نفث الراق فى العقدة نفثا وهو دون التفل . والكبت : مصدر كبت عدوّه يكبته : أى ردّه بغيظه وأذله ؛ والظاهر ان المراد بالكبت والكتب فى هذه العبارة : الحرب والكتابة ، إذ هما من أسباب حفظ الملك .

(٣) العوذ بضم العين وفتح الواو ، جمع عوذة بضم العين : وهى الرقية يرقى بها الانسان من فزع أو جنون لأنه يعاذ بها وهى التى تكتب وتعلق على الإنسان من العين ونحوها ، وأصلها : الرقية بما فيه «أعوذ» ثم عمت .

(٤) المناسم جمع منسم بكسر السين ، وهو هنا بمعنى الأثر والعلامة ، يريد أن هذا العهد مباركة آثاره .

(٥) لم يرد هذا البيت فى الأصل ؛ وقد أثبتناه عن صبح الأعشى ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ ؛ وهو من قصيدة لأبى الطيب المتنبى يمدح بها سيف الدولة عند منصرفه من حصن برذويه .

(٦) برم الأمر و إبرامه : إحكامه .

(٧) البيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق و يستعطفه على قومه ، ورواية البيت : « و يزيدها » بضمير المؤنث ، مرادا به القصيدة .

وتَلزَم السـنون والأحقاب ، اِسـتيداعَه حتى[1] الذّرارىّ والأعقاب ؛ فلا سـلطانَ ذا قَدْرٍ وقدره ، وذا أمرٍ وإِمْرَه ؛ ولا نائبَ فى مملكة قربَتْ أو بعدَتْ ، ولا مقدّم جيوشٍ أتهمَتْ أو أنجدتْ ، ولا راعىَ ولا رعيّه ، ولا ذا حكمٍ فى الأمور الشرعيّه ؛ ولا قلمَ إنشاءٍ ولا قلمَ حساب ، ولا ذوى أنسابٍ ولا ذوى أسـباب ؛ إلا وكلٌّ داخلٌ[2] فى قبـول عَقْد هذا العهـد الميمون ، ومتمسّك بمحكَم آيات كتابه المكنون والتسليمِ لنصّه الذى شهدتْه من الملائكةِ الكرامُ الكاتبون ؛ وأمست بَيعتُه بالرضوان محفوفه ، والأعداءُ يدْعُونهـا تضرّعا وخِيفه ، فليشكروا الصنعَ الذى بعـد أن كانت الخلفاء تُسلِطن الملوكَ قد صار سـلطانُهم يقيم لهم من وُلاة العهد خليفةً بَعد خَليفه ؛ وأمّا الوصـايا فأنت يا ولَدَنا المـلكَ الأشرفَ — أعزّك الله — بهـا الدَّرِب ولِسماعِ شدوِها وحدوِها الطَّرِب ، الذى لِلّغوِ لا يضطرب ؛ فعليـك بتقوى الله فإنها مِلاكُ سـدادِك ، وهَلاكُ أضدادِك ؛ وبها يُراش جناحُ نجاحِك ، ويَحسُن اقتـداءُ اقتـداحِك ؛ فاجعلها دفينَ جوانحِ تأمّلِك ووعيِك ، ونُصْبَ عَينَىْ أمرِك ونهيِـك ؛ والشرعِ الشريف فهو قانون الحقّ المتّبَع ، وناموسُ[3] الأمرِ المستَمَع ؛ وعليـه مَدارُ إيعـاءِ كلِّ إيعاز[4] ، وبه يَتمسّك من أشار وآمتاز[5] ، وهو جَنّة والباطلُ نار ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ

(١) كذا فى الأصـل . والذى فى صبح الاعشى : « للذرارى » باللام مكان « حتى » ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) كذا فى صـبح الأعشى ج ١٠ ص ١٦٩ ؛ وفى الأصـل : « واحد » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٣) الناموس : الوحى .

(٤) فى الأصل : « إيعار » بالراء ؛ وهو تصحيف . والإيعاز مصدر أوعز اليـه فى الشىء : أى تقدّم اليه فيه وأشار به .

(٥) فى الأصل : « امتار وامتار » ؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين ؛ والتصويب عن صبح الأعشى .

عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ ؛ فلا تخرج فى كلّ حال عن لوازمه وشروطه ولا تَنْكُب عن معلّقه ومَنُوطِه ؛ والعدل ، فهو مُثَمِّر غروس الأموال ، ومُعمر بيوت الرجاء والرجال ، و به تزكو الأعمار والأعمال ؛ فاجعله جامعَ أطرافِ مَراسيمك ، وأفضلَ أيّام مواسِمك ؛ وسِمْ به فعلَك ، وسَمِّ به فرضَك ونفلَك ؛ ولا تُفرِد به فلانا دون فلان ولا مكانا دون مكان ، وٱقرِنه(١) بالفضل ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ﴾ ؛ وأَحسِن التخويل ، وأَجمِل(٢) التنويل ، وكثِّر لمن حولك التموينَ والتمويل ؛ وضاعِف ٱلخير فى كلِّ مُضافِ لمَقامِك ، ومستضيِف(٣) بإنعامك ، حتى لا تَعدَم فى كلّ مكان وكلّ زمان من النعماء ضيافةَ ٱلخليل(٤) ؛ والثغور ، فهى للمالك مباسِمُها فاجعل نواجذَها تفترّ عن أحسن ثنايا الصَّون ، ومَراشفَها شَنِبةَ(٥) الشِّفاه(٦) بحُسن العَون ؛ ومنْها بما يحمى السَّرْحَ مِنها ، وأَعِنها بما يدفع المَكارهَ عنها ؛ فإنها للنصر مَقاعد ، وبها حفظ البلاد من كلِّ مارٍّ من الأعداء مارد ؛ وأمراء الجيوش ، فهم السُّور الواقى بين يدَىْ كلّ

(١) كذا ضبط هذا الفعل فى اللسان بكسر الراء وضمها . وفى الأصل : «وافرضه» بالضاد ؛ وهو تحريف .

(٢) يقال : أجمل الصنيعة ، أى حسنها وكثرها .

(٣) المستضيف : المستغيث .

(٤) يشير بهذه العبارة الى قصة سيدنا ابراهيم الخليل — صلوات الله عليه — مع ضيوفه من الملائكة ؛ وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم فى غير موضع ، فقال تعالى فى سورة الذاريات : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) الآيات .

(٥) الشنبة بفتح فكسر من الشنب بفتحتين : وهو برد الأسنان كما قاله التبريزى فى شرح ديوان أبى تمام المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٠ أدب ش) عند قول أبى تمام فى قصيدته فى فتح عمورية :

كم نيل تحت سناها من سنا قمر * وتحت عارضها من عارض شنب

والكلام هنا على الاستعارة والتمثيل .

(٦) فى الأصل : «السقاه» بالسين والقاف ؛ وهو تصحيف .

سور ، وما منهم إلّا بطلٌ بالنصر مشهورٌ كما سيفه مشهور ؛ وهم ذخائر الملوك وجواهرُ السلوك ، وأخايرُ الأكابر الذين خَلَصوا من الشكوك ؛ وما منهم إلا من له حُرُماتٌ (١) سلفتْ ، وحقوقٌ عُرِفتْ ، ومَواتٌّ على آستلزام (٢) الرعاية للعهود وُقِفتْ ؛ فكن لجنودِهم (٣) متحبِّبا ، ولمَرابِعِهم مُخْصِبا ، ولمصالِحِهم مرتِّبا ، ولآرائهم مستصوِبا وللأعتضادِ بهم مستصحِبا ، وفى حمدِهم مُطنِبا ، وفى شكرهم مُسهِبا ؛ والأولياءِ المنصوريِّين الذين هم كالأولاد ، ولهم سوابقُ أَمَتٌّ (٤) من سوابق الإيجاد ؛ وهم مَن علمتَ آستكانةٌ (٥) من (٦) قربِنا ، ومكانةٌ من قلبِنا ، وهم المساهِمون فيما ناب ، وما برحوا للدولة الظفرَ والناب ؛ فأَسهِم لكلٍّ منهم من آحترامك نصيبا ، وأَدِمْ (٧) لهم آرتياحَك ، وأَلِنْ (٧) جماحَك وقوِّ بهم سلاحَك ، تَجِدْ منهم ضُروبا ، وتَرَكُلًّا منهم فى أعدائك ضَروبا ؛ وكما أنَّا نوصيك بجيوش الإسلام ، كذلك نوصيك بالجيش الذى له المنشآتُ فى البحر كالأعلام ؛ فهو جيش الأمواه والأمواج ، المضافُ الى الأفواج من جيش الفِجاج ؛ وهو الجيش السُّليمانىُّ فى إسراع السَّير ، وما سُمِّيتْ شَوَانيه (٨) غِربانا إلا ليُجمَع بها لنا

(١) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٠ : «خدمات» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٢٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لحنوهم» ؛ وهو تحريف .

(٤) المراد بالإيجاد : الولادة .

(٥) يريد بالآستكانة هنا : السكون والاطمئنان ؛ وأصل الفعل «استكن» على افتعل من السكون ، فزيدت الألف بعد الكاف فقيل : «استكان» وفى المصباح مادة سكن نقلا عن ابن القطاع : أن ذلك كثير فى كلام العرب ؛ وقال ابن سيده : وأكثر ما جاء إشباع حركة العين فى الشعر ، كقوله : «ينباع من ذفرى غضوب» الخ أى ينبع ، مدت فتحة الباء بألف كما نقل عنه فى اللسان مادة «سكن» .

(٦) لعله «إلى» كما تقتضيه تعدية «استكان» .

(٧) عبارة الاصل : «وألن لهم ارتياحك وأدم جماحك» ؛ وسياق الكلام يقتضى العكس كما أثبتنا .

(٨) الشوانى جمع شونة بفتح الشين : وهى مركب يعدّ للجهاد فى البحر ، لغة مصرية .

(٦) ما آجتمع لسليمان صلى الله عليه وسلم من تسخيرِ الريحِ والطير، وهى من آلديار المصريّة على ثَبَجِ البحر الأَســوار، فإن قَذفَتْ قَذفَت الرعبَ فى قلوب الأعداء و إن أَقلعتْ[(١)] قَلعتْ منهم الآثار، فلا تُخلِه من تجهيز جيشِه، وسكِّن طيشَ البحر بطيشِه، فيُصبحَ لك جيشان كلٌّ منهما ذوكرٍّ وفرّ، هذا فى برٍّ بحرٌ وهذا بحرٍ برّ، و بيوتِ العبـادات فهى التى الى مصلًّى سميِّك خليلِ الله تنتهى محاريبُها، و بهـا لنا ولك وللسلمين سُرَى الدعوات وتأويبُها[(٢)]، فوفِّها نصيبَها المفروضَ غيرَ منقوص، ومُرْ برفعها وذكرِ آسم الله فيها حسب الأمر المنصوص، وأخواتِها من بيوت الأموال الواجداتِ[(٣)] الواجبات من حيث أنها كلَّها بيوتٌ لله هــذه للصَّلاة وهــذه للصلات، وهذه كهذه فى رفع المنار، وجَمْع المباز، واذا كانت تلك مما أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَـا آسْمُه، فهذه تُرفَع ويُذكَرُ فيها آسمه حتى على الدرهم والدينار، فاصرف اليها آجتهادَك فيما يعود [عليها] بالتثمير، كما يعود على تلك بالتنوير، وعلى هــذه بإشْحانها[(٤)] بأنواع الصروف، كإشْحان[(٥)] تلك باستواء الصفوف، فإنهـا إذا أصبحت مصونَه، احتَملَتْ بحمــد الله المعونَه

---

(١) أقلعت : أى سارت الى الأعداء، والذى يستفاد من كتب اللغة أن تفسير الإقلاع بالسير تفسير مجازى، فقد ذكر ابن برى أنه ليس فى قولهم «مقلعة» مايدل على السير من جهة اللفظ، إنما يفهم ذلك من فحوى الكلام، لأنه قد أحاط العلم بأن السفينة متى رفع قلعها فإنها سائرة، فهذا شىء حصل من جهة المعنى لا من جهة أن اللفظ يقتضى ذلك الخ (اللسان) وأيضا فإســناد الإقلاع الى السفن إسناد مجازى، وهو المسمى بالمجاز العقلى، فقد ذكر ابن برى أيضا أن الإقلاع ليس فعلها، وانما هو فعل أصحابها يقـال أقلع القوم سفنهم : اذا رفعوا قلعها عند المسير .

(٢) التأويب : السير بالنهار، وعكسه الإسآد والسرى : وهما السير عامة الليل .

(٣) الواجدات : الغنيات، وهو من قولهم : وجد المـال يجده وجدا بتثليث الواو : اذا صار غنيا .

(٤) الإشحان بالهمز : الملء، كالشحن؛ وفى القاموس وشرحه أنه يقال : أشحن المدينة بالخيل : أى ملأها .

(٥) فى الأصل : «كامتحان»؛ وهو تحريف .

وكَفَلَتْ بالمؤونَة و بالزيادة على المؤونَه ، فتُكمِّل هـذه لكلّ وليٍّ دنياه كما كمّلت تلك لكل وليٍّ دِينَه ؛ وحدود الله، فلا يتعدّاها أحد، ولا يَرأَف فيها ولدٌ بوالد ولا والدٌ بولد؛ فأَقِمْها وقُم فى أمرها حتى تنضبط أتم الضبط، ولا تجعـل يد القتل مغلولةً إلى عنقها ولا تبسُطها كلَّ البسـط ، فلكلٍّ من الجنايات والقصاص شرطٌ شرطه الله وحدٌّ حَدَّه فلا يتجاوز أحدٌ ذلك الحـدَّ ولا يخرج عن ذلك الشرط ؛ والجهاد فهو الدَّيْدَنُ المألوفُ من حين نشأتنا ونشأتك فى بطون الأرض وعلى ظهور الخيـل فمِلْ على الأعداء كل المَيْل، وصبِّحهم من فَتَكاتك بالويل بعـد الويل ، وآرمِهـم بكلّ شَمَّرِيٍّ(١) قـد شمّر من يدِه عن الساعد ومن رمحـه عن السـاق ومن جوادِه الذَّيل(٢)؛ وآذهب بهم فى ذلك كلَّ مذهب، وأْبِنْ(٣) بنجوم الخِرْصان(٤) كلّ غيٍّ وغَيهب وتَكثَّرْ(٥) فى غزوهم من الليل بكلّ أَدهمَ ومن الشَّفَق بكلّ أحمرَ وأشقرَ [ومن الأَصِيل بكلّ أصـفرَ](٦) ومن الصـبح بكلّ أَشهب، وآنتهِبْ(٧) أعمارهم وآجعلها آخرَ ما يُسلَب

(١) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة ؛ و يقال أيضا بكسر الشين والميم المشددة كذلك : الرجل الماضى فى الأمور .

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار قسم ٢ ج ٨ من النسخة المأخوذة بالصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ . والذى فى الأصل : « على الذيل» وقوله : «على» زيادة من الناسخ وليست محرفة عن لفظ : (عن) كما يتوهم فان التشمير لا يكون عن الذيل و إنما يكون للذيل عما تحته ؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة انه يقال : « شمر عن ذيله» والذى وقفنا عليه قولهم : « شمر ذيلا وادّرع ليـلا » بدون « عن » ، والكلام هنا على طريق التمثيل والمراد المضاء والجد فى السير .

(٣) فى صبح الأعشى ومسالك الأبصار : « وأنر » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) الخرصان بكسر الخاء : أسنة الرماح ، واحده خرص بكسر فسكون ، و يضم أوّله أيضا .

(٥) التكثر : طلب الكثرة ، كما يفهم من أساس البلاغة فقد ورد فيه : « تقلل من العلم لتحفظ وتكثر منه لتفهم » .

(٦) لم ترد هـذه العبارة فى الأصل ؛ وقـد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ١٧٢ ومسالك الأبصار . (٧) فى الأصل وصبح الأعشى : «واستهب» ؛ ولم نجده فيما لدينا من كتب اللغة .

وأوّلَ ما يُنهَب؛ ونرجوا أن يكون الله قــد خبأ لك من الفتوحات ما يستنجزها لك صادقُ وعدِه، وأن ينصر بك جيوش الإسلام فى كلّ إنجاد و إتهام وما النصر إلا من عندِه؛ و بيت الله المحجوج من كلّ فجّ، المقصود من كل نَهْج؛ يَسِّرْ سبيلَه، ووسّع الخير وأحسِن تسبيلَه[1]، وأوصِل من بِرّك لكلٍّ من الحرَمين ماهُو[2] له، لتصبح ربوعُه بذلك ماهولَه؛ واْحمِه ممن يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظلم، وطهّره من كلّ مَكْسٍ[3] وغرم؛ ليعود نفعُك على البادى والعاكف، ويصبحَ واديه وناديه مستغنيَين بذلك عن السحاب الواكف؛ والرّعايا، فهم للعدل زُروع، وللاستثمار فروع، وللاستلزام[4] العمارة شُروع[5]؛ فمتى جادهم غيثٌ أعجب الزُّرّاعَ نباتُهم، ونمَتْ بالصلاح أقواتُهم، وصلَحتْ بالنّماء أوقاتُهم، وكثرت للجنود مستغَلّاتُهم، وتوافرتْ زكَواتُهم، وتنورتْ مشكاتُهم "وٱللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ"؛ هــذا عهدُنا للسيّدِ الأجلّ الولدِ الملكِ الأشرفِ صلاحِ الدنيا والدّين، فخرِ الملوك والسلاطين، خليلِ أميرِ المؤمنين — أعزّنا الله ببقائه — فليكن

---

(١) التسبيل : أن تجعل الشيء فى سبيل الخير .

(٢) هو بسكون الواو لغة فى هو بفتحها ؛ وقد حكى هذه اللغة الكسائى عن بنى أسد وتميم وقيس ، كما أن بعضهم يحذف الواو إذا كان قبل « هو » ألف ساكنة فيقول : حتاه فعل ذلك .

(٣) المكس : ما يأخذه أعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء ، قال الشاعر :

وفى كل أسواق العــراق إتاوة * وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم

(٤) كذا فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجد هذه الصيغة فيما راجعناه من كتب اللغة غير أن فى شرح الأشمونى وحاشيته عند قول ابن مالك فى باب التصريف :

والتاء للتأنيث والمضارعة * وتاء الاستفعال والمطاوعة

ما يفيد أن هذه الزيادة مطردة ، حيث قال : وأما زيادتها حشوا فلا تطرد إلا فى الاستفعال والافتعال وفروعهما الخ والذى فى مسالك الأبصار : « ولاستتمام » ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٥) الشروع : مصدر شرع فى الأمر اذا أخذ فيه ، وقد وصف الرعايا به على طريق المبالغة .

بعروته متمسّكا، وبنفحتــه متمسّكا[١] ؛ وليتقلدْ سيفَ هــذا التقليد ، ويفتح مُغلَقَ كلِّ فتحٍ منه بخيرِ إقليد[٢]، وها نحن قد كثّرنا لديه جواهرَه فدونه ما يشاء تحليتَــه : من تتويجِ مَفرِقٍ وتختيمِ أناملَ وتسويرِ زَندٍ وتطويقِ جِيد ، ففى كلّ ذلك تجيــلٌ وتمجيــد؛ والله تعــالى يجعــل آستخلافه للتقين إماما ، وللدين قواما ، وللجاهدين آعتصاما ، وللعتــدين آنقصاما ، ويطفئ بمياه ســيوفه نارَ كلِّ خطب حتى تُصبحَ كما أصبحَتْ نارُ سميِّه صلّى الله عليه وســلّم بردا وسلاما؛ إن شاء الله تعالى .

وكلامه رحمه الله كثير ورسائله مشهورة، وبيدِ الناس من إنشائه ما لوآستقصيناه لطال وانبســط ، وقد قدّمنا فى كتابنا هــذا من كلامه فى باب التهانى بالفتوح ما تجده فى موضعه

ونختم كلامه بشىء من أدعية الملوك، وهى :

(٧) ومَكّن الله له فى الأرض، وجعل طاعتَه واجبــةً وجوبَ الفرض، وأيّد آراءه بالملائكة فى الحَلّ والعَقد والإبرامِ والنقض .

آخر : وأَنجَزَ له من النصر صادقَ وعدِه، وجعل الملوكَ من عبيــده والملائكةَ من جندِه، ومتّعه بمــا وهبه من المُلك الذى لا ينبغى لأحد من بَعدِه .

آخر : وحَفِظه بمعقِّبات من أمرِه ، وحَمى حِمى الدينِ بقِصار بِيضِــه وطوالِ سُمْرِه ، وجعــل قدرَ مملكتــه فى الدهرِ كليالى قدرِه ، وأَلبَس أولياءه من طاعتــه ما يجرّون أذيالَ فخرِه .

(١) المتمسك : المتطيب بالمسك .

(٢) الإقليد : المفتاح؛ وهى لغة يمــانية، وقيل معرّب .

آخر: ولا زالت الدنيا بعدله مخضرّةَ الوهاد والرُّبا، والآمالُ بفضله قائلا لها النجحُ: مرحبا، والأقدارُ لنصره مسدّدةَ السهام مرهفةَ الظُّبا، والأيّامُ لا تَعدَم من جميل أثره وجليـلِ تأثيره فعـلا مطربا، ووصـفا مطيّبا. وجَعلتْ مُلكه موصولا بحبل لا يُحلّ عَقـدُه، وحَرَمه محروسا بسيف التوفيق لا يُفـلّ حدُّه. ولا زالت راياته ألسنةً تنذر أعداءه بالفرار، وتُبشّر أولياءه بالقرار، وآراؤه أعلاما عاليةَ المَنار واضحـةَ الأنوار. وأنجزله عِداتِه فى عُداتِه، وجعـل النصر والتوفيـق مصاحبَين لآرائه وراياتِه. وأناله النصرَ الذى يغنيه عن الحيلة والحول، وعَقَـد السعدَ بعُـرا(١) ما يُمضيه من الفعل والقول، وبوّأ أولياءه جُنّةً من النصر ما فيها غائلة وجَنّـةً من العزّ ما فيها غَول. وقصم بمهابتـه كلَّ جبّار عنيد، وعصم كلَّ من يَأوِى من رجائه إلى ركن شديد. وآتاه من التأييد سلطانا نصيرا، وجعل جيشه أكثرَ قوّى وأقوى نفيرا. ولا زالت الآمال بسحابه مخضرّةَ الرُّبا والوهاد، والتأييدُ بتمكينه مناديا فى كلّ ناد، والدنيا بمُلكه مسرورةَ الأسرار(٢) حاليةَ الأجياد، والأقدارُ لأمره متكفّلةً بالنفاد(٣). وطرّز بأيامه ملابس السِّيَر، وأحلّ أمره أعلى هَضَباتِ النصر والظَّفَر، وحلّى أجياد الممالك من عدلِه وبذلِه بأشرف الدُّرَر، ولا برح القدر يوافق قُصُوده(٤) فيقول للقدر:

(١) فى الأصل: «يعزى بما»؛ وهو تحريف.

(٢) المراد بالأسرار هنا: خطوط الوجه والجبهة؛ الواحد سر بكسر السين وضمها؛ وإنما أسند السرور اليها لظهور أماراته فيها. يقال: برقت أسارير وجهه اذا تهلل من الفرح.

(٣) كذا فى الأصل بالدال المهملة؛ والذى يستفاد من كتب اللغة أن هـذه الكلمة تأتى بمعنى النفاذ بالذال المعجمة: أى الجواز والمضى؛ فقد جاء فى اللسان مادة «نفد» بالمهملة فى تفسير حديث ابن مسعود: «إنكم مجموعون فى صعيد واحد ينفدكم البصر» ما نصه: يقال: نفدنى بصره اذا بلغنى وجاوزنى. ثم قال: وأنفدت القوم اذا خرقتهـم ومشيت فى وسطهم؛ فان جزتهم حتى تخلّفهم قلت: نفـدتهم بلا ألف ا هـ ثم ذكر هذا الكلام نفسه بالذال المعجمة فى مادة «نفذ».

(٤) القصود: جمع قصد؛ وهذا الجمع ذكره بعض الفقهاء؛ وقد أوضحنا ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٢ من هذا الجزء فانظره.

«لَقَدْ جِئْتَ عَلَى قَدَر» . وأتمّ نعمته عليه كما أتمّها(١) ،وعمّر بعدله الآفاقَ وعمّها ، وأوضح مَناهجَ كرمه لمن قَصَدها وأمّها ، وأنجز عِداته فى عُداته فأصماها وأصمّها . وأتمّ نعمتَه عليه كما أتمها على أبويه مِن قَبلِه ، وحَمى حِمى الدين بنصرِه وفضلِه ، وكسا الدنيا بمُلكه حلّةَ فخار مُعلَمَةً بإحسانه وعدلِه ،وجعل أقاليمَ الأرض معمورةً بسلطانه مغمورةً بعطائه وبذلِه .

ذكر شيء من إنشاء المولى المـاجد السالك من طريقَ الفضـــل والفضائل أوضحَ الطرق وأنهجَ المَسالك ، المفصِح بلسان براعته والمُوضِح بأنوار بلاغته ما أَبهَم واستبهم من ليل العِيِّ الحالك ، المتصرِّف بقلمِه وكَلِمه لوثوق(٢) ملوك الإسلام بديانتِه وأمانتِــه وأصالتِه ونزاهتِــه فى الأقاليم والثغور والحصون والممـالك ، العامرِ بفضــله وفضائله والغامرِ بجوده ونائله باطنَ وظاهرَ مــن أمّله وأمّ له من زائرٍ وقاطنٍ ومارٍّ وسالك ؛ فينفصل هذا عن بابه وهو بجوده مغمور ، وهذا عن مجلسه وقلبُه بَولائه لِمـا أَولاه من إحسانه معمور ؛ وهذا وهو يُنفق الجلَّ من ماله ، وذاك وهو يجود على المُعدم مِن فضــلِ نوالِه ؛ والآخرُ وقد امتلأ صدره سرورا ، وأشرق وجهُه بهجةً ونورا ؛ وانطلق لسانُه من عِقاله بعد تقييده ،وانبسط أملُه لطلب الفضائل لَمّـا ظفر بمعدنها بعد تعقيدِه(٣) ؛ فتجدّد وقد اعتلَق(٤) منــه جملا واعتَنَق جمالا ، وأنفق الدرر بعــد ضنّه بالأصداف فهو لا يخشى عُدْما ولا يخاف إقلالا ؛ والمولى المغنيُّ

(١) متعلق هذا الفعل محذوف للعلم به وهو قوله : «على أبويه من قبل» أخذا من الآية الكريمة ، وإنما حذفه ليتم السجع الذى التزم فى هذه الأدعية ، وليست هذه العبارة مكررة مع ما يأتى ؛ لأنه دعاء آخر .

(٢) فى الأصل : «لوقوق» بقافين ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «تقييده» ؛ وهو تحريف لتكرره مع ما قبله فى آخر الجملة السابقة .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة أنه يقال : «اعتلقه» بمعنى علقه بتشديد اللام أى حفظه ، كما هو المراد هنا ؛ والذى وقفنا عليه أنه يقال : « اعتلقه » أى أحبه ؛ ولعل المؤلف قصد المجانسة بين هذا اللفظ وقوله بعده : «واعتنق» .

بهــذه المعالى التى آبتسمت ثغورُها ، وتحلّت نحورُها ؛ والمكارمِ التى جادت سحائبُها وآمتــدّت مَذانبُها(١)، وترادفَتْ مواهبُها، واتّسعَتْ مذاهبُها؛ والفضائلِ التى بجنــابِه الكريم تُعزَى ولفضلِه العميمِ تَنتسب، والســيادةِ التى شادها لنفسِه لآستغنائه عمّــا (٨)
مهدتْه له آباؤه النُّجُب، والمرادُ بهذه الأوصاف التى

خُلِّيَتْ والحُسنَ تأخذه * تَنتقِى منـــه وتَنتخبُ(٢)

هو لسانُ الدولة ويمينُها ، وســفيرُ المملكة وأمينُها، وجامعُ أشتات الفضائل ، وناظمُ أخبارِ الأواخرِ وسِيَرِ الأوائل ؛ وسيّدُ الرؤساء وجليسُ الملوك ، ومؤلّفُ كتابِ نظمِ السلوك ؛ المولى المــالكُ علاءُ الدين علىّ ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن المولى المرحوم محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر، ذو الفضائل والمآثر، والنسبِ العريق والأصلِ الطاهر، والسببِ الوثيقِ والفضل الباهر؛ فهذه نبذة من أوصافه أثبتناها ، ولُمعة من محاسنه أوردناها، أسامٍ لم تَزده معرفةً وإنمــا لذّةً ذكرناها ؛ وله — أعزّه الله وأوفر نعمه لديه ، وأتَمّ نعمته عليه كما أتمها على أبويه ؛ وأرانا فى نجله الكريمِ ما رأيناه فى سلفه وفيه ، وأنطَق الواصفَ لمحاسنهم بِمِلءِ فيه — من الرسائل البليغه ، والتقاليدِ البديعــه ؛ والعهودِ التى عاهدَتْها البــلاغةُ ألا تتعدّاها فوفت بعهــدِها ، وأقسمت معانيها أنها لم تَقصِدْ سواه مِن قَبل لِعلمِها أنّ غيرَه لا يوفّيها حقّ قصدِها ؛ وسنورد إن شاء الله من كلامه ما هو بالنسبة الى مجموعه نبذةٌ يسيره ، ونرصّع فى كتابنا هذا من فضائله لُمعةً خطيره ؛ ونرفع بما نضعه فيه من كلامه قدرَ هذا التصنيف ، ونطرّز به

---

(١) المذانب : مسايل الماء ، واحده مذنب بكسر الميم وفتح النون . وفى الأصل : «مذاهبها» ، وهو تحريف لتكرره مع ما يأتى بعده .

(٢) البيت لأبى نواس .

أَرْدانَ هـذا التأليف ، ولا نحتاج إلى التعريف بمكانه وتمكُّنه من هـذه الصناعة فالشمس تستغنى عن التعريف ؛ ونحن الآن نعتذر من التقصير فى الآنتهاء إلى وصف محاسنِه ، ونعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبـه الشريفة ومَيامنِه ؛ ونأخذُ فى ذكر كلامه لنمحوَ ذنبَ التقصير بحسن الإخبار[1] ، ونسأل الصـفح عن آختصارنا واجبَ حقّه ونرجوا قبول كلماتِ الأعتذار

فمن إنشائه ما كتبه عن الخليفة المستكفى بالله أبى آلربيع سليمان — جمَّل الله به الدين ، وأيّد ببقائه الإسـلامَ والمسلمين — للسـلطان الملكِ المظفَّر ركن الدين بيبرس المنصورىّ فى شوّال سنة ثمان وسبعمائة ، ابتدأه بأن قال :

هذا عَقدٌ شريف آنتظمتْ به عقودُ مصالحِ المـمالك ، وآبتَسمتْ ثغورُ الثغور ببيعته التى شهِدَتْ بصحّتها الكرامُ الملائك ؛ وتمسّكت النفوسُ بمحكَم عَقده النَّضيد ومبرَم عهدِه[2] النظيم ، ووثقت الآمالُ ببركة مِيثاقه فتقرأه الألسنة مستفتِحةً فيه بقول الله الكريم : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ الحمد لله الذى جعـل الملّة الإسلاميّةَ تأوِى[3] من سلطانها الى ركنٍ شـديد ، وتحوِى من مبايعة مظفَّرِها كلَّ ما كانت ترومه من تأبيـد التأبيد ، وتَروِى أحاديثَ النصر عن مَلِكٍ لا يَمـلّ من نُصرة الدِّين الحنيفىِّ وإن مَلّ الحديدُ من الحديد ؛ مُؤتى مُلكَه من يشاء من عبادِه ومُلْقِى مقاليـدِه للولىِّ المَلِىِّ[4] بقَمْع أهـل عناده ؛ ومانِحه من لم يزل بعزائمه ومكارمه

(١) لعله يريد « بالإخبار » : أن ذكر شىء من كلامه إخبار عن فضله وتمكنه من ناصية البلاغة . أو لعل صوابه «الاختيار» .

(٢) فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩ : «عقده» بكسر العين .

(٣) فى صبح الأعشى : «من متابعة» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) يقال : هو ملىء بهذا الأمر : أى مضطلع به « الأساس » .

مرهوبا مرغوبا، ومُوليه [ومولِّيه](١) من غدا مَحبوّا من الأنام بواجب الطاعة محبوبا وباسط أيدى الرغبات لمن حَكَم له كمالُ وصفِه ووصفُ كماله بأن يكون مسئولا مخطوبا ومفوِّض(٢) أمرِه ونهيِه إلى من طالما صَرَف خَطِّيَّه عن حمى الدين أخطارا وخطوبا؛ والحمد لله مُجرِى الأقدار برفع الأقدار، ومُظهِر سرِّ الملك فيمن أضحى عند الإمامة العباسيّة بحُسن الآختبار من المصطفَينَ الأخيار، جامعِ أشتات الفخار، ورافعِ لواءِ الآستظهار(٣)، ودافعِ لَاواءِ(٤) الأضرار، بجميلِ الآلتجاءِ الى ركنٍ أمسى بقوّة الله تعالى عالىَ المَنار وافىَ المَبار، بادىَ الآثار الجميلة فى(٥) الإيثار؛ والحمد لله على أن قلّد أمورَ السلطنة الشريفة لكافلِها وكافيها، وأَسند عَقدَها وحَلّها لمن يدرك بكريم فطنتِه وسليمِ فطرته عواقبَ الأمور مِن مباديها، وأيّد الكتائبَ الإيمانيّةَ بمن لم تزل عواليه تبلّغها من ذُرا الأمانىِّ معاليها؛ يحمده أمير المؤمنين على إعلاءِ كلمة الإيمان بأعيان أعوانِها، وإعزازِ نصرها بأركانِ تشييدها وتشييدِ أركانِها؛ ويشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له (٩) شهادة [لا] تبرح الألسنُ تَرويها، والقلوبُ تَنويها، والمواهبُ تُجزِل لقائلها تنويلا وتنويها؛ ويشهد أنّ محمدا عبده ورسوله أكملُ نبيٍّ وأفضلُ مبعوث، وأشرفُ مُورِّثٍ لأَجلِّ موروث؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تنمو بركاتُها وتَنِمّ(٦)، وتَخُصّ حسناتُها وتَعُمّ؛ ورضى الله عن عمِّه العباسِ بنِ عبد المطلب جدِّ أمير المؤمنين، وعن أبنائه الأئمّةِ المهديِّين؛ الذين ورِثوا الخلافةَ كابرا عن كابر، وسَمَتْ ووُسِمَتْ بأسمائهم ونعوتهم

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٦٩

(٢) فى الأصل: «ومعرض» بالعين والراء؛ وهو تحريف.

(٣) الاستظهار: العلوّ والغلبة.

(٤) اللأواء: الشدّة والمحنة.

(٥) فى صبح الأعشى: «والإيثار» بالواو مكان «فى»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٦) يقال: نمّ المسك اذا سطعت رائحته؛ وهو هنا مستعار للانتشار والظهور.

ذُرا المنابر، أما بعـد، فإن الله تعالى لمّـا عَدَق(١) لمولانا أميرِ المؤمنين مصالحَ الجمهـور وعَقَد له البَيعةَ فى أعناق أهل الإيمان فزادتهم نورا على نور، وأورثه عن أسلافه الطاهرين إمامةَ خيرِ أمّه، وكَشف بمُصابرته من بأس العدا غمامَ كلِّ غُمّه، وأَنزَل عليه السكينة فى مواطن النصر والفتح المبين، وثبّته عند تَزلزل الأقدام وثبّت به قلوب المؤمنين، وأفاض عليه من مَهابة الخلافة ومواهبها ما هو من أهلِه، وأَتمّ نعمتَه عليه كما أَتمّها على أبويه مِن قبـلِه، بايع اللّهَ تعـالى على أن يختار للتمليك على البرايا، والتحكيم فى الممـالك والرّعايا، من أَسّس بنيانَه على التقوى، وتمسّكَ من خشـية الله سبحانه بالسبب الأقوى، ووَقَف عند أوامر الشرع الشريف فى قضائه وحُكمه، ونهض لأداء فرض الجهـاد بمعالى عزمـه وحزمِه، وكان المقامُ الأشرفُ العـالى المَوْلوىُّ السلطانىُّ المَلَكىُّ المظفّرىُّ الركنىّ، سلطانُ الإسـلام والمسلمين، سـيّدُ الملوك والسـلاطين، ناصرُ الملّة المحمّديّه، محيي الدولة العباسيّه (أبو الفتح بيـبرس) قسيمُ أميرِ المؤمنين — أعزّ الله تعالى ببقائه حمى الخلافة وقد فَعَل، وبلغ فى دوام دولتـه الأمل — هو المَلِكَ الذى انعقد الإجماعُ على تفضـيلِه، وشهدتْ مناقبُه الطاهرةُ باستحقاقه لتحويل المُلْك [اليه](٢) وتخويلِه، وحَكَم التوفيقُ والاتفاقُ بترَقّيه إلى كرسىّ السلطنة وصـعودِه، وقضت الأقدار بأن يُلقِيَ اليـه أميرُ المؤمنين أزمّة عهودِه، والذى كم خَفَقت قلوبُ الأعادى عند رؤية رايات نصرِه، ونطقت ألسنةُ الأقدار بأن سيكون مليـكَ عصرِه وعزيزَ مصرِه، واهتزّتْ أعطاف المنـابر شوقا للافتخار باسمِه، واعتزّتْ الممـالك بمن زاده الله بسطةً فى عِلمه وجسـمه، وهو الذى ما برح

(١) عدق : أى جمع .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٠

مذ نشأ يجاهد فى الله حقّ جهادِه، ويساعِد فى كل معركة بمرهَفات سيوفه ومتلِفاتِ صِعادِه، ويُبدِى فى الهيجاء صفحتَه للصِّفاح فيَقيه ٱللهُ ويبقيه ليجعله ظلَّه فى الأرض على عبـاده وبلادِه، فيُردِى الأعداءَ فى مواقف تأييـده فكم عَفَّـر من خدٍّ لملوك الكفر تحت سنابك جيادِه، ويشفِى بصدور سيوفه صدورَ قوم مؤمنين، ويسـقِى ظِماءَ أسنّته فيُرويها من مَورد وُرود[1] المشركين، ويُطلِـع فى[2] سماء الملك من غُررِ رأيه نيّراتٍ لا تأفِل ولا تَغُور، ويُظهِرُ من مواهبه ومَهابته ما تُحسَّن به الممالكُ وتُحصَّن به الثغور، فما من حصنٍ أغلقه[3] الكفرُ إلا وسيفُه مفتاحُه، ولا ليل خطبٍ دَجا إلا وغرّتُه الميمونةُ صباحُه، ولا عزّ أملٌ لأهل الإسلام إلّا وكان فى رأيه المسدَّدِ نجاحُه، ولا حصل خللٌ فى قطرٍ[4] من الممالك إلّا وكان بمشيئة الله تعالى وبسَداد تدبيره صلاحُه، ولا ٱتّفق مشهدُ غزوٍ إلا وٱلملائكةُ بمضافرته فيه أعدلُ شهود، ولا تجدَّد فتوحٌ للإسلام إلا جاد فيه بنفسه وأجاد، "والجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجود" كم أسلف فى غزوِ الأعداء من يومٍ أغرَّ محجَّل، وأنفق مالَه ٱبتغاءَ مرضات الله فحـاز النصرَ المعجَّل والأجرَ

---

(١) الورود جمع وريد: وهو عرق فى العنق، ويقال له: حبل الوريد، وهما وريدان؛ والظاهر أنه أراد بالورود هنا: العروق التى فيها الدم لا جمع وريد بالمعنى المعروف، فان كلام أهل اللغة يدل على أن الوريد من العروق ما جرى فيه النفس ولم يجر فيـه الدم . قال أبو الهيثم: الوريدان تحت الودجين، والودجان: عرقان غليظان عن يمين ثغرة النحر ويسارها؛ والوريدان ينبضان أبدا من الانسان؛ والوريد من العروق: ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم الخ قال الأزهرى: والقول فى الوريدين ماقاله أبو الهيثم وفى المصباح نقلا عن الفراء: الوريد: عرق بين الحلقوم والعلباوين، وهو ينبض أبدا؛ فهو من الأوردة التى فيها الحياة ولا يجرى فيها دم، بل هى مجارى النفس بالحركات .

(٢) فى الأصل: «من فى سماء»؛ وقوله: «من» زيادة من الناسخ .

(٣) فى الأصل وصبح الأعشى: «استغلقه»؛ ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة انه يقال: استغلقت الباب بمعنى أغلقته .

(٤) كذا فى الأصل؛ والذى فى صبح الأعشى (ج ١٠ ص ٧١): «طرف»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

المؤجّل، وأحيا من معالم العلوم ودوارسِ المدارس كلَّ داثر، وحثّه إيمانُه على عمارة بيوت الله تعالى الجامعةِ لكلِّ تالٍ وذاكر، "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ"، وهو الذى ما زالت الأولياء تَخيّل مخايلَ السلطنة فى أعطافه معنًى وصوره، والأعداءُ يرومون إطفاءَ ما أفاضه الله عليه من أشعّة أنوارِه "وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَه"، طالما تطاولتْ إليه أعناقُ الممالك فأعرض عنها جانبا، وتطفّلتْ[١] عليه[٢] فغدا لها رعايةً لذمّة الوفاء مجانبا، حتى أَذِن الله سبحانه لكلمة سلطانه أن تُرفع وحكم له بالصعود فى دَرَج المُلْك الى المحلّ الأعلى والمكانِ الأرفع، وأَدّى له من المواهب ما هو على اسمه فى ذخائر الغيوب مستودَع، فعند ذلك استخار الله تعالى سيدُنا ومولانا أميرُ المؤمنين (المستكفى بالله) ــ جعل الله الخلافةَ [كلمة][٣] باقيةً فى عَقِبِه، وأمتع الإسلامَ والمسلمين بشريفَىْ حسبِه ونسبِه ــ وعَهِد إلى المقام العالى السلطانىّ بكلِّ ما وراء سرير خلافتِه، وقلّده جميعَ ما هو متقلّدُه من أحكام إمامتِه، وبَسَط يدَه فى السلطنة
(١٠ ب) المعظّمه، وجعل أوامرَه هى النافذةَ وأحكامَه [هى][٣] المحكّمه، وذلك بالدّيار المصريّة والممالكِ الشاميّه، والفراتيّة والحلبيّة[٤] والساحليّه، والقلاع والثغور المحروسةِ والبلاد الحجازيّة واليمانيّه، وكلُّ مَا هو من الممالك الإسلاميّة الى خلافة أمير المؤمنين منسوب، وفى أقطار إمامتِه محسوب، وأَلْقَى إلى أوامره أزمّةَ البسط والقبض

---

(١) كذا فى صبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٢؛ والذى فى الأصل: «وتطلعت»؛ وهو وإن كان كان صحيح المعنى إلا أن قوله بعد: (عليه) يقتضى ما أثبتنا.

(٢) فى صبح الأعشى: «على قربه»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى.

(٤) فى صبح الأعشى: «والجبلية»؛ وهو أظهر، فإن الحلبية داخلة فى الممالك الشامية التى سبق ذكرها.

والإبرامِ والنقض، والرفعِ والخفض، وما جعله الله فى يده من حُكم الأرض ، ومن إقامةِ سـنّةٍ وفرض؛ وفى كلِّ هِبةٍ وتمليك، وتصرّف فى ولاية أمير[1] المؤمنين من غير شريك ؛ وفى تولية القضاة والحكام ، وفصلِ القضايا والأحكام؛ وفى سائر التّحكّم فى الوجود، وعقدِ الألوية والبنود ، وتجنيـدِ الكتائب والجنود، وتجهـيزِ الجيوش الإسلامية فى التأييد لكلّ مقامٍ محمود؛ وفى قهرِ الأعداء الذين نرجوا بقوّة الله تعالى أن يمكّنه من نواصيهم، ويحكِّم قواضبَه فى آستنزالهم من صَياصيهم، واستئصالِ شأفة عاصيهم ؛ حتى يمحوَ الله بمصابيح سـيوفه سوادَ خطوب الشِّرك المدلهِمّة، وتغـدو سَراياه فى آقتلاع قلاعِ الكفر مستهِمّة[2] ؛ وترُهبهم خيلُ بعوثه وخيالُها فى آليقظـة والمنـام ، ويَدخُل فى أيّامه أهلُ الإسـلام مدينـةَ السلام بسـلام ؛ تفويضا تامّا عامّا منضَّدا منظَّما، مُحكَما مُحَكَّما؛ أقامه مولانا أميرُ المؤمنين فى ذلك مُقامَ نفسه الشريفه ، وآستَشهَد الكرامَ الكاتبين فى ثبوت هذه البَيعة المنيفه ؛ فليَتقلّد المقامُ الأشرفُ السلطانىُّ — أعزّ الله نصرَه — عِقدَ هذا العهد الذى لا تطمح لمثله الآمال، وليَستمسِكْ منه بالعروة الوثقى التى لا آنفصامَ لها ولا آنفصال ؛ فقد عوّل أميرُ المؤمنين على يمن أرائك[3] التى ما برحت الأمّةُ بهـا فى المعضـلات تَستشفِى ، وآستَكفَى بكفايتِـك وكفالتِـك فى حياطة المُلك فأضحى وهو بذلك (المستكفِى)؛ وهو يقصّ عليـك من أنبـاء الوصايا أحسنَ القَصَص ، وينصّ لديك ما أنت آخذٌ منه بالعزائم اذا أَخَذ

---

(١) عبارة صبح الأعشى : « أمور الإسلام » .

(٢) مستهمة بتشديد الميم : أى مهتمة ؛ قال فى الأساس : ممعتهم يقولون : اسـتهمّ لى فى كذا ؛ ويجوز أن يقرأ : (مستهمة) بتخفيف الميم؛ أى مقتسمة، من الأستهام .

(٣) كذا ورد هـذا اللفظ فى الأصل وصبح الأعشى ج ١٠ ص ٧٣ بضمير الخطاب، ولا يخفى ما فيه من الالتفات لاختلاف الضمائر بين ماهنا وبين ماسبق ؛ وكأن النكتة فى ذلك تأكيد اختصاصه بهذا العهد المذكور فى الجملة السابقة .

غيرُك فيه بالرُّخص ، فإنْ نُبِّهتَ على التقوى فطالما تمسّكتَ منها بأوثقِ عروه ، وإن هُديتَ الى سبيل الرشاد فما زلتَ ترقى منه أشرفَ ذُروه ، وإن آسترهفْنا(١) عزمَك الماضىَ الغِرار ، وآستدعَينا حزمَك الذى أضاء به دهرُك وأنار وآستنار(٢) ، فى إقامة مَنار الشرع الشريف ، والوقوفِ عنـد أمرِه ونهيِه فى كل حكمٍ وتصريف ؛ فما زِلتَ — خلّد الله سلطانَك — قائمـا بسننِه وفرضِه ، دائبـا فى رضى الله تعالى بإصلاحِ عقائدِ عبادِه فى أرضِـه ؛ وما برح سيفُك المظفَّرُ للأحكام الشرعيّة خادما ، ولموادِّ الباطل حاسما ، ولِأُنوفِ ذوى الزَّيغ والبِدَع مُرغِما ؛ وكلُّ ما نوصيك به من الخير فقد جُبلتْ عليه طباعُك ، ولم يزل مشتدّا فيه ساعدُك ممتدّا إليـه باعُك ؛ غيرَ أننا نُورد لمعةً اقتضاها أمر الله تعالى فى الاقتداء بالتذكرة فى كتابه المبين ، وأوجبها نصُّ قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ويندرج تحت أصولهـا فروعٌ يَستغنِى بدقيق ذهنه الشريفِ عن نصِّها ، وبفكره الثاقبِ عن قصِّها ؛ فأعظمُها للِمّلة نفعا ، وأكثرُها للباطل دفعا ؛ الشرعُ الشريف ، فليكن — أعزّ الله نصرَه — عاملا على تشييد قواعد أحكامِه ، وتنفيذِ أوامرِ حكّامِه ؛ فالسـعيدُ من قرن أمرَه بأمرِه ، ورضِى فيه بحلوِ الحق ومُرِّه ؛ والعدلُ ، فلينشرْ لواءه حتى يأوىَ اليه الخائف وينكفَّ بردْعه حَيفُ كلِّ حائف ؛ ويَتسـاوى فى ظلّه الغنىُّ والفقير ، والمأمورُ والأمير ، ويمسىَ الظلمُ فى أيامك وقد خَمَدتْ نارُه ، وعفَتْ آثارُه ؛ وأهمُّ ما آحتفلتْ به العزائم ، وآشتملتْ عليه هممُ الملوكِ العظائم(٣) ، وأُشرِعتْ له الأسـنّةُ وأُرهفتْ من أجله الصوارم ؛ أمرُ الجهاد الذى جعله الله سبحانه حصنا للإسلام وجُنّه ، وآشترَى

(١) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل وصبح الأعشى بالسين والتاء ؛ ولم نجده بهذه الصيغة فيما لدينا من كتب اللغة ، والذى وقفنا عليه أنه يقال : رهفه وأرهفه ، أى رققه وأحده .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى صبح الأعشى .

(٣) العظائم صفة للهمم .

فيه من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنّة، فجنّد له الجنودَ وجمّع له الكتائب واقِض فى مواقفه على الأعداء من بأسك بالقَواضى القواضب، وأغزُهم فى عقر الدار، وأرهِف سيفَك البتّار، لتأخذَ منهم للسلمين بالثار، والثغور والحصون، فهى سرُّ المُلك المصون، وهى معاقلُ النفوس" اذا دارت رحى الحرب الزَّبون"(١)؛ فلتقلّد أمرَها لكُفاتِها، وتحصّن حِماها بحُماتِها، وتضاعِف لمن بها أسبابَ قوتِها ومادّةَ أقواتِها؛ وأمراء الإسلام، وجنود الإيمان، فهم أولياء نصرِك، وحَفَظةُ شامِك ومصرِك؛ وحزبُك الغالب، وفريقُك الذى تَفْرَق منه قلوبُ العدوّ فى المشارق والمغارب؛ فليكن المقام العالى السلطانىُّ — نصره الله تعالى — لأحوالهم متفقّدا وببسطِ وجهِه لهم متودِّدا؛ حتى تتأكّدَ لمقامه العالى طاعتُهم، وتتجدّدَ لسلطانه العزيز (١١) ضراعتُهم؛ وأما غير ذلك من المصالح فما برح تدبيرُه الجميلُ لها ينفّذ ورأيُه الأصيلُ بها يشير، ولايحتاج مع علمه بغوامضها الى إيضاحها «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» واللهُ تعالى يخصّ دولتَه من العدل والإحسان بأوفر نصيب، ويمنح سلطانَه مايرجوه من النصر المعجَّل والفتح القريب؛ بمنّه وكرمه .

وكتب تقليدا مظفَّريّا للأمير سيف الدين سَلَّار المنصورى بنيابة السلطنة الشريفة فى سنة ثمان وسبعمائة، وهو :

الحمد لله الذى شيّد ركنَ الإسلام بسيفه المنتضَى، وجدّد للُملك مزيدَ التأييد بكافلِه الذى مابرح وفاؤه للملوك الأواخر والأوائل مرتضَى، وأنجزَ من وعودِه الاتفاقُ والتوفيقُ ما كان من ذمّة الدهر مُقتضَى، جامع شَمْلِ الأوامر والنواهى بتفويضها

(١) الزبون، من الزبن بفتح فسكون : وهو الدفع ومنه قيل : حرب زبون، لأنها تدفع الأبطال عن الإقدام خوف الموت .

الى مَن تبيت العدا مِن مهابته على جمر الغَضَى ، ومُنيلِ المنى بمواهبه التى تحوز موادَّ الاختيار وتجوز أمَدَ الرضا ، ومُلقِى مقاليدِ التدبير الى من أضحى جميلَ التأثير اذا تصرَّف فى الرفع والخفض حكمُ القضا ، ومصرِّف أزمّةِ الأمور فى يد من غدا ثابتَ العزَمات فى الأزَمات ، فما أظلَمَ خطبٌ إلا انجلى بمصابيح آرائه وأضا ؛ نحمده على أن عضّد دولتنا بالكافل الكافى الذى اختاره الله لنا على عِلم ، ومنح أيّامَنا موالاةَ الولىّ الذى جُمِعت فيه خَلّتان يحبّهما اللهُ ورسولُه : وهما الأناةُ والحِلم ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مشرقةَ الأنوار ، مغـدقةً سحبُها بأنواء المِنَنِ الغزار ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعثه الله لإقامة شـعائر الإيمان ، وخصّ ملّته فى الدنيا والآخرة باليمن والأمان ؛ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من أضحى بفضل السَّبْق للإيمان به صِدّيقَه وصَديقَه ، وأمسى لفرط الأُلفة أنيسَه فى الغار ورفيقَه ؛ ومنهم من ضافَرَه فى إظهار النبوّة ووازَرَه (١) ، وظاهَرَه على إقامة منارها بإطفاء كل ثائرة وإخمادِ كلّ نائره (٢) ؛ ومنهم من ساعد وساعف فى تجهيز جيش العُسْره (٣) ، وأحسَن وحسَّن مع إخوانه المؤمنين الصحبةَ والعشره ؛ ومنهم من كان سيفَه الماضىَ الحدّ ، ومهنّدَه الذى كم فَلّ بين يديه الجموع فما اعترَض إلا قطّ (٤) ولا اعتَلى إلا قدّ ؛ وسلّمَ تسليما كثيرا ؛ أما بعد ، فان الله تعالى لما هنّأ لنا مواهبَ الظَّفَر ، وهيّأ لنا من الملك موادَّ إدراكِ المنى وبلوغ الوَطَر ، وأيدنا من أنصارنا بكلِّ ذى فعلٍ أَبَرَّ ووجهٍ أغَرّ ؛ وشدَّ أزْرَنا بمضافرة سيف يُزهَى المُلكُ بتقليده ، وأمَدّنا بمؤازرٍ تَتصرّف المنى والمنونُ

(١) وازره : أعانه وقوّاه ، والأصل آزره بالهمز ، وفى القاموس وشرحه مادة «أز ر» أن المؤازرة بالهمز أفصح ، وبالواو شاذ ؛ وقال الفراء : إنه عامىّ .

(٢) النائرة : اسم فاعل من نارت الفتنة تنور ، إذا وقعت وانتشرت .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٣ من هذا السفر .

(٤) القط : القطع .

بين وعدِه ووعيدِه ؛ وجب علينا أن نحوط دولتنا بمن لم تزل حقوقُ مودّته بحسن الثناء حقيقَه ، وعهودُ محبّته فى ذمام الوفاء متمكّنةً وثيقَه ، وطريقتُه المثلى فى المحاسن والإحسان مشهورةً ولا نرى مثــلا لتلك الطريقه ؛ وتقلّد كفالةَ ممالكنا للولىّ الذى مابرح يتلقّى أمورَنا بفسيح صدرِه ، و يتوَقّى حدوثَ كلّ مانكرهه فينهض فى دفعه بصائب رأيه وثاقبِ فكرِه ؛ وكان الجنابُ الكريمُ العــالى الأميرىُّ الكبيرىُّ العالمىُّ العادلىُّ الكافلىُّ المؤيّدىُّ الزعيمىُّ الغيــاثىُّ(١) المُسندىُّ المهِّدىُّ الناغرِىُّ المظفّرىُّ المنصورىُّ السّيفىُّ ، معزُّ الإسلام والمسلمين ، سيِّدُ أمراء العالمين ، سندُ الممالك ، مدبِّرُ الدُّوَل ، مقدّمُ العساكر ، أميرُ الجيوش ، كهفُ الله ، حصنُ الأمّة ، نُصرةُ الملوك والسلاطين ، (سَلَاُر المنصورىُّ) نائبُ السلطنة المعظّمة ، وكافلُ الممالك الاسلامية ، — أعز الله نصره — هو واســطةَ عِقد الأوليــاء ، وسيــفَ الدولة الفاتكَ بالأعداء ، والذى أَسلف فى نُصرة الإســلام حقوقا غدت مرقومةً فى صحف الفخار ، واســتأنَف فى مصالح الأمّة المحمديّة تدبيراتٍ أظهَر بها أسباب التأييد على الأعداء والاستظهار ؛ كم أصلح بيمن سياسته ذاتَ البَين ، وكم أبهج ببركة تأتّيــه(٢) وتأنّيه كلّ قلب وأقرّ كلّ عين ؛ وكم ساس من مُلك فأضحى ثابتَ الأساس ، وجعــل شعارَه دفعا للباس ونفعا للنــاس ؛ ما عوهــد إلا وأَوفَى ، ولا عوند إلا وعَفّ وعفا ، ولا آستُشفِيَ فى طبّ (١٢) معضلة إلا وشَفَى ، ولا آستدرَك تدبيرُه فارطَ(٣) أمرٍ كان على شفا ؛ فما يومُه فى الفضل بواحد ، ولا أحد لمثل محاســنه الجميلة بواجد ؛ لعزماته فى مواقف الجهاد السوابقُ

(١) فى الأصل : «الفيانى» بالفاء والنون ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٢) التأتّى للأمر : الترفق له والتلطف فيه .

(٣) الفــارط : الفائت ؛ يريد بهــذه العبارة وصفه بالحزم وأنه لا يترك الأمور ينفذ الخلل إليهــا ثم يستدركها بعد فواتها ، بل إنه يتوقى الخلل فيها بتدبيره قبل حصوله .

الغُرُّ المحجَّله، ولِتدبيراته فى مصالح العباد والبلاد المنافعُ المعجَّلةُ والمؤجَّله؛ وهو الذى خافت مَهابتَه الكتائب، وأُمِّلَت مواهبُه الرغائب[1]، ولعِبَتْ[2] سَطَواتُه للعــدا خيالا فى المراقدِ وخيلا فى المَراقب، وآمتَـطَى من الشهامة كاهلَها فأَحجَم عنه لمّـا أقدم كلُّ مُحارِب، وصــدق مَن نعَتَه بالسيف، فلو لم يُنعَت به لقيــل : هذا سيف يفتُك بالضَّريبة ولا تُفَلّ له مَضارب؛ وكم لقِىَ بصدره الألوفَ من التتار — خذلهم الله — والمنايا قد بلغتْ من النفوس المنى، وأَمضَى سـيفَه فى الحروب وما شكا الضنى؛ وحمل حملة فرّق بها كلّ شَمْلٍ للكفّار آجتمع، وقطع أعناق العدا فى رضى الله تعالى ولا يُنكَر السيفُ إذا قطع؛ ووصل من العلياء إلى غايةٍ تُزاحِم الكواكبَ بالمناكب، وتَفرَّد بأمر الجيـوش فأضحى بدرَ الكتائب وصـدرَ المواكب؛ إذا جاش الجيشُ ثبت عنـد مشتجر الرماح، وإذا أظلم ليـلُ النَّقْع وَضَحَت أساريرُ جبينِه وضــوحَ الصباح، وإذا أقدم فى كتيبة "رأيتَ البرَّ بحرا من سلاح" وإذا رُفِعت راياتُه يوم الوغى كبَّرَتْ بالظَّفَر على ألسنة الرماح، وإذا كان فى جحفلٍ كانت عزائمُه للقلب قلبا وصوارمُه جناحا للجناح، وإذا قَدَر فى السِلم عفا لكنه فى الحرب قليلُ الصفح بينَ الصِّفاح؛ وهو الذى ما برحت أيدى آنتقامه تهدم من أهل الشرك العمائرَ والأعمار، وبروقُ سيوفه تَذهَب بالنفوس لا بالأبصار، ويمنُ يمينه وصبحُ جبينه هذا يَستهِلّ بالأنواء وذا بالأنوار؛ اقتضَى حسنُ الرأى الشريف أن نوفىَ حقــوقَ مودّته التى أسلفها لنا فى كل نُعمى وبُوسى، وأن نضاعفَ علوَّ مكانه من أخوتِنا ليكون منا كهرون

---

(١) الرغائب : النفائس المرغوب فيها، واحده رغيبة .

(٢) كذا ورد هــذا اللفظ فى الأصل؛ يريد أن سطواته فى تشكلها للأعداء فى النوم بالخيال وفى اليقظة بالخيل تشـبه فعل اللاعب حين يتشكل للناظر بأشـكال مختلفة . أو لعله : « ولقبت » بالبناء للجهول أى سميت وعلى الأول فقوله : « خيلا » حال من سطوات وعلى الوجه الآخر فهو مفعول ثان، وإنما لم يتعدّ اليه بالباء كما هو مقتضى اللغة لتضمنه معنى التسمية .

من موسى ؛ فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ المظفّرىّ الركنى — لا برح يوفى بعُهود الأولياء ويفى ، ويَمنح من أخلص النيّة فى ولائه البرّ الخفىّ والفضلَ الحَفِى — أن تكون كلمةُ الجناب الكريم العالى الأميرىّ السيفىّ المشارِ إليه — أعزّ الله نصره — نافذةً فى كفالة الممالك الإسلاميّة ، متحكّمةً فى نيابة السلطنة المعظّمة ، وأوامرُه المطاعةَ فى إمرة الجيوش وحياطة الثغور التى غدت بدوام كفالته متبسّمة ؛ على أجمل عوائده(١) ، وأكمل قواعده ؛ نيابةً ثابتةَ الأساس ، ناميةَ الغراس ؛ لا يضاهَى فيها ولا يشارَك ، ولا يَخرُج شىءٌ من أحوالها عن رأيه المبارك ؛ فليبسُط نهيَه وأمرَه فى التدبير والإحكام ، وليَضبِط الممالكَ حتى لا تسامَى ولا تُسام ؛ وليُطلع من آرائه فى سماء الملك نجوما بهـا فى المصالح يُهتدَى ، وليَرفع من قواعده ما يخفض به قدرَ العـدا ؛ وليُضاعِف ما أَلِفته الأئمةُ من عدله ، وليَجرِ على أكرم عاداته مِن نشرِ إنصافه وشمولِ فضلِه ، وليعضِّد جانب الشرع المطهِّر فى عَقدِه وحَلّه ، وتحريمه وحِلّه ؛ ولينفذ كلمتَه على ما هو من ديانته مألوف ، وليَستكثِر من الاقتداء بأحكامه فى النهى عن المنكر والأمرِ بالمعروف ؛ وأمراء الإسلام وجنوده ، فهم ودائعُ سرّه ، وصنائعُ شكره ، وطلائعُ نصره ، وما منهم إلا من غُذِىَ بلبان(٢) دَرّه ، وغدا [من](٣) ثناء(٤) عصره متقلدا لعقود دُرّه ؛ فليستدم حُنوَّه عليهم وإشفاقَه ، وليوالِ إليهم برَّه وإرفادَه وإرفاقَه ؛ والوصايا كثيرةٌ لكنها منه تُستملَى ، والتنبيهاتُ على المصالح منه تستفاد نقْلا وعقلا ، وما زلنا نستضئ فى المهمّات بيمن آرائه التى جَمعتْ للصالح شملا ؛ فمثلُه لا يُدَلّ على صواب وهو المتفرِّد بالسداد ، والخبيرُ بتفريج كُرَب الخطوب والسيوفُ

(١) كذا فى الأصل ، وهو جمع عادة كما فى المصباح ، ولم نجده فى غيره من كتب اللغة التى بين أيدينا .
(٢) اللبان بالكسر : الرضاع ، يقال : هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال : بلبن أمه .
(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضى اثباتها .
(٤) فى الأصل : «سناء» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

غامضةُ الجفون فى الأغماد ؛ والله تعالى يمتعنا من بركة كفالته بالخِـلّ المُوافِى(١) والأخ المواسِى، ويشدّ أزرَ سلطاننا من مضافرته بمن أمسى جبل الحُلوم(٢) الرواسى؛ إن شاء الله تعالى .

(١٣) ومن انشائه أيضا أعزه الله تعالى مقامة عملها فى سنة اثنتين وسبعمائة، على لسان من التمسها منه، فقال :

حَكَى أليفُ الغرام ، وحليفُ السَّقام؛ وقتيلُ العيون، وصريعُ الجفون ؛ وفريسةُ الأسود، والمصابُ بنبال الحَدَق السود؛ عن قصّتِه فى هواه، وقضيّته التى كان فى أوّلهـا غِناه ، وفى آخرها عَناه(٣)؛ قال : لم أزل فى مدّة العمر أترقّب حبيبا أتلذذ بحبّه، وأتنعّم بقربِه ؛ وأحيا بانعطافِه ، وأسكر من ريقه بسلافِه؛ وأستعذب العذابَ فيه ، وأرشُف خمر الرضاب مِن فيــه ، وأقتطِف ورد السرور من وجنتيه وأجتنيه ؛ وأكتسِى به لطفا، وأكتسب بمصاحبته ظَرْفا ؛ حتى ظفِرتْ يداى بمن رَقّ وراق، ولطُفَتْ حدائقُ معانيه حتى كادت تَخفى عن الأحداق

لطُفَتْ معانيه فهبّ مع الصّبا * ورقيبُــه بهبوبه لا يعــرِفُ

قد جمع أوصاف المحاسن والمعانى ، وفاق كلَّ مليح فليس له فى الحسن ثانى ؛ أما قوامُه ، فقــد ملك الفؤاد فأضحى مَلِكا عادلا ، واستباح النفوسَ من اعتــداله فلا غرو إن أضحى لهـا قاتلا

---

(١) الموافى ، من وافى يوافى : وهو بمعنى وفى ، يقــال : وفى له بالعهد يفى ووافى يوافى كلاهما بمعنى واحد انظر اللسان .

(٢) فى الأصل : «الحلقوم» والقاف زيادة من الناسخ . والحلوم ، جمع حلم بالكسر : وهو الأناة وعدم الخفة . والرواسى : صفة للحلوم .

(٣) فى الأصل : «غناه» بالغين ؛ وهو تصحيف .

عَجَبا لقـــدّك ما ترنّحَ مائلا * إلا وقد سلب الغصونَ شمائلا

وأما لحاظُه فقد غَنيتْ عن الكُحْل بالكَحَل، وأذابت حبّاتِ القلوب فى حُبّ تلك المقَـــل

وإذا رأيتَ الطرف يعمل فى الحشا * عمـــلَ الأسنّة فالقـــوامُ مثقّفُ

إلى غير ذلك من وجه كالبدر فى تمامِه، يعلوه مِن شعرِه مايصير به كالبدر تحت غمامِه

قمر تبلّج وجهُـــه فى حندسٍ * من شعره فأضاء منه الحندسُ

ومقبّلٍ أشهى من الراح، وأعطرَ من زهر الربا تفتّحت أكمامُه عند الصباح

ومقبّل عذب كأنّـ * ـن رضابَه بَرَدٌ وراح

وخدٍّ أمسى شقيقَ الشّقيق،[(١)] ومَبسِمٍ يُرشَف مِن شفاهِه العقيقِ الرحيق

شـــفة كمحمرِّ العقيـ * ـق ومَبسِم مِثلُ الأقاح[(٢)]

وصُدْغٍ سال على خدّه القانى، وامتدّ كدمع محبِّه الأسيرِ العانى

صبّ له دمعٌ كصُدغك سائلٌ * فعساك يا مُثْرِى الجمال تُواسِى

وخصرٍ لَطُف ودَقّ، وعلاه كَثيبُ ردفٍ فأثقله حتى ضَنِيَ ورَقّ

يا ردفَه رفقا على خصرِه * بينكما حرمـــةُ جيرانِ

الى غير ذلك من أنواع حسنٍ قصر عن وصفها قلمى، وعجز عن حصرها كَلِمى؛ وأشفقتُ من شرحها خوفا أن أَنِمَّ عليـــه، أو أذكر ما تفرّد به من الحسن فأكون

---

(١) يريد بالشقيق: شقائق النعمان، وهو زهر أحمر، وإنما أضيف الى النعمان لأن النعمان بن المنذر حمى أرضا فكثر فيها هذا النبت؛ وقيل: النعمان اسم للدم، وشقائقه: قطعه، فشبهت حمرة هذه الزهرة بحمرة الدم.

(٢) الأقاحى بتخفيف الياء وتشديدها: جمع أقحوان، وهو من نبات الربيع، دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن؛ وهو المسمى بالبابونج والبابونك عند الفرس.

قد أشرتُ اليه ؛ وأنا قد تدرّعتُ ثوبَ الكتمان، وتســتّرتُ حتى غاض منى الدمعُ وأغضى الطرفُ وسكت اللسان

يقولون من هذا الذى مُتَّ فى الهوى * به كَلَفـًا يا ربِّ لا علموا الذى

غيرَ أنّى قد متعت بذكر ملاحته فؤادى، ولا بدّ أن أُوردَها مجمَـلةً لأُكَثِّر(١) بلفظها(٢) المُعـادى

حكاه من الغصن الرطيبِ وَرِيقُه * وما الخمرُ إلاّ وجنتـاه وريقُـه
هــلالٌ ولكن أفقُ قلبى محــلُّه * غزالٌ ولكن سـفحُ عينى عقيقُه
بديعُ التثنِّى راح قلبى أسـيرَه * على أن دمعى فى الغرام طليقُـه
أقرَّ له من كل حسنٍ جليـلُه * ووافقـه من كل معنًى دقيقُـه
من التُّرك لا يصبيه وجدٌ إلى الحِمى * ولا ذكرُ باناتِ الغُوَيرِ(٣) يشُـوقُه
ولا حلَّ فى حىٍّ تلوح قبـابُه * ولا ساق فى ركبٍ يساق وسيقُه(٤)
ولا بات صـبًّا للفُرَيق(٥) وأهــلِه * ولكن إلى خاقانَ يُعزَى فَرِيقُـه
يهدِّد منه الطرفُ من ليس خصمَه * ويُسكِرمنـه الريقُ من لا يذوقُـه
على خدّه جمر من الحسن مضرَمٌ * يُشَبُّ ولكن فى فؤادى حريقُـه
له مَبسِمٌ يُنسِى المــدامَ بريقِــه * ويُخجِل نُوّارَ الأقاحى بَريقُـه

(١) فى الأصل : « لا لمد » ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٢) بلفظها : أى بذكرها، فالمراد من اللفظ المصدر، أى التلفظ .

(٣) الغوير : ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام ؛ وقال أبو عبيد السكونىّ : إنه ماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولعل المراد بالوسيق : الموسوق، فعيل بمعنى مفعول أى الذى حمل عليه الوسق بفتح الواو وهو الحمل .

(٥) فريق بالتصغير : اسم موضع بتهامة ، كما فى معجم البلدان والقاموس ، وهو فيهما غير معرّف بأداة التعريف .

قال الراوى : فأعلمتُه ما خامر قلبي من هواه ، و بذلتُ نفسى ٱبتغاءً لرضاه

بَثثتُ له سرّى ونحن بروضـةٍ * فمـالت لتُصغِى للحديث غصونُ

فتلقّى ضراعتى بالرُّحْب والإقبال، وسَفَرَ عن وجه الرضا فبشّرتُ نفسى ببلوغ الآمال؛ وقلت(١) :

تذلّلتُ فى الشكوى إليه فرقّ لى * حُنوّا لدمعى فى الهـوى وتذلُّلى
غزالٌ لبستُ السُّقمَ خلعةَ جفنه * على أننى فيـه خلعتُ تجمُّلى
تَعَلَّلَ بالأعذار حتى خدعتُـه * بسِحر الرُّقَى أفديه مِن متعلِّلِ (١٤)
فراقَبَ إغفاءَ الرقيب وهَجعـةَ الـ * ـسّمير وراعَى حينَ غفـلةِ عُذّلى
ووافى أخا الأشواق حلفَ صبابةٍ * أسـيرَ هوًى مِن وجدِه فى تَملمُلِ
فلم أر روضا كان أحسنَ بهجةً * ـ لعمرِ الهوى ـ من وجهه المتهلّلِ
فأعظمتُ مَسراه وقبّلتُ خاضعا * ثرى خَطوِه شكرا لفضل التطوّلِ

وٱنعطف علىّ ٱنعطافَ الغصن الرطيب ، وتمازجتْ قلوبُنا حتى أشكل علىّ أينا الحبيب(٢) ؛ وفزتُ منه ببديع جمـال تلذّ به النفوس، ورَشَفتُ من رضابه أحلى ما تَرشُفه الأفواهُ من شفاهِ الكئوس

تَعلّقتُـه صائدا للقـلوب * بألحاظـه سالبا للنُّهى
بديعَ الجمـال إذا ما بـدا * ترى فيه للعين مستنزَها(٣)
فكم فيـه للعين من روضةٍ * وكم فيه للنفس من مشتهى

(١) فى الأصل : « وقال » ؛ وما يأتى بعده من الشعر يقتضى ما أثبتنا .
(٢) فى الأصل : « أتيا » ؛ وهو تصحيف .
(٣) قال المطرزى فى المغرب : الأستنزاه بمعنى التنزه غير مذكور إلا فى الأحاديث ا هـ .

يا حسنَه لمّـا أتى بوعد وعلى غير وعد ، ويا لذاذةَ قربِه ويا حرارةَ ما ذقناه بعدها من هجرٍ وصــدّ؛ فلم نزل على ذلك مدّةً أغفَى الدهرُ عنّا فيهـا، أُقضّى حياةً طابت تلذُّذا وترَفِيها

رعى الله محبوبا نعمتُ بوصلِه * وقد بعدتْ عنّا الغـــداةَ عيونُ

حتى شعَر بنـا الدهرُ الخؤون ، ورمانى بسهم فرقةٍ أبعدت ٱلمنى وجلبت ٱلمنون ؛ وعلم بمـا كتمناه الرقيب ، وعجَز عن داء قلبى ٱلطبيب

لو كان للعشاق حظٌّ فى الهوى * ما كان يُخلَق فى الزمان فـراقُ

فتجرّعتُ بعد الشُّهد علقما ، ولَم أستطع أفتحُ[(١)] من الحزن فما ؛ وهمتُ فى ساحة الشوق والآلتياح[(٢)]، وفضحتْنى الأدمعُ التى طال بها على المحبّين الآفتضاح

لا جزى اللهُ دمعَ عيـنىّ خيرا * وجزى اللهُ كلَّ خيرٍ لسانى

نَمّ دمــــعى فليس يكتم شيئا * ووجدتُ اللســانَ ذا كتمانِ

كنتُ مِثلَ الكتّاب أخفاه طىٌّ * فآســـتدَلُّوا عليه بالعُنـــوانِ

فاذا هو مُرُّ المَذاق ، وأمنع الدمعَ فيقول : وهل خبأتَنى لأعظمَ من يوم الفراق

أبَى الوجدُ أن يُخفيه قلبُ متيَّمٍ * يكابده والدمعُ يُبديه والضّنى

---

(١) يريد : أن أفتح ؛ فأن فى هذه العبارة محذوفة ، وقد أجاز الأخفش حذفها مع رفع الفعل بعدها وجعل منه قوله تعالى : (أفغير الله تأمرونى أعبد) الآية ، « وتسمع بالمعيــدىّ خير من أن تراه » برفع «أعبد» و «تسمع» وظاهر شرح التسهيل موافقته حيث قال فى قوله تعالى : (ومن آياته يريكم البرق) : أنّ «يريكم» صلة أن حذفت وبقى الفعل مرفوعا ، وهذا هو القياس ، لأن الحرف عامل ضعيف فحذفه يبطل عمــله اه . وأما حذف أن مع نصب الفعل بعدها فهو شاذ عنــد البصريين فى غير المواضع المنصوص عليهـا فى كتب القواعد .

(٢) فى الأصل : « الآرتياح » بالراء ؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق . والالتياح فى الأصل : شدة العطش من اللوح بفتح اللام ، والمراد هنا الهيام والعشق لشبههما بالعطش فى شدة الغليل .

وكم ذاب القلبُ حسره، وتفتّتت الكبدُ فى تلك الفتره، على خَلوة أبُثّ فيها حَزَنى، وأفْسَح فيها المجالَ الذى ضاق به عَطَنى ؛ فلم أظفر بخَلوة فى لمحة بصر ، ولا فزتُ بذكر كلمة أفرّج بها ما عرض من حَصَر

تعرّضتُ من شوق إليه فأعرضا * ولولا الهوى لم أمنح الحبَّ مُبغِضا
وبُحتُ إليه أنّ عندى رياضةً[1] * عليه وما تلك الرِّياضةُ عن رضا
قضى حبُّه أنّى إذا عزّ فى الهوى * أذِلّ وإنى قد رضِيتُ بما قضى
لقلبىَ من عينيه سُقْمٌ وصحّةٌ * فكم مرّة فى الحبّ داوى وأمرضا
مضى لى به عيشٌ بكَيتُ لفقده * وهيهات أن يرتدّ عيشٌ إذا مضى

وبُليتُ[2] برقيب قد سلب الله من قلبه الإيمان ، وسلّطه علىّ بغلظ الطباع وفظاظة اللسان؛ كأنه شيطان لا بل هو بعينه ، لكنّه أربى عليه فى بهتانه ومَينه ؛ يُحاقّ[3] على الكلمة الواحده، ولا يسمح بأن طرفى يمتدّ إلى تلك المحاسن التى غدت القلوبُ بها واجده ؛ يوَدّ لو غُطِّىَ على بصرى ، ويبدلنى مَغيبى من مَحضَرى ؛ لا يَفتُر عن اللّوم والعَذَل ، ولا يرى أن يقضىَ ساعاتِه إلّا فى بذل الحِيَل؛ يرغب فى شتات شملى، وانقطاعِ وصلى؛ وليس لى فى دفعه حيله ، ولا فى الانتقام منه وسيله ؛ وما زال حتى أحال الحبيبَ عن ودادِه، وكدر ما صفا من حسن ظنّه واعتقادِه؛ وأنا أرُوض نفسا كادت تذوب، وأتسلّى بأيّام وصاله وأقول : لعلها ترجع وتؤوب

لئن ذقتُ مرَّ الصبر أو ملحَ أدمعى * لقد أعذبتْ تلك المَذاقاتُ مَنهلى

---

(١) يريد بالرياضة هنا : ملازمة هواه والاعراض عن كل ما سواه ، أخذا من الرياضة عند العباد وأهل التصوّف .

(٢) فى الاصل : « وتلفت » ؛ وهو تحريف .

(٣) يحاق ، من المحاقة بتشديد القاف : وهى المخاصمة والمنازعة لاظهار الحق ؛ وفى الأصل : « يحاقق » بقافين ؛ وهو مما يجب فيه الإدغام .

فلم يقنع ٱلدهرُ لى بذلك ، ولا رضى بالصدّ والعذل والهجر الذى هو أعظمُ المهالك؛ حتى قضى بالفرقة والبِعاد، ورمتنى النوى بسهم فلم يخطئ ٱلفؤاد؛ وكنتُ أتعلّل بالنظر، وأقول : مشاهدةُ هذا الوجه القمرىّ عندى أكبرُ وطر؛ حتى (١٥) مُنِعتُ الوصالَ والمشاهده، ونَدَبتُ قلبى القريحَ بأدمع عينى ٱلجامده

أحبابَ قلبى لقد قاسَيتُ بَعدكمُ * نوائبا صيّرتْنى فى الهوى مَثلا
وقد تعجّبتُ أنّى بعد فرقتكم * أحيا وأيسرُ ما لاقَيتُ[١] ما قَتَلا

وٱنقطعتْ عنّى الرسائل، وذهبت لذاذةُ ما ٱعتدتُه من تلك الوسائل

هل مُخْبِرٌ عنكم يعيش بقربه * ميتُ الرجا والصبرِ بعد إياسِ
أحبابَنا قسما بساعة وصلنا * لَم أكتحِل من بَعدكم بنعاس
غبتم فعندى بالفراق مآتمٌ * فمتى تعود بعَودكم أعراسى

وذَوَى غصنُ السرور بعد أن كان رطيبا ، وفقدت لنداء ألمى مجيبا ؛ وأغلقتُ بابَ الدَّعه ، وأسبلتُ هواطلَ أدمعى قائلا للأجفان : لا تخشَىْ فأنت منفقة من سَعه ؛ ولولا التعلُّلُ بالذكرى ، والتأمّلُ[٢] فى حسنه[٣] الذى تَشكّل فى مرآة القلب فَسَرَّ سِرّا ؛ لقلت :

كأنّك قد خَتمتَ على ضميرى * فغيرُك لا يمر على لسانى
ولى عينٌ تراك وأنت تنآى * كما ترنو إليك وأنت دانى
وأقربُ ما يكون هواك منّى * إذا ما غاب شخصُك عن عِيانى

(١) فى ديوان أبى الطيب المتنبي (ما قاسيت) والمعنى يستقيم عليه أيضا ؛ وهذا صدر بيت له من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنبجى ؛ وتمام البيت :

* والبين جار على ضعفى وما عدلا *

(٢) فى الأصل : « والتأمن » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : « بحسنه » بالباء ؛ وهو تحريف .

شَغلتَ عن الورى بصرى وسمعى * كأنهما بحبِّك مفردانِ
فهأنا لا أعاين ما بدا لى * سواك ولا أُصيخ لمن دعانى

ثم إنّى فارقتُ الحياه، وبذلتُها راغبا فى هواه ؛ ولم أزل كذلك الى أن ظهرت آثار قربِه ، وسَرَى النسيمُ عِطرا فعلمتُ قربَ ركبِه

وأذكرنى ذاك الصَّبا(١) زمنَ الصِّبا * وما الشوقُ إلا ما تجدَّدَ بالذكرِ

فكاد قلبى يطير للقائه ، ولولا تستُّرُه بحُجب الفؤاد لخرج من قوة بُرَحائه ؛ وتذكرتُ كيف يكون اللقاءُ والاجتماع ، والرقباءُ قد أزمعوا على المنع والدِّفاع ، وقلتُ : فارقَنى على غير رضا ، وجفانى من غير ذنب ، ونآى عنّى من غير وداع ؛ وهأنا فى غيابه وحضورِه ، وسخطه وسرورِه؛ لا أَحُول عن ودِّه ، ولا أرَى إلا الوفاء بعهدِه

هيهات ما وجدى عليك بزائل * فإلام يُطنِب فى الملامة عاذلى
ناشدتك العهدَ القديمَ ويومَنا * بِلوى الصَّريم وبانِه المتمايِلِ(٢)
هل تعلمنّ سوى هواك وسيلةً * تدنى رضاك وقد جهلتُ وسائلى
أدنَيتَنى حتى إذا تيمّتَنى * بمحاسنٍ ومعاطفٍ(٣) وشمائلِ
وبحسنِ وجهٍ لو تجلّى فى الدجى * سجد الصباحُ لضوئه المتكاملِ
ونواظرٍ سحّارةٍ بجفونها * فضلُ الصناعة(٤) لا لساكنِ بابلِ(٥)

---

(١) الصبا بالفتح : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ؛ قاله ابن الاعرابى، وتثنيتها صبوان وصبيان ؛ وهى مؤنثة ، وإنما أراد هنا النسيم فأوردها بالتذكير .

(٢) عبارة الاصل : « وبانة المتمائلى » وهو تحريف .

(٣) أراد بالمعاطف : مواضع الانثناء من البدن كالخاصرتين والجيد جمع معطف بفتح الميم وكسر الطاء كما هو قياس اشتقاق اسم المكان من الفعل المكسور العين فى المضارع .

(٤) يريد : صناعة السحر .

(٥) بابل : اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر .

ووقعتَ من قلبي بودٍّ قد جرى [1] * مَجرى دمى بجوانحى ومفاصلى
قاطعتنى وسمعتَ قولَ حواسدى * وصرمتَ من بعد الوصال حبائلى [2]
ولرب ليــل بتُّ فيــه مسهّدا * فردا أسامر لوعتى وبلابلى
أطوى على حرّ الغرام أضالعا * يُطوَين فيــه [3] على قداح [4] النابل [5]

وهأنا أترقّب وصلَه ، وأتوقّع عدلَه .

أتراه من جَور الصبابة ينصفُ * ويرقّ للعــانى عليه ويَعطفُ
صبٌّ يرى السُّلوانَ عنه محرَّما * فــله إليــه تولّهٌ وتلهُّفُ
يا أهــل كاظمةٍ [6] وحقِّ هواكمُ * قسما بكم وبغــيركم لا يُحلَفُ
مشتاقُكم أِلفَ الصــبابة فيكمُ * فكأنه لســواكمُ لا يَعرفُ
فعــدوه منكم بالوصــال تَعلّةً * ولكُمْ بأن تعِدوا الوصالَ ولا تفوا
وحياتَكم [7] يرعاكمُ فى بُعــدكم * ولقربِكم فى بُعــدكم [8] يَتشوّفُ

(١) فى الأصل : « حوى » ؛ وهو تحريف .

(٢) الحبائل : الأسباب والعهود واحده حبال جمع حبل ، فحبائل جمع الجمع اللسان .

(٣) لعله « منه » أى من الغرام .

(٤) المراد بالقداح هنا السهام على طريق التجوّز فى استعمال اللفظ ، فان القــداح فى الأصل : هى السهام قبل أن تراش وتركب فيها النصال ، واحده قدح بكسر القاف وسكون الدال ، فاستعمالها فى السهام ذات النصال مجاز مرسل باعتبار شأنها الأول .

(٥) النابل : الرامى بالنبل ؛ والذى فى الأصل : «البابل» بالباء فى أوله ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق .

(٦) كاظمة : جوّ على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة ، بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها .

(٧) نصب هذا اللفظ على الظرفية ، أى أنه يرعاكم ويتشوف لقربكم ما حييتم ؛ ولا يجوز الإعراب بالكسر على القسم لأن الفعل بعده لا يصلح أن يجعل جوابا له لعدم تأكيده باللام والنون .

(٨) عبارة الأصل : « ولبعدكم فى قربكم » وفيها تقديم وتأخير مفسدان للمعنى .

وليس لى ما أمُتّ به إلا صِدقُ الغرام، والإقدامُ فى حبّه[١] على ارتكاب[٢] الحِمام

(١٦) جدِّدْ عهودَ تواصُــلٍ وتَلاقِ * وٱستبقِ لى رمقـا فليس بباقِ
وٱشفَع إلى مارقّ من تَرف الصِّبا * من وجنتيك برقّــة الأخلاقِ
ما حقُّ ذى قلبٍ صفا لك ودُّه * تقطيعــه بقطيعــةٍ وفراقِ
معْ ذاوذا كيف استَهَنتَ فكن أنا ال * ـموثوقُ[٣] بى مولاى فى الميثاقِ

قال الراوى : فسمع شكواى وما أَشكَى[٤]، وقابل رقّتى بجفوة بهـا القلبَ أَنكَى[٥] والطرفَ أَبكَى؛ ولفق أعذارا، وأقسمتُ عليه أن يَزُور فلم يبر لقسمى إبرارا

هــذا ما ٱتّفق إيرادُه مــن كلامه — أدام الله علوّه — فى هــذا الموضع، وسنورد إن شــاء الله من كلامه أيضا ماتقف عليــه فى آخر فن الحيوان فى السفر الذى يليه إن شاء الله تعالى .

ذكر شىء من إنشاء ٱلمولى الفاضل
الصدرِ الكبيرِ الكامل، البارع الأصيل، الأوحدِ النبيل،
تاج الدين عبد الباقى بنِ عبد المجيد اليمانى

هو الذى أتقن صناعة الأدب فى غرّة شبابه، وبرز على من ٱكتهـل فى طلبها وشابَ فى الترقّى إلى رتبها، فما ظنُّك بأترابه؛ وجارى[٦] ذوى الفضل فى الأقطار[٧] اليمنيّة

(١) فى الأصل : « فى جنة » بالجيم والنون ؛ وهو تصحيف .
(٢) يقال : ركبه وارتكبه، كلاهما بمعنى واحد .
(٣) كذا فى الأصل . وقوله : « أنا الموثوق بى » خبر لقوله : « كن » واسمها ضمير مستتر، أى كن أنت، والعائد مقدّر فى جملة الخبر، أى أنا الموثوق بى منك .
(٤) يقال : أشكى فلان فلانا، إذا أزال شكواه، فالهمزة للسلب .
(٥) كذا ورد هذا الفعـل فى الأصل بالألف فى أوّله، والذى وقفنا عليه أنه يقال : نكأ القرحة بدون الألف فى أوّله إذا قشرها بعد البرء وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٠٨ من هذا السفر .
(٦) فى الأصل : « وجاذى » بالذال؛ وهو تحريف .
(٧) عبارة الأصل : « بل فى الأقطار » ؛ وقوله : بل زيادة من الناسخ .

فطلع مُجَلِّى(١) الحَلْبة ، وبارَى نجباءَ الأفاضل بالمملكة التَّعزِّيّة(٢) وكان المؤمَّل(٣) منهم بالنسبة إليه أرفعَهم رتبـه ؛ وسما إلى سماء البـلاغة فكان نجمَها الزاهر ، وآرتقى إلى أفلاك البراعة فكان نيِّرها الباهر ، ورام مَن سواه الآرتقاءَ إلى محلّه والمنـاوأةَ(٤) لفضله فغدا وهو فى ذيول حَيرته عاثر ؛ فعنـد ذلك علمـوا عجزَهم عن إدراك غاياته ، واعترفوا بالتقصير عن مجاراته ومباراته ؛ وحين لم يجد لفضله مُجاريا ، ولاعاين لفضائله مُباريا ؛ صار بها كالغريب وإن كان فى أهله ووطنِه ، والفريد(٥) مع كثرة أبنائه وإخوان زمنه ؛ فسمت(٦) به نفسُه إلى طلب العـلوم من مَظانِّها ، والآحتواء عليها فى إبّانها ؛ والَّلحاق بأعيان أهلِها ، والآختلاطِ بمن آرتدى بأردية فضلِها ؛ ورؤيةِ من توشّح بقلائدها ، وترشّح لبذلِ فوائدِها ونظمِ فرائدِها ؛ ففارق الأقطارَ اليمنيّةَ وهى تسأله التأنّى ، وتبذُل لرضاه الرغبــةَ والتمنّى ؛ وهو لا يجيب مناديَها ولا يعرِّج على ناديها ، ولا يميـل الى حاضرها ولا ينظر الى باديها ؛ وصَرف وجهَه عنها ، ونفض يدَه منها ؛ والتحق(٧) بالديار

(١) المجلى من الخيل : السـابق فى الحلبة .

(٢) فى الأصل : « الثغرية » بثاء مثلثة بعدها غين معجمة وراء ؛ وهو تصحيف إذ لم نجـد وجها لتخصيص اليمن بهذه النسبة . والتعزية : نسبة إلى تعز بفتح التاء وكسر العين وتشديد الزاى وهى قاعدة اليمن كما فى القاموس ؛ وقال فى التاج : انها مدينـة عظيمة ذات اسوار وقصور ، كانت دار ملك بنى أيوب ثم بنى رسول من بعدهم اه . وقال أيضا فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٨ نقلا عن كتاب تقويم البـلدان : إنهـا مقرّ ملوك اليمن يعنى من أولاد رسـول . ثم قال : وهى حصن فى الجبال مطـل على التهائم وأراضى زبيد الخ .

(٣) المؤمل بتشديد الميم المفتوحة : الثامن من خيل الحلبة .

(٤) المناوأة بالهمز والنواء بكسر النون : المفاخرة والمعارضة .

(٥) فى الأصل : « والقرير » ؛ وهو تحريف .

(٦) فى الأصل : « فنمت » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٧) قولهم : التحق به بمعنى لحق كلمة مولدة ؛ قال الصاغانى : لم أجده فيما دوّن من كتب اللغة فليجتنب ذلك انظر تاج العروس مادة «لحق» .

المصريّه، وٱنبتّ[1] فى طلب العلوم بأجمل سريرةٍ وأحسنِ سيرةٍ وأخلصِ نيّه؛ فبلغ فيها[2] مناه، وأدرك بها ما تمنّاه؛ وغدا وثغرُ فصاحته بالعلوم أشنَب، وبُردُ بلاغته بالآداب مُذْهَب

تنــاهى علاءً والشــبابُ رداؤه * فما ظنُّكم بالفضل والرأسُ أشيَبُ

ولمـا عاينه أعيانُ أهلِ هــذا الوادى، وشاهدوه يُبكّر فى طلب العــلوم ويُغادِى؛ تلقّوه بالإكرام والترحيب، وقابلوه بالتبجيل والتقريب، وأنزلوه بالمحلّ الأرفع والفِناءِ الخصيب؛ وعاملوه بمحض الوداد، وساواه شــبابُهم بالإِخْوةِ ومشايخُهم بالأولاد؛ وخلطوه بالنفس والمـال، وظهر له فى ٱبتداء أمرِه بقرائن الأحوال حسنُ المآل؛ فأصبح من عُدول المصر، وأمسى وهو من أعيان العصر؛ فشكر عاقبــةَ مَسيرِه وحَمِد صباحَ سُراه، وأجابه لسانُ الفضائل بالتّلبيةِ لمّـا دعاه؛ ثم ٱرتحل الى الشأم فجعــل دِمَشقَ مَقَرَّ وطنِه، وموطنَ سَكنِه، ومحلَّ ٱستفادته و إفادته، ونهايةَ رحلته وغايةَ إرادته؛ فعامله أهلُها بفوق[3] ما فى نفسِــه، فحمد يومَه بها على أمسِه؛ وغدا لأهل المصرَين شاكرا، ولمناقبِهم تاليا ولمحاسنِهم ذاكرا؛ وله من النظم ما رقّت حواشــيه، وراقت معانيــه؛ ومن النثر ما عَذُب وصَفا، وكَمُل بلاغةً ولطفا؛ وحسُن إعجازا، وتناسَب صدورا وأَعجازا؛ وقد قدّمنا من كلامه فى هذا الكتاب ما بٱسمه ترجمناه، ولفضائلِه نسبناه؛ ممـا تقف عليه فى مواضعِه، وتغتذى بلِبان مَراضعِه؛ فلنورد له

(١) انبت: انقطع، أى انقطع عن الشواغل فى طلب العلوم.

(٢) فى الأصل: «بها»، وهو مكرر مع ما بعده فى الجملة الآتية.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل مجرورا بالباء والذى فى كتب القواعد أن «فوق» و «تحت» من الظروف غير المتصرفة فجرهما بالباء كما هنا غير سائغ، وأجاز بعض النحويين تصرفهما فى نحو فوقك رأسك وتحتك رجلاك برفع فوق وتحت على الابتداء، والذى حكاه الأخفش عن العرب فى هذا المثال هو نصبهما.

فى هــذا الباب غيرَ ما تقدّم إيرادُه وما تأخّر، ونأخذ لتصنيفنا من بلاغته بالنصيب الأوْفَى والحظّ الأوْفَر .

(١٧) فمن إنشائه كتاب عن الخليفة المستكفى بالله أميرِ المؤمنين أبى الربيع سليمان لِمَلكِ اليمن[(١)] — عمِلَه تجربةً لخاطره عند ما رُسم بمكاتَبته، ابتدأه بأن قال :

أما بعد حمد الله مانِح القلوبِ السليمةِ هداها، ومرشِدِ العقولِ إلى أمرِ معادها ومبتداها؛ وموفِّقِ من آختاره الى مَحَجّة صوابٍ لا يضــلّ سالكُها، ولا تُظلم عند اختــلاف الأمور العظام مسالكُها؛ وملهِمِ من آصطفاه آقتفاءَ آثارِ السنن النبويّه، والعملَ بموجب القواعد الشرعيّه؛ والانتظامَ فى سلك من طوّقته الخلافةُ عقودَها، وأفاضت على سُدّته الجليــلةِ بُرودَها؛ وملّكته أقاصىَ البــلاد، وناطت بأحكامه السديدةِ أمورَ العباد؛وسارت تحت خوافق أعلامه أعلامُ الملوك الأكاسره،وسِرتْ[(٢)] بأحكامه النيّرةِ مناجحُ الدنيا ومصالحُ الآخره؛ وتَبَختَر[(٣)] كلُّ منبر من ذكرِه فى ثوبٍ من السيادة مُعْلَم،وتهلّلت من ألقابه الشريفةِ أساريرُ كلِّ دينار ودرهم؛يحمده أميرُالمؤمنين على أن جعل أمورَ الخلافة ببنى العباس مَنُوطه، وَجَعلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ الى يوم

(١) فى صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ أن المكتوب اليه بهــذه الرسالة هو الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر صلاح الدين يوسف بن رسول، وان هذه الرسالة كتبت فى دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة سبع وسبعمائة، وذلك حين منع صاحب اليمن الهدية التى جرت العادة بارسالها الى الأبواب الشريفة بالديار المصرية .

(٢) فى الأصــل : «وسدّت» بالدال؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه وصف الأحكام بالنيرة؛ وعبارة صــبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٢ : «وشيدت بأحكامه مناجح» الخ بدون كلمة «النيرة» والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٣) كذا فى صبح الأعشى؛ وقد وردت هــذه الكلمة فى الأصل مهملة من النقط .

القيامة محوطه؛ و يصلّى على ٱبن عمه محمدٍ ٱلذى أحمد الله بمبعثه ما ثار من الفتن، وأطفأ برسالته ما ٱضطرم من نار الإحَن؛ صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حَمَوا حِمى الخلافة فذادوا عن مواردِها، وتجهّزوا(١) لتشييد المعالم الدينيّة فأقاموها على قواعدِها؛ صلاةً دائمةَ الغدوّ والرواح، متصلا أولُها بطرّة الليل وآخرُها بجبين الصباح؛ هذا و إن الدين الذى فرض الله على الكافّة الانضمامَ الى شعبِه، وأطلع فيه شموسَ هداية تشرق من مشرقه ولا تغرُب فى غربِه؛ جعل الله حُكمَه بأمرنا مَنُوطا، وفى سلك أحكامنا مخروطا(٢)؛ وقلّدنا من أمر الخلافة سيفا طال نجادُه، وكثُرَ أعوانُه وأنجادُه(٣)؛ وفوّض إلينا أمرَ الممالك الإسلاميّة فإلى حرمنا تُجْبَى ثمراتُها، ويُرفَع الى ديواننا العزيز نفيُها و إثباتُها؛ يخلّف الأسدُ إن مضى فى غابه شبلَه، ويُلْفى فى الخُبْر والخبَرِ مثلَه؛ ولما أفاض الله علينا حلّةَ الخلافة، وجعل حرمَنا الشريف محلّ الرحمة والرافه؛ وأقعدَنا على سُدّة خلافة طالما أشرقَتْ بالخلائف من آبائنا، وٱبتهجتْ بالسادة الغطاريف(٤) من أسلافنا؛ وألبسَنا خلعةً هى من سواد السؤدُد مصبوغه، ومن

---

(١) كذا فى الأصل؛ والذى فى صبح الأعشى: «وعمدوا»؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين والتجهز للأمر: التهيؤ له.

(٢) قال فى مستدرك (التاج) مادة «خرط» نقلا عن شيخه ما نصه: استعمل الناس كثيرا الانخراط بمعنى الانتظام والدخول، كانخرط فى السلك اذا انتظم فيه وقد وقع فى كلام الفصحاء الثقات من علماء اللسان كالسكاكىّ والزمخشرى وأضرابهما، ولا يكاد يوجد فى كلام العرب ونصوص أهل اللغة ما يؤيده ثم رأيت الشهاب وقع له مثل هذا، ولكنه رحمه الله وقع فى جامع اللغة لابن عباد على قولهم: خرطت الجواهر، جمعتها فى الخريطة؛ قال: فعلمت أنهم تجوّزوا به عن جعلها فى العقد الخ.

(٣) الأنجاد: الشجعان الماضون فيما يعجز غيرهم، واحده: «نجد» بفتح النون مع كسر الجيم وضمها وزان كتف ورجل.

(٤) فى الأصل: «العصاريف» بالعين والصاد؛ وهو تصحيف؛ والغطاريف من الناس: أشرافهم وسراتهم.

سوادِ العيون وسُوَيداواتِ القلوب مَصُوغه ؛ وأمضَينا على سُدّتنا أمورَ الخاصّ والعامّ ، وقلّدنا أربابَ الكفاية كلَّ إقليم من عملنا ممن تَصلُح سياستُه على الدوام ؛ واستكفَينا بالكُفاة من عمّالنا على أعمالنا ، واتخذنا مصرَ دارَ مُقامنا ، وبها سُدّة مقامنا لما كانت فى هذا العصر قبّةَ الإسلام ، وفِيئةَ الإمام (١) ، وثانيةَ دارِ السلام ؛ تَعَيّن علينا أن نتصفّح جرائد عمّالِنا ، ونتأمّل نظامَ أعمالِنا ، مكانا فمكانا ، وزمانا فزمانا ؛ فتصفّحناها فوجدنا (٢) قطرَ اليمن ، خاليا من ولايتنا فى هذا الزمن ، والعادةُ مستمرّةٌ بأن لم تزل نوّابُنا فى بلاد اليمن ؛ عَرّفَنا (٣) هذا الأمرَ من اتخذناه للممالك الإسلاميّة عينا وقلبا ، وصدرا ولبّا ؛ وفوّضنا اليه أمرَ الممالك الاسلامية فقام فيها قياما أقعد الأضداد ، وأَحسَن فى ترتيب ممالكنا نهايةَ الإصدار وغايةَ الإيراد ؛ وهو السلطان الأجلُّ السيّدُ الملكُ الناصر ، لا زالت أسبابُ المصالح على يديه جاريه ، وسحائبُ الإحسان من أُفق راحته ساريه ؛ فلم يُعِدّ جوابا لما رسمناه ، ولا عذرا عما ذكرناه ؛ إلا تجهيزَ شِرْذِمَةٍ من جحافله المنصوره ، وتعيينَ أناس من فوارسه المذكوره ؛ يقتحمون الأهوال ، ولا يَعبأون

(١) وفيئة الامام : أى محل فيئته ؛ والفيئة : الرجوع كالفىء من فاء يفىء اذا رجع ؛ يريد أن مصر هى التى رجعت اليها الامامة العباسية ؛ وكان ذلك بعد سقوط بغداد فى يد هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة كما فى تاريخ أبى الفداء ج ٣ ص ٢٠٢ طبع القسطنطينية ، وكان رجوع الامامة العباسية ثانيا فى سنة تسع وخمسين وستمائة على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس — وهو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية — وكان أوّل خليفة بايعه الملك الظاهر هو الامام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله ، ولقب بالمستنصر بالله ؛ ولم يقم بمصر ، والذى أقام بها هو الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن على بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد بايعه الملك الظاهر أيضا فى سنة ستين وستمائة وأسكنه فى مناظر الكبش التى أنشأها الأمير أحمد بن طولون ؛ والحاكم بأمر الله هذا هو جدّ الخلفاء الذين تولوا الخلافة بمصر انظر بدائع الزهور لابن إياس فى حوادث سنتى تسع وخمسين وستمائة وستين وستمائة .

(٢) فى الأصل : «فوجدناها» ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

(٣) لم ترد هذه الجملة فى صبح الأعشى .

بتغيّرات الأحوال؛ يَرون الموتَ مغنما إن صادفوه، وشَبا المُرهَف مكسبا إن صالحوه؛ لا يشربون سوى الدماء مدامَه، ولا يلبسون غيرَ التّرائك(١) عمامه؛ ولا يَعرِفون طربا إلا ما أَصدره(٢) صَليلُ الحسام من غِنا، ولا ينزلون قفرا إلا وأنبَت ساعةَ نزولهم عن صَهوات خيلهم قَنا؛ ولما وثقنا منه بإنفاذهم راجَعْنا رأينا الشريف فاقتَضى أن نكاتب مَن بَسَط يدَه فى ممالِكها، وملَك جميعَ مسالِكها؛ واتخذ أهلَها خوَلا، وأبدَى فى خلال ديارها مِن عدم سياسته خَلَلا؛ فبرز مرسومُنا الشريفُ النبوىُّ أن نكاتب من قعد على تخت مملكتِها، وتصرَّف فى جميع أمور دولتِها؛ فطُولع بأنه ولدُ السلطان الملكِ المظفَّرِ يوسفَ بنِ عمر الذى له شُبهةُ(٣) تمسُّك بأذيال (١٨)
المواقف المستعصمية(٤)، وهو مستصحِبُ الحالِ على زعمِه، أو ما علم الفرقَ بين الأحياء والأموات؟ أو ما تحقّق الحالَ بين النفى والإثبات؟ أصدرناها إلى الرِّحاب التَّعزِّيه(٥)، والمعالِم اليمنيّه؛ تُشعِر من تَولّى فيها فاستبدّ، وتَولّى كِبرَه فلم يعرِّج على أحد؛ أنّ أمر اليمن ما برحتْ حكّامُنا ونوابُنا تحكم فيه بالولاية الصحيحه، والتفويضاتِ التى هى غيرُ جريحه(٦)؛ وما زالت تَحمِل إلى بيت المال المعمورِ ما تمشى به الجمالُ وئيدا(٧)، وتَقذِفه بطونُ الجوارى(٨) الى ظهور

(١) الترائك جمع تريكة، وهى بيضة الحديد التى تلبس على الرأس فى الحرب.

(٢) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل وصبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤.

(٣) كذا فى صبح الأعشى؛ والذى فى الأصل: «سهه» بسين مهملة وهاءين؛ وهو تحريف لا معنى له.

(٤) المستعصمية: نسبة إلى المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد، وهو الذى قتله هولاكو ملك التتار فى سنة ست وخمسين وستمائة.

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر.

(٦) فى الأصل: «صريحة» وهو تحريف يفسد المعنى؛ والتصويب عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٤

(٧) مشى مشيا وئيدا، أى على تؤدة وتأن؛ يريد أن ثقل ما تحمله هذه الجمال قلل من خطوها.

(٨) أراد بالجوارى: السفن.

اليَعْمَلات [1] وليــدا ؛ وتُطالِعُنا بأمر مصالحه ومفاسِده ، وبحال معاهده ومقاصِده [2] ؛ ولك أُسوةٌ بوالدك السلطان الملكِ المظفَّر ، هلّا ٱقتفيتَ ما ســنّه من آثارِه ، ونقلتَ ما دوّنته أيدى الزمن من أخبـارِه؛ واتصل بمواقفنا الشريفة أمورٌ صدرت منك : منهـا [3] — وهى العظمى التى تَرتّب عليها ما تَرتّب — قطعُ الميرة عن البيت الحرام، وقد علمتَ أنه وادٍ غيرُ ذى زرع، ولا يحـلّ لأحدٍ أن يَتطرق إليه بمنع ؛ وكفتك الآيةُ [4] دليلا على ما صنعت ، وبرهانا على ما فعلت ؛ ومنها ٱنصبابُك [5] على تفريغ مال بيت المـال فى شراءِ [6] لهوِ الحديث ، ونقضُ العهود القديمة بما تبديه من حديث؛ ومنها تعطيلُ أجيـاد المنابر من عقود ٱسمِنا ، وخلوُّ تلك الأماكن من أمرٍ عقَــدنا وحَلّنا [7]؛ ولو أوضحنا لك ما ٱتصل بنـا من أمرك لطال، ولا ٱتسعتْ فيــه [دائرة] المقال؛ رسمنا بهـا والسيفُ يَوَدّ لو سبق القلمَ حدُّه، والعلَمُ المنصور يحب لو فات القلمَ وٱهتزّ بتلك الروابى قدُّه ؛ والكتائبُ المنصورةُ تختار لو بَدَرتْ [8] عِنوانَ الكتاب و[أهــلُ] [9] العزم والحــزم يَوَدّون اليك إعمـالَ الرِّكاب؛ والجـوارى المنشَآتُ قد

(١) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة النجيبــة المعتملة المطبوعة على العمل ؛ ولا يوصف به ، وإنمـا هو اسم ، والياء فيه زائدة .

(٢) عبارة صبح الأعشى : « وبحال دياره ومعاهده » .

(٣) فى الأصل : «بها» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٤) يريد بالآية قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله تعالى عليه : (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع) الخ الآية .

(٥) يقال : انصب البازى على الصيد اذا انقض عليه ، وما هنا مستعار منه .

(٦) فى الاصل : «فى سرى» ؛ وهو تحريف .

(٧) لم ترد هذه الكلمة فى الاصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ .

(٨) « لو بدرت عنوان » الخ أى لو سبقته إلى حربك ؛ يقال : بدرت فلانا إلى الأمر وبادرته ، اذا سابقته اليه .

(٩) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن صبح الأعشى اذ بها يستقيم الكلام .

تكونت من ليل ونهار، وبرزت كصور الفِيَلة(١) لكنها على وجه الماء كالأطيار، وما عمدنا(٢) الى مكاتبتك إلا للإنذار، وما جنحنا لمخاطبتك الا للإعذار، فأقلع عما أنت بصدده من الخيلاء والإعجاب، وآنتظم فى سلك من آستخلفناه على أعمالنا فأخذ بيمينه ما أُعطِىَ من كتاب، وصُن بالطاعة نفوس من زعمتَ أنهم مقيمون تحت لواء علمك، ومنتظمون فى سلك أوامر كَلِمك، وداخلون تحت طاعة قلمك؛ فلسنا نَشُنّ الغارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبُه، وآمتثل أوامرَ الله المطاعةَ عقله ولبُّه، ودان الله(٣) بما يجب من الدِّيانه، وتقلّد عقود الصلاح وآلتحف بمطارف(٤) الأمانه؛ ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف الا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا، ورفض كتابَ الله ونزَعَ عن مبايعتنا؛ [فأصدرنا](٥) مرسومنا هذا اليه يَقصّ عليه من أنباء حلمنا ما أطال مدّة دولته، وشيّد قواعدَ صولته؛ ويَستدعى منه رسولا إلى مواقفنا الشريفه، ورحابِ ممالكنا المنيفه؛ لينوب عنه فى قبول الولاية مَنابَ نفسه، وليجنىَ بعد ذلك ثمارَ شفقاتنا إن غرس شجرَ طاعتنا ومن سعادة المرء أن يجنىَ ثمارَ غرسه؛ بعد أن يُصحِبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمةً وخفَّ حملا، وتَغالَى(٦) فى القيمة رتبةً(٧) وحسُن مِثلا؛ وآشرِط على نفسك فى كل

(١) فى الأصل وصبح الأعشى: «الافيلة»؛ ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من كتب اللغة، وأنكره ابن السكيت.

(٢) فى الأصل: «عهدنا» بالهاء؛ وهو تحريف.

(٣) دان الله: أى أطاعه، يقال: دنته ودنت له، وهو من الدين بمعنى الطاعة (انظر اللسان). وقال فى الاساس: دانوه، أى انقادوا له.

(٤) هذه الباء ساقطة من الأصل وصبح الأعشى؛ واللغة تقتضى إثباتها.

(٥) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل، وقد أثبتناها عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٥ اذ بها يستقيم الكلام.

(٦) تغالى: آرتفع وفى المحكم: كل ما ارتفع فقد غلا وتغالى انظر تاج العروس. والذى فى صبح الأعشى: «وتعالى» بالعين المهملة؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا.

(٧) عبارة صبح الأعشى: «وتعالى رتبة» الخ بدون قوله: «فى القيمة» والمعنى يستقيم عليه أيضا.

ســنة قطيعةً[1] ترفعها الى بيت المـال، و إيّاك ثم إيّاك أن تكون عن هذا الأمر ممن مال ؛ و رتّب جيشا مقيما تحت لواء علم السـلطان الأجلّ الملكِ الناصرِ للقاء العدو ٱلمخذول التتار، ألحق الله أوّلهم بالهلاك وآخرهم بالبوار؛ وقد علمتَ تفاصيل أحوالهم المشهوره، وتواريخَ سِـيَرهم المذكوره ؛ وٱحترِصْ[2] على أن يخصك من هذا ٱلمشرب السائغ أوفى نصيب، و [أن تكون][3] ممن جهّز جيشا فى سبيل الله فرَمَى بسهم فله أجرٌ كان مصيبا أو غيرَ مصيب ؛ ليعود رســولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملا أهـلّةَ أعلامنا المنصوره، شاكرا برّ مواقفنا المبروره؛ و إن أبى حالُك[4] إلا أن ٱستمررتَ على غيّك، وٱستمرأتَ مرعى بَغيِك ؛ فقد منعناك التصرّف فى البلاد، والنظرَ فى أحكام العبـاد؛ حتى تطأَ خيلنا العتاقُ مشمخرّاتِ حصـونِك ، وتعجّل حينئذ ساعة منونك؛ وتُمسِى لهَوادى قِلاعِك عقودا، ولعرائسِ حصونك نهودا؛ وما علّمناك غير ما علمه قلبُك ، ولا فهّمناك غير ما حدَسَه[5] لُبُّك ؛ فلا تكن كالصغير تزيده كثرةُ التحريك نوما، ولا ممن غرّه الإمهالُ يوما فيوما ؛ وقد أعلمناك ذلك فاعمل بمقتضاه، موفّقا إن شاء الله تعالى؛ والحمد لله وحده .

---

(١) القطيعة : الضريبة والوظيفة .

(٢) يقال : احترص واحرص ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) التكملة عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٤٢٦ .

(٤) المشهور فى كتب اللغـة أن الحـال تذكر كما هنا وتؤنث ، فيقال : حال حسن ، وحال حسـنة (المصباح) .

(٥) حدس : ظن ظنا مؤكدا ، « المصباح » والمراد بالحدس هنا : اليقين.كما يستعمل الظن فى معنى اليقين أيضا كقوله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الآية .

ومن إنشائه تقليد السلطان الملك الناصر لما ترك الديار المصرية (١٩)
وأقام بالكَرَك[١] — وكُتِب له بذلك من ديوان الإنشاء عن الملك المظفَّر ركنِ الدين، فلم يمكن الكاتب الإطناب، ولا وَسِعَه غيرُ[٢] الاختصار، فلم يُرضه الكتّاب، وعَمِلَ جماعةٌ منهم فى ذلك تجرِبةً لخواطرهم ولم يُكتَب بشىء منها فعمِلَ هو — :

الحمـد لله مدبّرِ الأمر على ما يشاء فى عبادِه ، ومنقِّلِ الحـالِ على حكم اختياره ووَفقِ مرادِه، ومُجرِى أسبابِ الممالك على يد من اختاره من عباده لإصدارِ الأمر وإيرادِه ، ومجيبِ من أصبح قاصدا بابَه الشريفَ والزهادةُ فيما حوله مِن اعتقادِه، ومعزِّ من أضحى له من حِقوِنا[٣] ركنٌ استَنَد إليه الدهرُ فى استنادِه، يلبّى دعوةَ مرامه حيث كان من بلادِه، ويجيب داعىَ نِداه و إن بعد فيكون أقربَ من سرِّه الى فؤادِه، يَذُبّ عن حَوزة نسائه بِبِيض مرهَفاته وسمرِ صعادِه، ويحمى بيضة جاهه بالغُلْب من أشـياعِه والجُرْدِ من جِيادِه ؛ نحمده على أن جعل مُوالاتَنا لهذا البيت الشريف المنصورىِّ تستديم عهودَه ، وتَلتحف من المحافظة على مَراضـيه الشريفة فى كلِّ حالٍ بُرودَه ؛ وتَرِد من القيام بواجب حقِّـه أَعذبَ منهل شَرَعه الصفاءُ وسَـنّه ، وأكّد مُوالاتَه الوفاءُ وحسنُ الوفاء من شعار أهل السُّنّة ؛ ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تَرفع أعلامَ الهـدى بكَلِمها، وتُخمِد نارَ الشرك بنور هداية

(١) الكرك بفتح الكاف والراء كما ذكره ياقوت : اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدّس ، وهى على سن جبل عال، تحيط بها أودية إلا من جهة الريض .

(٢) فى الأصل : « عن »؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «جقونا» بالجيم؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا . والمراد بالحقو هنا : الجناب الذى يستجار به و يلتجأ اليه ، وهو مجاز، والعرب تقول : عذت بحقوه اذا عذت به ليمنعك قال الشاعر :

سمـاع الله والعلمـاء أنى ✽ أعوذ بحقو خالك يابن عمرو

عِلْمِها وعَلَمِها ، وتُطهِّر أديمَ البسيطة من أرجاس الكفرة بالحــدّين من غَرْبَى(١) صَمصامها وقلمها ، وتُروِى كلّ قُطر أصبح ماحلًا من قَطرَىْ عدلها ونعمها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورســوله الذى كانت الزهادة مَلاكَ أمره و [المــلوكُ(٢)] تحت وطأة أقدامه ، والملائكةُ يحفّونه مِن حوله ومن أمامه(٣) ، ومعادنُ الذهب تُعرَض عليــه فيساوِى لديه لزهادته بين نُضارِه ورَغامه ؛ صلّى الله عليــه وعلى آله وصحبه صــلاة تُحاكِى أرجَ الصَّــبا وقد سرَى عن خزامِه(٤) ، وتُضاهِى فَتيقَ(٥) المســك وقد تنفّس عن ختامِه ، مشــفوعةً إلى يوم القيامة برضوانه وســلامه ؛ وبعد ، فإنه لمـا كان المقامُ العالى الملكىُّ الفلانىُّ هو الذى ربّته الممالكُ فى حجرها وليدا ، وخوّلته السلطنةُ الشريفــةُ من نفائس ذخائرها طارفا وتليــدا ؛ وبوّأته من مراتب العز أقصى غاية لا ترام ، وأبادت بمرهَفه البتّار جمعَ التتار الطَّغام ؛ وآستخدمتْ لطاعتــه جيشَين : جيشَ نهارٍ بَكّر فيه مواليه على أعدائه بسابِق خيــلِه ومرهَف حسامِه ، وجيشَ ليلٍ تَبسُــط أولياءُ دولته أكُفَّهــم للدعاء ببقائه فى جنح ظلامِه ؛ طالمـا هزّت المنابرُ أعطافَها طربا عنــد ذكر آسمِه ، وآزدادت وسامةُ الدّينارِ حُســنا لمّـا شرّفها بحسن

(١) فى الأصل : «عزى» ؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) لعله : «من خلفه» كما تدل عليه مقابلته بالأمام .

(٤) يريد بالخزام : الخزامى ، وإنما أسقط الألف لضرورة السجع الذى التزمه فى هــذا التقليد ؛ أولعــل الخزام بدون الألف لغة فى «الخزامى» ، ولم نجده فيما بين أيدينا من كتب اللغة غير كتاب أقرب الموارد ؛ والخزامى : خيرِىّ البرّ وهى عشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة الريح ، لها نوركنور البنفسج ؛ قال أبو حنيفة : ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ؛ وواحد الخزامى خزاماة .

(٥) الفتيق — فعيل بمعنى مفعول ، من فتقت المسك بغــيره : اذا استخرجت رائحته بشىء آخر تدخله عليه .

وسْمِه ورسْمِه ، وتلت أوصافَ بأسه ألسنةُ خرصانِه(١) ، ورجعتْ سوابقُ الهمم عن التطاوُل للطاوَلة فى مَيدانِه ، وقالت فوارس الحروب لمّا رأت كرَّه : هـذا سِباق لسنا من رهانِه ؛ كم فرّق بجيشه اللُّهامِ(٢) جيشا أَرْمَدَ جفنَ الشمس بقتامِه ، ونصرَ الأحزابَ يوم الكريهة بالعاديات من خيله والمرسَلاتِ من سهامِه ، فالدهرُ يشكر مواقفَ إقدامِه ، والعدلُ ينشر منشور فضله وسديد أحكامِه ؛ والممالكُ تُثنِى على عليائه بالسَّداد ، والمسالكُ تُهدِى لسالكها ما خصّها به مِن أمنها المعتاد ؛ والناسُ فى ظلّ عدلِ لياليه [خُلِقتْ(٣)] كما شاءوا أسحارا ، والوحشُ والغنمُ كلٌّ منهما قد جعل صاحبَه جارا ؛ ومواطنُ العلوم أمست تطرّز بمحاسن أوصافِه ، وحُكّام الشرع الجليل أضحت تَميس فى حلل عدله وإنصافِه ؛ والأماكنُ التى تُشَدّ لها الرحالُ يفترّ ثغرها عن عدلِه ، والمشاعرُ المعظّمةُ قد حمى حَوزتَها بالسهم من نصلِه والشهمِ من رَجْلِه(٤) ؛ تنقّل فى مراتب الملك صغيرا الى أن اشتدّ بالعزم القوىّ كاهلُه ، واستوطن ربعَ العزّ مذ كان يَحتلِى بدورَه وتجتليه عقائلُه ؛ فلم تَبقَ له مَأْرُبةٌ إلا قضاها ، ولا حالةٌ إلا ابتلاها ، ولا غمّةٌ إلا جلاها ، ولا آيةُ شكر إلا تلاها ؛ الى أن قمع بجدّ

(١) الخرصان : جمع خرص بكسر الخاء وضمها ، وهو سنان الرمح .

(٢) اللهام : الجيش الكثير ، كأنه يلتهم كل شيء .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل والسياق يقتضيها إذ بها يستقيم الإعراب بالنصب فى قوله «أسحارا» ، وبنصبه يتم السجع الذى التزمه الكاتب فى هذا التقليد ؛ وقد استنسبنا زيادة هذا اللفظ دون غيره لوروده فى بعض رسائل القاضى الفاضل إذ قال : والليالى التى طابت فكأنما خلقت جميعها أسحارا انظر صفحة ٢٠ سطر ٧ من هذا الجزء .

(٤) الرجل : اسم جمع عند سيبويه للراجل ، وهو ضد الراكب .

سيفه كلُّ مُجترِى، وقال للسحابة كما قيل : آمطُرى؛[١] رأى[٢] أن المواردَ الدنيويّة لا بدّ لهــا من مصادر، وأن أوائلَ الأمور تَستدعِى الأواخر، وأن للزهادة فى الدنيا و إن عُظم قدرُها الشأنَ الكبير، وأن الانقطاعَ الى الله تعالى مَنهلُ صفو لا يَقبل شوائبَ التكدير، وقوىَ عزمُهُ فى الرّحلة عن مَقرّ ملكه الى أعزّ حصونه المنيعه ، بل الى [٣٠] أجلّ معاقله الشامخة الرفيعه، قاصدا بها آلآنفراد ، عالمــا بأن الله يطلع على خفيّات الفؤاد، فرحل ركابُه العــالى ونظامُ المملكة من حُسن الهيئة قائم على ساق، وقلوب كفّال الممــالك الشريفةِ متّفقةٌ على الآتفاق، واثقا بأن للمُلك من أولياء بيته الشريف كلّ ولىِّ عهــدٍ لا تُخفَر لديه الذمم ، وكلّ سلطانِ أُفُقٍ[٣] تَضؤل دون عزمــه الهمم؛ يَحمِى بيضةَ خدره من كلّ متطاولٍ إليها، و يقصِّر أسبابَ الحرص من كلّ شانّ[٤] عليها، وآختار الآنفراد، وتَيقّن أنّا لا نعدل عمّا أراد، ونصَبَ عُمُدَ خيامه الشريفةِ على سفح روضِ الكَرَك النّضِر، وحَلّ منه رأسَ شاهقةٍ نبتُها خَضِر، ورغب فى الزهادة وشعارِها، وآستوت[٥] عنده الدنيا فى حالتَىْ إقبالها و إدبارِها، فاقتَضَى آعتناؤنا الشريفُ أن نبلّغه من مآربه الشريفــة أقصى المرام، وأن نساعده فى كلّ أمرٍ يعرف منــه الموافقــة منّا على الدوام، وأن ننظِم الأمرَ فى سلك الإرادة على مُرادِه، وأن نبادر إلى راحة سرّه الشريف وفؤادِه ، ولسوف نعامل مقامَه العالىَ بكلّ آحترامٍ يصــل

(١) يشير بهذه العبارة الى ما روى عن بعض الخلفاء أنه رأى سحابة تسير فى الأفق ملأى بالمطر فقال : امطرى حيث شئت فإن ما تنبتينه سيجيء الينا . يريد بهذا أن مملكته واسعة الأطراف فلن تجاوزها السحابة مهما أبعدت فى المسير .

(٢) رأى : جواب لمــا السابقة فى قوله : «لمــا كان المقام العالى» الخ .

(٣) المراد بالأفق هنا : الناحية من الأرض ، وتضم فاؤه وتسكن .

(٤) الشانّ بتشديد النون : اسم فاعل من شن الغارة على القوم اذا صبها عليهم من كل وجه .

(٥) فى الأصل : «واستهوت» ؛ والهاء زيادة من الناسخ .

إليه تفصيلا وإجمالا ، ونراعى معه أدبَ أسلافه الكرامِ حالا فحالا ، وإنّا لا نخليه من تجهيز مثالٍ يتضمّن من محاسنه سِيَرا وأمثالا ، ولولا عرفُ السلطنة ونظامُ المملكة يقتضيان ذلك ما جهّزنا إلى بابه الشريف مثالا ، فلذلك خرج الأمرُ الشريفُ بكذا وكذا .

هذا ما ٱتفق إيرادُه فى هذا الفصل من رسائل الكتّاب ، وكتّابُ العصر — أعزّهم الله تعالى — كثير ، وكلامُهم مشهور ، ومدوّنٌ بأيدى الناس ومحفوظٌ فى صدورهم ، ولَم نشترِطْ أن نورد لجميعهم فنلتزم الشرط ، ولو فعلنا ذلك لطال الكتابُ وخرج عن شرطه ، وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلّقنا بهم ، وٱتصال سببنا فى الوداد بسببهم .

ذكر شىء من الأبيات الداخلة فى هذا الباب(١)

فمن ذلك قول بعض الشعراء :

إنّى لِعُظْمِ تشوّقى * وشديدِ وجدى واكتئابى
أصبحتُ أحسُد من يفو * ز بقربكم حتى كتابى

وقال آخر :

وما تأخُّرُ كُتْبى عنك من مللٍ * طُوبَى(٢) لوُدّك يٱبن السادة النُّجُبِ
لكن حسدتُ كتابى أن يراك وما * أراك فاخترتُ إمساكى عن الكتُبِ

---

(١) المراد بالباب هنا : باب الرسائل الإخوانية فقد سبق أن ترجم لها فى السفر السابع من هذا الكتاب ص ٢١٣ إذ قال : « وأما الرسائل الإخوانية وما يتجدد من الأمور ويطرأ من الحوادث » .

(٢) طوبى وزان فعلى ، من الطيب ، كأن أصله طيبى بضم الطاء فقلبوا الياء واوا للضمة قبلها .

[وقال آخر] (١) :

عقتُ الرسائل طامعا أن نلتقى * فأبَى الزمانُ يُتيح لى ما أطلبُ
وتأخرتْ كُتْبى فقلتُ أعاتبٌ * فى ذاك أنت علىّ أم متعتّبُ (٢)
فإذا وجدتك فى الضمير ممثّـلا (٣) * أبدا تنـاجينى إلى مَن أكتبُ

وقال آخر :

الكُتْبُ تُكتب للبعيـ * ـد وانت من قلبي قـــريب
فإذا وجـــدتك فى الفـــؤا * دِ فمَن أكاتب أو أجيب

وقال آخر :

لو أنّ كُتْبى بقدر الشوق واصلةٌ * كانت إليك مع الأنفاس تتّصلُ
لكنّنى والذى يبقيك لى أبدا * على جميل آعتقادى فيك أتّكلُ

وقال آخر :

وفى الكُتْب نجوى من يعِزّلقاؤه * وتقريبُ من لم يدنُ منه مَزارُ
فلِمْ تُخلِنى (٤) منهـا وتعـــلمُ أنّهـا (٥) * لعيـــنى وقلبى قُـــرّةٌ وقَـــرارُ

وقال آخر :

سألتـك عوِّذنى بكُتْبك إنّ لى * شياطينَ شوق لا تفارق مَضْجَعى
إذا آسترَقتْ أسرارَ فكرى تمرّدا * بعثتُ إليها فى الدجى شُهْبَ أدمعى

---

(١) لم ترد هذه العبارة فى الأصل .

(٢) التعتّب : التجنّى ، يقال : تعتب عليه وتجنى عليه ، كلاهما بمعنى واحد .

(٣) ورد هذا البيت فى صفحة ٣٢ من هذا السفر أيضا وروايته ثم : « مهما وجدتك » الخ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٤) كذا ورد هذا الفعل فى الأصل بحذف الياء ، ولا نرى مقتضيا لجزمه غير ضرورة الوزن ، أولعله : « فلا تخلنى » واذن فهو مجزوم بلا الناهية .

(٥) فى الأصل : « أنى » ؛ والسياق يقتضى الهاء كما أثبتنا .

وقال آخر :

أَتَبخَل بالقرطاس والخط عن أخٍ * وكفّاك أَندَى بالعطايا من المزنِ
لَعمرى لقد قوّى جفاؤك ظِنّتى * وأَوهن تأميلى وما كان ذا وَهْنِ

وقال آخر :

أظنّ القراطيسَ فى مصركُم * تخونّها ريبُ دهرٍ خؤون
فلو أنها صفحاتُ الخدو * د يُكتَب فيها بماء الجفون
لما أَعوَزتْك ولكن جفوت * فألقيتَ شأنى خلالَ الشؤون (٢١)

وقال المتنّبى فى جواب كتاب وَرَدَ عليه :

بكُتْب الأنام كتابٌ ورد(١) * فَدَتْ يدَ كاتبِه كلُّ يد
يعبِّر عما له عندنا * ويذكر من شوقه ما نَجِد

وقال أبو الفتح البُسْتىّ :

لمّا أتانى كتاب منك مبتسمٌ * عن كل فضلٍ وبِرٍّ غيرِ محدودِ
حَكَتْ معانيه فى أثناء أسطره * أثارَك البِيضَ فى أحوالِى السودِ

وقال آخر :

طلع الفجر من كتابك عندى * فمتى باللقاء يبدو الصباحُ

وقال آخر :

ولمّا أتانى بعد هجرٍ كتابُكم * وفيه شفاءُ الواله الدنِف المُضْنَى
سُررتُ به حتى توهّمتُ أنه * كتابى وقد أُعطيتُه بيدى اليمنَى

---

(١) قوله : « كتاب » بالرفع على الابتداء، أى كتاب ورد مفدًّى بكتب الخ ويجوز أن يقرأ بالنصب على المفعولية، أى أفدى بكتب الأنام كتابا، وقد جوّز العكبرىّ الوجهين عند شرحه لقول المتنبى أيضا : * بأبى الشموس الجانحات غواربا *
انظر شرحه لديوان المتنبى ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

وقال آخر :

نفسي الفداءُ لغائب عن ناظرى * ومحلُّه فى القلب دون حجابِهِ
لولا تمتُّع مقلتى بلقائه * لوهبتُها لمبشِّرى بكتابِهِ

وقال آخر :

ورد الكتابُ مبشِّرا * نفسى بأوقات(١) السرور
وفضَضتُه فوجدتُه * ليلا على صَفَحات نور
مثلَ السوالفِ والخدو(٢) * د البيضِ زِينَتْ بالشعور
أنزلتُه منّى بمنـ * ـزلة القلوبِ من الصدور

وقال آخر فى كتاب عُدِم فلم يصل إليه :

نُبِّئتُ أنّ كتابا * أرسلتَه مع رسولِ
ملأْتَه منك طِيبا * فضاع قبل الوصولِ

ومما يتصل بهذا الباب ويلتحق به(٣)، ويحتاج الكاتبُ إلى معرفته والاطلاع عليه الحجّةُ البالغةُ والأجوبةُ الدامغة .

فمن ذلك فى التنزيل قولُه عزّ وجل : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾.

وقولُه تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

(١) فى الأصل : « بأوراد » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « والحدوق » بالحاء المهملة والقاف ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ١٥٠ من هذا السفر .

وقوله تعالى حكاية عن ابراهيم : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ .

وقال تعالى فى الدّلالة على إثبات نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ ، فإنه صلّى الله عليه وسلّم كان يُعرف فى قريش بالصادق الأمين

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

ولمّا بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : " يا معشر قريش لو قلتُ لكم إنّ خيلا تَطلُع عليكم من هذا الجبل كنتم تصدّقونى(١) ؟ قالوا : نعم ؛ قال : (٢٢)

(١) روايته فى صحيح البخارى من طريق يوسف بن موسى : أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقىّ؟ الخ وفى رواية أخرى من طريق محمد بن سلّام : أن العدوّ مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدّقونى ؟ الخ وحذفت نون الرفع من قوله : تصدقونى تخفيفا ؛ ويروى تصدّقوننى بإثباتها انظر ارشاد السارى ج ٩ ص ٢٩٥ طبع الأستانة .

"فإنّى نذيرٌ لكم بين يدَىْ عذابٍ شديد" فلمّا أقرّوا بصدقه خاطبهم بالإنذار، ودعاهم إلى الإسلام . فهذه حججٌ من الكتاب والسنّة لا جواب عنها

ولـمّـا انتهى إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومَ السّقيفة أنّ الأنصارَ قالت : منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ قال علىّ : فهلاّ احتججتم عليهم بأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أوصى بأنْ يُحْسَن إلى محسنهم ، ويتجاوَزَ عن مسيئهم ؛ قالوا : وما فى هذا من الحجة عليهم ؟ قال : لو كانت الإمارةُ فيهم لم تكن الوصيّةُ بهم .

ولـمّـا قال الحُبـابُ بنُ المنـذر فى يوم السّقيفة أيضـا : أنا جُذَيْلُها(١) المُحكّك وعُذَيْقُها(٢) المُرَجَّب ، إن شئتم كررناها جَذَعة(٣) ، منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجرىُّ شيئا فى الأنصارىِّ ردّه عليـه الأنصارىّ ، و إن عمل الأنصارىُّ شيئا فى المهاجرىِّ ردّه عليه المهاجرىّ ؛ أراد عمر الكلام ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : على رِسْلِك(٤) ، نحن المهاجرين أوّلُ النـاس إسـلاما ، وأوسطُهم دارا ، وأكرمُ النـاس حسبا ، وأحسنُهم وجوها ، وأكثرُ الناس ولادةً(٥) فى العرب ، وأمسُّهم رحما بالرسول صلى الله

(١) الجذيل : تصـغير جذل بكسر الجيم قال يعقوب : عنى بالجذيل هنـا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفى به ، أى قد جربتنى الأمور ، ولى رأى وعلم يشتفى بهما كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ وصغره على جهة المدح .

(٢) العذيق : تصغير تعظيم للعذق بالفتح ، وهو النخلة . والمرجب : من الترجيب ، وهو أن تدعم النخلة من جانب ليمنعها ذلك من السقوط ؛ يريد أن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده ؛ وقيل : الترجيب هنا بمعنى التعظيم .

(٣) قال فى اللسان : اذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة : أى أوّل ما يبتدأ فيها اهـ .

(٤) الرسل : التؤدة ، يقال : على رسلك ، أى اتئد ، كما يقال : على هينتك .

(٥) كذا فى الأصل وعيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية ، يريد بهذه العبارة أنهم أكثر عددا وأغزر نسلا ؛ ويحتمل أن يريد أن كثرة مصاهرتهم لغيرهم من القبائل جعلت أبناءهم فى قبائل العرب أكثر من سواهم ، أى أن اتصالهم بالعرب أوثق ، وأشياعهم من القبائل أكثر .

عليه وسلّم ، أسلمنا قبلكم ، وقدِّمنا فى القرآن عليكم ، وأنتم إخواننا فى الدِّين ، وشركاؤنا فى الفىء ، وأنصارُنا على العدو(١)، آويتم وواسَيتم ، فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تَدِين العرب الا لهذا الحىّ من قريش . قالوا : قد رضِينا وسلّمنا .

قال بعض اليهود لعلىّ رضى الله عنه : ما دفنتم(٢) نبيّكم حتى آختلفتم؛ فقال : انما آختلفنا عليه(٣) لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلُكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم : ﴿آجْعَلْ لَنا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ .

وقال حاطب بن أبى بَلْتَعة : لما بعثنى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الى المَقوقِس مَلِك الإسكندريّة بكتابه ، أتيتُه وأبلغته الرسالة ، فضحك ثم قال : كتب إلىّ صاحبك يسألنى أن أتبعه على دينه ، فما يمنعه إن كان نبيا أن يدعوَ اللهَ فيسلّط علىّ البحرَ فيغرقنى فيكتفىَ مُؤْنتى، ويأخذَ مُلْكى؟ قلتُ : ما منَع عيسى عليه السلام إذ أخذته اليهودُ فربطوه فى حبل، وحلقوا وسطَ رأسه، وجعلوا عليه إكليلا من شوك، وحملوا خشبتَه التى صلبوه عليها على عاتقه، ثم أخرجوه وهو يبكى حتى نصبوه على الخشبة ثم طعنوه حيّا بحربة حتى مات — على زعمكم — فما منَعه أن يدعوَ اللهَ فينجيَه ويهلكهم ، ويكتفىَ مُؤْنتهم ، ويَظهرَ هو وأصحابه عليهم ؟ وما منَع يحيى بن زكريّا حين سألت آمرأةُ المَلِكِ المَلِكَ أن يقتله فقتله وبعث برأسه اليها حتى وُضع بين يديها أن يسأل الله أن يحميَه ويهلكهم ؟ فأقبل على جلسائه وقال : والله إنه لحكيم، وما تخرج الحِكَم إلّا من عند الحكماء .

(١) كذا فى عيون الأخبار ٢ ص ٢٣٤ والذى فى الأصل : « فى » ؛ وهو تحريف .
(٢) فى الأصل : «ما دفعتم» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .
(٣) عليه : أى على الأولوية به ومن أحق بخلافته قرابته أم غيرهم؟ لا فيه : أى لا فى صدق رسالته .

وخطب معاويةُ بنُ أبى سفيان ذات يوم وقال : إنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ فما نلام نحن؛ فقام اليه الأحنفُ بنُ قيس فقال له : يا معاوية، إنا والله ما نلومك على ما فى خزائن الله، وإنّما نلومك على ما آثرك الله [به](١) علينا(٢) من خزائنه فأغلقتَ بابَك دونَه .

وقال معاويةُ لرجل من اليمن : ما كان أحمقَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأة ! قال : قومُك أشدُّ حماقةً إذ قالوا : "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" أفلا قالوا : اهدِنا له .

وقيل : مرّت امرأةٌ من العرب بمجلس من مجالس بنى نُمير، فرماها جماعةٌ منهم بأبصارهم، فوقفت ثم قالت : يابنى نُمير، لاأمرَ الله تعالى أطعتم، ولا قولَ الشاعر سمعتم، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

وقال الشاعر(٣) :

فغُضَّ الطرفَ إنّك من نُميرٍ * فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

فما اجتمع منهم بعد ذلك اثنان فى مجلس .

وقيل : استعمَل عُتبةُ بنُ أبى سفيان رجلا من أهله على الطائف، فظلَم رجلا من أَزْدِ شَنُوءة، فأتى الأزدىُّ عُتبةَ فقال :

أمرتَ مَن كان مظلوما ليأتيَكم * فقد أتاكم غريبُ الدار مظلومُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٢) فى الأصل : «عليك» ؛ وهو تحريف .

(٣) هو جرير؛ والبيت من قصيدة له يهجو الراعى النميرى انظر ديوان جرير ص ٣١ طبع المطبعة العلميـــة .

ثم ذكر ظلامته ، فقال عُتبة : إنّى أرى أعرابيًّا جافيا، والله ما أحسبك تدرِى كم تصلّى فى اليوم والليلة؛ فقال : إن أنبأتُك ذلك تجعلُ لى عليك مسألة ؟ قال : نعم؛ فقال الأعرابىّ :

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهنّ أربعُ
* ثم صلاةُ الفجر لا تُضيّعُ *

قال : صدقتَ فأسألْ؛ فقال : كم فَقارُ ظهرِك ؟ فقال : لا أدرى؛ قال : أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فأمر بردّ ظلامته عليه .

وقال الحجّاج بن يوسف ليحيى بن سعيد بن العاصى[١] : بلغنى أنّك تشبِه إبليس فى قبح وجهِك؛ قال : وما ينكِر الأميرُ من أن يكون سيّدُ الإنس يشبه سيّدَ الجنّ؟ .

وقال لسعيد بن جُبير : اِختر لنفسك أىَّ قِتْلة شئت؛ قال : اِختر أنت فإنّ (٢٣)
القصاص أمامَك .

وحُكِىَ أن حوَيطب[٢] بنَ عبد العُزّى بلغ عشرين ومائةَ سنة ، ستين فى الجاهليّة وستين فى الإسلام، فلما ولىَ مروانُ بنُ الحكم المدينةَ دخل عليه حُويطب[٢]، فقال له مروان: لقد تأخّر إسلامُك[٤] أيها الشيخ حتى سبقك[٣] الأحداث؛ فقال: والله لقد هممتُ

(١) قال المبرد : انه العاصى بالياء لايجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة؛ يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها مستدرك التاج مادة «عصى» .

(٢) فى الأصل : «خويطب» بالخاء المعجمة ؛ وهو تصحيف ، والتصويب عن القاموس وغيره . وهو حويطب بن عبدالعزى بن أبى قيس بن عبد ودّ ، ينتهى نسبه الى عامر بن لؤى ؛ ويكنى أبا محمد ؛ وأسلم يوم فتح مكة ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٥ طبع ليدن .

(٣) فى الأصل : «تتعك» ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٤) هذه الكلمة فى الأصل مطموسة الحروف تتعذر قراءتها؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج ٢ ص ١١٧ طبع المطبعة الشرفية بمصر .

بالإسلام غيرَ مرّة[٢] كلُّ ذلك يَعُوقنى أبوك عنه[١] وينهانى ، ويقول : أتَدَعُ دين آبائك [لدينٍ مُحْدَثٍ][٣] ؟ ! أما أخبرك عثمانُ ما كان قد لَقِىَ من أبيك حين أسلم .

وقيل : لمّا ظفِر الحجّاج بابن الأشعث وأصحابه أمر بضرب أعناقهم ، حتى أتى على رجلٍ من تميم ، فقال التميمى : أيها الأمير، والله لئن أسأنا[٤] فى الذنب ما أحسنتَ[٥] فى العقوبة ؛ فقال الحجاج : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ فوالله ما مَننتَ ولا فاديتَ[٦] ؛ فقال الحجّاج : أفٍّ[٧] لهذه الجِيَف ، أما كان منهم من يُحسن مثلَ هذا ؟ وأمر بإطلاق من بقِىَ وعفا عنهم .

وحُكِىَ أن الرشيد سأل موسى بنَ جعفرٍ فقال : لِمَ قلتم إنّا ذرّيّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجوّزتم للناس أن ينسبوكم إليه ويقولوا : يا [بنى][٨] نبىّ الله وأنتم

---

(١) فى الأصل : « به » وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، وانظر العقد الفريد .

(٢) فى الاصل : «امامك» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا انظر العقد الفريد .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل ؛ وقد أثبتناها عن العقد الفريد ج٢ ص١١٧ طبع المطبعة الشرفية .

(٤) فى الأصل : « أمرنا » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تدل عليه مقابلته بقوله : ما أحسنت .

(٥) فى الأصل : « لما أحسنت » واللام زيادة من الناسخ فان الجملة جواب للقسم السابق وليست جوابا للشرط لتقدّم القسم عليه ؛ وفى كتب القواعد أن جواب القسم اذا نفى « بما » لم يقترن باللام وما ورد من اقترانه بها شاذ لا يقاس عليه ، ومنه قول الشاعر :

أما والذى لو شاء لم يخلق الورى * لئن غبت عن عينى لما غبت عن قلبى

انظر حاشية الصبان ج ٤ ص ٢٢ طبع بولاق .

(٦) يقال : فاديته مفاداة : أى أطلقته وأخذت فديته المصباح .

(٧) فى الأصل : « ان » بالنون ؛ وهو تحريف .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ ولا يستقيم الكلام بدونها ، ويرشد اليها قوله بعد : «وأنتم بنو» الخ .

بنو علىّ، وانما يُنسَب الرجلُ إلى أبيه دون جدّه، فقرأ[(١)] : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾ وليس لعيسى أب، وانما لحق بذرّيّة الأنبياء مِن قِبَلِ أمّه، وكذلك أُلحقنا بذرّيّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم مِن قِبَلِ أمّنا فاطمةَ — عليها السلام — وأزيدك يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولَم يدْعُ صلّى الله عليه وسلّم فى مباهلة[(٢)] النصارى غيرَ فاطمة والحسن والحسين[(٣)]، وهما[(٤)] الأبناء .

قيل : لما وُلّى يحيي بنُ أكثم قضاءَ البَصرة آستصغر الناسُ سنّه، فقال له رجل : كم سنُّ القاضى — أعزّه الله — ؟ فقال : سنُّ عتّابِ بنِ أَسِيد[(٥)] حين ولّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قضاءَ مكّة . فجعل جوابَه آحتجاجا .

قال يزيد بن عروة : لمّا مات كُثيّرٌ لَم تتخلّف بالمدينة آمرأةٌ ولا رجلٌ عن جنازته، وغَلَب النساءُ عليها، وجعلن يبكينه ويذكُرن عزّةَ فى ندبهنّ له ؛ فقال

(١) فى الأصل : «فقدا» ؛ وهو تحريف .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم اذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٣) لم يذكر عليًّا رضى الله عنه مع أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المباهلة انظر روح المعانى عند تفسير الآية المتقدّمة .

(٤) وهما الأبناء : أى وهما المقصودان بلفظ الأبناء فى الآية وإذن فالخبر مطابق للبتدا فى التثنية .

(٥) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ؛ أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى حنين استعمله على مكة يصلى بالناس وأقام عتاب للناس الحج تلك السنة، — وهى سنة ثمان — وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعتاب بن أسيد عامله على مكة الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ٣٣٠ طبع ليدن .

أبو جعفر محمدُ بن علىّ الباقر : أفرِجوا[١] لى عن جِنازة كُثَيّر لأرفعها، فجعلنا ندفع النساء عنها ومحمدُ بنُ علىّ يقـول : تنحّين يا صُوَيحبات يوسف؛ فانتَدَبتْ له آمرأةٌ منهن فقالت : يابن رسول الله ، لقـد صدقتَ، إنّا لصُوَيحباته، ولقد كنّا له خيرا منكم له؛ فقال أبو جعفر [لبعض مواليه][٢] : احتفِظ بهـا حتى تجيئنى[٣] بها إذا آنصرفتُ؛ قال : فلما آنصرف أُتِىَ بها وكأنّها شَرَرَةُ النار؛ فقال لهـا محمد بنُ علىّ : إيهِ[٤]، أنتِ القائلة : إنّكنّ ليوسفَ خيرٌ منّا؟ قالت : نعم، تُؤمّننى غضبَك يابنَ رسول الله ؟ فقال : أنتِ آمنةٌ من غضبى فأنبئينى؛ فقالت : نحن دعوناه إلى اللّذّات من المطعم والمشرب والتمتّع والتنعّم ، وأنتم معـاشر الرجال ألقيتموه فى الجبّ وبعتموه بأبخس الأثمان، وحبستموه فى السجن؛ فأيّنا كان عليه أحْنَى، وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله درّكِ ! لَن تُغالَب آمرأةٌ إلاّ غَلَبتْ؛ ثم قال لهـا : ألك بعلٌ؟ فقالت : لى من الرجال من أنا بعلُه[٥]؛ فقال أبو جعفر : ما أصـدقكِ ! مثلُك من تَملك الرجلَ ولا يملِكها؛ فلمّا آنصرفتْ قال رجل من القوم : هــذه فلانة[٦] بنت معقب[٧] .

وقال المأمون ليحيي بن أكثم : من الذى يقول :

قاضٍ يَرَى الحدَّ فى الزناءِ ولا * يَرَى على من يلوط من باسِ

(١) فى الأصل : «أقرحوا لى» بالقاف المثناة والحاء المهملة؛ وهو تصحيف .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق .

(٣) فى الأصل : «تحيني»؛ وهو تحريف .

(٤) إيه بكسر الهاء ويجوز تنوينها : كلمة استزادة واستنطاق .

(٥) فى الأغانى ج ٨ ص ٤٣ طبع بولاق : «بعلها»؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٦) كذا فى الأصل بلا تعيين لآسمها؛ وذكر أبو الفرج أنها زينب .

(٧) كذا فى الأصل؛ والذى فى الأغانى : « معيقب » ولعله معيقيب بن أبى فاطمة الدوسىّ انظر ترجمته فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٤ ص ٨٦ طبع أوربا .

فقال : يا أمير المؤمنين، هو(١) الذى يقول :

شاهِـدُنا(٢) يَرتَشِي وحاكِمُنا * يلوط والراسُ شـرُّ ما راسِ
لا أحسَبُ الجورَ ينقضى و(٣)على ا * لأ مّـة والٍ من آل عبّاسِ

قال ومن هو ؟ قال : أحمد بن [أبى](٤) نُعيم ؛ فأَمَر بنفيه إلى السِّند(٥) .

وحُكِى أنّ أهـل الكوفة تظلّموا إلى المأمون من عاملٍ ولّاه عليهم ؛ فقـال : ما علمتُ فى عَددِ عمّـالى أعدَلَ ولا أقوَمَ بأمر الرعيّة ولا أعوَدَ بالرفق عليهم منه ؛ فقام رجل من القوم فقال : يا أمير المؤمنين، ما أحدٌ أولى بالعدل والإنصاف منك، فاذا كان الأمر على هـذه الصفة فينبغى أن تعـدِل فى ولايتـه بين أهل البُلدان ، وتُسوِّى بنـا(٦) أهلَ الأمصار، حتى يَلحَقَ أهلَ كلِّ بلد مِن عدلِه و إنصافه مِثلُ الذى لحقنا ، فاذا فعل أميرُ المؤمنين ذلك فلا يخصُّنا منه أكثر من ثلاثِ سنين ؛ فضحك المأمون وعزَلَ العاملَ عنهم .

ولنصِل هذا الفصل بذكر هفوات الأمجاد(٧) وكبوات الجِياد(٧) — وقد (٢٤)
رأيتُ بعضَ أهل الأدب ممن يستحِقّ الأدب تَعرّض فى هذا الفصل الى ذكر قصص

(١) فى الأصل : «من هو» وقوله : «من» زيادة من الناسخ .

(٢) فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق : «أميرنا» ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ واستقامة الوزن تقتضيها .

(٤) كذا فى وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٢٦ طبـع بولاق ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ج ١ ص ١٢٥ طبع مطبعة جمعية المعارف ؛ والذى فى الأصل : «ابن نعيم» باسقاط لفظ أبى ؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان .

(٥) السند : بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان ؛ وقد فتحت فى أيام الحجاج بن يوسف (ياقوت) .

(٦) فى الأصل : « به » ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) ورد فى الأصل كل من هاتين الكلمتين مكان الأخرى ؛ والمقام يقتضى ما أثبتنا ، فان الهفوات من صفة الإنسان ، والكبوات من صفة الخيل وانظر هذه الترجمة أيضا فى المستطرف ج ١ ص ٧٤، ٧٥ طبع بولاق .

الأنبيـاء — صلوات الله عليهـم — كآدمَ و يوسفَ وداودَ وسليمانَ فكرهتُ ذلك منه، ونزّهتُ كتابى عنه —

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فكانت هـذه هفوةً من المسلمين غفرها الله وعفا عنها .

وقال الأحنف بن قيس : الشريفُ من عُدّتْ سَقطاتُه .

وقال النابغة :

ولستَ بمستبقٍ أخًا لاتَلُمُّــه * على شَعَثٍ(١) أىُّ الرجال المهذَّبُ

وقالوا : كلُّ صارمٍ ينبو، وكلُّ جوادٍ يكبو .

وكان الأحنف بن قيس حليما سيّدا يضرب به المثل ، وقد عُدّت له سقطات فمن ذلك أنه نظر الى خيلٍ لبنى مازن فقال: هذه خيل ما أُدركَتْ بالثار، ولا نَقَصت الأوتار(٢)؛ فقال له سعيد بن القاسم المـازنىّ : أمّا يومَ قتلَتْ أباك فقـد أدركتْ بثارها؛ فقال الأحنف : لشىءٍ ما قيل : "دَع الكلام حذرَ الجواب"— وكانت بنو مازن قتلت [أبا](٣) الأحنف فى الجاهليّة .

ومنها أنه لمّـا خرج مع مُصعَب بنِ الزبير أَرسَل اليه مائةَ ألف درهم، ولم يرسل الى زَبْراء(٤) جاريتِه بشىء، فجاءت حتى وقفت بين يدى الأحنف، ثم أرسلَتْ عينيها؛

(١) «لا تلمه على شعث» : أى لا تحتمله على مافيه من زلل فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره «اللسان» .

(٢) الأوتار جمع وتر بكسر الواو، وهو الذحل، أى الثأر؛ يقول : ان هذه الخيل لم تفلل عدد الذحول والثارات التى لفرسانها عند غيرهم من القبائل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل واستقامة الكلام تقتضى اثباتها .

(٤) فى الأصل : «ديرا» بالدال والياء المثناة؛ وهو تحريف، والتصويب عن القاموس .

فقال لها : ما يُبكيك؟ فقالت : ما لى لا أبكى عليك إذ لم تبك على نفسك ، أقعدتَها وتذر مَرْوَ الرُّوذِ(١) تَجمع بين غارِين(٢) من المسلمين؛ فقال: نصحتِني والله فى دينى إذ لم أتنبه لذلك؛ ثم أَمَر بفُسطاطه فقُوِّض، فبلغ ذلك مُصعبا فقال : ويْحكم ، مَن دهانى فى الأحنف؟ فقيل : زَبْراء، فبعث إليها بثلاثين ألف درهم، فجاءت حتى أرخت عينيها بين يديه، فقال : مالك يازَبْراء؟ قالت : عجبتُ لأحوالك فى(٣) أهل البَصرة، تزُفّهم كما تُزَفّ العروس ، حتى اذا ضربتَ بهم فى نحور أعدائهم أردتَ أن تفُتّ فى أعضادهم؛ قال : صدقتِ والله ، يا غلام دَع الفساطيط؛ فاضطرب العسكر بمجىء(٤) زَبْراء مرّتين .

ومن سقطاته التى عُدّت عليه أن عمرو بن الأهتم(٥) دسّ إليه رجلا ليسفّهه ، فقال له : ياأبا بحر، من كان أبوك فى قومه ؟ قال : كان من أوسطِهم، لم يسُدْهم ولم يتخلّف عنهم ؛ فرجع إليه ثانية، ففطن الأحنف إلى أنه من قِبَل عمرو، فقال:

(١) مرو الروذ : مدينة بخراسان بين بلخ ومرو؛ افتتحها الأحنف بن قيس فى خلافة عثمان رضى الله عنه ؛ وأكثر ما يقال فيه : مرّوذ كسفود التاج مادة (روذ) وهى على نهر عظيم ؛ والروذ بالفارسية : النهر، فلهذا سميت بذلك (ياقوت) .

(٢) فى الأصل : عاذين بالعين المهملة والذال، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ؛ والغار : الجيش الكثير، ومنه قول الأحنف فى عبد الله بن الزبير عند انصرافه من وقعة الجمل : وما أصنع به إن كان جمع بين غارين من الناس ثم تركهم وذهب . والضمير فى قولها : « تجمع » يعود إلى مرو الروذ ؛ ومعنى العبارة أنها تلومه على قعوده مع مصعب بن الزبير وتركه المسير الى مرو الروذ وفيها جيشان من المسلمين يحاربان — وهما جيش الخوارج وجيش المهلب — فهى تحرض الأحنف على أن يسير بجيشه الى مرو الروذ و يترك مصعبا .

(٣) فى الأصل : «من» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به الكلام .

(٤) فى الأصل : «يمنحى» ؛ وهو تحريف لا معنى له .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٦٢ من هذا السفر.

ما كان مال أبيــك ؟ قال : كانت له صِرْمة(١) يَمْنَح منهـا ويَقْرِى ، ولم يكن أهتمَ سَــلّاحا .

وقيل : إن ٱلحســن(٢) سئل عن قوله تعالى : ﴿قَدْ جَعَــلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ فقال : إِنْ كان لَسَرِيّا ، وإِنْ كان لَـكريما ؛ فقيل له : من هو؟ قال : المســيح ؛ فقال له حُمَيد(٣) بن عبد الرحمن : أَعِدْ نظرا ، إنما السرىُّ : الجَدول ؛ فأَنعم(٤) له ، وقال : يا حُمَيد ، غَلَبنا عليك الأمراء .

ومات ولدٌ طفلٌ لسليمان(٥) بن علىّ ، فأتاه الناس بالبَصرة يعزّونه وفيهم شَبِيبُ بنَ شَيبَة وبكرُ(٦) بنُ حبيب السَّهمىّ ؛ فقال شبيب : أليس يقــال : إنّ الطفل لا يزال

---

(١) فى الأصل : «حرمة» بالحاء ؛ وهو تحريف . والصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

(٢) الحسن : هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرىّ ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة ؛ وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصارىّ رضى الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : مارأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج بن يوسف ؛ فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن ؛ وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ؛ وتوفى بالبصرة مستهل رجب ســنة عشر ومائة رضى الله تعالى عنه اهـ ملخصا من وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٠ طبع بولاق .

(٣) هو حميــد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، ينتهى نسبه إلى زهرة بن كلاب ؛ وكنيته أبو عبد الرحمن ؛ روى عن سعيد بن زيد ومعاوية بن أبى سفيان وأبى هريرة والنعمان بن بشــير ؛ وكان ثقة عالمـا كثير الحديث ؛ وتوفى بالمدينة سنة خمس وتسعين اهـ ملخصا من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ج ٥ ص ١١٤ ، ١١٥ طبع مدينة ليدن .

(٤) أنعم له : أى قال له نعم . والذى فى الأصل : «فنعم له» بدون ألف ؛ ولم نجده فما لدينا من كتب اللغة بالمعنى المراد هنا .

(٥) كذا فى الأصل ؛ والذى فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبع بولاق أن الذى مات ولده هو إسحاق بن عيسى ؛ وعبارته : ودخل شبيب بن شبة على إسحاق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به .

(٦) لم يرد هذا الاسم فى العقد الفريد ضمن هذه الحكاية .

محبنظئا(١) بباب الجنّـة حتى يدخُل أبواه ؟ بجاء بظاء معجمة ؛ فقال له بكر بن(٢) حبيب : مُحبنطِئا(١) ، بطاءمهملة ؛ فقال شَبِيب : إلّا أنّ مَن بين لابتَيها يَعلم أنّ القول كما أقول(٣) ؛ فقـال بكر : وخطأٌ ثانٍ ، ما للبَصرة لابِتان(٤) ، أذهبتَ إليه(٥) بالمدينة ؟ . (مَن بين لابتَيها : أى حَرّتَيها(٦)) .

قيل : جلس محمدُ بنُ عبدالملك(٧) يوما للظالم ، وحضر فى جملة النـاس رجلٌ زيُّه زىُّ الكُتّاب ، فجلس بإزاء محمد ، ومحمد ينفُذ الأمور وهو لا يتكلّم ، ومحمدٌ يتأمّله ؛ فلما خفّ المجلسُ قال له : ما حاجتك ؟ قال : جئتُك — أصلحك الله — متظلّما ؛ قال : ممّن ؟ قال : منك ، ضـيعةٌ لى فى يدِ وكيلِك يَحمِل إليك غلّتَها ، ويَحُول بينى وبينها ؛ قال : فـا تريد ؟ قال : تكتب بتسليمها إلىّ ؛ قال : هـذا يُحتاج فيـه إلى شهودٍ وبيّنة وأشياءَ كثيرة ؛ فقال له الرجل : الشهودُ هم البيّنة ، وأشـياء كثيرة عِىٌّ منك ؛ فخجل محمدٌ وهاب الرجلَ ، وكتب له بمـا أراد .

---

(١) فى الأصل : « محتبظئا » و « محتبطئا » بالتاء والباء فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا انظر العقـد الفريد ج ١ ص ٢٩٦ طبـع بولاق ؛ ونص هذا الحـديث فى اللسان : «ان السقط ليظل محبنطيا على باب الجنة » قال ابن الأثير فى النهاية : المحبنطئُ بالهمز وتركه : المتغضب المستبطئُ للشىء .

(٢) فى العقد الفريد : قال إسحاق بن عيسى .

(٣) كذا فى الأصل ؛ وعبارة العقد الفريد : ألى يقال مثل هـذا وما بين لا بتيها أعلم منى بها ؟ . ومعنى العبارتين مختلف ؛ وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٤) عبارة العقد : فقال له إسحاق : وهذه أيضا ، ألبصرة لابتان يالكع ؟ .

(٥) إليه : أى إلى سليمان بن على ؛ ويريد بهذه العبارة أن اللابتين إنمـا هما للدينة لا للبصرة .

(٦) فى الأصل : « الى » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

(٧) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٧٣ من هذا السفر .

ووُصِف ذو الرُّمّةِ[١] لعبد الملك[٢] بن مروان بالذكاء وحسنِ الشعر، فأمر بإحضاره، فلما دخل عليه أنشده قصيدةً ٱفتتحها بقوله : "ما بال عينِك منها المـاءُ ينسكبُ" وكانت عينا عبد ٱلملك تَدْمَعان دائمـا، فظَنّ أنه عَرّض به، فغضب وقال : مالك ولهـذا السؤال يأبن ٱلخَنّاء ؟ وقطع إنشادَه، وأمر بإخراجه .

ودخل أبو النجم[٣] على هشـام بن عبـد ٱلملك وأنشـده أُرجوزتَه التى أوّلهـا : "الحمـد لله الوهوبِ ٱلمُجزِلِ[٤]" حتى ٱنتهى إلى قوله يصف الشمسَ عند الغروب : " وهى على الأُفْق كعين الأحوَلِ "، وٱستَدرَك سقطةَ لسانه، وقطع إنشادَه، وعلِم أنها زلّة، لأنّ هشاما كان أحوَل، فقال له هشام كَمِّلْ إنشادَك ويلك وأَتِمّ البيت، (٢٥) وأمر بوجء[٥] عنقه وإخراجه من الرُّصافة[٦] .

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٧٤ من هذا السفر .

(٢) كذا فى الأصل؛ وقد وردت هذه القصة فى محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ١١٨ طبع جمعية المعارف بين ذى الرمة وهشام بن عبد الملك؛ و يؤ يد ذلك أن وفاة عبد الملك كانت فى سنة ست وثمانين كما فى كتب التاريخ وسن ذى الرمة إذ ذاك تسع سنين فإنه ولد فى سنة ثمان وسبعين كما يستفاد من ترجمته فى وفيات الأعيان، فقد ذكر فى وفاته ما نصه وكانت وفاته سـنة سبع عشرة ومائة رحمه الله تعالى، ولمـا حضرته الوفاة قال : أنا ٱبن نصف ٱلهرم، أنا ٱبن أربعين سنة اه

(٣) أبو النجم : هو المفضل، وقيل : الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة ينتهى نسبه إلى ربيعة بن عجل بن لجيم؛ وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدّمين، وفى الطبقة الأولى منهم، وكان أبلغ فى النعت من العجاج انظر الأغانى ج ٩ ص ٧٧ طبع بولاق؛ وكانت وفاته فى آخر دولة بنى أمية كما فى معاهد التنصيص ص ١٢ طبع بولاق .

(٤) كذا فى الأصل والأغانى ج ٩ ص ٨٠ طبع بولاق؛ و روايته فى معاهد التنصيص ص ٩ طبع بولاق : "الحمد لله العلى الأجلل" و بعده : "الواهب الفضل الوهوب ٱلمجزل" .

(٥) الوجء : اللكز، يقال : وجأ عنقه وفى عنقه .

(٦) يريد بالرصافة : رصافة هشام بن عبد الملك؛ وهى فى غربى الرقة، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية؛ بناها هشام لمـا وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها فى الصيف؛ ثم أورد ياقوت بعد هـذا الكلام ما يفيد أن الرصافة كانت مبنية قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير .

قال المدائنىّ : كان رجل من وَلَد عبد الرحمن بن سَمُرَةَ أراد الوثوب بالشام فى زمن المهدىّ ، فأُخِذ وحُمِل إليه ، فلمّا مَثَل بين يديه آعتذر ، فرأى منه المهدىّ نُبلا وفضلا ، فعفا عنه وخلطه بجلسائه ؛ ثم قال له يوما : أنشِدْنى شيئا من شعر زهير ، فأنشده قصيدتَه التى أوّلُها : "لِمَنِ آلديارُ بقُنّة الحِجْرِ"(١) حتى أَتَى على آخرها ؛ فقال المهدىّ : مضى من يقول مِثلَ هذا ؛ فقال السَّمُرىّ : وذهب والله من يقال فيه(٢) مِثلُه ؛ فآستشاطَ(٣) المهدىُّ غضبا ، وأَمَر أن يُجَرّ بِرجله ، وألّا يُؤذَنَ له بعدها .

ولنختم ما ذكرناه من أمر كتابة الإنشاء بشىء من الحِكَم .

ذكر شىء من الحكم

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "الحِكمةُ ضالّةُ المؤمن" .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لكلّ جوادٍ كبوة ، ولكلّ حكيم هفوة ، ولكلّ نفسٍ مَلّة(٤) ، فاطلبوا لها طرائفَ آلحكمة .

ومن آلحديث النبوىّ — صلواتُ الله تعالى وسلامُه على قائله — ممّا يدخل فى هذا الفصل قولُه صلّى الله عليه وسلّم : "كرمُ الرجل دِينُه ، ومروءتُه عقلُه ، وحَسَبُه عملُه" . "خيرُ الأمور أوسطُها(٥)" . "كلٌّ ميسَّرٌ لِما خُلِق له" .

(١) قنة الحجر : جبيل ليس بالشامخ بحذاء آلحجر ؛ والحجر : قرية بحذائها قرية يقال لها : الرحضية للأنصار و بنى سليم من نجد (ياقوت) وقال فى مستدرك التاج مادة قنن : قنة آلحجر : قرب معدن بنى سليم .

(٢) فى الأصل : «يقول» بالبناء للفاعل ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) استشاط : التهب .

(٤) فى الأصل : «ملمة» ؛ والميم زيادة من الناسخ .

(٥) رواه ابن الأثير فى النهاية : «أوساطها» بصيغة الجمع .

" زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حبًّا " . " الوَحدةُ خيرٌ من قرين السوء " . " البركةُ في الحركة " . " صِلوا أرحامَكم ولو بالسلام " . "من كَثَّر سوادَ قوم فهو منهم" . "ما قلّ وكفى خيرٌ ممـا كثُر وألهَى" . "ليس الغِنى عن كثرة العَرَض، إنّمـا الغِنى غِنى النفس" .

وقال أبو بكر الصِّدِّيقُ — رضى الله عنه — : صنائعُ المعروف تَقِى مَصارعَ السوء.

وقال علىّ بن أبى طالب : اِستغنِ عمّن شئتَ فأنت(١) نظيرُه، وٱحتَجْ إلى من شئتَ فأنتَ(١) أسيرُه، وأَفْضِلْ على من شئتَ فأنت(١) أميرُه .

قال بعض الشعراء :

وإذا ما الرجاء أُسقِطَ بين النـ * ـاس فالناسُ كلُّهم أَكْفاءُ

وقال لقمان لٱبنه : ثلاثةٌ لا يُعرَفون إلّا فى ثلاثة مواضعَ : لا يُعرَف الحليم إلّا وقت الغضب ، ولا الشجاعُ إلا فى ٱلحـرب اذا لاقى ٱلأقران ، ولا أخـوك إلا عند حاجتك .

وقال عمر بن ٱلخطّاب رضى الله تعالى عنه : أَحَبُّكم إلينا قَبل أن نختبرَكم(٢) أحسَنُكم صمتا، فإذا تكلّم فأَبْيَنُكم منطقا، فإذا ٱختبرناكم فأَحْسَنُكم فعلا .

وفى رواية : أَحَبُّكم إلينا أَحْسَنُكم ٱسمـا ، فإذا رأيناكم فأَجْمَلُكم مَنظَرا ، فإذا ٱختبرناكم فأَحْسَنُكم مَخبَرا .

وخطب علىّ رضى الله عنـه يوما فقال فى خطبته : وأَعْجَبُ ما فى الإنسـان قلبُـه، له أَمدادٌ(٣) من ٱلحكمة، وأضدادٌ من خلافها، فإذا سَنَح له الرجاءُ هاج به

(١) المشهور فى روايته « تكن » فى المواضع الثلاثة مكان قوله : «فأنت» ؛ والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) فى الأصل : « نحركم » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه قوله : فإذا ٱختبرناكم .

(٣) الأمداد : الأعوان، واحده مدد بالتحريك .

الطمع ، وإن هاج به الطمعُ أهلكه الحرص ، وإن مَلَكه اليأسُ قتله الأسف ، وإن عَرَض له الغضبُ اشتدّ به الغيظ ، وإن أُسعِد بالرضا نَسِيَ التحفُّظ ، وإن ناله الخوفُ شغله الحزن ، وإن أصابته مصيبةٌ قصمه الجزع ، وإن أفاد مالا أطغاه الغِنى ، وإن عضّته فاقةٌ شغله البلاء ، وإن جَهَده الجوعُ أقعده الضعف ، فكلُّ تقصيرٍ به مُضِرّ ، وكلُّ إفراطٍ له مفسِد .

ومن كلامه — رضى الله عنه — : فَرَضَ الله تعالى الإيمانَ تطهيرا من الشِّرك ، والصَّلاةَ تنزيها عن الكِبر ، والزكاةَ سببا للرزق ، والصيامَ ابتلاء لإخلاص الخلق ، والحَجَّ تقويةً للبَدَن ، والجهادَ عزًّا للإسلام ، والأمرَ بالمعروف مصلحةً للعوامّ[1] ، والنهىَ عن المنكر رَدْعا للسفهاء ، وصِلةَ الرحم مَنماةً للعَدد ، والقِصاصَ حَقْنا للدماء ، وإقامةَ الحدود إعظاما للمَحارم ، وتَرْكَ شربِ الخمر تحصينا للعقل ، ومجانَبةَ السرقة إيجادا[2] للعفّة ، وتَرْكَ الزنى تصحيحا للنَّسب ، وتَرْكَ اللواط تكثيرا للنسل ، والشهاداتِ استظهارا على المجاحَدات ، وتَرْكَ الكذبِ تشريفا للصدق ، والسلامَ أمانا من المخاوف ، والإمامةَ[3] نظاما للأمّة ، والطاعةَ تعظيما للإمامة[3] .

وقال فَرفُوريوس[4] : لو تميزت الأشياء بأشكالها لكان الكذبُ مع الجبن ، والصدقُ مع الشجاعة ، والراحةُ مع اليأس ، والتعبُ مع الطمع ، والحرمانُ مع الحرص ، والعزُّ مع القناعة ، والأمنُ[5] مع العفاف ، والسلامةُ مع الوُحدة .

(١) العوام : جمع عامة ، كدابة ودواب (المصباح) .

(٢) فى الأصل : «ايجازا» بالزاى ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٣) فى الأصل : «الأمانة» بالنون فى كلتا الكلمتين ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) كذا فى كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ٢٥٦ طبع ليبسك ؛ والذى فى الأصل : « فرفوريس » . وفرفوريوس هذا من أهل مدينة صور من ساحل الشأم ؛ وكان بعد زمن جالينوس ؛ وله النباهة فى علم الفلسفة والتقدم فى تفسير كتب أرسطوطاليس .

(٥) فى الأصل : «والأمر» بالراء ؛ وهو تحريف .

وقال آخر: الشكرُ محتاجٌ إلى القبول ، والحسبُ محتاجٌ إلى الأدب ، والسرورُ محتاج إلى الأمن[١] ، والقرابةُ محتاجة إلى المودّة ، والمعرفةُ محتاجة إلى التجارِب ، والشرفُ محتاج إلى التواضع ، والنَّجدةُ محتاجة إلى الجِدّ .

وقال حكيم يونانيّ : السعاداتُ كلُّها فى سبعة أشياء : حُسنُ الصورة ، وصحّةُ الجسم ، وطولُ العمر ، وكثرةُ العِلم ، وسَعَةُ ذات اليــد ، وطِيبُ الذكر ، والتمكّنُ من الصديق والعدوّ .

وقال بعض الأدباء — وقد سئل عن العيش — فقال : فى الغِنى فإنى رأيتُ الفقير لايلتذّ بعيش أبدا ؛ فقال له السائل : زِدْنى ، قال : فى الصحّة ، فإنى رأيت المريض
(٢٦) لايلتذّ بعيش أبدا ؛ فقال له : زِدْنى ، قال : فى الأمن ، فإنى رأيت الخائف لا يلتذّ بعيش أبدا ؛ قال : زِدْنى ؛ قال : لا أجد مَزيدا . وهــذا الكلام مأخوذ من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

"من أصبح آمنا فى سِربِه[٢] ، مُعافًى فى بَدَنه ، عنــده[٣] قوتُ يومه ، فكأنّمــا حِيزتْ له الدنيا بحذافيرها" .

وقال فيلسوف: كثيرٌ من الأمور لا تَصلُح إلّا بقُرَنائها : لا ينفع العِلمُ بغير ورع ، ولا الحفظُ بغير عقل ، ولا الجمالُ بغير حلاوة ، ولا الحسبُ بغير أدب ، ولا السرورُ بغير أمن ، ولا الغِنى بغير كفاية ، ولا الاجتهادُ بغير توفيق .

---

(١) فى الأصل : "الأمر" بالراء ؛ وهو تحريف .

(٢) السرب بكسر السين : النفس .

(٣) كذا فى الجامع الصغير ج ٢ ص ١٥٢ طبع بولاق ومحاضرات الأدباء ج ١ ص ٣٢٢ طبع جمعية المعارف بمصر ؛ والذى فى الأصل : «له» بدل قوله : «عنده» ؛ ولم نقف على هذه الرواية فيما بين أيدينا من المظان .

وقالوا : المنظرُ يحتاج إلى القبول، والحسبُ إلى الأدب، والسرورُ إلى الأمن، والقُرْبى إلى ٱلمودّة ، والمعرفةُ إلى التجارِب ، والشرفُ إلى التواضع ، والنجدةُ إلى ٱلجِــدّ[1] .

وقال علىٌّ رضى الله عنــه : يَغلِب المقــدار على التقدير ، حتى تــكون الآفةُ فى التــدبير .

أَخَذَه ٱبنُ الرومىّ فقال :

غَلِطَ الطبيبُ علىَّ غلطةَ مُورِدٍ * عَجَزتْ مَوارِدُه[2] عن الإصدارِ
والناس يلحَون الطبيبَ وإنّمــا * غَلَطُ الطبيبِ إِصابَةُ ٱلمقــدارِ

وقال : اذا ٱنقضت ٱلمدّه، كان ٱلهلاك فى العُدّه .

وقال القدماء : لا خيرَ فى القول إلّا مع الفعل ، ولا فى المَنظَرِ إلّا مع المَخبَر ، ولا فى المــالِ إلّا مع ٱلجود ، ولا فى الصديق إلّا مع الوفاء ، ولا فى الفقهِ إلّا مع الورع ، ولا فى الصدقةِ إلّا مع حسن النيّــة، ولا فى ٱلحيــاةِ إلّا مع الصحّة، ولا فى السرورِ إلّا مع الأمن .

قال بعض بنى تميم : حضرتُ مجلسَ الأحنف بنِ قيس وعنده قوم مجتمعون، فحمِد ٱلله وأثنى عليــه، ثم قال : إن الكَرَم، مَنْعُ الحُرَم، ما أَقربَ النِّقمةَ من أهل البغى! لا خيرَ فى لذّة تُعقِب ندما، لن يَهلِكَ مَن قَصَد ، ولن يفتقرَ مَن زَهَد ، ربّ هزل قد عاد جِدّا، من أَمِنَ الزمانَ خانه، ومن تَعظَّم عليه أهانه، دَعوا ٱلمزاح فإنه

(١) تقدّم هذا الكلام فى صفحة ١٨٤ مع تغيير يسير فى عباراته .

(٢) كذا فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٠٠ طبع بولاق وغيره من المصادر التى بين أيدينا ؛ والذى فى الأصل : « مجانيه » ؛ وهو تحريف .

يؤرّث[١] الضغائن؛ وخيرُ القول ما صدّقه الفعل؛ احتملوا مَن أَدَلَّ عليكم ، وٱقبلوا عذرَ من ٱعتذر إليكم؛ أطع أخاك وإن عصاك، وصِلْه وإن جفاك؛ أَنصِفْ مِن نفسِك قبل أن يُنتَصَف منك ؛ وإيّاكم ومشاورةَ النساء ؛ وٱعلم أنّ كفر النعمة لؤم، وصحبةَ ٱلجاهل شؤم؛ ومِن الكرم، الوفاء بالذمم؛ ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصِّلة ، والجفاء بعد اللُّطْف، والعداوةَ بعد الوُدّ ! لا تكوننّ على الإساءة أَقوَى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أَسرَعَ منك إلى البذل ؛ وٱعلم أنّ لك من دنياك ، ما أصلحتَ به مَثواك، فأَنفِق فى حقٍّ ولا تكوننّ خازنا لغيرك ؛ واذا كان الغدرُ موجودا فى الناس فالثقةُ بكلّ أحد عجْز ؛ اعرِف ٱلحقَّ لمن عرَفه لك؛ وٱعلمْ أنّ قطيعةَ الجاهل، تعدل صِلةَ العاقل . قال : فما رأيتُ كلاما أبلغَ منه ، فقمتُ وقد حفظتُه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ومن كلام علىٍّ رضى الله عنه : من أَبصَر عيبَ نفسه شُغِل عن عيب غيره ؛ ومن سَلّ سيف البغيِ قُتِل به ؛ ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ؛ ومن هَتَك حجابَ أخيه ٱنهتكتْ عوراتُ بيتِه[٢] ؛ ومن نسيَ خطيئتَه ٱستعظَم خطيئةَ غيره ، ومن تَكبّر على الناس زَلّ ؛ ومن سَفِهُ على الناس شُتِم ؛ ومن خالط العلماءَ وُقِّر ، ومن خالط الأنذالَ حُقِر؛ ومن أكثر من شيءٍ عُرِف به ؛ والسعيدُ من وُعِظ بغيره ؛ وليس مع قطيعة الرحم تُقى ، ولا مع الفجور غِنى ؛ رأسُ العلم الرفق ، وآفتُه الخُرْق ؛ كثرةُ الزيارة تورث ٱلملالة .

وقال موسى بنُ جعفر: ماتَسابَّ[٣] ٱثنان إلّا ٱنحطّ الأعلى إلى مرتبة الأسفل .

---

(١) يقال : أرّث النار تأريثا ، إذا أوقدها ؛ وهو هنا مستعار منه .

(٢) فى الأصل : « بنته » بالنون ، وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : « ما أشب » ؛ وهو تحريف

وقال آخر : ما تَسابَّ اثنان إلا غَلَبَ ألأمُهما .

وقال الحسن بن عليّ بن موسى الرِّضى : اعلم أن للحِباء(١) مقدارا فإن زاد عليه فهو سَرَف ، وللحزم مقــدارا فإن زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصاد مقــدارا فإن زاد عليه فهو بخـــل .

قال مهديُّ بن أبان : قلتُ لوَلّادةَ العَبْديّةِ — وكانت من أعقل النساء — : إنّى أريد الحج فأوصينى ، قالت : أُوجِزُ فأبلغ ، أم أطيلُ فأُحْكِم ؟ فقلت : ماشئتِ ، فقالت : جُدْ تَسُدْ ، واصبر تفُز ، قلت : أيضا ، قالت : لا يُبعِد غضبُك حلمَك ، ولا هواكَ علمَك ، وقِ دينَك بدنياك ، وقِ عِرْضَك بعَرَضِك ، وتَفَضَّلْ تُخدَم ، واحلُمْ تُقدَّم ، قلت : فبمن أستعين ؟ قالت : بالله ، قلت : من الناس ، قالت : الجَلْد النشيط ، والصالح الأمين ، قلت : فمن أستشير ؟ قالت : المجرِّبَ الكَيّس ، أو الأديبَ الأريب ، قلت : فمن أستصحب ؟ قالت : الصديقَ المسلِّم ، أو المؤاخى(٢) المتكرِّم ، ثم قالت : يابنــاه ، إنك تَفِد إلى مَلِك الملوك فانظر كيف يكون مقامُك بين يديه .

وقال حكيم : مَن الذى بلغ جسيما فلم يَبطَر(٣) ، واتبع الهوى فلم يَعطَب ، وجاوَر النساء فلم يَفتتن ، وطَلب إلى اللئام فلم يُهَنْ ، وواصَـل الأشرارَ فلم يندم ، وصَحِب (٣٧) السلطانَ فدامت سلامتُه .

---

(١) الحباء بالكسر : العطاء .

(٢) فى الأصل : « المداجى » بالدال والجيم ، وهو تحريف مفسد للمعنى ، فإن المداجاة : المداراة ومساترة العداوة .

(٣) فى الأصل : « ينظر » ، وهو تصحيف لا يستقيم به المعنى .

وقال : الاعتبارُ يفيدك الرشاد(١)، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهتَ من غيرك .

وكان يقال : عليكم بالأدب فإنه صاحبٌ فى السَّــفر ، ومُؤنسٌ فى الوُحدة، وجمالٌ فى المَحْفِل، وسببٌ إلى طلب الحاجة .

وقال بعضهم : احذر كلَّ الحذر من أن يخدعك(٢) الشــيطان فيمثِّلَ لك التوانىَ فى صورة التوكّل، و يُورثَك الهُوَينَى(٣) بالإحالة على القَدَر، فإن الله تعالى أمر بالتوكّل عند انقطاع الحِيَل، و بالتسليم للقضاء بعد الإعذار، فقال تعالى : «خُذُوا حِذْرَكُمْ» « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » .

وقال آخر: لا تجاهــد الطلبَ جهادَ الغالب، ولا تتّــكل على القــدر اتّكالَ المستسلِم ، فإنّ ابتغاءَ الفضل(٤) من السنّة ، والإجمالَ فى الطلب من العفّة، وليست العفّةُ بدافعة رزقا، ولا الحرصُ بجالب فضلا .

وقالوا : عشرُ خصـالٍ فى عشرة أصـناف أقبحُ منهـا فى غيرهم : الضـيقُ فى المـلوك، والغدرُ فى الأشراف، والكذبُ فى القضـاة، والخديعــةُ فى العلماء ، والغضبُ فى الأبرار(٥)، والحرصُ فى الأغنياء، والسَّفَهُ(٦) فى الشيوخ، والمرضُ فى الأطبّاء، والزّهوُ فى الفقراء، والفجورُ فى القُرّاء(٧) .

---

(١) فى الأصل : « يعتدك » بالعين والتاء، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «يدعك» بسقوط الخاء، والتصويب عن محاضرات الأدباء للراغب ج ١ ص ٣٠٥ طبع جمعية المعارف بمصر .

(٣) كذا فى محاضرات الأدباء، والذى فى الأصل : «يريك تهوينا» ، وهو تحريف فى كلتا الكلمتين.

(٤) فى الأصل : «بالفضل» ؛ والباء زيادة من الناسخ .

(٥) لعله : «فى الأمراء» .

(٦) فى الأصل : « والسعة » ؛ وهو تحريف .

(٧) المراد بالقرّاء : حفظة القرآن والتالون له .

وقالوا : ثمانيةٌ إذا أهينوا[1] فلا يلوموا إلّا أنفسَهم : الآتى طعاما لم يُدْعَ إليه، والمتأمِّرُ على ربّ البيت فى بيته ، وطالبُ المعروف[2] من غير أهله ، وراجٍ مِنَنَ الفضلِ من اللئام، والداخلُ بين اثنين لَم يُدخِلاه، والمستخِفُّ بالسلطان، والجالسُ مجلسا ليس له بأهل، والمقبِلُ بحديثه على من لا يسمعه .

ومن الأبيات المناسبة لهذا الفصل قولُ الأَضبَط بن قُرَيع :

لِكلّ ضِيقٍ من الهموم سَعَه * والمُسْىُ والصبح لا بقاءَ معه
فصِلْ حبالَ البعيد إن وصل الـ * ـحبلَ وأَقصِ القريبَ إن قطعَه
وخذ من الدهر ما أتاك به * من قَرَّ عينا بعيشه نفَعَه
لا تَحقِرنّ[3] الفقيرَ علّك أن * تَركَعَ[4] يوما والدهرُ قد رفَعَه
قد يَجمعُ المالَ غيرُ آكلِه * ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعَه

وقال أُحيحَة :

فما يدرى الفقيرُ متى غِناه * ولا يدرى الغنىُّ متى يَعِيلُ[5]
ولا تدرى إذا أَزمعتَ أمرا * بأىّ الأرض يأتيك المَقِيلُ

---

(١) فى الأصل : « هينوا » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « المعروه » بالهاء؛ وهو تحريف .

(٣) فى اللسان مادة «ركع» ولا تهين الخ . وقال : أراد «ولا تهينن» بجعل النون ألفا ساكنة فاستقبلها ساكن آخر فسقطت .

(٤) يقال : ركع الرجل ، إذا افتقر بعد غنى وانحطت حاله .

(٥) يعيل : يفتقر .

وقال الصَّلَتان العبدىّ[1] :

أشـاب الصـغيرَ وأفنَى الكبيـ * ـرَ كَرُّ[2] الغـداة ومَرُّ العَشِى
إذا ليـلةٌ هَرَّمتْ[3] يومَها * أَتَى بعـد ذلك يومٌ فَتِى
نروح ونغــدو لحاجاتنا * وحاجةُ من عاش لا تنقضِى
تمــوت مع المــرء حاجاتُه * وتَبــقَى له حاجــةٌ ما بَقِى

وقال المتنبّى :

ذكْرُ الفتى عُمْرُه الثانى وحاجتُه * ما قاته وفضولُ العيش أشغالُ

وقد جُمِـعَ من شعر أبى الطيّب فى ذلك ما وافق كلام أَرِسْطوطاليس فى الحكمة ؛ فمن ذلك قول أَرِسْطوطاليسَ : إذا كانت الشهوةُفوق القدرة كان هلاكُ الجسم[4] دون بلوغ الشهوة .

قال المتنبّى :

وإذا كانت النفوس كبارا * تَعِبتْ فى مُرادها الأجسامُ

وقال أَرِسْطوطاليس : قد يفسد العضو لصـلاح أعضاء، كالكىّ والفصـد اللّذين يُفسِدان الأعضاءَ لصلاحِ غيرِها . نقله المتنبّى إلى شعره فقال :

---

(١) كذا فى الأصل ومعاهـد التنصيص ص ٣٥ طبع بولاق؛ ونقل صاحب معاهد التنصيص أيضا عن الجاحظ فى كتاب الحيوان نسبة هـذه الأبيات الى الصلتان السعدى، وقال — أى الجاحظ — : هو غير الصلتان العبدى .

(٢) كذا فى معاهد التنصيص؛ والذى فى الأصل : « لواء » ولعله مقلوب «ولاء» بتقديم الواو المكسورة، وهو المتابعة، مصدر والى الشىء : أى تابعه، فإن المعنى يستقيم عليه أيضا .

(٣) فى الأصل : «هزمت» ؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى اللسان؛ ويدل عليه أيضا مقابلته بقوله فى آخر البيت : « يوم فتى» .

(٤) فى الأصل : «الهم » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

لعـلّ عَتْبَكَ محمودٌ عواقبُـه * فربّما صحّت ٱلأجسادُ بالعِلَلِ

وقال أَرِسْطوطاليس : الظلم من طبع النفوس، وإنما يَصُدّها عن ذلك إحدى علّتين : إمّا علّة دينيّة خوف مَعاد، أو علّة سياسيّة خوف سيف

قال المتنبّي :

والظلمُ من شِيَمِ النفوس فإن تَجِدْ * ذا عفّــةٍ فلعــلّةٍ لا يَظلِمُ

هــذا ما ٱتفق إيرادُه فى هذا البـاب من أمر كتابة الإنشـاء، وكلامِ الصحابة وٱلخلفاء، وذوى الفصاحة من الأمراء، وبلاغاتِ ٱلخطبـاء والفصحاء، ورسائلِ الفضلاء والبلغاء، وفِقَرِ الكتّاب والأدباء، وحِكَمِ أوائل ٱلحكماء ؛ وهو ممّـا يُضطرّ الكاتبُ إليه، ويَعتمِد فى ٱلاطّلاع على ما خفى من أمر هذه الصناعة عليه ؛ وهى إشاراتٌ إلى مجموعِها ، ورشـفاتٌ من يَنبوعِها ؛ وبابٌ يتوصّل منه إلى رحابِهـا، وسلّمٌ يرتقى عليه إلى هضابِها، ومَسِيلٌ عذبٌ يتّصل بعبابِها ؛ فقد وَضَح لك أيّها الطالبُ السبيل، وظهر لك أيّهـا الراغبُ قيام الدليل ؛ وفيما أوردناه كفايةٌ لمن تمسّك بهذه الصناعة ورغب فيها، وغُنيةٌ لمن تأمّل مقاصدها وتدبّر معانيها ؛ فلنذكر كتابةَ الديوان والتصرّف .

ذكر كتابة الديوان وقلم التصرف وما يتصل بذلك (٢٨)

قد ذكرنا فى أوّل هذا الباب فى السفر السابع من هذا الكتاب ٱشتقاقَ الكتابة، ولم سُمّيتْ بذلك، وذكرنا أيضا أصلَها وشرفَها وفوائدَهـا ، فلا حاجة إلى إعادته فى هــذا ٱلموضع ، فلنذكر ٱلآن ما يتعلّق بقلم الديوان والتصرّف وٱلحساب ؛ وإن كنا قدّمنا ذكرَ كتّابِ الإنشاء لِمـا هم بصدده من الصدارة والوجاهه، والنبالة والنباهه ؛ والفصاحةِ والصباحه، والنزاهةِ والسماحه ؛ والأمانةِ والديانه ، والسـيادة والصيانه ؛

ولِما تصدّوا له مِن كتمِ أسرار الدُّوَل، وتردّوا به من محاسنِ الأواخرِ ومآثرِ الأُوَل، وٱلتَحفوا به من مَطارف الفضائل والمكارم، وتحلّوا به من صفات الأفاضل والأكارم؛ الى غير ذلك من مناقبهم ٱلجمّه، وأياديهم ٱلتى وَضَحتْ غررا فى ليالى ٱلخطوب ٱلمدلهمّه؛ فكتّابُ ٱلحساب أكثرُ تحقيقا، وأقربُ إلى ضبط الأموال طريقا، وأدلُّ برهانا، وأوضحُ بيانا، قال ٱلله تعالى فى كتابه ٱلعزيز: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ وذهب بعض ٱلمفسرين لكتاب الله تعالى فى قوله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، أى كاتبٌ حاسب.

وروى البخارىّ عن أبى حُمَيد ٱلساعدىّ قال: "استعمل رسولُ ٱلله صلّى الله عليه وسلّم رجلا من الأَسْد[(١)] على صدقات بنى سَلِيم يُدعَى ٱبنَ ٱللُّتْبيّة[(٢)] فلمّا جاء حاسَبَه" فقد صحّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاسَبَ؛ وبكتّاب ٱلحساب تُحفَظ الأموال وتُضبَط الغلال؛ وتُحَدّ قوانينُ البلاد؛ وتُميَّز الطوارفُ من التِّلاد؛ لَم يفخَر كُتّاب الإنشاء بمَنقَبة إلا فخَروا بمناقب، ولا سَمَوا إلى مرتبة إلّا وقد رَقَوا إلى مراتب؛ ولا تَميَّزوا برسالة[(٣)] إلّا ولهؤلاء فيها القِدْحُ المعَلَّى، ولا نُسِبوا إلى نباهة إلّا ومحلُّهم فيها

(١) كذا فى الأصل بالسين، وهو أفصح؛ ويقال فيه: "الأزد" بالزاى، وهو أبو حى من اليمن، ومن أولاده الأنصار كلهم.

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط؛ وقد أثبتناها هكذا نقلا عن صحيح البخارى ج ١ ص ٣٨٢ طبع ليدن واللتبية: أمه، نسبة إلى بنى لتب بالضم، وهم حى من الأزد؛ ومنهم من يفتح اللام والتاء المثناة؛ وفى بعض الروايات: «الألتبية» بالهمز؛ وفى رواية أخرى بضم ففتح؛ وٱسم ٱبن اللتبية هذا: عبد الله انظر شرح القاموس مادة (لتب).

(٣) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل، ولعل فيها تحريفا فإن رسائل المنشئين ليس لكتاب التصرف فيها القدح المعلى كما قال إلا اذا كانوا منشئين أيضا؛ ولعل صوابه «بنبالة» ويرجحه حصول الجناس بها مع قوله فى الجملة الآتية «نباهة» والمؤلف يميل إلى هذا النوع فى كتابته؛ وقد سبق أن جمع بين الكلمتين فى صفحة ١٩١ س ١٩ .

المحلُّ الأرفعُ ومقامُهم المقامُ الأعلى ؛ ولا اتصفوا بكتمان سرٍّ إلّا اتصف هؤلاء بمثله ، ولا شُهِروا ببذل برٍّ إلا وهؤلاء هم أعيان أهله ؛ ثم اختصّ كُتّابُ التصرف بأمورٍ مُنِـع أولئك منها ، وأُطلِقتْ أقلامُهم فى أقلام(١) حُبِستْ أقلامُ أولئك عنها ؛ وارتقوا إلى قُلَل مراتبَ كَبَتْ جيادُهم عن إدراك غايتِها ، وتَسَنّموا ذرا مناصبَ لا تمتـدّ الآمالُ(٢) إلى أكثرَ من نهايتِها ؛ ولسنا نقيمهم فى محلّ المناظره ، ولا نوقفهم فى موقف المكاثرة والمفاخره ؛ بل لكلِّ طائفة فضـلٌ لا ينكَر ، وفضائلُ هى أشهرُ من أن تملَى وتسطَّر ؛ ولمّا انتهيتُ فى كتابى هذا إلى باب الكتابة ، أردت أن أضرب عن ذكر كتابة التصرّف صفحا ، ولا أُعيرها من النظر لمحا ، وأقتصر على كتابة الإنشاء جريا على عادة من صـنّف ، وقاعدةِ من ألّف ؛ فسألنى بعض إخوانى أن أضع فى ذلك (٢٩) ملخَّصا يَعلم منـه المباشِرُ كيف المباشَره ، ويستضىء به فيما يسترفعه(٣) أو يرفعه من ضريبةٍ ومُوافره(٤) ؛ فأوردتُ(٥) هـذه النُّبذة إزالةً(٦) لسؤالِه ، وتحقيقـا لآمالِه ؛ وذكرتُ من صناعة الكتابة ما هو بالنسبة الى مجموعها قطرةٌ من بحرِها ، وشَذْرةٌ من عقود درّها ؛ ممّـا(٧) لا بدّ للمبتدى من الإحاطة بعلمِـه ، والوقوفِ عنـد رسمِه ؛ وحين وضعتُ ما وضعتُ من هـذه الصناعة لم أقِفْ قبل ذلك على كتاب فى فنّها

(١) المراد بالأقلام هنا : أنواع كتابة الديوان كما هو المصطلح عليه عند كتّاب الدواوين فى زماننا ؛ وبالتى قبلها والتى بعدها : جمع القلم بالمعنى المعروف .

(٢) فى الأصل : « الأمثال » ؛ والثاء زيادة من الناسخ .

(٣) يسترفعه : أى يطلب من غيره أن يرفعه إليه . ويرفعه : أى يرفعه هو إلى غيره .

(٤) فى الأصل : « موامره » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «فأردت» بسقوط الواو ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٦) فى الأصل : « إرادة » وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٧) فى الأصل : « فيما » ؛ وهو تحريف .

مصنَّف، ولا انتهيتُ إلى فصل مترجَم[1] بهـا أو مؤلَّف؛ ولا لمحتُ فى ذلك إشاره، ولا سمعتُ من لخّص فيها عباره؛ ولا من تفوّه فيها ببنت شـفة ولسان، ولا من صرّف بنانِ[2] بلاغتـه فى ميادينها العِنان؛ حتى أقتدىَ بمثالِه، وأنسج[3] على منوالِه؛ وأسلك طريقه فى الإجاده، وأحذوَ حذوَه فى الإفاده؛ بل وجدتُها مقفَلةَ البـاب، مسبَلةَ الحجـاب؛ قد اكتفى كلُّ كاتب فيهـا بعلمِه، واقتصر على حسب فهمِه؛ فراجعتُ فيها الفكره، وعطفتُ بالكرّة بعد الفتره؛ ثم قرعتُ بابها ففُتح بعد غَلْقِه[4]، ورفعتُ حجابَها ففُتِق بعد رَتْقِه؛ وامتطيتُ صهوتَها[5] فلانت بعد جماحِها، وارتقيتُ ذُروتها فظهر للفكرة طريقُ نجاحِها؛ فشرعتُ عنـد ذلك فى تأليف ما وضـعتُه[6]، وترصيف[7] ما صنّفتُه؛ وبدأتُ باشتقاق تسمية الديوان، ولِمَ سُمِّىَ ديوانا، ثم ذكرت ما تفرّع من كتابة الديوان من أنواع الكتابات، وأوّل ديوان وُضع فى الإسـلام، وسببَ وضـعِه، ثم ذكرت ما يحتاج اليه كلُّ مباشر من كيفيّة المباشَرة وأوضاعها، وما استقرّتْ عليه القواعد العرفيّـة، والقوانينُ الاصطلاحيّة، وما يرفعه كلُّ مباشر ويسترفعه[8]، والأوضاع الحسابية، على ما ستقف إن شاء الله تعالى عليه، وترجع فيما أشكَل من أمورها إليه .

---

(١) فى الأصل : «لفظ» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى . ومترجم بفتح الجيم : أى مسمى .

(٢) فى الأصل : «بنيان» ؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : «وأبيح» ، وهو تحريف .

(٤) الغلق : مصدر غلقت الباب بدون ألف ، وهى لغة قليلة قال الشاعر : «ولا أقول لباب الدار مغلوق» .

(٥) فى الأصل : «صهرتها» بالراء ؛ وهو تحريف .

(٦) لعله : «وصفته» إذ به مع قوله : «صنفته» فى الجملة الآتية يستقيم السجع الذى التزمه المؤلف .

(٧) الترصيف : التجميع والتنضيد ، يقال : رصف الحجارة ورصفها بتخفيف الصاد وتشديدها .

(٨) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر .

ذكر ٱشتقاق تسمية الديوان ولم سمّى ديوانا ومن سمّاه بذلك

قد ٱختُلِف فى تسمية الديوان ديوانا على وجهين : أحدهما أنّ كسرى ٱطّلع ذات يوم على كتّاب ديوانه ، فرآهم يحسُبون مع أنفسهم ، فقال : دِيوانه : أى مجانين ؛ فسُمِّىَ موضعُهم بهذا الأسم ، ثم حُذفت الهاء لكثرة الأستعمال تخفيفا للأسم ، فقيل : ديوان . والثانى أن الديوان بالفارسيّة ٱسمٌ للشياطين ، فسُمِّىَ الكتّابُ بٱسمهم لِحذقهم بالأمور(١) ، ووقوفِهم على ٱلجلىّ وٱلخفىّ ، وجمعِهم لما شذّ(٢) وتفرّق ، وٱطلاعِهم على ما قرُب وبعُد ، ثم سُمِّىَ مكانُ جلوسهم بٱسمهم ، فقيل : ديوان . هذا ما قيل فى تسميته(٣) على ما حكاه ٱلماوردىّ فى الأحكام السلطانيّة ؛ والله أعلم .

ذكر ما تفرّع عن كتابة الديوان من أنواع الكتابات

هذه الكتابة تنقسم إلى أقسام ووظائفَ : أصولٍ وفروع ، وهى : مباشَرةُ ٱلجيوش ، ومباشَرةُ الخِزانة ، و بيتِ المال ، وأهراءِ(٤) الغلال ، ومباشَرةُ البيوت ، ومباشَرةُ ٱلهلالىّ(٥) ، ومباشَرةُ ٱلجوالِى(٥) ، ومباشَرةُ ٱلخراجىّ ، ومباشَرةُ الأقصاب وٱلمعاصِر ومطابخِ السكّر ؛ ويحتاج مباشرُ كلِّ وظيفة من هذه الوظائف إلى معرفة قواعدَ يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى ؛ ولنبدأ بذكر مباشرة ٱلجيوش .

---

(١) كذا فى الأصل وصبح الأعشى ج ١ ص ٩٠ بالباء ؛ ولعله « فى الأمور » ؛ إذ لم نجد فيا لدينا من كتب اللغة أنه يقال : حذقت بالشىء ؛ والذى وقفنا عليه أنه يقال : حذقته ، وحذقت فيه .

(٢) فى الأصل : « شذّد » بدالين مهملتين ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «تسميتهم» والميم زيادة من الناسخ ، فإن المراد تسمية الديوان .

(٤) الأهراء : جمع « هُرِىّ » بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء ، وهو بيت كبير يجمع فيه الغلال التى للسلطان ؛ قال الأزهرى : لا أدرى أعربى هو أم دخيل .

(٥) سيأتى شرح الهلالى والجوالى عند الكلام على ما يحتاج إليه مباشر كل منهما .

ذكر مباشرة ديوان ٱلجيش وسبب وضع الدواوين وأول من وضعها فى ٱلإسلام

وديوانُ ٱلجيش هو أوّلُ ديوان وُضِع فى الإسلام(١)، وضعه عمرُ بنُ ٱلخطّاب — رضى الله عنه — فى خلافته؛ وقيل : بل وُضِع فى عهد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، ويدلّ على ذلك أن البخارىَّ — رحمه الله — تَرجَم على هـذا بقوله : باب كتابة الإمام النـاسَ، قال : حدَّثنا محمدُ بن يوسف، قال : حدَّثنا سفيانُ عن الأعمش عن أبى وائلٍ عن حُذَيفةَ : قال النبى صلّى ٱلله عليه وسلّم : "اكتبوا لى من تلفّظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفا وخَمسَمائة رجل" وقد روى البخارىُّ أيضا بسنده عن ٱبن عبّاس — رضى ٱلله عنهما — قال : "جاء رجل إلى النبى صلّى ٱلله عليه وسلّم فقال : يارسول الله، إنّى ٱكتُتِبتُ(٢) فى غزوة كذا وكذا، وٱمرأتى حاجّة؛ قال : ارجع فٱحجُج مع ٱمرأتك"

وٱختلف الناس فى سبب وضعه فى أيّام عمر، قال قوم : سببُه أنّ أبا هُرَيرة — رضى الله عنه — قَدِم بمـال من البحرين، فقال له عمر رضى ٱلله عنه : ماذا

(١) فى صبح الأعشى ج ١ ص ٩١ أن أول ديوان وضع فى الإسلام هو ديوان الإنشاء؛ قال : وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان ٱلله عليهم ويكاتبونه الخ ثم قال أيضا : وهذه المكتوبات متعلقها ديوان الإنشاء .

(٢) كذا فى اللسان مادة كتب؛ والذى فى الأصل : «إنى اكتسيت»؛ وهو تحريف؛ وفى صحيح البخارى ج ٤ ص ٧٢ طبع بولاق سنة ١٣١١ : «كتبت» وقد روى البخارى هـذا الحديث أيضا فى ج ٣ ص ١٩ طبع بولاق برواية أخرى، وهى : قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم؛ فقال رجل : يارسول الله، إنى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا وامرأتى تريد الحج؛ فقال : اخرج معها» ولا شاهد فيه على هذه الرواية حيث قال : «إنى أريد أن أخرج» ولم يقل : «إنى كتبت» .

جئتَ به ؟ قال خمسمائة ألف درهم، فاستكثره عمرُ وقال : أتدرى ماتقول؟ قال : نعم، مائة ألف خمس مرات؛ فقال عمر : أطيِّبٌ(١) هو؟ فقال : لا أدرى؛ فصعِد عمرُ رضى الله عنه المنبرَ، فحمِد الله وأثنَى عليه، ثم قال : أيّها الناس، قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم كِلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا [لكم عدّا](٢)؛ فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيتُ الأعاجم يدوِّنون ديوانا لهم، فدوِّن أنت [لنا](٣) ديوانا .

وقال آخرون : بل سببُه أن عمر — رضى الله عنه — بعث بعثا وعنده الهُرمُزانُ(٤)، فقال لعمر : هذا بعثٌ قد أعطيتَ أهلَه الأموال، فإن تخلَّفَ رجلٌ منهم وأخَلَّ(٥) بمكانه فمن أين يعلَم صاحبُك(٦)؟ فأثبِتْ لهم ديوانا؛ فسأله عن الديوان حتى فسّره له .

ورَوَى [عابد بن يحيي](٧) عن [الحارث](٧) بن نُفَيل أن عمر رضى الله عنه استشار المسلمين فى تدوين الدواوين، فقال علىّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه : تَقسِم فى كلِّ سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تُمسِك منه شيئا؛ وقال عثمان بن عفّان — رضى الله عنه — : أَرى مالا كثيرا يسَع الناسَ، وإن لم يُحصَوا حتى يُعرَفَ من أَخَذ ممن لم يأخذْ خشِيتُ أن ينتشر الأمر؛ فقال خالد بنُ الوليد : قد كنتُ بالشام

(١) الطيب : الحلال، وهو ضد الخبيث، أى هل اكتسبه دافعوه من حلال ؟ .

(٢) لم ترد هـذه العبارة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٤ طبع المنيا .

(٣) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية .

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ والأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل : « الفيرزان »؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « آخر» و فى الأحكام السلطانية : «وأجل» وهو تحريف فى كليهما والتصويب عن صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٠٦ ومقدمة ابن خلدون ص ١١٨ طبع بولاق .

(٦) يريد بقوله : «صاحبك» أمير الجيش؛ وزاد فى الأحكام السلطانية بعد هذه الكلمة قوله : به .

(٧) هاتان التكملتان ساقطتان من الأصل؛ وقد أثبتناهما عن الأحكام السلطانية .

فرأيتُ ملوكها دَوّنوا ديوانا، وجَنّــدوا جنودا، [فدَوّنْ ديوانا، وجَنّد جنودا] (١) فأَخذ بقوله، ودعا عَقيــلَ بنَ أبي طالب ومَخْرَمَةَ (٢) بنَ نوفل وجُبَيرَ بنَ مطعم — وكانوا من كُتّاب قريش — فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فبدءوا ببنى هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم قومَ أبي بكر، ثم عمرَ وقومَه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة (٣)، ثم رفعوا ذلك إلى عمر رضى الله عنه، فلمّا نظر فيه قال: لا، [ما] (٤) وَدِدتُ أنّه كان هكذا، ولكن ابدءوا بقرابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله؛ فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك؛ وكان ذلك فى المحرّم سنة عشرين من الهجرة، وقيــل فى سنة خمس عشرة، — والله أعلم —؛ فلمــا استقرّ ترتيب الناس فى الدواوين على قَدْر (٥) النسب المتصلِ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فَضّل بينهم فى العطاء على قدر السابقة فى الإسلام. وسنذكر إن شاء الله فى خلافة عمر رضى الله عنه ما فرضه من العطاء لكلّ طائفة على ما ستقف عليه — إن شاء الله تعالى — فى موضعه من فنّ التاريخ؛ وهو فى السفر السابع عشر من كتابنا هذا؛ فهذا كان سببَ وضع ديوانِ الجيش.

وأما دواوين الأموال — فإنها كانت بعد ظهور الإسلام بالشأم والعراق على ما كانت عليه قبل الإســلام، فكان ديوان الشأم بالروميّة لأنه كان من ممالك

---

(١) التكملة عن الأحكام السلطانية ص ٣٤٥ طبع ألمنيا.

(٢) كذا فى مستدرك التاج؛ والذى فى الأصل والأحكام السلطانية: «محزمة» بالحاء المهملة والزاى المعجمة؛ وهو تصحيف.

(٣) لعله يريد بقوله: ووضعوها على الخلافة، أنهم جعلوا ترتيب القبائل فى الديوان على حسب قربهم فى النسب من القبيلة التى فيها الخلافة.

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يستقيم الكلام.

(٥) كذا فى الأحكام السلطانية؛ والذى فى الأصل: «تعدد»؛ وهو تحريف.

الروم؛ وكان ديوان ٱلعراق بالفارسيّة لأنه كان من ممالك الفُرس؛ فلم يزل أمرهما جاريا على ذلك إلى زمن عبـد الملك بن مروان، فنقل ديوان الشأم إلى العربيّـة فى سنة إحدى وثمانين من الهجرة؛ وكان سبب نقلِه — على ما حكاه المدائنىّ — أن بعض كتّاب ٱلروم فى ديوانه أراد ماءً لدواته، فبال فى الدواة، فبلغـه ذلك فأدّبه، وأمر سليمانَ بنَ سـعد أن ينقل الديوانَ إلى العربيّة، فسأله أن يُعِينه بخراج الأُرْدُنّ[(١)] سنةً، ففعل وولّاه الأُرْدُنّ، وكان خراجُه مائةَ ألف وثمانين ألف دينار، فلم تنقضِ السنةُ حتى فرغ من الديوان ونَقَلَه، وأَتَى به عبدَ الملك فدعى سرجونَ[(٢)] كاتبَه فعرضه عليه فغمّه وخرج كئيبا، فلقِيَه قوم من كتّاب الروم، فقال لهم: اطلبوا المعيشة من غير هذه ٱلصناعة فقد قطعها ٱلله عنكم .

وأما ديوان العراق — فكان سبب نقلِه إلى العربيّـة أنّ كاتب الحجّاج بنِ يوسف كان زاذان فَرُّوخ[(٣)]، وكان معه صالح بنُ عبد الرحمن يكتب بين يديه بالعربيّة والفارسيّة، فأوصله زاذان فَرُّوخ[(٣)] إلى الحجّاج، نخفّ على قلبِه، فقال صالحٌ لزاذان فرّوخ[(٣)] (٣١)
إنّ ٱلحجّاج قـد قرّبنى ولا آمن أن يقدّمنى عليك؛ فقال : لا تظنَّ ذلك فهو إلىّ أحوَجُ منّى إليه، لأنه لا يجد من يكفيه حسابَه غيرى؛ فقال له صالح : والله لو شئتُ أن أحوّل ٱلحساب إلى العربيّة لفعلت؛ فقال : فحوِّلْ منه ورقة أوسطرا حتى أرى، ففَعَل؛ ثم قُتِل زاذان فَرُّوخ فى حرب عبدالرحمن بن الأشعث، فٱستَخلَف

---

(١) الأردن بضم الهمزة وتشديد النون : كورة واسعة، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك .

(٢) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٨٣٧ طبع ليدن؛ والذى فى الأصـل : « مرحون » بالحاء المهملة .

(٣) كذا فى مقدمة ٱبن خلدون ص ١١٩ طبع بولاق وتاريخ الطبرى قسم ٢ ص ١٠٥٨ طبع ليدن؛ والذى فى الأصل : «زاذا بفروخ» ؛ وهو تحريف .

ٱلحجّاج صالحا مكانَه، فذَكَر له ما جرى بينه و بين زاذان فَرُّوخ فأمره أن ينقله، فأجابه إلى ذلك وأجَّلَه فيــه أجلا حتى نقله إلى العربيّة، فلمّا عرف مَرْدانشاه بن زاذان فَرُّوخ ذلك بذَل له مائةَ ألف درهم ليُظهِر للحجّاج العجزَ عنــه ، فلم يفعل ؛ فقال له : قطع ٱلله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل ٱلفارسيّة .

وكان عبدُ الحميد بنُ يحيي كاتبُ مروان يقول : لله درُّ صالح ما أعظم مِنّته على الكُتّاب ! .

هــذا ما حُكِيَ فى ٱبتــداءِ نقلِ الدواوين ، فلنرجع إلى الجيش وما يحتاج إليه مباشِرُه .

ذكر ما يحتاج اليه كاتب الجيش على ما ٱستقر فى زمانِنا(١) هذا من ٱلمصطلح

يحتاج كاتب الجيش إلى أن يرصِّع(٢) أسماءَ أرباب ٱلإقطاعات والنقودِ والمكَيلاتِ من ٱلأمراء على ٱختلاف طبقاتهم ، والمماليك السلطانيّة ، وأجنادِ ٱلحَلْقة، وأمراءِ التُّرْكمان والعربان ؛ ويضَعَ لذلك جريدة مُقفّاةً على حروف المُعجَم يُثبِت فيها أسماءهم ، ويذكر ٱلاسمَ وٱبتداءَ إمرته أو جنديّته فى أىّ سنة كانت من السنين الهلاليّة لٱستقبال ما يكتب من مُغَلّ السنة الخراجيّة ، وعمن ٱنتقل إليه الإقطاع ؛

(١) فى الأصل : « فى مكاننا » ، ويرجح ما أثبتناه قوله فيما سيأتى فى صفحة ٢٠٨ س ١١ فهــذه هى القواعد التى استقرّت فى زماننا .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة فى مواضع كثيرة من هذا الباب ؛ ولعلّ كُتّاب الدواوين إذ ذاك كانوا يستعملون الترصيع بمعنى التنظيم ، كما يفهم من سياق الكلام ؛ وفى كتب اللغة أنه يقال : رصّع العقد بالجوهر ترصيعا اذا نظمه فيــه وضم بعضه الى بعض ، والمعنى أن كاتب الجيش يضمّ أفراد كل طائفــة الى بعضها ولا يدخل فيها ما ليس منها .

ويَرْمُز قُبالَةَ كلّ ٱسم إلى عِبْرة[١] إقطاعه رمزا لا تصريحا، ويشير فى جندىّ الحَلْقة إلى مقدَّمه، ويعيّن فى ٱسم التُّركمانىّ أو البـدوىّ ما قدّمه إلى الإصطبلات السلطانيّة والمُناخات من الخيل والجمال، وفى عربان مصر ٱلمقرَّر عليهم فى مقابلة الإقطاعات من التَّقادِم[٢]، وإقامةِ خيل البريد فى المراكز، وغيرِ ذلك من نقلِ الغلال، وما هو مقرَّر عليهم فى ٱبتداء أمرهم عند خروج الإقطاعات بأسمائهم، وغير ذلك على جارى العادة، فإن ٱنتقل أحدٌ منهم من إقطاع إلى غيره فى ذلك العمل بعينه وَضَع تحت إقطاعه الأوّل ما صورتُه: ثم ٱنتَقل إلى غيره بمقتضَى منشورٍ تاريخُه كذا عن فلان ٱلمتقلِ إلى غيره، أو المتوفَّى، أو المفارِق، أو غير ذلك؛ فإن كان على سـياقته فى إقطاعه الأوّل قال: على سياقته؛ وضَبَط تاريخَ الأوّل، وإن كان لٱستقبال مُغَلّ أو شىءٍ من مُغَلّ ميَّزه، وٱحتاج إلى محاسبة ربّ ٱلإقطاع على إقطاعه الأوّل؛ والمحاسَباتُ غالبا إنما تقع بعد وفاة ٱلأمير أو ٱلجندىّ، أو ٱنفصالِه بوجه من وجوه ٱلٱنفصالات، وأما ما دام فى الخدمة فهى يتلو بعضُها بعضا؛ وصورة المحاسبة أن يُقيم تاريخَ منشوره إلى تاريخ ٱنفصاله أو نقلته، ويَعقِدَ على ذلك جملةً، ويوجبَ له عن نظير خدمته ٱستحقاقا، وينظرَ إلى ما قبضه من المُغَلّات فيجمعها، فإن كان قبضُه نظيرَ خدمته فلا شىء له ولا عليه، وإن زاد قبضُه على مدّة خدمته ٱستعاد منه ما زاد بنسبته، وإن كانت خدمتُـه أكثرَ من قبضه أفرَج له عن نظير ما فَضَل له؛ ومن العـادة فى غالب الأوقات أن يُسقط من ٱستحقاق أرباب الإقطاعات فى كل سنة أحد عشر يوما وربع يوم، وهى التفاوتُ بين ٱلسنة الشمسيّة والقمريّة، ويُبرِز له ما بقى

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل فى عدّة مواضع من هـذا الباب وكتاب التحفة السنية لابن الجيعان؛ والظاهر أن المراد بها ما يقدّر على الإقطاعات، أخذا من سياق الكلام؛ وسميت بذلك لأنهم كانوا يعبرون الدراهم المتحصلة من البلد، أى يقوّمونها بدنانير جيشية كما يفهم من التحفة السنية .

(٢) المراد بالتقادم: الهدايا، وهو جمع تقدمة .

ويُعطيهَ المِثل من نسبة البارز، وقد سومح بذلك فى بعض الأوقات دون بعض ؛ وهذه ٱلجريدة تسمَّى ٱلجريدةَ ٱلجيشيّة .

ويَحتاج إلى بسـط جريدة إقطاع صـورتها : أنه يرضع[١] الأعمـال كلَّ عمـل وبلاده وضياعه وكفوره وقراه وجزائره وجروفه وجهات الهـلالىّ والحَوالِى ، وغير ذلك من معالمه وحدوده[٢] والجهات المستظهر بها والبذول[٣]، وسائرِ ما هو متعـلّق بذلك المكان ؛ ويَذْكُر عِبرةَ[٤] البـلد ٱلجيشيّة ، وما ٱستقرّ عليـه حال (٣٢) متحصِّلها أخيرا ،وإن كان بالشام ذَكَر العِبرةَ ٱلجيشيّة ومتحصِّلَ البلد لثلاث سنين : مُبقلة[٥] ومتوسّطةٍ ومجدبة، ثم يشطب[٦] قُبالةَ كلِّ جهة أسماءَ مُقطَعِيها، وما هو باسم كلِّ واحد منهـم ، لِيَتحرّر[٧] له بذلك هل ٱستَوعب الإقطاعُ جملةَ النواحى والجهات ، ويتمـيّز له ما بقِىَ من المحلولات ؛ وإن ٱنتقل ربُّ إقطاع من إقطاع إلى غيره بادَرَ بشطبه لوقته فى موضعه لئلا يدخُل عليه الوَهَم[٨] والٱختلاف .

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : «حقوقه» ؛ وهو تحريف .

(٣) كذا فى الأصل ؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : مقبلة . وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه ؛ والمبقلة : التى كثر بقلها .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى عدّة مواضع من هذا الباب والشطب هو أن تمدّ خطا على الغلط الواقع فى الكلام كما فى شفاء الغليل ، وليس هذا مرادا هنا ؛ والظاهر أن كتّاب الدواوين فى عصر المؤلف اصطلحوا على استعمال الشطب بمعنى التقييد والنقل من المستندات الى الدفاتر، كما هو مصطلح كتّاب الدواوين عندنا فى استعمال هذه الكلمة ، ولديهم دفاتر تسمى دفاتر الشطب ؛ وهـذا المعنى هو المراد بالشطب فى هذا الباب، كما يفهم من السياق .

(٧) فى الأصل : « ليتحرز » بالزاى المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٨) الوهم بالتحريك : الغلط .

ويحتاج إلى أن يتعاهد مباشرى المعاملات والبرور[1] بطلب الكشوف الجيشيّة[2] فى كل ثلاث سنين ويشطبها[3] على ما عنده لتتحرّر[4] عنده العبر، ويتميّز له ما تعيّن من الزيادة والنقص .

ويحتاج أيضا إلى بسط جريدة ثالثة بأسماء أرباب النقود والمكيلات خاصّة، لأنه يحتاج أن يفرج لكلّ منهم فى كلّ سنة عن نقده ومكيله بمقتضى ما شهد به منشوره، وعادةُ قبضه وجهته، أو ممّا تعيّن بقلم الاستيفاء إن كان، فإذا أفرج لكلّ منهم شطب[5] تاريخ إفراجه قُبالة اسمه لتنضبط له بذلك تواريخ قبوضهم ويأمن من التكرار والغلط؛ وهذه الجريدة هى فرع من الجريدة الجيشيّة، فإنه يبسطها منها .

ويحتاج فى أجناد[6] الحلْقة السلطانيّة إلى أن يُضيف كل جماعة منهم إلى مقدّم مشهور من أعيانهم ممن هو متميّز الإقطاع، ويقيم عليهم نقيبا يعرف مساكنهم ومظانّهم، فإذا طُلبوا جمعهم، أو طُلب أحدٌ منهم أحضره، ويُسمّى هذا المقدّمُ : مقدّمَ الحلْقة؛ ويضيف كلّ جماعة من أمراء الطّبلْخاناه[7] وأمراء العشرات،

(١) كذا فى الأصل؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب السياق .

(٢) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : «لتتحرز» بالزاى المعجمة؛ وهو تصحيف .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٥) المراد بالشطب هنا : التقييد؛ كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «من أخبار»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) الطبلخاناه : أى بيت الطبل؛ وخاناه : لفظ فارسى معناه البيت إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف اليه على عادة العجم فى ذلك؛ وقال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ عند الكلام على الطبلخاناه : إنها طبول متعددة معها أبواق وزمارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدق فى كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الملك فى الأسفار والحروب، وهى من الآلات العامة لجميع الملوك .

ومقدّمِي ٱلحَلْقة، ومضافِيهم إلى مقدَّمٍ كبير من أمراء ٱلمـائة، ويسمَّى هذا الأميرُ: مقدَّمَ ٱلألف؛ ويحتاج إلى أن يضع لهاتين الطائفتين(١) جريدةَ عِدّة، يضع فيها ٱسمَ مقدَّم الألف وعِدّتَه من غير تفصيل لأسمائهم وقُبالةَ ٱسمه عِبْرة(٢) إقطاعه، ما هو لخـاصّه، وما هو لأصحـابه؛ ثم أمراء الطَّبْلخاناه كـكلّ أمير وعِدّته، وعِبْرة إقطـاعه، على ما تَقدَّم في مقدَّم الألف، ويرتّبهم في التقـديم والتأخير على مراتبهم؛ ثم أمراء العَشَرات كذلك؛ ثم يذكر مقدَّمِي ٱلحَلْقة فيعيِّن ٱسمَ ٱلمقـدَّم ونسبتَه وأتبـاعَه إن كان له أتباع، وعِبْرَة إقطاعه، ثم يذكر مضافِيه من ٱلحَلْقة على هذا ٱلحكم، ويرتّبهم بحسب مراتبهم، يبـدأ في كلّ تَقدِمةٍ بٱسم ٱلمقـدَّم، ويختمُ باسم النقيب، ليسهل عليه طلبُ كلِّ جنديٍّ من مقدَّمه، ويطلبه مقدَّمه من نقيبه؛ وإن ٱنتقل أميرٌ أو جنديٌّ من مقدَّم ألف أو مقدَّم حَلْقة وٱنضاف إلى مقدَّمٍ آخَرَ نقَلَه لوقتـه لئلّا يضطربَ عليه حالُهم، ويلتبسَ أمرُهم؛ وكذلك أيضا يَفعل في ٱلمـاليك السلطانيّة من إضافة كلِّ جمـاعة منهم إلى مقدَّم من أعيانهـم، ويميِّز أربابَ الوظائف منهـم: من السلاحداريّة(٣) والجَمَدارية والرَّمحداريّة(٤) والجُمَقْـداريّة(٥) والزَّردكَشـيّة

(١) يريد بالطائفتين: الأمراء وأجناد الحلقة.

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

(٣) السلاحدارية: نسبة الى السلاحدار وقد ذكر في صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٧ أن دار لفظة فارسية معناها ممسك، فاعل من الإمساك؛ وكثير من كتّاب الزمان أو أكثرهم بل كلهم يظنون أن لفظ دار في ذلك عربيّ بمعنى المحل كدار السلطان أو الأمير؛ وهو خطأ الخ ماقال؛ فمعنى سلاحدار: ممسك السلاح؛ وكذا يقال فيما يأتي بعده.

(٤) الجمقدارية: نسبة الى الجمقدار وهو الذى يكون دائما حامل الدبوس، كما في كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص ٥٠ طبع أوربا.

(٥) الزردكشية: هم لابسو الدروع؛ وكش باللغة الفارسـية، معناه لابس انظر المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستاين جاس مادة «كشيدن».

والبُنْدقـدارية(١) ومن السُّقاة(٢) والجَمَـدارية(٣) والخَزندارية(٤) والحُـرّاس(٥) والبَشْمَقدارية(٦) وغيرِهم؛ ويضيف كلَّ جماعة من كلِّ طائفة منهم إلى متعيِّن من جملتهم، ويجمع عِدّة كلِّ طائفة ويقدِّم عليهم أمثلَهم؛ وأمّا المماليك الكتّابيّة(٧) أربابُ الجامكيّات(٨) فيَنسُب كلَّ جماعة منهم إلى طبقةٍ مُقدَّمُها من الطواشيّة، ويَنسُب المماليكَ البُرْجيـة(٩)

(١) البندق: الذى يرمى به، وهو معروف؛ والبندقدارية: هم الذين يحملون هذا البندق خلف السلطان أو الأمير. انظر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٨ فى تفسير البندقدار.

(٢) السقاة: جمع ساق، قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٤ هو لقب على الذى يتولى مدّ السماط وتقطيع اللحم وسقى المشروب بعد رفع السماط ونحو ذلك، وكأنه وضع فى الأول لساقى المشروب فقط ثم استحدثت له هذه الأمور تبعا الخ.

(٣) قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ عنـد الكلام على الجمدار: إنه الذى يتصـدّى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه؛ وأصله: «جامادار» لحذفت الألف بعد الجيم و بعد الميم استثقالا وقيل: جمدار وهو فى الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ومعناه الثوب والثانى دار ومعناه ممسك.

(٤) فى الأصـل: «والحربدارية» وهو تحريف لتكرره مع ما سبق ولعل صوابه ما أثبتنا؛ قال فى صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٢ فى الخزندار بكسر الخاء وفتح الزاى المعجمة: هو لقب على الذى يتحدّث على خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما الخ.

(٥) فى الأصل: «والحران» بالنون؛ ولم نجده فيما راجعناه من المظان.

(٦) قال فى صـبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩ فى تفسير البشمقدار: إنه الذى يحمل نعل السـلطان أو الأمير؛ وقال: إن البشمق باللغـة التركية معناه النعل؛ ثم نقل عن صاحب الأنوار الضوئيـة: أن الصواب فيه «بصمق» بالصاد بدل الشين؛ ثم قال: والمعروف فى ألسنة الترك بالديار المصرية ما تقدّم والذى فى الأصل: «السمقداوية» بالسين، ولم نجده فيما راجعناه من المظان.

(٧) الكتّابية: أى الذين يشـتغلون بالكتابة.

(٨) الجامكيات: الرواتب والأجور، واحده جامكية؛ وأصله باللغة الفارسية: «جامكى» بفتح الميم وكسر الكاف. انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس.

(٩) سميت هـذه الطائفة بهذا الاسم نسبة إلى الأبراج التى كانوا يسكنونها فى القلعة، ومنهم كانت دولة المماليك الثانية التى حكمت الديار المصرية.

الى مساكنهم ومقـدَّميهم ، والبحريةّ(١) إلى مراكزهم ومقدَّميهم ، والأُوشاقيــةَ ٱلّذين إقامتُهم بالإسطبل إلى المقدَّم عليهم من الطواشيّة، ويرجع سائرَ المماليك السلطانيّة إلى مقدَّمهم الكبير، ولا يكون فى الغالب إلّا من الطواشيّة ٱلأمراء .

ويحتاج أيضـا الى أوراقٍ أخر تتضمّن أسمـاءَ أمراء الميمنة وأمراء الميسرة، والجالس — وهو المقدَّم — أمامَ قلبِ ٱلجيش، وهذه الأوراق تكون جُمليّة يُستغنَى فيها بذكر مقدَّمِي الألوف دون مضافِيهم . (٣٣)

ويتلو هذه الأوراقَ أوراقٌ أخَرُ — تتضمّن أسماءَ الأمراء الذين جرت عادتهم بصحبة ركاب السلطان فى الصَّيد والركوبِ للمُتنزَّهات وفى الميادين للّعب بالكرة ، وفى غير ذلك؛ هذا ما يحتاج إليه فى الأمراء والمماليك السلطانيّةِ ورجالِ ٱلحَلْقة .

وأما أجناد الأمراء فإنّ مباشرَ ٱلجيش يَسترفع(٢) من دواوينهم أوراقا بِعِـدّة أجناد كلِّ أمير منهم، يُصْدِرُها كاتبُ عِدّة(٣) الأمير على عدّة نُسَخ بحسب المباشِرين للجيش ، ويقـول فى صدرها ما مثـاله : عَرَضُ رِقعـة(٤) ٱلمملوكُ فلان الفلانىُّ على ما ٱستقرّ عليه ٱلحال إلى آخر كذا، والعِدّةُ خاصّته،وكذا كذا طواشيّا؛ ويشرح أسماء

(١) قال فى صبح الأعشى ج ٤ ص ١٦ : ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم : البحرية ، يبيتون بالقلعة وحول دهاليز السلطان كالحرس ؛ وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب . اهـ كلامه وإنما سميت هـذه الطائفة بهـذا الاسم لأنهـم كانوا يسكنون بجزيرة فى النيل وهى جزيرة الروضـة ؛ ومن هؤلاء كانت دولة المماليك الأولى ، كما فى كتب التاريخ .

(٢) يسترفع : أى يطلب أن يرفع إليه ، كما سبق فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٩٣ من هذا السفر.

(٣) فى الأصل : «هذه» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) فى الأصل : « رقعة » ؛ وهو تصحيف .

ٱلجنـد، وما أُقطِع بٱسم كلٍّ منهم من إقطاع ونقـد ومكيل، مبتدئا برأس المدرج ومن يليه فى ٱلجند، ثم مماليكِ الأمير وألزامه، ويختمهم بالنقيب، ثم يعيّن فى آخر المدرّج ما بقى لخاصّ الأمير من النواحى وٱلجهات، وما عليـه منه لأصحابه من نقد ومكيل إن كان؛ ويَلزمه عملُ مَسير على نواحى الإقطاع يَشْطُب(١) كلَّ جهـة بأسماء من أقطِعتْ لهم، وما بَقِيَ منها للخاصّ إن كان؛ فإن كان منشور الأمير قد عُيِّن فيه ما هو لخاصّــه وما هو لأصحـابه فليس له أن يَقتطِع من المعيَّن لجنـده ما يضيفه لخاصّه، ولا يُمنَع أن يقطع من خاصّه زيادةً لأصحابه؛ وهذه القاعدة لاحقَة بقواعد الفقه، فإنّ له التصرّفَ فى ماله دون مال غيره، وله أن يميِّز بعضهم على بعض بحسب أحوالهم ومراتبهم؛ فإذا رُفِعتْ إليه هـذه الأوراقُ عَرَضَ جندَ كلِّ أمير فى مجلس ولىّ الأمر بمشهد من الأمراء وغيرِهم، فمن أجاز ولىُّ الأمر عَرْضَه حَلّاه(٢) قُبالةَ ٱسمه، ويعيِّن فى حُلاه سِنَّه ولونَه وقامتَه، ثم يذكُر حِلية وجهـه، ويصف ما يتميّز به عن غيره من أثرٍ فى وجهه أو غيرِ ذلك؛ ومَن ردّه ولىُّ الأمر من العَرْض طولب الأمير بإقامة غيره، فإذا أقامه وعرَضَـه وأجاز ولىّ الأمر عَرضَـه حَلّاه عند ذلك، وعَيَّن تاريخَ عَرْضِه إن كان عَرَضَه بعـد يوم العَرْض الشامل؛ ويَرْقُم المباشر بقلمه على رأس أوراق العَرْض تاريخَ عَرْض ٱلجند؛ وتَستحِقّ هؤلاء ٱلجندُ الإقطاعاتِ والنقودَ والغلالَّ من تاريخ عرضِهم وتدوينِهم فى الديوان، والأميرُ من تاريخ منشـوره؛ فإن مات جندىٌّ منهم أو فارق الخدمة أقام الأميرُ عوضَه، وعَرَضَه على ولىّ الأمر، وأثبت ٱسمه بالديوان؛ وإن قطعه الأمير فلا يخلو قطعُه: إمّا أن يكون لسبب كالعجز ونحوه فله ذلك، وإما أن يكون بغير سبب فلا يخلو:

---

(١) يشطب: أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) حلاه: أى وصفه، والحلية: الهيئة والصفة.

إما أن يكون قَطْعُه له فى قرب زمن إدراك المُغَل فلولىّ الأمر منعُه من ذلك، أو فى غير وقت المُغَلّ، فإن عَرَض من هو أكفى منه وأقدرَ على الجندية أُجيزَ، وإن عَرَض من هو دونه مُنِع أميرُه من ذلك، وأُلزِم بٱستمرار الكافى أو إقامة من يماثله فى الكفاية والقدرة؛ وإذا عرض الأمير أصحابه فى السنة الثانية جَدَّد كاتبُه أوراقا بالعرض نظير الأولى، وشطب كاتبُ الجيش[1] حُلَى[2] ٱلجند من ٱلعَرْض الأول، ثم يقابلها بالصورة الجديدة[3] فى وقت العَرْض الثانى، فإن وافقتْ وطابقتْ أجازه، وإن ٱختلفت ٱلحُلَى وتباينت ردَّه وطالع ولىَّ الأمر به ليقع الإنكارُ على من تجاسر على فعل ذلك لما فيه من التلبيس؛ فهذه هى القواعد التى ٱستقرّت فى زماننا والله أعلم.

ويحتاج الكاتب إلى تحرير شواهده وحفظِها، فإن كان بين يدى السلطان ورَسَم له بإقطاع أمير أو جندىّ كتب مثالا بالإقطاع، وكَتب السلطانُ أو نائبُه بقلمه أعلى المثال ما مثالُه : يُكتَب؛ وعيَّن ناظرُ ٱلجيش بقلمه تحت خطّ (٣٤) السلطان أو نائبِه ما مثالُه : رُسِم أن يُكتَب بٱسم فلان لٱستقبال مُغَلّ سنةِ كذا، ولٱستقبال كذا من مُغَلّ سنةِ كذا؛ وخلَّد الكاتب هذا الشاهدَ عنده، وكتب مثالا ثانيا مربَّعا بما مثالُه : رُسِم بالأمر الشريف العالى المولوىِّ السلطانىِّ الملكىِّ الفلانىِّ — ويدعو للسلطان — أن يُقطَع ويقرَّر بٱسم فلان الفلانىّ — ويَنعَته بما يستحقّ — ما رُسِم له به الآن من الإقطاع والنقدِ والمَكيلِ إن كان فيه نقدٌ أو مَكيلٌ فى السنة، خارجا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) فى الأصل : «جدا» بالجيم والدال؛ وهو تحريف.

(٣) فى الأصل : «الجندىّ»؛ وهو تحريف.

عن الجَوالِى[١] والمواريث الحَشْرِيّة[٢] والرِّزَقِ[٣] الإحباسيّة، إن كان الإقطاع بالديار المصريّة؛ وإن كان بالشام قال: خارجا عن المِلْك والوقف، ثم يقول: خُبْز[٤] فلان الفلانى، إن كان عن أحد؛ وإن كان من الخاصّ أو مستجَدّا أو مستظهَرا به عيَّنه، ويَذكُر خاصّتَه وعِدّتَه وأتباعَه، أو بمفرده، ثم يعيِّن جهاتِ إقطاعه، ويُثبِت هذا المثال الثانىَ فى الديوان، وتَشمَله علامةُ السلطان ونائبِه، ثم يُخلَّد بديوان الإنشاء، وهو شاهِدُ الموقِّع، ويكتَب منشورُه بمقتضى ذلك المثال، وتَشمَله علامةُ السلطان وخطُّ نائبه ووزيره بالامتثال، ويُثبَت بديوان الجيش ثُم بالدواوين؛ وإن كان الكاتب فى جهة خارجة عن باب الملك من الممالك الشاميّة وأَمَره النائب بإقطاع أحد كتب مثالا بالإقطاع، وكتب النائبُ بأعلاه: يُكتَب، ثم يَكتُب عليه الناظر نحوَ ما تقدّم، وهو شاهِدُ الكاتب، ثم يكتب المثال الثانى فى ورقة مربَّعة بما مثالُه: رُسِم بالأمر الشريف العالى المولوىّ السلطانىّ المَلَكىّ الفلانىّ أن يُقطَع ويُقرَّر باسم فلان ما رُسِم له به الآن من الإقطاع، ويُعيِّن خُبْز[٤] من كان وسببَ حَلِّه عنه، إما بوفاة، أو بمفارقة، أو بانتقال إلى غيره، أو غيرِ ذلك من الأسباب الموجبة لإخراج الإقطاع عنه،

---

(١) الجوالى: جمع جالية، وهى الجزية التى تؤخذ من أهل الذمّة؛ وسيأتى الكلام عنها فى ذكر الجزية.

(٢) المواريث الحشرية: هى مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو غيرها؛ أو الباقى بعد الفرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٦٤.

(٣) فى الأصل: «الورق» وهو تحريف؛ والرزق بكسر ففتح وزان عنب: جمع رزقة بكسر الراء، وهى الجراية: يقال: كم رزقتك فى الشهر: أى جرايتك. (مستدرك التاج) والإحباسية بكسر الهمزة: نسبة الى الإحباس، وهو مصدر أحبست المال: اذا وقفته.

(٤) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٣، ١٥٦؛ والذى فى الأصل: «خبر»؛ وهو تصحيف.

ويَكتُب نائب السلطنة عليه بالتَّرجمة، ويترجِم عليــه الناظر بقلمه تحت خطّ النائب بما مثالُه : المملوك فلان يقبِّل الأرض ويُنهِى أن هذا مثالٌ كريمٌ بآسم فلان المرسومِ إثباته فى جملة الأمراء والمماليكِ السلطانيّة، أو البحريّة، أو رجالِ الحَلْقة المنصورة، أو رجالِ التُّركمانِ، أو العربان، أو الجبليّة بالمملكة الفلانيّة، أو بالجهة الفلانيّة بمـا رُسِم (١) له به الآن من الإقطاع عن فلان، والعِدّة خاصّته (٢)، وكذا كذا طواشيّا، أو بحسب ما يكون لآستقبال ما عُيِّن فيه على ما شُرِح باطِنَه (٣)، والأمرُ فى ذلك معذوق بإمضائه أو بما يؤمَر به من الأبواب. ثم يُثبَت بديوان آلجيش، ويُجهَّز إلى باب السلطان، فإذا وصل إلى الباب كَتب عليه الناظر ومن معه من الرِّفاق بالمقابَلة، وقوبل به، ثم تَشمَله علامةُ السلطان أو نائبِــه بالكتابة، ويخلِّده كاتب الجيش بالباب عنــده، ويكتب مثالا من جهته على ما تقدم، فإذا خرج المنشور الشريف ووصل الى تلك المملكة شَمِل خطَّ نائبها بالآمتثال، وكتب عليــه ناظر آلجيش ورُفقتُه بالثبوت تحت خط ناظر آلجيش بالبــاب ورِفاقِه، ثم يُثبَت بالدواوين، ويفرج لربِّ الإقطاع على حُكمه، ويُثبَت إفراجُه، ويُسلَّم اليه إقطاعُه؛ فهذه شواهد المناشير والأمثلة.

وأما غيرها من شواهد الكشوف فعلى حسب الوقائع؛ والله سبحانه وتعـالى أعلم بالصواب.

ويحتاج إلى ضبط أسماء من تَوجَّه بدُستور (٤) إلى جهة من آلجهات، ويراعِى آنقضاءَ مدّة الدُّستور، ثم يكشِف عنه، ويطالِب مقدَّمَه به،

(١) فى الأصــل : «ما رسم» بدون الباء؛ والسياق يقتضى إثباتها كما فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٥، أى هذا مثال بمـا رسم الخ.

(٢) كذا فى صبح الأعشى ج ١٣ ص ١٥٩؛ والذى فى الأصل : «خاصة» بدون هاء.

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر.

(٤) المراد بالدستور : الإذن. وإطلاقه على هذا المعنى إطلاق عامىّ، انظر شرح القاموس.

وكذلك من توجّه إلى ٱلحجاز وغيره، وكذلك من تخلّف عن العَوْد مع ٱلجيش المجرَّد في ٱلمهمّات؛ فيراعي ذلك حسَب الطاقة والإمكان، وإن تعذّرت عليه معرفة من تأخّر بعينه يَستعلِم(١) أخبارهم مجملَة من مقدَّميهم ونقبائهم . (٣٥)

ويحتاج إلى أنه مهما ٱنحلّ من الإقطاعات، أو تعيّن من تفاوُت المُدَد عمّن دَرج(٢) وفارق(٣) وٱنتقل(٤)، أو ما تعيَّن في خلال المُدَد بين منفصل ومتّصل يحرِّر ذلك، ويَكتُب به حَوطةً(٥) جيشيّة يضمّنها ٱسمَ ربّ ٱلإقطاع ٱلمتّصل ونواحيَ إقطاعه ونقدَه ومَكِيلَه إن كان، ويعيِّن ٱستقبالَ ٱلحَوْطة، ويميِّز ما ٱستحقّه الديوان من المُغَلّ، وتُصدَر الى ديوان التصرّف بعد شمولها بالعلامة وثبوتها، ويطالِب المستوفيَ(٦) بكتابة رُجْعة بوصول ذلك إليه ليَبرأ من عُهدته، ويُلزَم المثبِتون التعريفَ بذلك وإضافةَ ما يتحصّل منه، فإن أخّر كاتب ٱلجيش إصدارَ ٱلحَوطات الى ديوان التصرّف حتى يفوت الزمن الذي يمكن فيه تحصيلُ ما فيها، كان تحت دَرَكه(٧) وتَبِعتِه؛ والله أعلم .

---

(١) في الأصل : «يستعمل»؛ وفي حروفه قلب لا يستقيم به المعنى .

(٢) درج : أي مات .

(٣) يريد بالمفارقة مفارقة الخدمة .

(٤) المراد بالانتقال : الانتقال من إقطاع الى إقطاع آخر .

(٥) الظاهر أنه يريد بالحوطة ما يسميه كتاب الدواوين في زماننا بالحافظة، أخذا من السياق؛ وفي كتب اللغة أن الحوطة اسم من الاحتياط، وهو الأخذ بالحزم والثقة؛ والحوط : الحفظ .

(٦) المستوفي : هو الذي يضبط الديوان، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك؛ وفي بعض المباشرات قد ينقسم المستوفي الى مستوفي أصل، ومستوفي مباشرة؛ ولكل منهما أعمال تخصه صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ .

(٧) الدرك بالتحريك والتبعة كلاهما بمعنى واحد، ومنه ضمان الدرك في البيع، وتسكن راؤه أيضا .

ويحتاج مباشر الجيش إلى مراجعة جرائده : الجيشيّةِ والإقطاعيّةِ وأوراقِ العِدّة فى كلّ وقت من غير احتياج إلى كشف ، لتكون على خاطره أسماءُ الجنـد ونواحى إقطاعهم ، فإنه بصدد أن يُسأَل عن شىء من ذلك بين يدَىْ مَلِك أو نائب، فإن أَخَّرَ الجواب بالجملة(١) إلى أن يَكشف عنه ربّمـا يُنسَب إلى عجز فيتعيّن أن يكون على خاطره من جليّات الأحوال ما يجيب به فى المجلس على الفور، ولا يَتأتّى له ذلك إلا بمراجعة حسابه ومداومة النظر فيه، والناظرُ إلى ذلك أحوجُ من غيره من المبـاشرين، لأنه المسؤول والمخاطَب فى غالب الأوقات ؛ والله أعلم بالصـــواب .

ويحتاج أيضا إلى معرفة الحِلَى(٢) واختلافِها على ماذكره فى فصل الوراقة(٣)، ولا بدّ له من معرفة الأوضاع التى اصطلح عليهـا كُتّاب الجيوش فى كتابة الحِلَى من الاختصار؛ فهذه أمورٌ كليّةٌ لا بدّ لمباشر الجيش من معرفتها و إتقانها .

ويتجنّب(٤) مباشر الجيش أن يرقُم بقلمــه عِدّةَ جيش تصريحا ، لمـا يتعيّن من إخفاءِ عِدّته وذِكرِ تكثيره ، فإنه إن وَضـع ذلك بقلمه لا يأمن من الاطّلاع عليه

(١) لعله : «بالحالة» كما يرشد إليه قوله بعد : « من جليات الأحوال ما يجيب به » .

(٢) الحلى : جمع حلية ، وهى الصفة والهيئة وانظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٧ من هذا السفر.

(٣) فى كتب اللغة أن الوراقة هى حرفة من يورّق و يكتب ؛ والمراد بها هنا القواعد التى اصطلح عليها الكتّاب فيما يكتبونه من الأوراق ، كما يستفاد مما يأتى فى كتابة الحكم والشروط ، فإنه ذكر فيما يحتاج اليــه كاتبها أن يكون قد أتقن صـــناعة الوراقة وعلم قواعدها وكيفية ما يكتب فى كل واقعة وحادثة الخ . وقال أيضا بعــد ذلك ما نصه : وأما معرفة صنــاعة الوراقة فى الأمور التى ذكرناها فلذلك من الفوائد ما لا يخفى على ذى لب لأن الكاتب اذا أخرج المكتوب من يده بعد إتقانه وتحرير ألفاظه على ما استقر عليه الاصطلاح من التقديم والتأخير ومتابعة الكلام وسياقته وترصيعه وترصيفه حسن موقعه وعذبت ألفاظه الخ .

(٤) فى الأصل : « و يجيب » ؛ وهو تصحيف .

فَيَشِيع(١) ويَذِيع، وقد يتّصل بالعدوّ والمعاند والمُنَاوِئ(٢) فيترتّب عليه من الفساد مايترتّب وهذا بابٌ يجب على كاتب الجيش الآحتفال به(٣)، والآحترازُ من الوقوع فيه، وكتمانُه عن سائر الناس؛ وإن دعته الضرورة الى تسطير ذلك خشيةَ(٤) أن يسأله ولىُّ الأمر عن شىء منه، فليكن وضعه لذلك رمزا خفيّا يصطلح عليه مع نفسه لايعرفه إلا هو، أو من له دُرْبةٌ بمباشَرة آلجيش .

ويتجنّب أن يكشف عِبْرةَ(٥) إقطاع أو متحصّلَه، أو يذكرَ ذلك لأحد إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ثم يذكره باللفظ دون آلخط، ووجوهُ الآحتراز كثيرة، وهى بحَسَب الوقائع، فيتعيّن على مباشر آلجيش ملاحظةُ ذلك والاحترازُ من الوقوع فيما يُنتقَد عليه، أو يصلُ سببُ ضررٍ منه إليه؛

هذا ما أمكن إيراده مما يحتاج مباشر آلجيش إلى آعتماده؛ والله أعلم .

وأما مباشرة الخزانة — فالعُمدة فيها على العدالة والأمانة، لأن خزائن الملوك (٣٦) فى هذا العصر لسَعتها، وكثرةِ حواصلها، وعظمِ ذخائرها لا تنضبط بسِياقة، فإنه لوطولب كاتبُ آلخزانة بعمل سِياقة لحواصلها عن سنةٍ آحتاج إلى أن ينتصب لكتابتها سنةً كاملةً لا يشتغل فيها بغيرها، فإذا تحررت سِياقة السنة فى آخر السنة الثانية وكشفها مباشر الأصل وحرّرها فى مدّة أخرى من السنة الثالثة فاتت المصلحة المستقبَلة، وتعطّل على المباشر ما بعد تلك السنة، لآشتغاله بنظر(٦) تلك السِّياقة، فإذا تقرّرَ عجزُ

(١) فى الأصل : «نيسيع»؛ وهو تصحيف لا معنى له .

(٢) فى الأصل : «بالعدد والمعاند»؛ وهو تحريف فى كلتا الكلمتين .

(٣) الآحتفال به : أى الآهتمام بأمره .

(٤) فى الأصل : «حسبة»؛ وهو تصحيف .

(٥) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «بنظم» بالميم؛ وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

الكاتب عن عمل السِّياقة بهذه المقدِّمة فقد تعيَّن أنّ[١] العمدة فى مباشرتها على الأمانة والعدالة؛ ومع ذلك فيحتاج كاتبها إلى أمور :

منها ضبطُ ما يصل[٢] إليه من حمول الأموال والأصناف، ويقابِل ما يصل منها على رسائِله، ويحرّره بالوزن والذَّرع والعَدَد والأحمال على ٱختلاف أجناسه وأنواعه وأوصافه، ويميِّز ما يصل إليه من الأقاليم والثغور والأعمال والممالك، وما يصل من ٱلهدايا والتَّقادِم[٣] على ٱختلافها، فيضيف كلَّ نوع إلى نوعه، وصنفٍ إلى صنفه؛ وكذلك يحرِّر ما يبتاعه من الأصناف التى تدعو الضرورة اليها وجرت العادة بٱبتياعها .

ومنها معرفة عوائد[٤] أرباب الصِّلات والإنعام، ومصاريف[٥] أرباب المناصب عند ولاياتهم، وما جرت عليه عوائدهم[٦] من الإنعام فى خلال مباشراتهم بالأسباب الموجِبة لذلك وغيرِ الأسباب، وعوائد أرباب التَّقادِم والصنّاع وغيرِهم .

ومنها ضبطُ ما يصل إلى ٱلخِزانة من تَقادِم ٱلملوك والنوّاب، ويقابل ما يصل منها فى الوقت الحاضر على ما تَقدَّم، ويحرِّر زيادتَه من نقصِه، ويكون ذلك على خاطره،

(١) فى الأصل : «لأن» ؛ واللام زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «فضل» ؛ وهو تحريف .

(٣) التقادم : جمع تقدمة بكسر الدال، وهى الهدية؛ فعطفه على الهدايا من قبيل عطف المرادف .

(٤) المراد بالعوائد هنا : الصلات، واحده عائدة .

(٥) فى الأصل : «وتصاريف» بالتاء؛ وهو تحريف .

(٦) المراد بالعوائد جمع عادة، كما فى المصباح المنير، ولم نجد هذا الجمع فى غيره من كتب اللغة ؛ وقد سبق أن نبهنا على ذلك فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ من هذا السفر .

فإن سأله ولىُّ الأمر عنه أجابه، وإلّا فلا يبدؤه ؛ ويَضبِط عاداتِ مُهاداةِ الملوك وما جُهِّز إلى كلٍّ منهم فى السنين الخالية، وما كان قد وصل من هداياهم، وما جرت عليه عاداتُ رسلِهم وقُصّادِهم (١) من التشاريف والإنعام .

ومنها ضبطُ ما جرت به العادة من كُسا أرباب العوائد (٢) المقرَّرة فى كلِّ سنة على آختلاف طبقاتهم من أرباب الرتب والمناصب والمماليك السلطانيّة وغيرِهم، وتواريخِ صرف الكسوة اليهم .

ومنها تجهيزُ ما جرت العادة بأن يُجهَّز فى خزائن الصحبة عند آستقلال ركاب السلطان من مَقرّ مُلكه، إما إلى الصيد والنزهة، وإما لكشف ممالكه (٣) عند آنتقاله من مملكة إلى أخرى، أو فى حروبه عند ملاقاة الأعداء، فيجهِّزُ ما جرت به العادة فى ذلك، ولا يزيد عليه إلا بمرسوم ولىّ الأمر، ولا يَستكثر من آستصحاب صنف من الأصناف عند تَوجُّهه إلى مَعدِن ذلك الصنف ومَظِنّته، ولا إلى الخزانة منه بحملِه (٤)، بل يستصحِب منه مايكون معه ذخيرة واحتياطا، إذ لو طلب المَلكُ ذلك الصنفَ فى مَسيره قَبْل وصوله إلى معدن ذلك الصنف كان معه منه ما يَسُدّ به الضرورة، ولا يَعتذِر بأنه ما آستصحبه معه بحُكم تَوجُّهه إلى معدِنه، وأنه فعل ٣٧
ذلك للصلحة الظاهرة، فإن آلملوك لا تحتمل مثل ذلك، ولا تصبر على أن يُفقَد

(١) فى الأصل : «ونضادهم» ؛ وهو تحريف .

(٢) العوائد : الصلات .

(٣) فى الأصل : « مماليكه » والياء زيادة من الناسخ .

(٤) فى الأصل : «بالجملة» ؛ وهو تحريف لا يظهر به المراد من هذه العبارة، والمعنى على ما أثبتنا : أنه لا يستكثر من حمل ذلك الصنف إلى الخزانة، بل يحمل منه اليها ما تدعو الحاجة إلى حمله .

من ذخائرها ما تطلبه ؛ ويَستكثِر من آستصحاب الصنف المعـدوم فى ذلك الوجه الذى يتوجّه إليه، ويحمل منه ما يعلم أنه يكفيه فى مَسِيره وعَوده؛ والله أعلم .

ومنها(١) ضبطُ ما يتسـلّمه الصُّنّاع من مُزركش وخيّـاط وفَرّاء ونجّـاد(٢) وسَرّاج وخَرْدَفُوشِى(٣) وغيرهم بالوزن والذَّرع والعَدد، ويُحرِزه عند آستعادته من صانعه .

ومنها تحريرُ ما يصل إليه من الأقمشة من دار الأعمال وما جرت به العادة أن يُحمَل منها فى كلّ مُدّة ليطالِبَ به إن تأخر عن وقته ؛ وإن قلّ صنف من الأصناف عنده يبـادر بمطالَعة وزير المملكة أو مدبِّرها بذلك ليَخلُص من عُهدته، وعلى وزير المملكة ومدبِّرها طلبُ ذلك الصنف من مظانّه وحَملُه إلى الخزانة .

وأما ملبوس الملكِ المختصّ بنفسه وعادتُه فى التفصيل والحبس(٤) والطُّولِ والسَّعة فهو أمر متعلّق برأس نَوبة الجَمدارِيّة(٥)، وهو المقدَّمُ عليهم، فعليه أن يَحضُر إلى الخزانة ويختار من الأقمشة ما يعلم أنه ملائم لخاطر السلطان وموافقٌ لغرضه، فيفصِّل منـه ما يراه على ما يراه من أنواع التفصيل، وعلى معـلّم الخيّاطين الدَّرَكُ فى طوله وسَعتِه وهِندامِه، ولا يَستغنِى المباشرُ عن معرفة ذلك، ولا يستغنى أيضا عن معرفة

---

(١) فى الأصل: «وفيها» ؛ وهو تحريف .

(٢) النجاد بتشديد الجيم : من يعالج الفرش والوسائد ويخيطها .

(٣) كذا ضبط هـذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرب والدخيل للمدنى المحفوظ منـه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة وورد فى هذا الكتاب فى تفسير هذه الكلمة أنها كلمة يقولهـا أهل الحرمين لصانعى السروج ونحوهـا، وليس له أصل فى اللغة العربيـة اهـ والذى فى الأصل « خردقوسى » بالقاف والسين، ولم نجده فيا راجعناه من المظان .

(٤) كذا فى الأصل ؛ ولعله يريد بالحبس هنا : ضيق الثياب .

(٥) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

قِيَم الأشياء على آختلافها وعادةِ التفصيل والتَّرفِئةِ(١) وآلجَنْدرةِ(٢) وآلحَشْوِ ليشارك ربَّ كل صنعة فى صناعته بنظره ولسانه، ولا يكون فى ذلك مقلِّدا جملة، بل يشاركهم فيما هم فيه، وعليهم الدَّرَكُ دونه فيما لعلّه يعرض فى ذلك من خللٍ إن وقع، لأن هذه الصناعاتِ زائدةٌ على وظيفته ولازمةٌ لأولٰئك؛ فأيُّما رجل آجتمعت فيه هذه الأوصافُ تَعيَّن على ولىّ الأمر ندبُه لمباشرة آلخِزانة، وقرّر له كفايتَه، وألزمه إن آمتنع.

وأما مباشر بيت المال — فعُمدتُه على ضبط ما يدخُل إليه وما يخرُج منه، ويحتاج فى ضبط ما يصل إليه من الأموال إلى أن يُقيم لكلِّ عمل من الأعمال وجهةٍ من الجهات أوراقا مترجَمةً بآسم العمل أو آلجهة، ووجوهِ أموالها، فإذا وصل إليه المال وضع الرسالةَ الواصلةَ قريبةً من ذلك العمل(٣)، ثم شطّبها(٤) بما يصحّ عنده من آلواصل إليه، وذلك بعد وضعِه فى تعليق المياوَمة، فإن صحّ الواصلُ بحبة الرسالة كَتَب لمباشر ذلك العمل رُجْعةً بصحّته، وإن نقص ضَمَّن رُجْعتَه: من جملة كذا، وآستثنى بالعجز والردّ، وبرز بما صحّ، وأعاد الردّ على مباشر ذلك العمل وأثبت فى بيت المال ما صحّ فيه، فإن كان العجز عن آختلاف الصِّنَج(٥) عيّنه فى رُجْعته

(١) فى الأصل: التقربة؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان. والترفئة: مصدر رفّأ الثياب بتشديد الفاء: اذا لأم خروقها، والتشديد فى هذا الفعل للتكثير والمبالغة، وهو وإن لم يوجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة فقد ورد فى شعر أبى العلاء المعرّى، قال:

ألق عليها جليسى فى الدجى حما * فقام عنها بأثواب يرفئها

انظر هذا البيت فى لزوم ما لا يلزم ص ٥١ طبع مطبعة المحروسة بمصر.

(٢) فى الأصل: «العتدرة»؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما بين أيدينا من المظان؛ والجندرة: من جندرت الثوب، اذا أعدت وشيه بعد ذهابه قال الجوهرى: وأظنه معرب.

(٣) من ذلك العمل: أى من أوراق ذلك العمل.

(٤) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٥) الصنج: جمع صنجة بفتح فسكون، وهى ما يوزن به؛ وهذا الجمع ذكره صاحب المصباح مادة «سنج» والسين فيها أفصح من الصاد؛ وهو معرّب.

ولا شيء على مباشر العمل، وإن كان مع آتفاقها فلا يعتدّ لمبـاشر العمل أو آلجهة إلا بما صحّ فى بيت المـال .

ويحتاج كاتب بيت المـال إذا عمل جامعةً لسنةٍ إلى أن يضمّ كلَّ مال وصل إليه إلى ما هو مِثلُه، من الخراج والجَوالِي والأخماس وغيرِ ذلك بحَسَب ما يصل إليـه، ويفصِّل جملةَ كلِّ مالٍ بنواحيه التى وصل منها، ويَستشهِد فيـه برسائل آلحمول، ويضيف إلى جملة ما آنعقد عليـه صدرُ آلجامعة من الأموال ما آنسـاق عنده من الحاصل إلى آخر السنة التى قبلها، ويُفذلِك[١] [بعد ذلك][٢]، ويعرف ما لعلّه صرَفَه من نقدٍ بنقدٍ فى تواريخه، ويستقرّ بالجملة بعد ذلك؛ ثم يشرع فى الخصم، فيبدأ منه بما (٣٨) حمله إلى المقام على يد من حمل على يده وتَسلُّمه، من الخزنداريّة[٣] والجمَداريّة وغيرِهم إن كان، ثم يذكر ما نقله إلى الخِزانة ويستشهد فيه برُجْعاته، وما نقله إلى آلحوائج خاناه والبيوتِ والعمائر وغيرِها بمقتضَى آستدعاءاتِ[٤] هـذه الجهات ووُصولاتِ مباشريها، وفى أرباب الجامكيّات[٥] والرواتبِ والصِّلاتِ بمقتضَى الآستئمارات[٦] والتواقيع السلطانيّة؛ فإذا تكامل الحَمْلُ والمصروفُ عقد عليهما جملةً وساق ما بقيَ إلى آلحاصل؛ والله أعلم .

وطريقُ مباشر بيت المـال فى ضبط المصروف أن يبسط جَريدةً على ما يصـل إليه من الآستدعاءات[٤] والوُصولات من آلجهات، وأسمـاءِ أرباب الآستحقاقات

(١) يقال: فذلك الحاسب حسابه، إذا أنهاه وفرغ منه؛ وهذا اللفظ منحوت من قول الحاسب: فذلك كذا وكذا إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته .

(٢) موضع هاتين الكلمتين فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر تفسير الخزندارية والجمدارية فى الحاشيتين رقم ٣ و ٤ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل: «استيدعات» وهو تحريف .

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل: «الآستثمار» بالثاء، وفيه تصحيف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضي ما أثبتنا .

والجامِكيّات والرواتب والصِّلات، وما هو مقرَّر لكلٍّ منهم فى كلِّ شهر بمقتضَى تواقيعهم أو ما شَهِدتْ به الاستئمارات القديمةُ المخلَّدة فى بيت المال، ويشطب (١) قُبالةَ كل اسم ما صرفه له على مقتضى عادته إما نقدا من بيت المال، أو حَوالة تُفرَّع (٢) على جهة تكون مقرَّرة له فى توقيعه، ويوصل إلى تلك الجهة ما فرّعه عليها، وكذلك إذا أحال ربُّ استحقاق غيرِ ثمن مَبيع (٣) أو غيرِه على جهةٍ عادتُها تَحمِل إلى بيت المال سَوَّغ (٤) ذلك المالَ فى بيت المال، وأوصله إلى تلك الجهة، والتسويغ (٥) فى بيت المال هو نظير المجرى (٦)؛ وإذا وصل إليه استدعاءٌ من جهة من الجهات أو وُصولٌ وَضَعه فى جريدته، وخصمه بما يُقبضه لربّه، ويُشهِد عليه بما يقبضه، ويُورد جميعَ ذلك فى تعليق المياوَمة.

وأما مباشر أهراء (٧) الغلال — فمبنىٌّ أمرُه أيضا على ضبط ما يصل إليه، وما يُصرَف من حاصله؛ ويحتاج فى مبدإ مباشرته إلى تحرير ما انساق من حواصل الغلال بأصنافها، وإن أمكنه تمييزُ ذلك بيّنه، ويكون أتقَنَ لعمله؛ ثم يبسط جريدة يضع (٨) فيها أسماء نواحى الخاصّ السلطانى التى تصل الغلال منها إلى الأَهراء

(١) يشطب: أى يقيد كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر.

(٢) فى الأصل: «بفرع»؛ وهو تحريف. (٣) فى الأصل: «متبع» بالتاء؛ وهو تصحيف.

(٤) فى الأصل: «صوّغ» بالصاد؛ وهو تحريف اذ لم نقف على معنى له يناسب السياق. ولعل صوابه ما أثبتنا كما يستفاد من صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١ فإنه قال فى نظر بيت المال ما نصه: وموضوعها حمل حمول المملكة الى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويغ محضرا وصرفا الخ. والتسويغ: التجويز، يقال: سوّغه له، أى جوّزه، والمراد به هنا: الإذن فى تناول الاستحقاق من جهة معينة تيسيرا وتسهيلا على الآخذ (التاج).

(٥) فى الأصل: «والتصويغ» بالصاد؛ وهو تحريف انظر الحاشية السابقة.

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى الأصل. (٧) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ١٩٥ من هذا السفر. (٨) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

فإذا جاءته رسالة من جهة من تلك الجهات وضعها تحت آسم الجهة[(١)] وعبر[(٢)] ما وصل قرينها، فإن صح صحتها كتب لتلك الجهة رُجعةً بالصحّة، وإن نقص فلا يخلو: إما أن يكون المَركَب أو الظهر الذى حمـل ذلك الصنف قد سُفِّر من ديوان الأصل، أو سَفَّره مبـاشر العمل من جهته، فإن كان قد سُفِّر من ديوان التسفيرات طالب مباشرُ الأهراء مقدَّمَ رجال المَركَب والأمينَ المسفَّرَ عليه بالعجز، وألزمهما بحَمله، فإن كان قد سُفِّر من الأعمال كان دَرَكُ ذلك على مَن سفّره، ومبـاشرُ الأهراء بالخيار بين أن يطالِب محضِرَ الغلّة بالعجز، أو يرجعَ على مباشِر العمل به، ويكون مباشرُ العمل هو المطالِبَ لمَن سفَّرَه، والأولى طلبُ محضِر الغـلّة، فإنه إذا أطلقه ورجع إلى المبـاشر الذى سفّره فقد يعود إلى العمل وقد لا يعود، فإن لم يَعُد كان مباشرُ الأهراء قد أَضَرّ بمباشر العمل، لأنه ألزمه الغُرْم[(٣)] مع قدرته وتمكُّنه من آستِرجاعه ممن عدا عليه، ويكون هو أيضا ممن شارك فى التفريط؛ وإن وصلتْ إليه الغلّة متغيّرةً تغيّرا ظهر له منها أنها خُلِطت بغيرها، إما بوصول عينِ تلك الغلّة اليـه، أو بقرينة الحال التى يعلم منها أن تلك الغلة لا يوجد مثلُها من فلّاح، ولا يُعتدّ بها من خراج السلطنـة لظهور غلَثها[(٤)]، أو وصلت إليه الغلّة مبـلولةً بللا ظاهرا لتزيد عنـد الكيل وتَمَيَّز[(٥)] نظيرَ ما أُخِذ منها، فله أن يعمل لذلك معدّلا، وهو أن يَكِيل منها جزءا معلوما ويغربله حتى يصيرِ مثلَ العين التى عنده، أو بتجفيف ذلك حتى يعود إلى حالتـه

(١) فى الأصل: «هذه» وهو تحريف.

(٢) يقال عبرت الشئ: اذا نظرت كم هو كيلا أو وزنا.

(٣) فى الأصل: «الغريم»؛ والياء زيادة من الناسخ.

(٤) الغلث بفتحتين: اسم لما تخلط به الحنطة، يقال: غلثت الحنطة بالشعير: أى خلطتها به (المصباح).

(٥) تميز: اى ترتفع، وهو من الميز بمعنى الرفعة، كما فى مستدرك التاج.

(٣٩) الأولى، ويحرّر العجزَ على هذا الحكم، ويطالِب به مُحضِرَ الغلّة؛ وينبغى له أن يبدأ بصرف ما وصل إليه من الغلال المبلولة ولا يخلطها بغيرها، فإنها بعد بللها لا تحمل طولَ البقاء؛ هذا ما يعتمده فى القبض .

وأما فى المصروف، فإن كان لِصاحب جرايةٍ أو صِلةٍ أو إنعامٍ أو تقاوٍ(١) لفلّاح صرف ذلك من عرض حاصلِه ، ويراعِى فى صرف التّقاوى أن(٢) تكون من أُطيَب الغلال وأفضلِها ، لأنه يجنى ثمرة ذلك عند آستيفاء آلخراج ؛ وإن كان ما يصرفه مما ينقله إلى الطواحين برسم المَخابز، أو للإسطبلات والمُناخات برسم العليق غربَلَه ، وحرّر نقصَه ، وأورده فى جامعته من الفَذلَكة(٣) وآستقرارِ الجملة ؛ ومباشرةُ الأهراء مناسِبةٌ فى أوضاعها لمباشَرة بيت المال .

ذكر مباشرة البيوت السلطانية

وهى الحوائج خاناه ، والشراب خاناه ، والطشت خاناه ، [والفِراش خاناه](٤) ، والسلاح خاناه ؛ وأمر(٥) البيوت معذوق(٦) بأستاذ الدار .

فيحتاج مباشر الحوائج خاناه إلى أمور: منها ما يُحتاج إليه من راتب السّماط العامّ والطارئ — وهو الطعامُ الثانى الذى يُمَدّ بعد قيام السلطان من المجلس العامّ ، ويأكله

(١) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل البذر؛ وهى عامية (مستدرك التاج) .

(٢) فى الأصل : « وأن » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٣) الفذلكة : حاصل الحساب ، وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢١٨ من هذا السفر .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها لأن الفراش خاناه من البيوت التى سيذكرها فيما يأتى .

(٥) فى الأصل : «وأمراء» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٦) معذوق : أى منوط ومرتبط كما يناط العذق بكسر العين — وهو القنو — بالنخلة ؛ وقد ورد هذا اللفظ فى مواضع من هذا الكتاب وفى مؤلفات أخرى مرادا به هذا المعنى .

خواصّ المَلك ومن يَحضُره بين يدى السلطان ، وهو أخصُّ من السِّماط الأوّل — وطارئُ الطارئ وهو الطعام الثالثُ الذى يُمَدّ بعد رفع الطارئ، ومنه يأكل المَلك وخواصّه، وقد يأكل السلطان من الطارئ الذى قبله ؛ فيحترز ما يُحتاج إليه من لحوم وتوابلَ وخَضْراواتٍ وأَبازيرَ(١) وتَحالٍ وقلوبٍ(٢) وطِيبٍ وبَخور وأحطاب وغير ذلك ؛ ولذلك عندهم معدَّلٌ قد عرفوه فلا يتجاوزه، فإنه إن صرف زيادةً عنه بغير سبب ظاهر خرج عنه(٣) وكان تحت دَرَكه .

ومنها معرفة مقاديرِ الأسمطة فى أوقات المهمّات والأعياد ليجرىَ الأمر فيها على العادة، ولا يتجاوزها إلا بمرسوم .

ومنها تَعاهُد أسماء الحوائج خاناه ، فيَستدعى ما يراه قد قلّ عنده منها قَبْلَ نفاده بوقت يمكن فيه تحصيلُه ، فإن أَخَّر طلبَ ذلك إلى أن ينفَد، أو طلبه فى وقت ولم يَبْقَ عنده منه ما يكفيه إلى أن يأتيَه ذلك الصنف من بلد آخر كان المباشر تحت دَرَك إهماله(٤)، ومتى طَلَبَ ذلك فى وقته وطالع ولىَّ الأمر به فقد خَلَص من عُهْدته .

ويحتاج إلى بسط أسماء مَن يُعامِل(٥) بالحوائج خاناه من قصّاب وحَيَوانىّ وطيورىّ وغيرهم، ويَحضُر(٦) لكلٍّ منهم ما أحضره فى كلّ يوم، فإذا آجتمع له من ذلك

---

(١) الأبازير : جمع أبزار، وهو جمع بزر بالفتح والكسر، فأبازير جمع الجمع .

(٢) يريد بالقلوب هنا : لب اللوز والبندق والفستق وغيرها مما يؤكل قلبه، كما يستفاد من خطط المقريزى ج ١ ص ٤٢٦ طبع بولاق فى الكلام على دار الفطرة .

(٣) «عنه» : أى عن المعدّل.

(٤) فى الأصل : «اشتماله» ؛ وهو تحريف .

(٥) من يعامل : أى من يعاملهم، وهم الذين يشترى منهم الأصناف المطلوبة لحوائج خاناه؛ والذى فى الأصل : «من العامل» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٦) فى الأصل : «ويحضر» بالضاد؛ وهو تحريف .

ما يقتضى محاسبتَه جَرَّد له محاسبةً ضَمَّ فيها كلَّ صنف إلى صنفه وثَمَّنه، إما بتعريف ٱلحِسْبة، أو بعادة ٱستقرّت له، وأحاله بمبلَغ ما وجب له على بيت المال، أو ٱستَدعَى من بيت المال ما يُنفِق منه[١] وأَشهَد عليه بقبض ذلك .

ويحتاج أيضا إلى بسط أسماء أرباب الرواتب السلطانيّة وأرباب الصِّلات، وما لكلٍّ منهم فى كلّ يوم، وخصْمِه بقبوضهم مياومة أو مشاهرة، صنفا أو حَوالة؛ ويراعِى حالَ مَن مَرِض من المماليك السلطانيّة ونُقِل من ٱللّحم إلى المَزاوِير[٢] أو المَساليق[٣] فيَقطع مُرتَّبَه من اللحم فى مدّة مرضه، ونظيرَ ذلك من التوابل فى مدّة مرضه .

ويحتاج إلى معرفة عادات الرُّسُل الوارِدين، والأضيافِ[٤] المتردِّدين، ومرتّبِ الصدقة فى شهر رمضان، وعاداتِ الأضَاحِى والصِّلات فى عيد النحر، فيجرِى ٱلأمرَ على حكم العادة؛ ويَضْبِط جميعَ ما يَصِل إليه من ديوان المتجَر ومطابخِ السكّر وغيرِها، ويكتب لهم بما يحملونه إليه من الأصناف؛ ويَضْبِط أيضا ما ٱستقرّ فى كلّ ليلة (٤٠) من الوَقود من شَمَع وزيت، ويَصرِف على ما ٱستقرّ عنده، وإذا سَلَّمَ شَمَعَ ٱلوَقود إلى الطَّشْتداريّة وَزَنه عليهم، وعَبَره[٥] عند إعادته فى بُكرة النهار ليتميّز له النقص؛

(١) عبارة الأصل : «ما نفق فيه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يقتضيه السياق .

(٢) كذا فى الأصل؛ ولعله يريد جمع "مزوّرة" بتشديد الواو المفتوحة، وهى مرقة يطعمها المريض، وهى مولّدة، كما فى شفاء الغليل، ولم نجد هذا الجمع فيما راجعناه من المظان .

(٣) فى الأصل : « المصاليق» بالصاد؛ وهو تحريف إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان . والمساليق : جمع مسلوق، وهو من سلقت البقل ونحوه : إذا أغليته بالنار؛ والمراد هنا ما شاع استعماله عند العامة، وهو ما طبخ بالماء وحده .

(٤) فى الأصل : «والأصناف» ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبره : أى نظر كم وزنه .

ويَضبِط غيرَ ذلك مما يصل إليه وينزل عنده من عادات مَن قَنِـع وتَبتّل[1]، وغيرِ ذلك من جميع ما يَرِد وما يُرتَّب ويزاد ويُقطَع .

وأما الشراب خاناه — وهى بيت يشتمل على أنواع المشروب من المياه على اختلافها ، والسـكّرِ والأشربة والدِّرياقات[2] والسَّفوفات والمعاجين والأقراص والأَقسِما[3] والفُقّاع[4] والبلح والأبقـالِ والحَلْويّات[5] والجُوارِشات[6] والفوا كه ، وما يجرى هذا المَجرَى ؛ وأمر هذا البيت الخاص[7] معذوق بأمير مجلس[8] ، والعام بأستاذ الدار ؛ فيحتاج مباشر هذه الوظيفـة الى ضبط ما يصل إليه من جميع هـذه الأصناف ،

---

(١) عبارة الأصل : « من داعات ما نعق » وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ، والمراد : الرواتب التى جعلت للزهاد والمنقطعين إلى العبادة من طعام وشراب .

(٢) الدرياق والترياق بالدال والتاء : ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، وهو فارسىّ معرب .

(٣) الأقسما : شراب يصنع من السـكر المحلول بالماء والليمون ويطرح فى ذلك يسير من السذاب ، وهو شراب جيد للهضم انظر كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منـه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية . وفى شفاء الغليل أن الأقسما : نقيع الزبيب ، قال : وأظنـه معرّب « أبسيا » .

(٤) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ، وسمى بذلك لما يرتفع فى رأسه ويعلوه من الزبد انظر القاموس وشرحه . وفى كتاب الأطعمة المعتادة المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية أن هذا الشعير يبقل ويجفف ويطحن ويضاف إليه من دقيق الحنطة قدر مثليه . إلى آخر ما ذكر فى كيفية صنعه .

(٥) الحلويات : جمع حلوىّ بفتح فسكون : نسبة الى الحلوى بقصر الألف .

(٦) الجوارشات : أنواع من الحلواء ، وهو معرب ؛ وفى المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستاينجاس أن الجوارش يصنع من دقيق وعسل أو سكر ، وأنه يساعد على الهضم .

(٧) فى الأصل : « خاص » بدون أداة تعريف ؛ والسياق يقتضى إثباتها كما يدل عليه قوله بعد : « والعام » .

(٨) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر .

وما يستعمله من ذلك فى عَقد الأشربة والحلْويّات، وما يَعقِده للشروب وما يَصرِفه من ذلك، ومعرفةِ عادات الأسمِطة والطّوارئ والرواتبِ المقرّرة فى كلّ يوم، فيُجرِى الأمرَ فيها على العادة المستقِرّة، وما يستدعيه السلطان على حَسَب الاتّفاق، وما يصرف للمرضى من المماليك السلطانيّة من أنواع الأشربةِ والمعاجينِ وغيرِها بمقتضَى أوراق الأطبّاء؛ هذا ما يَعتمِد عليه مباشِرُها والله أعلم.

وأما الطَّشتْ[(١)] خاناه — فهى بيت تكون فيه آلةُ الغسل والوضوء، وقماشُ[(٢)] السلطان البياضُ[(٣)] الذى لا بدّ له من الغسل، وآلةُ الحمّام، وآلاتُ الوَقود؛ فيكون فى هذا البيت من الآلات: الطُّشوتُ[(١)] والأباريقُ والسخّاناتُ والطاساتُ والكراسىُّ والستائرُ واللّبابيدُ[(٤)] المختصّةُ بالحمّامات والسّجّاداتُ والنُّمرُقاتُ[(٥)] والمَناشفُ وفُوَطُ الخدمة ومقاعدُ الجلوس من الجوخ والبُسُط، وغير ذلك، والمَباخرُ وأنواعُ البَخُورات والطّيب والغوالِى[(٦)] وماءُ الورد والمِسّكُ، وغيرُ ذلك من الأصناف التى تلائم هذا البيت؛ ويُستدعَى ما يُحتاج اليه برَسْم هذا البيت من الحوائج خاناه والخِزانة؛ والله أعلم.

(١) الطشت بالشين المعجمة لغة فى الطست بالسين المهملة؛ وقد نقلت هذه اللغة فى شروح الشفاء، فقيل: هى خطأ، وقيل: بل هى لغة.

(٢) الذى يستفاد من مستدرك التاج وكتاب المعرّب والدخيل للدنى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة أن إطلاق القماش على الثياب كما هنا إطلاق عامىّ.

(٣) البياض: أى ذو البياض، فوجه الوصف به ظاهر.

(٤) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة؛ والمراد بها هنا: اللبود، وهى البسط من الصوف الملتبد، واحده لبد بكسر اللام.

(٥) وردت هذه الكلمة فى الأصل هكذا «النرلقات»؛ باهمال النون وزيادة لام بين الراء والقاف وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا. والنمرقات بضم النون والراء: الوسائد.

(٦) الغوالى: جمع غالية، وهى ضرب من الطيب؛ وإنما سميت بهذا الاسم لأنها أخلاط تغلى على النار مع بعضها، وأول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك (انظر تاج العروس).

وأما الفِراش خاناه — فيكون فيها أنواعُ الفُرُش والخِيامِ والخَرْكاهات(١) والتُّخوت وقُصور الخشب التى تُنصَب فى الدهاليز، وحمّامات الخشب التى تُنقَل على الظَّهر فى الأسفار، ومايتعلّق بذلك من اللّبابيد(٢) وشلائتِ(٣) النوم وغيرِ ذلك؛ وهو بيتٌ متّسِعٌ فيه حواصلُ كثيرةٌ لهـا قِيَمٌ جليلةٌ تحتاج الى ضبط ومعرفة، فإنّ(٤) مباشر هـذا البيت يحتاج الى معرفة ما يحتاج الى آستصحابه فى أسـفار السلطان لخاصّتِه(٥) ولمماليـكه على آختلاف طبقاتهم ووظائفهم، وما يُنصَب برسم آدُرِ(٦) السلطان ومَن يتبعها من الخُدّام وما يُنصَب برسم البيوت السلطانيّة الخزائنِ فما دونها، وما يُنصَب لأرباب الوظائف من المبـاشِرين الذين يكونون فى صحبة الرِّكاب السلطانىّ، ومِن غير المبـاشِرين حتى الكِلابِ السلطانيّـة والكلابزيّةِ(٧) والجوارى؛ ويميّز بين خِيام الصـيد والتَّنزه والأسفارِ والحروب، وغيرِ ذلك من الحركات التى يحتاج فيها إلى آستصحاب آلخيام (٤١)

(١) فى الأصل: «والحزكاهات»؛ وهو تصحيف اذ لم نقف عليه فيما راجعناه من المظان. والخركاهات: جمع خركاه، وأصله بالفارسية «خرجاه»، ومعناها: القبة، كما فى المعجم الفارسى الانجليزى تأليف ستينجاس.

(٢) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر.

(٣) الشلائت: لفظ يستعمله العـامة ويريدون به الفرش المحشوة. ولم نجـده فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا.

(٤) فى الأصل: «قال»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٥) فى الأصل: «الخاصة»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه ما بعده.

(٦) الآدر: جمع دار.

(٧) وردت هذه العبارة فى الأصل هكذا: «ومن غير المباشرين حتى الكلاب السلطانية ومن غير المباشرين حتى الكلابزية» وفيها تكرار وقع من الناسخ؛ واستقامة الكلام تقتضى ما أثبتنا؛ والكلابزية: هم الذين يكلفون بخدمة الكلاب والقيام عليها، كما يستفاد من كتاب معيد النعم ص ٢٠٧ طبع ليدن. وفى شفاء الغليل: أن الكلبزة هى المعرفة بحال الكلاب السلوقية.

(٨) فى الأصل: «خادم»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد إليه السياق.

ولكلّ حركة منها ما جرت به العادة من خيام المُقام والسَّفر[1]، ويَعرِض ما يسلّمه للفَرّاشين عليهم، ويَضبِط صفاتِه عند السَّفر، ويستعيده منهم عند العَود بعَرْض ثانٍ، وكذلك ما يسلّمه لأرباب الوظائف، ويَضبِط أيضا ما يتسلّمه الصُّنّاعُ الذين يفصّلون الخامَ الجديدَ وغيرَه من آلات الفِراش خاناه: من قُماش بياض[2] ومصبوغ وغَزْلٍ وجلودٍ ومُشمَّعاتٍ وشعرٍ وأخشاب، وغيرِ ذلك، ويَعرِف عوائدَهم[3] فى الأَجْر، ويحاسبهم على ما يستحقّونه من الأجر بحسب أعمالهم فيُحيلهم بمبلَغه.

وأما السلاح خاناه — فهى من أعظم البيوت وأهمّها، وأمرُها راجعٌ الى أميرِ سلاح، وعلى المباشِر فيها[4] حفظُ ما يدخُل إليها، وضبطُ ما يخرُج منها مما يتسلّمه السلاح داريّة والزَّرَدْكَشيّة[5] والحَرْب داريّة والرُّمْح داريّة من أنواع السلاح وأصنافه اذا ركب السلطان أو جلس فى المجلس العامّ، وآستعادتُه منهم، وإعادتُه لهم، والاعتدادُ لهم بما أَنعَم به السلطان وذهَّبه مما كان بأيديهم، ويوصِلُ ما يَصِل إلى السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرِها، وما يَصِل اليه من سيوف الأمراء الذين يُرسَم بآعتقالهم، وما يُحمَل اليه من سلاح من تُوُفِّىَ من الأمراء على جارى العادة. «ويميز[6] ذلك من غيره» وعليه أن ينبِّه أميرَ سلاح على ما عنده من العُدَد التى يُخشى عليها التلف

(١) فى الأصل: «والسبق»؛ وهو تحريف.

(٢) المراد بالبياض: ذو البياض، كما سبق فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٢٥ من هذا السفر.

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣٩ ورقم ٦ من صفحة ٢١٤ من هذا السفر.

(٤) لعله: «لها».

(٥) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٠٤ من هذا السفر.

(٦) فى الأصل: «ويمن»؛ وهو تحريف. وقد وردت هذه الجملة فى الأصل قبل قوله: «وما يحمل اليه» وسياق الكلام يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا.

بتطاول المدّة ليَأمُر بكشفها و إصلاحها : من مسحٍ ودهانٍ وصَقْلٍ وجِلاءٍ وشَحْذ(١) وتثقيف وخَرْز، وغير ذلك .

وجميعُ ما قدمنا ذكرَه من البيوت ليس بشيء من صناعة الكتابة العلميّة ، بل العمليّة خاصّة ، فإن علوم الكتابة إنما تظهر فى نُظُم الحُسبانات ، ولا نُظُم فيما قدّمناه؛ والعمدةُ فى صناعة الكتابة على مباشَرة الهلالىّ والخراجىّ على ما يأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر جهات أموال الهلالىّ ووجوهها(٢) وما يحتاج إليه مباشرها

والهلالىُّ عبارةٌ عمّا تُستأدَى أجورُه مشاهرةً ، كأجر الأملاك المسقَّفة من الآدُر(٣) والحوانيتِ والحمّاماتِ والأفرانِ وأَرْحِيَةِ(٤) الطواحين الدّائرةِ بالعوامل(٥) ، والراكبةِ على المياه المستمرّةِ الجَرَيان ، لا الطواحينِ التى تدور بالميـاه الشَّتْويّة فى بعض نواحى الشام ، فإنها تَجرِى مَجرى الخراجىّ ، وسنذكر ذلك إن شاء الله فى موضعه ؛ ومما نورد فى أبواب الهلالىّ عدادُ الأغنام والمواشى ، ومن الهوائىّ(٦) الجهاتُ الهلاليّةُ المضمونة والمحلولة ؛ والذى يَعتمِد عليه مباشرُه أن يَتخيّر لكلّ جهةٍ من يستأجرها بقيمتها ، وما لعلّه يتعيّن

---

(١) فى الأصل : « ونجد » بالنون والدال ؛ وهو تحريف .

(٢) يريد بالوجوه هنا : الطرق ، أى طرق الكتّاب واصطلاحاتهم فى كتابة هذه الأموال ، فلا تكرار بينه وبين قوله : « جهات » .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٢٦ من هذا السفر .

(٤) الأرحية : جمع رحى ، وهذا الجمع نادر ، بل نقل الأزهرى عن أبى حاتم أنه خطأ وأن الصواب فى جمعه أرحاء .

(٥) العوامل : البقر .

(٦) المراد بالهوائى : ماليس له سقف ؛ وعبارة المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٠٧ طبع بولاق : « والجهات الهوائية المضمونة والمحلولة » .

من ٱلحَيْطة[١]، ويُلزِم المستأجِرَ بكتابة إجارةٍ شرعيّةٍ لمدّةٍ معلومةٍ بأجرة معيّنة؛ ويخلّدُها فى ديوانه؛ وإن كانت الجهة هوائيّةً أَلزَم ضامنَها بكتابة حُجّة بمبلغ الضّمان، وطالَبه بمن يكفُله من الضُّمّان الأَمْلِئاءِ[٢] القادرِين بالمال[٣] فى الذمّة، فإن تعذّر فبالوجه[٤]؛ فإذا خُلِّدت ٱلحجّةُ عنده كَتب له من ديوانه تقريرا عيّن له فيه ٱستقبالَ مدّةِ ضَمانه، ومبلغَ الضمان وأقساطَه مبسوطةً[٥] أو منجّمةً[٦]، ويذكر فيه ما يَستأديه من رسوم تلك ٱلجهة على ما تشهد به الضرائبُ المخلَّدةُ فى الدّيوان، وسُلِّمَ اليه؛ فإذا تكاملت عنده إجاراتُ الأملاك وحُجَجُ الضُّمان بسط على ذلك جريدةً يَشرَح فيها الجهةَ، وٱسمَ مستأجِرِها أو ضامنِها، وٱستقبالَ مدة إيجارِه[٧] أو ضمانِه، ومبلغَ الأُجرة أو الضّمان فى السنة والشهر (٤٣) واليوم؛ وإنما ذكرنا اليوم لما يَتحصّل من أقساط أيّام سُلوخِ[٨] الشهورِ الناقصة، ولِما كانت العادةُ جاريةً به من ٱستخراج قسطِ يومِ التعديل من سائرِ ضُمّان ٱلجهات

---

(١) فى الأصل : «الغبطة» بالغين والباء الموحدة؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ والحيطة اسم من الٱحتياط؛ والمعنى أنه يلزمه القيام بما يتعين عليه من الٱحتياط والأخذ بالثقة فى إجارة كل جهة .

(٢) «الأملئاء» بهمزتين : جمع مليء، وهو الثقة الغنىّ؛ وقد أولع الناس فيه بترك الهمزة وتشديد الياء.

(٣) «بالمال» متعلق بقوله : يكفله .

(٤) الظاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجاه؛ أى ان تعذر الكفيل ذو المال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه وإن لم يكن غنيا .

(٥) الظاهر أن المراد بالمبسوطة هنا : المدفوعة مرة واحدة؛ كما تدل عليه مقابلته بالمنجمة؛ ولم نجد هذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة؛ فلعله ٱصطلاح لكتّاب الدواوين فى زمن المؤلف لأن دافع المال يبسطه فى المجلس ولا يؤجله .

(٦) المنجمة : هى التى يقدر عطاؤها فى أوقات معلومة متتابعة، مشاهرة أو مساناة؛ وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها، فتقول : اذا طلع النجم حل عليك مالى .

(٧) الإيجار مصدر آجر، يقال : آجرت زيدا الدار مثلا اذا أكريتها .

(٨) فى الأصل : «لوح» باللام والحاء؛ وفيه نقص وتصحيف .

الهوائيّة، وهو قسطُ يومٍ واحدٍ فى سَلخ ثلاثِ سنين يُؤخَذ من الضَّمان خالصا للديوان زيادةً على الأقساط، وهـذا يُستأدَى فى بعض أقاليم الشأم؛ وإنما أوردناه خشيةَ الإخلال به؛ ويكون بَسْطُه لذلك فى يَمْنة القائمة إلى الشطر المكسور المعتاد الذى يتخلّله خيط ٱلجريدة؛ فإن ٱتّفق فى جهةٍ زيادةٌ فى أثناء السنة قرّرها فى تعليق المُياوَمة، ووضعها فى الجريدة بمـا صورته : ثم ٱستقرّت بٱسم فلانٍ لاستقبال التاريخ الفلانىّ بكذا وكذا، العِبرة(١) كذا، والزيادةُ كذا؛ ويحاسِب المستأجِرَ أو الضامنَ المنفصلَ عمّا ٱستُحِقّ عليـه إلى حين ٱنفصاله، ويُلزِمه بالقيام به، وذلك بعـد أن يَعرِضَ على الضامن ٱلمستقرّ مازاد عليه، فإن ٱختار قبولَ الزيادة على نفسه قَبِل ذلك منه، وكان ذلك له، فإن زِيدت عليه فى الوقت زيادةٌ ثانيةٌ لم يكن له الاستمرارُ فى الجهة إلا بزيادةٍ على تلك الزيادة الثانيـة؛ وإذا انقضت مدّة مستأجِرٍ أو ضامنٍ وأراد الخروج من تلك الجهة، فإن كان قد غَلّق(٢) ما عليـه من الأجرة أو الضَّمان لم يكن للمباشِر إلزامُه بالاستمرار بها، وإن ٱنطرد(٣) عليه باقٍ كثيرا كان أو قليلا لزمه ٱستئنافُ عقـدٍ جديدٍ نظيرِ العَقد الأوّل؛ هذا ٱصطلاحُهم فى الديوان، ولهم ٱصطلاحات أيضا نحن نذكر ما تيسّر منها، إذ لا تمكن الإحاطـةُ بجميعها لاختلاف أحوال المباشَرات، ولو ٱستقصينا ذلك لطال؛ فمن ٱصطلاحاتهم أن المبـاشِر يسلّمُ للستأجِر الطاحونَ عند أذان المغرب من اليوم الذى حصل فيه الإيجارُ أو الزيادةُ لاستقبال

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠١ من هذا السفر.

(٢) فى الأصل : « علق » بالعين المهملة؛ وهو تصحيف إذ لم نجد من معانيـه ما يناسب سياق الكلام؛ وغلق بالغين المعجمة وتشديد اللام : أى تمم وكمل، وهـذا الاستعمال لا يزال شائعا بين العامة فى زماننا؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة، وكأنهم أخذوه من أن المستأجر اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة.

(٣) فى المصباح وغيره أنه لا يقال انطرد إلا فى لغة رديئة.

اليوم الثانى، ويسلِّم الحمّامَ من وقت التسبيح، ويسلِّم بقيّةَ ٱلجهات لٱستقبال غُرّة النهار، وإذا دخل ضامنُ نيلةٍ قومٍ[(١)] للنفصل ماله بالخوابِى من مياه الأصباغ المختلفةِ بالقيمة العـادلة، ولا يُمكَّن مِن أخْذِ ذلك من المصبغة لمـا فيه من الإضرار بهما، أما ضررُ ٱلمنفصل فلفساد الميـاه، وأما ضررُ ٱلمتصـل فلأنه يتعطّل مدّةً إلى أن تختمِر له مياهٌ غيرُها، ولا يُمكَّن ضامنُ المصبغة المنفصل مِن أخذِ خابية وإن كانت مِلكَه، بل القيمةِ عنها؛ هذا ٱصطلاحهم؛ وليَحترِز مباشرُ ٱلجهات الهلاليّة من قبول زيادةٍ بسطا فى جهة منجَّمةٍ قد مضت أقساطُها الخفيفةُ[(٢)] وبقيَت الأقساطُ الكبار، لِمـا يحصُل فى ذلك من التّفاوت والنقصِ على الدّيوان مع وجود الزيادة الظاهرة، مثال ذلك أن تكون جهةٌ مضمونةً فى كلِّ سنة بأربعة آلاف درهم منجّمة، قسطُ ستة شهور ألفُ درهم، وقسطُ الستة شهور الثانيـة ثلاثةُ آلاف، فٱنقضت الستّةُ الأُوَل، وحَصَلتْ زيادةٌ فى الجهة فى أوّل الستّةِ[(٣)] الثانيةِ مَبْلغ خَمسمائة درهم فى السنة على أن تكون قسطين، فيصير بمقتضى البسط قسطُ الستّةِ شهور الثانيةِ ألفين ومائتين وخمسين درهما، وهى على الضامن المنفصل بثلاثة آلاف، فتكون هذه الزيادة على هـذا ٱلحُكم نقصا؛ فيراعى ٱلمباشرُ ذلك، فإنه متى وقع فيه خرج عليه وكان مخرجا لازما؛ ومهما ٱستخرجه المباشرُ منْ مستأجِرٍ أو ضامنٍ أو أجراه بوُصولٍ[(٤)] لربِّ ٱستحقاقٍ أو ثمنِ صنف، أو غيرِ ذلك من وجوه المصارف أَورَدَه فى تعليق المياوَمة، وصورةُ وضعِهِ لذلك أن يرصِّع[(٥)] المُحضَر أو المُجرَى عن يَمْنة القائمـة، ويخصمَ عن يَسْرتها قُبالةَ

(١) فى الأصل: «مثله»؛ وهو تحريف لايستقيم به المعنى، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.
(٢) فى الأصل: «الحقيقة»؛ وهو تصحيف.
(٣) فى الأصل: «السنة»؛ وهو تصحيف.
(٤) الوصول بصيغة المصدر: هو المعروف الآن بين النـاس فى معاملاتهم بالإيصال. وفى شفاء الغليل أن هذه الكلمة مولدة عامية لم يستعملها متقدم ولا متأخر محسن، الا أنها وقعت فى الأشعار النازلة كثيرا.
(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر.

المُجْرَى، فيقول فى يَمْنتها : من جهة فلان كذا، وفى مقابلتِه : ينصرف فى كذا؛ ثم يَشْطُب(١) المُحضَرَ والمُجْرَى من تلك الجهة فى يَسْرة قائمة ٱلجريدةِ التى بَسَطَها قُبالةَ كلّ ٱسم ٱستَخرج منه أو أجرَى عليه، يَفعل ذلك فى مدّة السنة، ويَرمِزُ على تعليقه إشارةَ ٱلخدمة على الجريدة، وصورتُه [له](٢)؛ وكذلك اذا كتب وُصولا رَمَزَ عليـه إشارةَ الكتابة، وصورتُه له؛ فإذا ٱنقضت السَّنة عَمِـلَ محاسَبةَ كلِّ جهةٍ بمـا ٱستخرجه من مستأجرها أو ضامنها وأجراه عليـه، وعقَدَ على ذلك جملةً، فان كان المستخرَجُ والمُجْرَى نظيرَ الأجرة أو الضَّمان فقـد تغلّقت(٣) تلك ٱلجهة عن تلك السنة، وإن زاد المستخرَجُ على الأجرة أَوْرَدَه فى حسابه مضافا، ويسمّيه : زائدَ مستخرَجٍ، على ما يأتى (٤٣) بيانُه فى كيفيّة الأوضاع الحسابيّة، وٱعتَـدَّ(٤) له بذلك فى السنة المستقبلَة؛ وإن تعيّن للضامنِ أوالمستأجِرِ ٱعتدادٌ بما يجب الاعتدادُ به كبِطالة الحمّامات من ٱنقطاع المياه عنها أو وقوفها فيها، وإصلاح القدور، وعُطْلِ العمائر، وبِطالةِ الطواحين لانقطاع المياه وٱنكسارِ الأحجار أو السهامِ أو العُددِ، أو حصولِ جائحةٍ(٥) أرضيّةٍ أو سمائيّـة كانقطاع الأجلاب(٦) عن الجهات الهوائيّةِ بسبب مداوَمَةِ الأمطار، أو سقوطِ الثلوج، أو طُروقِ عدوٍّ للبلاد، أو حادثةٍ عُطِّلت تلك الجهةُ بسببها ٱعتَدّ له بقسط تلك المدّة محسوبا

(١) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : « تعلقت » بالعين؛ وهو تصحيف اذ لم نجد من معانيه ما يناسب السياق . «وتغلقت» الخ : أى تم دفع ما على هذه الجهة من الأجرة أو الضمان، كما يرشد اليه السياق؛ وهو استعمال عامىّ كما سبق توضيح ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

(٤) فى الأصل : «وامتد»؛ وهو تحريف . وفى المصباح انه يقال : اعتددت بالشىء، أى أدخلته فى العد والحساب .

(٥) فى الأصل : «حاجة»؛ وهو تحريف . والجائحة : الآفة والنازلة .

(٦) الأجلاب بفتح الهمزة : جمع جلب بالتحريك، وهو المجلوب .

"هذا[١] إذا شرط ذلك فى تقريره[٢]" على ما يأتى شرح ذلك؛ هذا ما يعتمد عليه المباشرُ للجهات الهلاليّة فى أصولها .

وأما مضافاتُها فلا فرق بينها وبين سائرِ الأموال ، وسيَرِد الكلام إن شاء الله على ذلك مفصّلا ؛ وقد اصطَلَح بعضُ مباشِرى الجهات على إيراد أَحكارِ البيوت والحوانيت ، ورَيعِ البساتين التى تُستخرَج أجورُها[٣] مشاهرةً ، ومَصايدِ السمك ، ومَعاصرِ الشَّيْرَج[٤] والزيت فى مال الهلالىّ ؛ ومنهم من يوردها فى أبواب الخراجىّ ، وهو الأليق ، وإنما نبّهْنا عليه لبيان الاختلاف فيه ، ولا أرى فى إيراد رَيْع البساتين فى مال الهلالىّ وجها ، بل يتعيَّن ألّا يَرِدَ إلا فى أبواب الخراجىّ ؛ وإن قال قائل منهم : قد يكون فى أرض البستان مَسكَنٌ يستحِقّ أجرة ، قلنا : إن أمكن إفرادُ ذلك المَسكَن بأجرةٍ معيّنةٍ تُقيَّدُ أموالُه فى أموال الهلالىّ دون البستان ، وان تعذّر إفرادُه وأُوجِرا بعقدٍ واحد فالمَسكَن هنا فرعُ البستان ، والفرعُ يتبع الأصلَ ولا ينعكس ، هذا ما لخّصناه من حال مالِ الهلالىّ[٥] ، فلنذكر الجَوالِى .

---

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل قبل الجملة السابقة ، أى قبل قوله : «اعتد» الخ ؛ والسياق يقتضى تأخيرها عنها كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « تقليله » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه قوله فى صفحة ٢٢٩ س ٤ : «كتب له من ديوانه تقريرا» الخ .

(٣) فى الأصل : « أصولها » ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا ، كما فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٣ طبع المعهد الفرنسى .

(٤) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج مادة «شرج» بالمعجمة ، وذكر أن العوام ينطقون به بالسين المهملة مكسورة ؛ وهو دهن السمسم .

(٥) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

ذكر الجزية الواجبة على أهل الذمّة وما ورد فيها من الأحكام الشرعيّة وأوّل من ضربها وقرّرها على الرءوس وما اصطلح عليه كُتَّابُ التصرّف فى زماننا من ٱستخراجها وموضع إيرادها فى ٱلحساب ونسبتها فى الإقطاعات الجيشيّة وما يلزم مباشرَها من الأعمال وما يحتاج إليه والله أعلم

أما الأحكام الشرعيّة فالأصل فى وجوبها قوله تعـالى : ﴿ قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ وقد ورد فى هـذه الآية تأويلاتٌ ذكرها أقضى القضاة أبو الحسن علىُّ بنُ محمد بنِ حَبيب ٱلمـاوردىّ — رحمـه الله — فى الأحكام السلطانيـة ، نحن نذكرها على ما أَورَده ، قال : أما قولُه : « الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ » فأهـلُ الكتاب [وإن](1) كانوا معترِفين بأن الله سبحانه واحد ، فيَحتمِل [نفى](2) هـذا الإيمانِ بالله تأويلين ، أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله سبحانه وهو القرآن ، والثانى : لا يؤمنون برسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم ، لأن تصديقَ الرُّسُل إيمانٌ بالمرسِل ؛ وقولُه : « وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يحتمِل تأويلين ، أحدهما : لا يخافون وعيدَ اليوم الآخرِ وإن كانوا معترفين بالثواب والعقاب ، والثانى : لا يصدّقون بمـا وصفه الله تعالى من أنواع العـذاب ؛ وقولُه تعالى : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ » يحتمل تأويلين ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٤٦ طبع ألمانيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصـل ومن نسخة الأحكام السلطانيـة طبع ألمانيا ، وقد أثبتناها عن نسخة الأحكام السلطانية طبع مصر اذ بها يستقيم الكلام .

أحدهما : ما أَمَر الله سبحانه بنَسْخِه مِن شرائعِهم ، والثـانى : ما أَحلّه لهم وحَرَّمه عليهم ؛ «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ» فيه تأويلان ، أحدهما : ما فى التوراة والإنجيل من آتّباع الرسول — وهو قول الكلبىّ — ، والثانى : الدخولُ فى دين الإسلام — وهو قول الجمهور — ، وقولُه : «مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ» فيه تأويلان ، أحدهما : من أَتْباع(١) الذين أوتوا الكتابَ ، والثانى : مِن الذين ملّتُهم الكتابُ ، لأنهم فى آتّباعِه كإيتائه(٢) ؛ وقولُه : «حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ» فيه تأويلان ، أحدهما : حتى يدفعوا آلجزية ، والثانى حتى يَضمَنوها ، لأنه بضمانها يجب الكفُّ عنهم ؛ وفى الجزية تأويلان ، أحدهما : أنها من الأسماء المُجْمَلة التى لا يُعرَف منها ما أُريد بها إلا أن يَرِدَ بيان(٣) ، والثانى : أنها من الأسماء العامّة التى يجب إجراؤها على عمومها إلا ما خصصه دليل ؛ وآسمُها مشتقٌّ من آلجزاء ، وهو إما جزاءٌ على كفرِهم ، أو جزاءٌ على أماننا لهم ؛ وفى قوله : «عَنْ يَدٍ» [تأويلان ، أحدهما : عن غِنًى وقُدرة ، والثانى : أن يَعتقِدوا أن لنا فى أخذها منهم يدًا وقُدرةً عليهم ؛ وفى قوله(٤)] : «وَهُمْ صَاغِرُونَ» تأويلان ، أحدهما : أَذِلّاءُ مساكينُ(٥) ، والثانى : أن تُجْرَى عليهم أحكامُ الإسلام . وقال غيرُه : الصَّغار أن يُضرَب على فَكّ الذمّىّ برءوس الأنامل عند قيامه بالجزية ضربا لطيفا غيرَ مؤلم . وقال المـاوردىّ : (٤٤)

(١) انما قدر هذا المضاف لأن الذين أوتوا الكتاب أنفسهم لم يكونوا فى زمن الإسلام فتؤخذ منهم الجزية ؛ والذى فى نسخ الأحكام السلطانيـة « من أبناء » وكذلك فى كتاب الحـاوى الكبير للماوردى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى ؛ والمعنى يستقيم عليه أيضا .

(٢) فى الأصل : « كإتيانه » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا فان الإيتاء هو مصدر « أوتوا » لا « الإتيان » ؛ والمعنى أنهم فى آتباعه كأنهم أوتوا الكتاب ؛ والذى فى الأحكام السلطانية : « كأبنائه » ؛ وهو تحريف .

(٣) عبـارة الأصل : « تروتنان » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، كما فى الأحكام السلطانيـة ص ٢٤٧ طبع ألمـانيا .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ؛ وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية إذ بها يتم الكلام .

(٥) فى الأصل : «مسألتين» ؛ وهو تحريف .

فيجب على ولىِّ الأمر أن يضرِبَ ٱلجزيةَ على رقاب من دخل فى الذمّة من أهــل الكتاب ليقرّوا بها فى دار الإسلام، ويَلتزِم لهم ببذلها حقّين : أحدهما الكفُّ عنهم، والثانى ٱلحمايةُ لهم، ليكونوا بالكفِّ آمنِين، و بالحماية محروسِين؛ روى نافعٌ عن ٱبن عمر رضى الله عنهم قال : آخرُ ماتكلّم به النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : "اِحفظونى فى ذِمّتى"[1] قال المــاوردىّ : ولا تؤخَذ من مُرتدّ ولا دَهْرىّ ولا عابِد وثَن، وأخذَها أبو حنيفة من عَبَدة الأوثان من العجم، ولَم يأخذْها منهم إذا كانوا عربا[2]؛ وأهلُ الكتاب هم اليهود والنصارى، وكتابُهم التوراةُ والإنجيل، وتَجرى ٱلمجوسُ مَجراهم فى أخذ الجزية منهم؛ وتؤخَذ من الصابئِين[3] والسامِرَة[4] اذا وافقوا اليهودَ والنصارى فى أصل معتقَدِهم وان خالفوهم فى فروعه، ولا تؤخَذ منهم إن خالفوا اليهودَ والنصارى فى أصــل معتقَدِهم؛ ومن جُهِلتْ حالُه أُخذتْ جزيتُه، ولا تؤكَل ذبيحتُه؛

والجزية تجب على الرجال الأحرار[5] العقــلاء، ولا تجب على صبىٍّ ولا ٱمرأةٍ ولا مجنونٍ ولا عبدٍ، لأنهم أَتْباعٌ وذَرارىّ؛ ولو تَفرّدت ٱمرأةٌ منهم [عن][6] أن تكون تبعا لزوجٍ أو نسيبٍ لَم تؤخَذْ منهــا ٱلجزيةُ، لأنها تبعٌ لرجال قومها وإن كانوا أجانب

---

(١) أراد : فى أهل ذمتى .

(٢) فى الأصل : «غرباء» ؛ وهو تحريف .

(٣) الصابئون : قوم يشــبه دينهم دين النصارى الا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح (تاج العروس) .

(٤) السامرة : قوم من اليهود يخالفونهم — أى اليهود — فى بعض أحكامهم، كإنكارهم نبوة من جاء بعــد موسى عليه السلام وقولهم : « لا مساس »، وزعمهم أن نابلس هى بيت المقدس؛ وهم صنفان : الكوشان، والدوشان؛ واليهم نسب السامرىّ الذى عبد العجل (تاج العروس) .

(٥) فى الأصل : «والأحرار» ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها ؛ والذى فى نسختى الأحكام السلطانيــة طبع ألمانيا وطبع مصر مكان هذه الكلمة : «على» ؛ وهو تحريف .

منها؛ ولو تفرّدت آمرأةٌ فى دار الحرب فبذلت آلجزيةَ للُقام فى دار الإسلام لم يلزمها ما بذلته، وكان ذلك منها كالهبَةِ لا يؤخذ منها إن آمتنعتْ؛ ولا تؤخذ الجزية من خنثى مُشكِل، فإن زال[1] إشكاله وبان رجلا أُخذتْ منه فى مستقبل أمرِه وماضيه؛

وآختلف الفقهاء فى قدر آلجزية، فذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثةَ أصناف: أغنياءُ يؤخَذ منهم ثمانية وأربعون درهما، وأوساطٌ يؤخَذ منهم أربعة وعشرون درهما وضربٌ[2] يؤخذ منه آثنا عشر درهما، [فجعلَها مقدَّرةَ الأقلِّ والأكثر][3] ومنَعَ من آجتهاد الولاة فيها.

وقال مالك: لا يقدّر أقلُّها ولا أكثرُها، وهى موكولةٌ إلى آجتهاد الإمام فى الطرفين.

وذهب الشافعىّ إلى أنها مقدَّرةُ الأقلّ بدينارٍ لا يجوز الآقتصار على أقلَّ منه، وعنده أنها غيرُ مقدَّرةِ الأكثر، يُرجَع فيه إلى آجتهاد الولاة، ويجتهد رأيَه فى التسوية بين جميعهم، أو التفضيلِ[4] بحسب أحوالهم، فإذا آجتهد رأيَه فى عقد الجزية معهم على مُراضاة أُولى الأمر منهم صارت لازمة لجميعهم ولأعقابهم قرنا بعد قرن، ولا يجوز لوالٍ بعده أن يغيره[5] الى زيادة عليه أو نقصانٍ منه.

(١) فى الأصل: «زاد» بالدال؛ وهو تحريف.

(٢) الذى فى الأحكام السلطانية: «وفقراء»؛ وهو أظهر لأنه قد عين الصنفين السابقين بقوله: «أغنياء» «وأوساط».

(٣) لم ترد هذه العبارة فى الأصل، وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية كما تقتضيه المقابلة بما يأتى فى قول مالك والشافعىّ.

(٤) فى الأصل: «والتفصيل»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى الأحكام السلطانية ص ٢٤٩ طبع ألمانيا.

(٥) أن يغيره، أى أن يغير عقد الجزية.

ويُشتَرَط عليهم فى عقد الجزية شرطان : مســتَحَقٌّ ومستَحَبٌّ، أما المستحَق فستة أشـياءَ[١] : أحدها ألّا يذكُروا كتابَ الله تعـالى بطعنٍ فيـه ولا تحريف له ، والثـانى ألّا يذكُروا رسولَ الله صلّى الله عليه وسـلّم بتكذيبٍ له ولا ازدراءٍ به ، والثـالث ألّا يذكُروا دينَ الإسـلام بذمٍّ له ولا قدحٍ فيـه ، والرابع ألّا يُصيبوا مسلمةً بزنًى ولا باسم نكاح، والخامس ألّا يفتِنوا[٢] مسلما عن دينه ولا يتعرّضوا لمـاله ولا دمه[٣]، والسادس ألّا يُعينوا أهلَ الحرب ولا يؤوُوا أغنياءَهم؛ فهذه الستةُ حقوقٌ ملتَزمةٌ بغير شرط، وإنمـا تُشترَط إشعارا لهم، وتأكيدا لتغليظ العهد عليهم، فيكون انتهاكُها بعد الشرط نقضا لعهدهم .

وأما المستحَبّ فستة أشياءَ: أحدها تغيير هيآتهم بلُبس الغِيار[٤] وشدّ الزُّنّار[٥]، والثانى ألّا يَعلُوا على المسلمين فى الأبنية، ويكونوا إن لم ينقصوا مساوِين لهم، والثالث ألّا يُسمِعوهم أصواتَ نواقيسهم، ولا تلاوةَ كتبهم، ولا قولَهم فى عُزَير والمسيح، والرابع ألّا يجاهِروهم بشرب خمورهم، ولا بإظهار صلبانهم وخنازيرهم، والخامس أن يُخْفُوا[٦] (٤٥) دفنَ موتاهم ولا يَجهَروا بندبٍ عليهم ولا نياحة ، والسادس أن يُمنَعوا من ركوب الخَيل عِتاقا وهُجْنا، ولا يُمنَعوا من ركوب البغال والحمير، قال : فهذه الستة المستحَبّة

(١) كذا فى نسخ الأحكام السلطانية التى بين أيدينا؛ والذى فى الأصل: «فيه أشياء» وهو تحريف ويرشد الى ما أثبتناه أيضا مقابلته بقوله الآتى : « وأما المستحب فستة أشياء » .

(٢) فى الأصل : « يعينوا » ؛ وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : «ذمته»؛ وهو تحريف .

(٤) الغيار : علامة أهل الذمة كالزنار؛ قال فى شفاء الغليل نقلا عن شرح المهذب : الغيار أن يخيطوا على ثيابهم الظاهرة مايخالف لونه لونها ، وتكون الخياطة على الكتف دون الذيل ، والأشـبه ألا تختص بالكتف . اهـ

(٥) الزنار وزان رمان : ما يلبسه الذمىّ يشدّه على وسطه .

(٦) فى الأصل : « أن لا يخفوا » ؛ وقوله : « لا » زيادة من الناسخ مفسدة للمعنى .

لا تَلزم بعقد الذِّمّة حتى تُشترَطَ فتصيرَ بالشرط ملتزِمة، ولا يكون ارتكابُها بعد الشرط نقضا للعهد، لكن يؤخَذون[1] بها إجبارا[2]، و يؤدَّبون[3] عليها زجرا، ولا يؤدَّبون إن لم يُشترَط ذلك عليهم، و[4] يُحتاط به .

[وتجب الجزية عليهم][5] فى كل سنة مرّةً واحدةً بعد آنقضائها[6] بالشهور الهلاليّة، ومن مات منهم فى أثناء السنة أُخِذ من تَرِكته بقدر ما مضى منها، ومن أسلم كان ما لَزِم من جزيته دَينا فى ذمّته يؤخَذ منه؛ وأسقطها أبو حنيفة بإسلامه وموته؛ ومَن بَلَغ من صغارِهم، أوأفاق من مجانينِهم آستُقبِل به حولٌ [ثم أُخِذ][7] بالجزية و يُؤخَذ الفقيرُ بها إذا أَيْسَر، و يُنتظَر بها إذا أَعْسَر؛ ولا تسقط عن شيخ ولا زَمِن، وقيل: تسقط عنهما وعن الفقير؛ ولِأهل العهد إذا دخلوا دارَ الإسلام الأمانُ على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا فيها أر بعةَ أشهر بغير جزية، ولا يقيموا سنةً إلا بجزية، وفيما بين[8] الزمانَين خِلاف؛ و يَلزَم الكفُّ عنهم كأهل الذمّة، ولا يَلزم الدفعُ عنهم؛ واذا أَمَّن بالغٌ عاقلٌ من المسلمين حربيّا لَزِمَ أمانُه كافّةَ المسلمين، والمرأةُ

(١) فى الأصل : « يوجدون » ؛ وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل : « اخبارا » بالخاء؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل « ويؤذنون » ؛ وهو تصحيف .

(٤) وردت هذه العبارة فى الأصل مكتوبة بخط كبير مشبه لما تكتب به تراجم الأبواب والفصول؛ ولم ترد فى الأحكام السلطانية؛ والمعنى أنه ينبغى للامام أن يحتاط باشتراط ذلك عليهم ليعاملهم بمقتضاه .

(٥) هــذه التكملة ساقطة من الأصل؛ واستقامة الكلام تقتضى إثباتها؛ وعبارة الأحكام السلطانية ص ٢٥١ طبع ألمانيا : « ولا تجب الجزية عليهم فى السنة الا مرة واحدة » .

(٦) هذه الهاء والباء ساقطتان من الأصل؛ والسياق يقتضى إثباتهما، كما فى الأحكام السلطانية .

(٧) هذه التكملة ساقطة من الأصل وقد أثبتناها عن الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا .

(٨) كذا فى الأحكام السلطانية ص ٢٥٢ طبع ألمانيا و ص ١٣٩ طبع مصر؛ والذى فى الأصل: «دون» ؛ وهو تحريف لا يستقيم به المعنى .

فى بذل الأمان كالرجل، والعبدُ فيه كالحـرّ؛ وقال أبو حنيفة : لا يصحّ أمانُ العبد إلا أن يكون مأذونا له فى القتال ؛ و إذا(١) تَظاهَر أهلُ الذمّة والعهدِ بقتال المسلمين كانوا حربا لوقتِهم، يُقتَل مُقاتِلُهم، و يُعتَبرُ حالُ مَن عدا المُقاتِلة منهم بالرضا بفعلِهم والإنكارِ له ؛ و إذا آمتنع أهـلُ الذمّة من أداء الجزية كان نقضـا لعهدِهم ؛ وقال أبو حنيفة : لا يَنتقِض به عهدُهم إلّا أن يلحَقوا بدار الحرب، وتُؤخَذ منهـم جَبْرا كالدُّيون ؛ وإذا نَقَض أهلُ الذمّة عهدَهم لم يُستَبَح بذلك قتلُهم، ولا غُنْمُ أموالهم، ولا سَـبْيُ(٢) ذرارِيّهم ما لَم يقاتِلوا، ووجب إخراجُهم من بلاد المسلمين آمِنـين حتى يَلحَقوا مَأمَنَهم من أدنى بلاد الشِّرك، فإن لم يَخرُجوا طوعا أُخرِجوا كَرْها ؛ فهذه هى الأحكام الشرعيّة فى أمر الجزية .

وأوّلُ ما ضُربت آلجزية وجُعِلتْ على الرءوس فى خلافة عمـر(٣) بن الخطّاب — رضى الله عنــه — وكانت قبل ذلك تُحمَل قطائعَ ؛ وآختُلِف : هل آستأداها سَلَفا أو عند آنقضاء الحَوْل .

(١) هذه الواو ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضيها .

(٢) فى الأصل : «ولا بنى» ؛ وهو تحريف .

(٣) فى كتب الفقه ما يفيد أن الجزية كانت على الرءوس فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب من كل حالم دينارا ولم يفضل . وروى مسروق عن معاذ بن جبل أنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل حالم دينارا أو عدله معافر ، انظر كتاب الحاوى الكبير للماوردى ج ١٩ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقــه شافعى وكتاب الخراج ليحيي بن آدم ص ٧٢ طبع المطبعة السلفية . والمعافر: ثياب تصنع باليمن . أما ما كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فهو أنه جعل أهل الذمة طبقات ، فأخذ من الأغنياء ثمـانية وأربعين درهما ، ومن المتوسطين أربعة وعشرين درهما ، ومن الفقراء آثنى عشر درهما ، وذلك فى سواد العراق لمـا افتتحه ، انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٠ و ٢١ و ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وكتاب الأوائل لأبى هــلال العسكرى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ . ولم يكن هذا التقسيم قبل خلافة عمر .

وأما ما آصطلح عليه كُتّاب التصرّف فى زماننا هذا من آستخراجها وموضع إيرادها فى حُسباناتهم، فهُم يستخرجونها سَلفا وتعجيلا فى غُرّة السنة، وفى بعض الأقاليم تُستَخرَج قبل دخول السنة بشهر أو شهرين؛ وتُورَد فى الحُسبانات قلما مستقِلا بذاته، بعد الهلالىّ وقبل الخراجىّ، وسببُ تأخيرها عن الهلالىّ أنها تُستأدَى مُسانَهةً، وسببُ تَقدُّمها على الخراجىّ ما ورد من وجوبها مشاهَرةً على الأشهر من أقوال الفقهاء؛ وقد تقدّم ذكرُ الحُكم فيمن أسلم أو مات فى أثناء الحَوْل، وأنه لا يَلزَمه منها إلا بقدر ما مضى من السنة قبل إسلامه أو وفاته، فلذلك وردتْ بين الهلالىّ والخراجىّ .

وأما نسبتُها فى الإقطاعات الجيشيّة عند خروج إقطاعٍ ودخولِ آخر[1] فإنها تَجرِى مَجرى المال الهلالىّ، لأنها تُستخرَج على حكم شهور السنة الهلاليّة دون الشمسيّة؛ فإن تَعجّلها مُقطَعٌ فى غُرّة السنة على العادة وخرج الإقطاعُ عنه فى أثنائها بوفاةٍ أو نقلة إلى غيره استَحقّ منها نظيرَ ما مضى من شهور السنة إلى حين آنتقاله، لا على حُكم ما آستَحَقّ من المُغَلّ؛ ويَستحِقّ آلمتّصلُ من[2] آستقبال تاريخ منشوره كعادة النقود[3]؛ وإن تَخلّل بين المنفصل والمتّصل مدّةٌ كان قسطُها للديوان، يَرِد فى جملة آلمحلولات من الإقطاعات .

(١) كذا فى الأصل؛ ويوضح ذلك ما ورد فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى؛ وعبارته: عند خروج إقطاع عن مقطع — بفتح الطاء — ودخول آخر على ذلك الاقطاع .

(٢) كذا فى كتاب الخطط للمقريزى؛ والذى فى الأصل: « لاستقبال » باللام مكان « من » وما أثبتناه هو مقتضى السياق .

(٣) كذا فى كتاب الخطط للمقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد الفرنسى؛ والذى فى الأصل: «النفوذ»؛ وهو تصحيف .

وأما ما يَلزَم مباشِرَ الجوالى وما يَحتاج الى عمله، فالذى يلزمه أن يبسُط جريدةً على أسماء الذمّة (١) بمقتضَى الضريبــة المرفوعةِ إليه، أو الكشفِ الذى كَشفَه إن كان العمــلُ (٢) مفتوحا (٣) أو مستجَدًا، يبدأ فيها بذكر أسمـاء اليهود، ويثنِّى (٤٦) بالسامِرة (٤) لأنّهم شَعْبٌ منهم، ويثلِّث بالنصارى، وإن كان فى عمله طائفــةٌ من الصابئة والمجوس ذَكَرهم بعد النصــارى؛ وفى بعض بلاد الشأم تؤخذ الجزية من طائفة تُعرف بالشَّمسيّة، يوحّدون الله تعالى وينكِرون نبوّةَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، ومنهم من يقول بنبوّة عيسى عليه السلام وأن لا نبىَّ بعده؛ ويكون بَسْطُ الكاتب لهذه الجريدة على التقفية إذا كانت الأسماء كثيرة، ليسهل عليه بذلك الكشفُ والشطب، وإذا ٱستَخرَج جاليةً أَوْرَدها فى تعليق المياوَمة، وكَتبَ له بها وُصولا (٥)، وشَطَبها عن ٱسم من ٱستُخرِجتْ منه فى جريدته، ويَرمُز فى تعليقه إشارةَ الكتابة والخدمة على ما تَقدَّم بيانه فى الهلالىّ.

ويَحتاج مباشر الجوالى فى كلّ ســنة إلى إلزام رئيس اليهود ورئيس السامِرة وقِسِّيس النصارى أو أُسْقُفِّهم (٦) بكتابة أوراق يسمّونها: الرِّقاعَ بمن عنــد كلّ منهم من الرواتب (٧)، وما لعــلّه ٱستَجَدّ (٨) من الطَّوارئ (٩) والنَّوابت، ويعــيّن فى آخر الرِّقاع من

(١) أسماء الذمة: أى أسماء أهل الذمة. (٢) يريد بالعمل: البلد. (٣) مفتوحا: أى مما فتحه المسلمون من دار الحرب. (٤) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣٦ من هذا السفر.

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر.

(٦) فى الأصل: «أو استقفهم»، وهو تحريف، والأسقف بتخفيف الفاء وتشديدها فوق القسيس ودون المطران.

(٧) يريد بالرواتب: المقيمين، وهو من رتب رتبا إذا أقام بالبلد، كما فى المصباح؛ وإنما جمعه على فواعل لأن واحده «راتبة»، صفة للطائفة.

(٨) فى المصباح أن استجدّ قد يستعمل لازما — أى بمعنى تجدّد — فلذلك ضبطناه بفتح التاء والجيم.

(٩) الطوارئ: الذين طرأوا على البلد ولم يكونوا منه. والنوابت: جمع نابتة، أى النشء الصغار، والمراد بهم هنا من دون البلوغ.

آهتدى بالإسلام ، ومَن هلك بالموت ، ومَن تَسَحَّب[1] من العمل ، وإلى أىّ جهة توجّه ، ويَجعل تلك الرِّقاعَ شاهدا عنده بعد الإشهاد فيها على[2] الصادرةِ عنه بأنه لم يُخلّ بشىء من الأسماء ، ويُلزِمه بكَتْبِ مَشاريحَ بمن ضَمَّنَ رقاعَه أنه آهتدى أوهلك أو تَسَحَّب[1] كلّ اسم بمشروح ، ويخلّد المشاريحَ عنده ويُشطِّبها[3] على جريدته ؛ والكُتّاب فى إيراد من آهتَدَى ونَزَح وهَلَك مختلفون : فمنهم من يُوصِل العِدّةَ المستقِرّةَ عنده عن يَمْنة العمل[4] ، ويَستثنِى بالتعديَةِ عمّن آهتَدَى وهَلَك وتَسَحَّب[1] ، كلّ آسم بمقتضَى مشروحه المشهودِ فيه ، ويبرز بما تحرّر بعد ذلك ؛ ومنهم من يُوصِل الجميعَ على ما آستقرّتْ عليه الحالُ الى آخر السنة الماضية ، ويَستخرِج ممّن آستخرج منه ، ويعتدّ[5] بما يجب على آلمهتدى والهالكِ والمتسحِّب[1] محسوبا فى باب المحسوب قَبل فَذْلكة الواصل فى الرِّقاع — على ما نبيّنه إن شاء الله فى الأوضاع الحسابيّة — ويكون ماعلى النازحين موقوفا الى أن يتحرّى أمرهم ؛ فإن عاد أحدٌ منهم الى ذلك الإقليم ولم يكن قد قام بالجزية فى بلد آخر آستُخرِجتْ منه ، ووَرَدتْ فى باب المضاف فى حساب السنة ، وإن كان قد قام بالجزية فى بلد آخرَ وأُحضر وُصولَ مباشِرِ تلك الجهة بما آعتدّ له

---

(١) تسحب : أى نزح من بلد الى بلد آخر ، ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة بهذا المعنى ، والظاهر أنها عامية .

(٢) فى الأصل : «عن» ، وهو تحريف ، واللغة تقتضى ما أثبتنا .

(٣) انظر الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر .

(٤) يريد بالعمل هنا : مايسميه الكتّاب بالقائمة ، كما يرشد اليه السياق ، وسيأتى هذا اللفظ مرادا به هذا المعنى فى موضع آخر ، وسننبه عليه فى مكانه .

(٥) يقال : اعتددت بالشىء : أى أدخلته فى العدّ والحساب (المصباح) .

به عن تلك السـنة ، نقل[1] مَبلغ الوُصول على تلك الجهة التى حضر وُصولهـا قربت أو بعـدت ، وآستشهد فى حسابه بمقتضى الوُصول ؛ وكلتا الطريقتين سائغـةٌ عند الكُتّاب ؛

وأما النوابت[2] والطّوارئ فإنهـا ترِد فى باب المضـاف باتفاق الكُتّاب فى أوّل سنة ، وتستقِرّ أَصْلا فى السنة التى تليها وما بعدها ؛ ويحتاج المباشر الى تفقّد أحوال النوابت فى كلّ مدّة لِآحتمال بلوغ صبيٍّ فى أثناء آلحوْل ، واختبار ذلك بأمور شرعيّة واصطلاحيّة : أما الشرعيـة فبإنبات الشّعر[3] الخشِنِ[4] ، أو بكمال خمسَ عشرةَ[5] سنة ؛ وأما الآصطلاحيّة فبآنفراق[6] رأسِ الأنف ، وغِلَظ الصوت ، و بظهور شيء على حلَمة الثّـدْيِ من باطنه كالتُّرمُسة ، و بأن يُدارَ خَيطٌ على عنق الصبيّ مرّتين تحريرا ، ثم يوضَع طرفُ الخيط بين أسنانه وتُدخَل أُنْشُوطةٌ[7] فى رأسـه ، فإن دخلت دلّ ذلك على بلوغه ، و إلا فلا ؛ وآصطلَح بعضُ مباشرى الجوالى فى بعض الأقاليم على إلزام عُرَفاء الذمّة[8] بالمطالَعـةِ بكل صبيٍّ يُولَد لوقتِـه ، و بمن هلك منهم ، و يرصع[9] أسماءهم

(١) فى الأصل : « ونقل » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٢) انظر الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

(٣) يقال : أنبت الغلام ، اذا نبت شعرعانته ، وهو حدّ معتبر لبلوغ صبيان أهل الذمة لأنه لا يمكن الوقوف على سنهم لآتهام أقوالهم .

(٤) فى الأصل : «الحسن» ؛ وهو تصحيف .

(٥) عبارة الأصـل : « أو الكمال فن عشرة » ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا إذ به يسـتقيم الكلام ؛ وتحديد سن البلوغ بخمس عشرة سنة مذهب الشافعى وأبي يوسف ومحمد ، وعليه الفتوى عند الحنفية .

(٦) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٧) الأنشوطة : ربطة دون العقدة ، إذا شدّت من أحد طرفيها آنحلت .

(٨) الذمة ، أى أهل الذمة .

(٩) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٠ من هذا السفر .

فى جريدة مفردةٍ بهم ، فمن بلغ عمره ثلاثَ عشرةَ سنةً استَخرَج منه الجزيةَ سواء ظهرت أماراتُ بلوغه أم لا ، ويلازم المباشرُ الكشفَ والتنقيبَ عمّن لعلّه أُخفِيَ من الرواتب، أو استجدّ من الطّوارئ والنّوابت ولم يَرِد الدفع، فمن ظهر له أمرُه استَخرَج الحاليةَ منه لاستقبال وجوبها عليه، ويقابل من أخفاه بالإهانة والنكال؛ والمباشَرةُ تُظهِر ما لا تحيط به الكُتُب؛ هذا ما يتعلّق بالجوالى، فلنذكر الخراجىّ — إن شاء الله تعالى — .

ذكر جهات الخراجىّ وأنواعه وما يحتاج اليه مباشره

(٤٧) والخراجىُّ عبارةٌ عما يُستأدَى مسانَهةً مما[١] هو مقرَّرٌ على الأراضى المُرصَدة للزراعة والنخلِ والبساتينِ والكرومِ والطواحينِ السنويّةِ التى تدور أحجارُها بمياه السيول فى الجهات الشاميّة[٢]، وما يُستأدَى من خدم الفلّاحين، ويسمّى ذلك بمصر: الضِّيافة، وبالشأم: رَسْمَ الأعياد والخميس، وهو أغنامٌ ودَجاجٌ وكَشْكٌ[٣] وبَيض — على ما استقرّ على كلّ جهة — وهو إنما يكون على النواحى الإقطاعيّة غالبا، وأما فى نواحى الخاصّ فلا يُستأدَى، لما هو مقرر على الأراضى بمصر من الحقوق التى تُستخرَج دراهمَ، وبالشأم من التّضْييف[٤] المقرّر عليهم فى أيّام الفتح[٥] عن مدّة ثلاثة

(١) فى الأصل : « ممن » ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «فى المياه» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٣) فى شرح القاموس أن كسر الكاف فى هذا اللفظ مما ولعت به العامة .

(٤) فى الأصل : «المضيف» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما تقتضيه اللغة .

(٥) فى الأصل : «القسم» ؛ وهو تحريف إذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ولعل صوابه ما أثبتنا فانه يريد صلح عمر رضى الله تعالى عنه لنصارى الشأم على ضيافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام مما يأكلون من غير أن يكلفوا ذبح شاة ولا دجاجة وتبييت دوابهم من غير شعير، وجعل ذلك على أهل السواد دون المدن . الأحكام السلطانية ص ١٣٨ طبع مصر .

أيام؛ ومن أبواب الخراجىّ ما يُستأدَى بالشأم فى خدمة رؤساء الضِّيَاع فى مقابلة ما لهم من المُطلَقِ والوُلاةِ والوكلاءِ والنُّقباءِ والصَّيارِفةِ والكيّالين والضَّوئيّة (١) فى مقابلة ما يستأدونه من الرسم ، وذلك يَرِد فى أبواب المضاف؛ والخراجىُّ تختلف أحكامه وقواعده بمصر والشام؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

أما الديار المصريّة وأوضاعها وقوانينهـا وما جرت عليـه قواعدها على ما آستَقَرّ فى زماننا هـذا وتَداوَله الكُتّاب، فقانون الديار المصريّة مبنىٌّ على ما يَشمَله الرِّىُّ من أراضيها و يعلوه النيـل ؛ وقد ذكرنا فى باب الأنهار فى الفن الأول من كتابنا هذا نيلَ مصر، ومَبدأَه، والآختلافَ فيه، وما يَمُرّ عليه من البـلاد، وكيفيّةَ الآنتفاعِ به مِن حفْرِ التُّرَع ، وضـبْطِ آلجُسور ، وتصريف الميـاه عن الأراضى بعد رَيِّهـا ؛ ونِيلُ مصر هو من أعاجيب الدنيا ، وقـد رُوِىَ عن ذى القرنين أنه كتب كتابا عمّـا شاهده من عجائب الوجود فذَكَر فيه كلَّ عجيبة، ثم قال فى آخره : وذلك ليس بعَجَب ، ولكنّ العَجَب نِيلُ مصر، ولولا ما جعل الله تعالى فيـه من حِكمة هذه الزيادةِ فى زمن الصيف على التدريج حتى يَتكامَل رِىُّ البلاد، وهبوطِ المـاء عنها عند بَدْءِ وقتِ الزراعة لفسد أمرُ هذا الإقليم، وتَعذَّرتْ سكناه، إذ ليس به أمطارٌ كافية ولا عيونٌ سارحةٌ (٢) تعمّ أراضيَه، وليس ذلك إلا فى بعض إقليم الفيّوم؛ فسبحان من بيـده الخلقُ والأمرُ القادرِ على كلّ شىء، والمدبرِ لكلّ شىء، سبحانه وتعـالى لا إله إلاّ هو .

(١) فى الأصل : «الصوية» ؛ وهو تصحيف . والضوئية : نسبة الى الضوء، والمراد بهم الذين يحملون المصابيح و يمشون بها ليلا، ولا تزال طائفة منهم الى وقتنا هذا تعرف بهـذا الآسم وان لم يعملوا ذلك الآن .

(٢) السارحة : الجارية .

والذى يحتاج إليه مباشرُ الخراج بمصر و يَعتمِد عليه فى مباشَرته أنه اذا شَمِل الرِّىُّ أرضَ الجهة التى يباشرها أن يبدأ بإلزام خوَلَة(١) البلاد بَرفع قوانين الرِّىّ، وصورتُها أن يكتب فى صدر القانون ما مثالُه : قانونٌ رَفَعَــه كلٌّ واحدٍ من فلان وفلان الخوَلَة(١) والمشايخ بالناحية الفلانيّة، بما شَمِله الرِّىُّ وعلاه النِّيلُ المبارك من أراضى الناحية لسنة كذا وكذا الخراجيّة، وهو من الفُدُن(٢)، ويذكُرون جملةَ قانون البلد، و يُفَصِّلونه بالرِّىّ والشَّراقِى، فالرِّىُّ : ما شَمِله النيل . والشراقِى : ما لم يشمله، ولِلرِّىّ تفصيل : منه ما هو نَقاء(٣)، ومنه ما هو مزروعٌ، ونِحرْسٌ، وغالب، ومستبحر، و يُفَصَّل بقبائله(٤)، و يُشْرَح فى كل قَبالة هذا التفصيل، والنقاء : هو الطينُ السوادُ(٥) الذى يَصلُح للزراعة ويَنبُت فيــه اذا لم يُزرَع الكلأُ الصالحُ للرَّعْىِ(٦)، ويسمَّى نبــاتُه بصعيد مصر : الكُتَّيح(٧)، وهو نباتٌ تَستغنِى به الخيلُ والدوابُّ والمــاشيةُ عن البِرسيم(٨). وأما المزروع :

(١) كذا ورد هذا الجمع فى الأصل بالتاء؛ ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة، وواحده خولى، وفى مستدرك التاج أنه هو الذى يقيس الأرض بقصب المساحة .

(٢) الفــدن بالضم — والعامة تكسر الفاء — : جمع فدان بتخفيف الدال، وهى لغة فى الفدان بالتشديد؛ قال فى شفاء الغليل ما نصه : الفدان : نبطى معرّب ويخفف ويشدّد جمعه فدن وأفدنة الخ . وكذلك فى كتاب المعرّب للجواليق؛ والذى يستفاد من شرح القاموس أن الفدان للقدار المعلوم بتشديد الدال لا غير .

(٣) النقاء فى الأصل : مصدر، وقــد أريد به هنا اسم المفعول، أى الأرض النقية مما يعوق الزارعين عن زراعتها .

(٤) القبائل : جمع قبالة بفتح القاف، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها، أى يضمنونها بمبلغ من المــال يؤدّونه عنها فى كل سنة .

(٥) السواد : أى ذو السواد، وهذه التسمية لا تزال مستعملة بين العامة حتى اليوم .

(٦) فى الأصل : « للزرع »؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : «الكثيح» بالثاء المثلثة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما فى مستدرك التاج .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس، والذى فى شرحه أن فتح الباء من لغة العامة .

فهو ما عادتُه أن يُزرَع فى كلّ سنة . وأما الخِرْس : فهو الأرض التى تَنبُت فيهـا الحَلْفاء[١]، فلا تُزرَع إلا بعـد قلعها منها وتنظيفها، وقَطِيعتُه[٢] دون قطيعة النَّقاء. وأما الغالب : فهو ما غَلَبتْ على أرضه الحَلْفاء وتكاثفتْ فلا تُقلَع إلّا بكُلْفة، وقَطِيعتُه دون قطيعة ٱلخِرْس، وقلّما يُزرَع، وأكثرُ ما يكون ٱلخِرْس والغالبُ ببلاد الصعيد الأعلى لسعتها[٣]، وكثرة أرضها، وتعطيلها من الزراعة سـنةً بعد أخرى . وأما المستبحِر : فهـو أراضى الخلجان المشـتَغلة التى تستمِرّ المياه فيهـا إلى أن يَفُوت (٤٨) زمنُ الزراعة، فمنها ما يبُور، ومنها ما يُزرَع مَقاثِئَ[٤]، وقَطِيعتُه متوسّطة، وتكون غالبـا بالدراهم دون الغلّة. وعندهم أيضا ٱلترطيب[٥]: وهو الذى تَخلّلت المياه باطنَ أرضه شبه النّزّ[٦] ولم تَعلُها، ولا تَصلُح لغير المقاثئ؛ فاذا رُفِع الى المباشر قانونُ الرّى أشهدَ فيه على رافعِيه[٧] بأن الأمر على ما تَضَمَّنه؛ ثم ينظُرُ المباشرُ إلى سنة يكون نيلها نظيرَ نيل تلك السنة، ويبرز الكشوف، ويُحضِّر[٨] البلد على الفلّاحين القَراريّة نظيرَ ما حضَّروه فى السـنة الموافق نيلُها لنيل تلك السـنة الحاضرة[٩]، ويُشهِد على كلّ مزارِع بمـا يُسجِّله من

(١) الحلفاء : نبت من الأغلاث، وقلما تنبت الحلفاء إلا قريبا من ماء أو بطن واد، وهى سلبة غليظة المس، وتأكل منها الإبل والغنم أكلا قليلا، وهى أحب شجرة إلى البقر .

(٢) القطيعة : الضريبة .

(٣) فى الأصل : «الأغلال»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٤) المراد بالمقاثئ هنا : أنواع القثاء، فهو مجاز من إطلاق الموضع وارادة ما يكون فيه .

(٥) فى الأصل : «الترتيب»؛ وهو تحريف؛ يريد : الأرض ذات الترطيب .

(٦) فى الأصل : «النزز» ولم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة؛ وكسر النون فيه أجود من فتحها وهو فارسى معرب .

(٧) فى الأصل : «بايعيه» وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : «ويحصر» بالصاد، وهو وان صح معناه إلا أن الذى يمنع منه قوله بعـد ذلك فى ص ٢٤٩ س ١١ فاذا تكامل تحضير البلد على المزارعين القرارية؛ الخ والظاهر أن المراد بالتحضير : التسجيل، كما يدل عليه قوله بعد : «ويشهد على كل مزارع بما يسجله» وهو من المحضر بمعنى السجل، كما فى كتب اللغة .

(٩) فى الأصل : «الحاصرة» بالصاد؛ وهو تصحيف .

أراضى كلِّ قَبالة وقَطيعتها[١] المستقرة، ويعيِّن منها ما هو بحقوق وما هو بغير حقوق، والحقوقُ: دراهمُ يَقُوم بها المزارع عن كلِّ فدّان غير الغلّة، وتكون من أربعة دراهمَ إلى درهمين، والغلّةُ بحَسَب قَطيعة الأرض وعادتها، وأكثرُ ما عُرِف من الخراج عن كلِّ فدّان — وهو أربعمائة قصبة بالقصَبة الحاكميّة[٢]، والقصَبةُ ستة أذرع وثلثا ذراع بذراع القماش — ثلاثة أرادبّ[٣]، وهذه الأرض جزيرةٌ بالأَقْصُر من أعمـال قُوص، وأقلّ ما علمناه من القطيعة عن كل فدان سـدسُ إردبّ، وهى فى الأراضى التى غَلَبت عليهـا الأحراسُ وقلّ الانتفاع بهـا، فهى تُسَجَّل بهذه القطيعة عليها، وتتصلح فى المستقبل؛ وأما الأراضى التى تُسَجَّل بالدراهم فأكثرُ ما علمناه بأراضى الجـيزيّة[٤] قُبالةَ فُسطاط مصر عن كلِّ فـدّان مائتان وخمسون درهما، وهو كثير فى أراضيها وسُجِّل فى بعض السنين ثلاثةُ أفدنة بألف درهم، ولَم تستقِرّ هذه القَطيعة، وهـذه الأراضى تُزرَع غالبا كتّانا؛ فاذا تكامل تحضير[٥] البلد على المزارعين القَراريّة والطّوارئ نظم المباشرُ أوراقا بجمـلة ما آشتمل عليه التحضيرُ[٥] مفصَّـلةً بالأسماء والقبائلِ[٦] والجزائر

---

(١) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٦ عند الكلام على القصبة الحاكية: كأنها حررت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت اليه، وطولها ستة أذرع بالهاشمى، وخمسة أذرع بالنجارى، وثمانية أذرع بذراع اليد.

(٣) فى الأصل: «ثلاثة عشر اردبا» ولم نجد هذا المقدار فيما راجعناه من المصادر التى بين أيدينا، كخطط المقريزى وقوانين الدواوين وصبح الأعشى وغيرها وما أثبتناه هو الموافق لما ورد فى هذه الكتب، فقد جاء فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ نقلا عن ابن مماتى أن قطيعة القمح كانت الى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فدان ثلاثة أرادب ثم إنه تقرر عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة عن كل فدان إردبان ونصف إردب.

(٤) فى الأصل: «الخيرية»؛ وهو تصحيف.

(٥) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر.

(٦) تقدم تفسير القبائل فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

والحُروف ، وتَكتُب عليهـا الشهودُ الذين حُضِرُ(١) البلد بحضورهم، ثم يَصْرِف لكلّ مزارع ما جرت العادة به من التّقاوِى(٢) بحَسَب ما يُسَجِّله ، ويكون ما يَصرِفه من التقاوى من أطْيَب الغلال وأفْضَلِها وأنْصَعها، ثم يَبسُط جريدةً على أوراق السجلّات يَشرَح فيها آسم كلّ فلّاح وما يُسَجّله من الفُدُن(٣) ، ويفصِّل ذلك بقبائله وجهاتِه وقطائعه؛ فاذا نبت الزرعُ وآستوى على سُوقه ندَب عنـد ذلك من يباشر مساحة الأراضى : من شادٍّ وعُدولٍ ذوِى خِبْرة بعلم المساحة ، وكاتبٍ عارفٍ خبيرٍ أمين، وقصّابين : وهم الذين يقيسون الأراضىَ بالأحكام(٤) الحاكيّة المحرَّرة؛ فيمسحون الأراضىَ المزروعةَ بأسماء أربابها وقبائلِها ، ويعيِّنون أصنافَ المزروعات بها ، ويكون مباشرو المساحة قد بسطوا أيضا سِجلّات التحضير، فإذا تكاملت المساحة نظم مباشروها أوراقا يسمّونها : المكلّفة ، يترجَم صدرُها بما مثاله مكلّفةُ تأريخِ(٥) فُنْداقِ مساحةِ الأراضى بالناحية الفلانيّة لمُغَلّ سنةِ كذا وكذا الخراجيّة . والتأريخُ(٥) : هو الأوراق التى يبسُطها مباشرُ المساحة بما فى السِّجلّات ويختِمها(٦) بمـا انتهت اليه المساحة . والفُنْداق : هو عبارة عن التعليق، وهو الذى تُكتَب فيه المساحاتُ حالَ قياسها . فإذا انتهت ترجمةُ صدرِ المكلّفة عَقَد

(١) انظر الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٤٨ من هذا السفر .

(٢) التقاوى : ما يعزل من الحبوب للزرع ، وهى عامية .

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٤) بالأحكام : أى بحسب الأحكام؛ ويريد : أحكام المساحة؛ وقد تقدّم بيان القصبة الحاكية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٩ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : «تاريخ» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى القاموس وشرحه ، فقد جاء فى مادة «أرج» ما نصـه : والأوارجة من كتب أصحاب الدواوين فى الخراج ونحوه؛ ويقـال : هذا كتاب التأريج الخ .

(٦) فى الأصل : «يخدمها» بالدال؛ وهو تحريف .

جملةَ فُذُنها[١] فى صدرها وفصَّلها بأصناف المزروعات وأسماء المزارِعين، فإن طابقت المساحةُ السِّجلّات من غير زيادة ولا نقص قال : وذلك بمقتضَى السِّجلّات، وإن تميّزتْ قال: ما تضمّنته السِّجلات كذا، زائدُ المساحة كذا، وإن نقَصتْ ذَكَرَ ماصحّ بمقتضَى مساحته، وكمّله بالقلم تَتِمّةً[٢]، وإن نَقَص مزارعٌ عن سجلّه فى قَبالةٍ وزاد على سِجلّه فى قَبالةٍ أخرى كَمَّل[٣] عليه ما نقص بمقتضَى سِجلّه، وأورد ما زاد فى القَبالة الأخرى زيادة، ولا يَنقُل الزائدَ إلى الناقص، ويُلزِمه المباشرُ بالقيام بخراج مانقص من تلك القبالة ومازاد فى الأخرى؛ هذا مصطلَحُهم، وليس هو منافيا للشرع، إلا أنّى أرى فى هذا النقص تفصيلا هو طريقُ العـدل والحقّ، وهو إن كان النقص مع وجود أرضٍ بائرة[٤] بتلك القَبالة لَزِمه القيامُ بخراج النقص، لأنه عطّلها مع قدرته على الآنتفاع بها وزراعتِها؛ ويسلّم إليه من الأراضى البـائرة التى شَمِلها الرِّىُّ بتلك القَبالة نظـيرَ ما نَقَص عنده لينتفع بما لعلّه نبت فى تلك الأرض من الكَلَإ ؛ وإن كان النقص مع تغليق[٥] أرضِ تلك القَبالةِ بالزراعة فلا شىء عليه لأنه لم يتسلّم ما بسِجلّه ، ويعتدّ له بـما لعلّه زاد على تسجيل غيره بتلك القَبالة ، فإنه يعلم بالضرورة القطعيّـة أن الذى زُرِع بهـا أكثرُ مما بسجلّه أُخذ من جمـلة سجلّ غيره؛ وإن صحّت تلك القَبـالةُ فى جميع[٦] المزارعين بمقتضى سجلّاتهم بغير زيادة، ونَقَص عنـد واحد بعينه

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) هذه الكلمة فى الأصل مهملة الحروف من النقط .

(٣) كمل عليه : أى كتب ذلك عليه كاملا وإن لم يكن كاملا عند المساحة .

(٤) فى الأصل : «مباشرة»؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « تعليق » بالعين المهملة ولم نجد من معانيـه ما يناسب سياق الكلام ؛ والمراد بالتغليق : التكميل والتتميم ؛ والظاهر أن هـذا الاستعمال عامى كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر.

(٦) فى جميع : أى فى مساحات جميع .

جميعُ ما ٱشتملت عليــه المساحة بهــا ، فإن وافق جمــلةَ قانونها تَعيَّن أن الخلل إنمــا جاء من قِبَــل المباشر، لأنه سَجَّــل فى قَبالة أكثرَ من قانونها ، فلا يُلزَم المزارعُ بالنقص؛ هذا هو العدل والإنصاف، فمن خرج عنه فقد ظلم وحاف ؛ فاذا تَكَمَّلتْ تكملة المساحة وضع المبــاشرُ زائدَ مساحةِ كلِّ ٱسمٍ تحت ٱسمِه ، وضمّه إلى سجــلّه ، ورفَع(١) الجملَة بالعَين والغلّة ،وأضاف [إلى](٢) كلِّ ٱسم مالعلّه قدتَسلَّمه من تَقاوٍ وقُروض، (٤٩) وما عليه من عُشْرٍ ووفرٍ ورسوم ، وما لعلّه ٱنساق من الباقى الى آخر السنة المــاضية إن كان؛ وهم(٣) يُضيفون عُشْرَ التقاوى ،وهو حرام لا شُبهَةَ(٤) فى أخذِه، وهو الرِّبا بعينه ، فإنه يُقرِض الرجلَ عشرة فيأخذها أحدَ عشَر؛ ويُضيفون أيضا فى بعض البلاد عُشرَ العُشر فيَقبِضُ كلَّ مائة إردبٍّ مائةَ إدربٍّ وأحدَ عشرَ إردبّا؛ وإنمــا ٱشتدّت هذه المظالم وأُحدِثت من قِبَل أرباب البذول(٥) الذين يَقترِفون(٦) المظالم ولا يجدون من يردعهم ويرُدّهم عنها فتستمرّ ، وهى من السنن السيئة التى عليهم وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بها إلى يوم القيامة .

---

(١) فى الأصل : « ربع » بالباء، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا؛ يقال : رفع الحاسب حسابه : اذا عدّده ثم أجمله ، و يقال لجملته وفذلكته : مرفوع؛ وهذا اصطلاح للحساب والكتّاب مشهور فى كتبهم ورسائلهم انظر شفاء الغليل .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل؛ واللغة تقتضى إثباتها .

(٣) فى الأصل : « وهو »؛ وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « مالا شبهة » وقوله «ما» زيادة من الناسخ ، فان المعنى عليها غير ظاهر، ولعل صواب العبارة ما أثبتنا اذ به يستقيم الكلام . والشبهة : الالتباس، يريد أنه لا التباس فى حرمة أخذه .

(٥) لعله : « البذور » بالراء جمع بذر، وهو ما يعزل من الحبوب للزراعة .

(٦) فى الأصل : «يقتفون» بسقوط الراء .

ثم يَعقِد المباشر على جميع ذلك جملةً ويشْطُبها[1] بما يستخرجه منه ويحصّله ، والذى تنعقد عليه الجملة هو ما تعيّن عليه للديوان أنجَب زرعُه أو لم يُنجِب ؛ ومهما آستخرجه منه وحصّله وأحال به كَتَب به وُصولا ؛ فإذا غَلَّق[2] كلُّ آسمٍ ما عليه أجاز عليه إشارةَ التغليق، وإن بقِىَ عليه شىء ممّا تعيّن عليه طَرَدَه للباقى ؛ هذا حكم الأرض التى تُسجَّل بالغلّة ؛

وأما ما يُسجَّل بالنقد فإنه تَتَساوَى عليه ثلاثةُ أقساط أو قسطان : قسطٌ من ثمن البِرسيم الأخضر عند إدراكه وبيعه لربيع الخيل، وقسطٌ من الكّتان عند قلعه إن كان، وقسطٌ عند إدراك المُغَلّ والمَقاثئ، ومنهم من يسجِّل بالنقد الحاضر جملةً واحدةً فى وقت السجلّ؛ هذا حكم خراج الزراعة .

وأما الخراج الراتب ، فهو لا يكون إلا بالنقد عَينا[3] أو فضّة ؛ وهو خراج السواقى والبساتين والنَّخيل ؛ وذلك أن أربابه يقاطعون[4] الديوانَ على فُدُن[5] معيَّنةٍ بمبلغ معيَّنٍ عن كلّ فدان فى كلّ سنة يقومون به فى أوقات معلومة ، رَوِيَت الأرضُ أو شَرَّقت[6]؛ وهم يَحفِرون فى تلك الأراضى آبارا بقدر ما يعلمون أن المياه التى تطلع منها تُروِى تلك الأراضىَ، ويركِّبون على أفواه الآبار السواقىَ

(١) فى الأصل : «ويبسطها» ؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) فى الأصل : «علق» بالعين المهملة ؛ وهو تصحيف لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ وغلق بالغين المعجمة من التغليق ، وهو التتميم والتكميل والظاهر أنه عامىّ — كما سبق بيان ذلك فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر — فكأن المزارع اذا دفع كل ما عليه فقد أغلق باب المطالبة .

(٣) العين : ما ضرب من الدنانير .

(٤) يقاطعون، من القطيعة : وهى الضريبة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر .

(٦) ذكر فى مستدرك التاج أن مصدره التشريق ، ولذلك ضبطناه بتشديد الراء .

المتّخَذة من أخشاب السنط وما ناسبه، المشهورةَ بالخرير(١) التى تُعين على رفع المـاء ويسمّونها بديار مصر: المَحال(٢)، وبحماةَ: النواعير، إلا أن النواعير تَدُور بالمـاء، وهذه تدور بالأبقار؛ ويزرعون عليها بتلك الأراضى ما أحبّوه وآختاروه من أصناف المزروعات والغُروس لا يطالَبون عليهـا بغير الخراج المقرّر، إلا أن ينْصبوا القصبَ(٣) فلا يُقتصر منهم عند ذلك على الخراج، بل للديوان على الأقصاب مقرّرٌ يستأديه عن كلّ فدّان؛ ويُستأدَى خراجُ الراتب على أقساط فى زمن الثمار والأعناب والفواكه وعند ضَرْبِ الوَسْمة(٤) — وهى النِّيل الذى يُصبَغ به اللونُ الأزرق — وخراج الراتب يستأدَى ممن هو عليه، زَرَع أرضَه أو عَطّلها، وهو لا يبطل بوفاة المُقاطَع(٥) على الأرض، بل ينتقل على ورثته، ويطالَبون به أبدا ما تعاقبوا وتناسلوا، ولا يوضع عنهم إلا إن آبتلع البحرُ الأرضَ المُقاطَع عليهـا بعد أن يعملوا بذلك مشاريحَ(٦) تُثبِت عند حاكم البـلد أن البحر آبتَلع(٧) تلك الأراضىَ بكمالها أو بعضها، ولا يَنهض مباشرُ الناحية أو ناظرُ العمل

(١) الخرير: صوت المـاء.

(٢) فى كتب اللغة أن المحال والمحالة: البكرة العظيمة التى يستقى عليها، سميت بذلك لأنها تدور فتنتقل من حالة إلى حالة.

(٣) نصب القصب: هو أنهم اذا هيأوا الأرض لزرعه يلقونه فيها قطعتين، قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضا وتفرز لها جداول يصل المـاء منها الى الأحواض، ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاث أنابيب كوامل وبعض أنبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها خطط المقريزى ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق وسيأتى ذلك أيضا عند الكلام على زراعة القصب.

(٤) ضرب الوسمة: هو أن يضربوا شجرها بعد جفافه لينحت الورق عنه ويسقط.

(٥) المقاطع: هو الذى جعلت عليه قطيعة أى ضريبة يؤديها إلى الديوان.

(٦) فى الأصل: «مشارعا»، وهو تحريف؛ ويرشد الى ما أثبتنا ورود هذه الكلمة فى ص ٢٤٣ س ٣، ٤ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «اقتلع» بالقاف؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما سبق.

بوضعه مع وجود المَحضَر[١] الثابت[٢]، بل يحضر المقاطع على الأرض أو من انتقَلتْ اليه بالإرث أو الأبتياع الى باب السلطان، ويرفع قصّةً الى الوزير بصورة الحال، ويوقّع عليها بقلمـه أن[٣] يُوضَع عنه من خراج الراتِب بقدر ما ٱبتاعه البحرُ بمقتضى المَحضَر، ويستمرّ حكمُ ما بقَ، ويكتب على ظهر قصّته : توقيعٌ شريفٌ سلطانيّ، ويُثبَت بدواوين الباب السلطانيّ، ثم يُثبَت بديوان العمل ٱلجامع، ثم ينزل فى ديوان البلد التى بها تلك الأرض، ويُوضَع عند ذلك من الضريبة الديوانية؛ هذا حُكمُ الخراج بالديار المصريّة وقاعدتُه والعادة فيه .

وأما جهات الخراجىّ بالشام وكيفيّتها وما يعتمد عليه مباشروها — فإن قانون البلاد الشاميّة مبنىٌّ على نزول الغيث، ووقوعِ الأمطار فى إبّانها وأوقاتِ[٤] الأحتياج اليها، فمن ذلك المطرُ المسمّى: الوَسمىّ، وهو الذى يقع فى فصل الخريف، وعند وقوع هذا المطر يُخَدُّ[٥] شَقُّ الأراضى المكروبةِ[٦] بالسِّكك[٧]، ثم يُبذَر الحبُّ فيها، ويعاد شقُّ الأرض عليه ليَخفَى عن الطير[٨] خشيةَ ٱلتقاطه، فإذا نزل عليه المطر الثانى (٥٠)

---

(١) المحضر : خط يكتب فى واقعة خطوط الشهود فى آخره بصحة ما تضمنه صدره؛ وهو اصطلاح حادث ليس من اللغة، كما فى القاموس وشرحه .

(٢) فى الأصل : « النايب » بالنون والياء؛ وهو تصحيف .

(٣) فى الأصل : « أو »؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٤) موضع هذه الكلمة فى الأصل حروف مطموسة تتعذر قراءتها، ولم يتضح لنا منها غير الواو الأولى والألف التى بعدها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٥) فى الأصل : «يحدّ» بالحاء المهملة؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا؛ يقال : خدّ الأرض خدّا: إذا شقها .

(٦) المكروبة : المحروثة، يقال: كربت الأرض كربا وكرابا بكسر الكاف : إذا قلبتها وأثرتها للزرع.

(٧) السكك : جمع سكة بكسر السين، وهى حديدة المحراث التى يحرث بها .

(٨) فى الأصل : «الطين»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، كما يدل عليه التعليل .

بعد ذلك نَبَت وبرَز إلى وجه الأرض، وهو عند ذلك يسمّى : الأَحْوَى[(١)]، ثم لاتزال الأمطار تسقيه والأنواءُ تغذيه حتى يصير غُثاء، ثم يقع عليه بعد ذلك المطر المُسمّى بالمطر الفاطم، وهو غالبا يكون فى شهر نَيسانَ، ثم يعقد فيه الحبُّ بعد ذلك، وينتهى على عادة الزرع؛ هذا حكمُ ما يُزرع على الوَسمىّ .

ومن أراضى الشأم [نواحٍ][(٢)] يُغبّها[(٣)] الوَسمىُّ فيزرع سُكّانُها[(٤)] الحبَّ عَفِيرا، ومعنى ذلك أنهم يزرعون فى الأرض الحبَّ قبل إبّان الزرع وينتظرون وقوعَ الأمطار عليه؛ ومن غريب ما اتّفق فى بعض السنين أنهم أودَعوا الحبَّ الأرضَ على عادتهم فلم تَسقط عليه الأمطارُ فى تلك السنة، فاستمرّ فى الأرض إلى العام القابل، وأيس أهلُ البلاد منه، وزرعوا فى السنة الثانية شطرَ الأراضى التى كانت كِرابا غيرَ مزروعة — فإن عادتهم بسائر بلاد الشأم أن كلَّ فلّاح يَقسِم الأراضىَ التى بيده شطرين، فيزرع شطرا، ويُريح شطرا، ويتعاهده بالحرث لتَقرَع الشمسُ باطنَ الأرض، ثم يزرعه فى القابل ويُريح الشطرَ الذى كان به الزرع؛ هذا دأبهم، خلافا لأراضى الديار المصريّة، فإنها تُزرَع فى كلّ سنة — فلما وقعت الأمطار نَبَت الشطران معا، وأَقبَلت الزراعاتُ فى تلك السنة، فتضاعَف المُغَلّ، وهذا غريبٌ نادر الوقوع .

---

(١) الأحوى من النبات : ما يضرب إلى السواد من شدّة خضرته، وهو أنعم ما يكون منه .

(٢) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصل؛ واستقامة العبارة تقتضى إثباتها .

(٣) يغبها : أى يتأخر عنها؛ والذى فى الأصل : «يقع بها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق، فإن ما قبله من الكلام فيما إذا نزل المطر قبل الزرع، فيقتضى أن يكون مقابله فيما إذا تأخر نزول المطر عن الزرع .

(٤) فى الأصل : «مكانها»؛ وهو تحريف .

ومن أراضى الشأم ما يسقَى بالمياه السارحة من الأنهار والعيون، وتكون مقاسمةُ أرضِه أوفرَ من مقاسمة ما يسقَى بالأمطار، وقيمةُ الأملاك بها أرفع[١] وأغلَى من تلك، ويكون غالبا فى الأراضى المسْتَفِلة[٢]، والله تعالى أعلم .

والذى يعتمده مباشر الخراج ببلاد الشأم أنه يبدأ بإلزام رؤساء البلاد بتغليق[٣] أراضيها بالزراعة والكِراب[٤]، ومصطلَحُهم فى ذلك أن يقولوا : أحمرَ وأخضرَ، يَعنُون بالأحمر : الكِراب، وبالأخضر : الزرع شَتويّا أو صيفيّا[٥]، ويَعنُون بالشَّتوىّ : القمحَ والشعيرَ والشُّوفانَ[٦] والفولَ والحِمَّصَ والعدسَ والكِرْسنّة[٧] والجُلُبّان[٨] والبسْتِيلية

(١) لم يتضح لنا فى الأصل من هاتين الكلمتين غير بعض حروفهما وسائرها مطموس تتعذر قراءته ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا . (٢) فى الأصل : « المستقلة » ؛ وهو تصحيف . ويريد بالمستفلة : ما اطمأن من السهل وسفل .

(٣) فى الأصل : « تعليق » ؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق ؛ ويريد بالتغليق التكيل والتتميم ؛ والظاهر أن استعماله فى هذا المعنى استعمال عامىّ ، كأن الشىء اذا كمل فقد أغلق باب الزيادة فيه ؛ وقد سبق ذلك أيضا فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٣٠ والحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٥١ من هذا السفر .

(٤) الكراب : الحرث . (٥) فى الأصل : «صيفيا أو شتويا» والأولى تقديم الشتوىّ كما أثبتنا إذ هو مقتضى صنيعه بعد فى ذكر النباتات الشتوية قبل الصيفية .

(٦) الشوفان ، ذكر فى بعض الكتب باسم السلت ، والسلت : ضرب من الشعير يتجرد من قشره ، ولعل المراد من ذلك نوع من الشوفان يسمى بالمقشر ، أى الذى يخرج عاريا من قشره ؛ والشوفان نبات من الفصيلة النجيلية ، وسيقانه تعلو من قدمين الى ثلاثة ؛ وهو أنواع كثيرة ، أشهرها الشوفان المستنبت ، وهو أهم علف للخيل ، وتعلفه أيضا الماشية والطيور ، فهو يسمن النعم ، ويزيد فى اللبن ، ويكثر بيض الطيور ، ويصنع الفقراء فى بعض الأماكن خبزا من دقيقه لكنه ردىء ، ويتخذ من الشوفان نشاء وبرغل اه ملخصا من دائرة المعارف للبستانى .

(٧) الكرسنة : شجرة صغيرة لها ثمر فى غلف تعلفه الدوابّ ، وهى الكشنى .

(٨) الجلبان : هو من القطانى بتشديد الياء ، أى الحبوب التى تطبخ ، وقال ابن البيطار فى مفرداته ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ طبع المطبعة الأميرية : الجلبان هو من القطانى المأكولة ، وله قضبان مربعة سباطية تنبسط على الأرض ، وله ورق حوالى القضبان الى الطول وله نوار الى الحمرة تخلفه مزاود فيها حب مدوّر الى البياض حلو ، ويؤكل نيّا فى الربيع ، ثم يجف ويطبخ .

وهى التى تسمّى بمصر: البِسلّى[(١)]، وبالساحل الطرابُلُسىّ: الحالبة؛ ويعنون بالصيفىّ: الذُّرَة والدُّخْنَ والسِّمسِمَ والأرُزَّ والحبّةَ السوداءَ والكُسْبَرَةَ والمَقَاثِئ[(٢)] والوَسْمَة[(٣)] والقِرطِمَ[(٤)] والقطنَ والقِنّب[(٥)]؛ ويَكتُب عليهم بذلك مشاريح أنهم لايبوّرون شيئا من الأراضى ومن بَوَّر شيئا منها كان عليه القيامُ بريع[(٦)] الغامر من[(٧)] نسبة العامر؛ فإذا زُرعت الأراضى وبدا صلاحُ الزرع، وأخذ الفول فى العقد خرج الوكلاء على الزراعة إلى النـواحى يحفظون الزراعة من التّطرّق إلى شىء منهـا، ويلازمونها إلى أن تُحصَـد وتُنقَل إلى البيادر[(٨)]؛ فعند ذلك يخرج الأمر بحفظ ما يصـل إلى البيادر[(٨)]، ويأخذون فى الدِّراس؛ فإذا تكامَل وطابت البيادر ولم يَبقَ إلا التّذريةُ أُخرِج مذرّيا — ووظيفة المذرِّى أنه يلزمهم بتخليص الغـلال من الأقصال وتنظيفها؛ فإذا فعلوا ذلك وخَلَصت الغـلال من الأتبان والأقصال وصارت بيادرَ صافيـةً خرج والى العمل ومباشروه إلى تلك الجهـة، وتقدّموا[(٩)] بتوزيع بيادرها على ضريبةِ الناحيـة وعادتها فى المقاسَمة، مناصَفةً — وذلك فى أراضى السَّقْى —، ومثالَثةً ومرابَعةً — وهو فى غالب

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج .

(٢) المراد بالمقاثئ هنا نفس القثاء ، وهو مجاز من اطلاق اسم الموضع وارادة ما يكون فيه .

(٣) الوسمة : ورق النيل الذى يصبغ به كما سبق فى صفحة ٢٥٤ س ٧ من هذا السفر .

(٤) القرطم : حب العصفر .

(٥) القنب : ضرب من الكتان ، وهو الغليظ الذى تتخذ منه الحبال وما أشبهها .

(٦) فى الأصـل : « بربع العامر » ؛ وهو تصحيف فى كلتا الكلمتين ؛ والمراد بالغـامر الذى لا نبـات فيه .

(٧) لعل صوابه « بنسبة » بالباء مكان « من » كما يدل عليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٣٧ طبع مطبعة الوطن ؛ وعبارته : « اذا استجعل المزارع أرضا على أن يزرعها مشاطرة بعـد أن شملها الرىّ ثم بوّر شيئا منها وجب عليه القيام بخراجه بالنسبة لمتحصل المشاطرة » الخ .

(٨) البيادر : المواضع التى يداس فيها الفول والحنطة ونحوهما ؛ واحده بيدر بفتح الباء .

(٩) يقال : « تقدّم إليه بالشىء » أى أمره به .

البلاد — ، ومخامَسةً ومسادَسةً — وذلك فى المزارع والنواحى الخالية من السكّان التى يزرعها المُسْتَكْرُوْن[١] — ، ومسابعةً ومثامَنةً — وذلك فى النواحى المجاورةِ لسواحل البحر والمتاخمةِ لأطراف بلاد العدوّ ؛ فإذا فرغ توزيعها أخذ المباشرون ما يخصّ الديوانَ من التوازيع ، ثم يُحزِر[٢] ما لعلّه تأخّر من الغلال فى عَرَصات البيادر والأقصالِ وأعقابِ التّبّانات والعفائر، ويؤخَذ منه ما يخصّ الديوانَ من نسبة[٣] المقاسَمة، ويحكَّم على الفلّاح على حُكم ضريبة ذلك العمل؛ وفى بعض النواحى يكون من المواسطة[٤]، فتُفرَد لها توزيعةٌ بمفردها ، ثم يؤخَذ من حاصل الفلّاح بعد الرسوم عشرُ ما بقى له ؛ وهذا غيرُ مطّرِد فى جميع البلاد ، فإنّ فى جهات الأوقاف والبِرّ وما يناسبها لا يؤخَذ العشرُ إلا من النصاب الشرعىّ ؛ وفى نواحى الخواصّ والإقطاعات يؤخَذ ممّا بقىَ للفلّاح من كلّ عشرة أجزاءٍ جزءا ممّا قلّ أوكَثُر بحسابه ؛ وفى بعض الأقاليم لا يُؤخَذ العشر من المزارعين الذّمّيّة ؛ وأما النواحى الإقطاعيّةُ والأملاكُ التى أعشارُها ديوانيّةٌ (٥١) فمنها ما عليه ضريبةٌ مقرَّرةٌ تؤخذ فى كلّ سنةٍ زاد المُغَلّ أو نَقَص ، ومنها ما يُندَب له من يقف على النواحى ويَحزُرُ[٥] ما بها من الغلال ويقدِّر العشرَ عنها ، ويكون هذا الحَزْرُ والزرعُ قائمٌ أو حصيدٌ قبل دِراسه، ثم يستعاد بعد ذلك من الفلّاحين ما لعلّه

---

(١) فى الأصل : « المشكرون » بالشين؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا .

(٢) يحزر : أى يقدر بالظن والحدس؛ والذى فى الأصل : « يحرّر » ؛ وهو تصحيف ، إذ لا يتأتى التحرير — وهو الضبط بدقة — فى هذه الحالة .

(٣) لعله « بنسبة » كما يدل عليه ما نقلناه عن قوانين الدواوين فى الحاشية رقم ٧ من صفحة ٢٥٨ ، فانظره .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل ؛ ولم يتضح لنا المراد به فى هذا الموضع .

(٥) فى الأصل : « ويحرر » ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق ؛ وقد سبق تفسير الحزر فى الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة .

عليهـم من التقاوِى[١] والقُروض، وتكون بمفردها مرصَـدةً لتقاوِى[١] السنة الآتيــة؛ ثم يُعتبَر ما يتحصّل من الغـلال على آختلاف أصنافها بالكيل المتعـامَل به فى ذلك الإقليم ، وتُعمَل بذلك مخازيمُ[٢] على العادة مفصّلة بالأسمـاء وأصلِ المقاسَمة والرسومِ والعشرِ وما لعلّه آستعيد من التقاوِى والقُروض؛ وعند تكامُل قَسْمِ نواحى كلِّ عملٍ يُنظَم على المخازيم[٢] عمَـلٌ[٣] بالمتحصِّل على ما نشرحه إن شاء الله تعـالى فى الأوضـاع الحسابيّة؛ هذا ما يعتمده فى الغلال .

وأما الحَرُوبُ والزيتونُ والقطنُ والسُّمَّاقُ[٤] والفســتقُ والجوز واللّوز والأَرُزّ فإنّ الوكلاء تستمرّ على حفظ ذلك إلى أن يصـير فى بيادره، ويُقسَم على حُكم الضريبة ويحصَّل ويُورَد على المتحصّل ؛

وفى بعض الأعمال الشاميّة نواحٍ مفصولةٌ[٥] ومضمَّنةٌ[٦] على أربابهـا بشىء معلوم يؤخَذ منهم عنـد إدراك المُغَـلّ من غير توكيل ولا مقاسَمة، وهى نظيرُ المتأجَرات[٧]

(١) تقدّم تفسير التقاوى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٢١ من هذا السفر، فانظره .

(٢) فى الأصـل : «مخاريم» بالراء؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا ، فقد ذكر فى شفاء الغليل أن المخزومة : نوع من الدفاتر يخرق ، مولّدة؛ وقد وردت هذه الكلمة فى شعر ابن نباتة يذم كاتبا ، قال :

لم يدر ما مخزومة وجريدة ❊ سبحان رازقه بغير حساب

وستأتى كيفية عمل المخزومة فى صفحة ٢٧٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المراد بالعمل نوع من القوائم يعمله كتّاب الدواوين بالكيفية التى سيأتى بيانها فى هـذا السفر عند الكلام على الأعمال وأنواعها .

(٤) السماق بالتشـديد : من شجر القفاف والجبال، وله ثمر حامض عناقيد فيهـا حب صغار يطبخ؛ قال أبو حنيفة : ولا أعلمه ينبت بشىء من أرض العرب إلا ما كان بالشأم؛ وهو شديد الحمرة .

(٥) انظر تفسير هذه الكلمة فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦١ عند شرحنا للفظ الفصل .

(٦) فى الأصل : «مذيمنة» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) فى الأصل : «المتأخرات» ؛ وهو تصحيف .

بالديار المصريّة، ولفظُ الفصل[1] بالشأم كلّه كلمة فَرَنجيّـة ، وٱستمرّ ٱستعمالها فى البلاد الساحليّة التى ٱرتجعت من أيدى الفَرَنْج جريا على عادتهم .

وأما خراج العين فهو مقرر على البساتين والشـجريّات والكروم والمقاثىْ ويُستخرَج على حكم الضريبة عند إدراك كلّ صنف .

ومن أبواب[2] الخراجىّ الخِدَمُ[3] التى تقدّم ذكُرها ، ومقرَّرُ القصب والبريد[4] والبُسـطِ ، وعُشْرُ العِرَق[5] ، وغيرُ ذلك ممـا يطول شرحه ، الّا أن جميعَ ما يُستخرَج من الأراضى منسوبٌ الى الخراج .

ومن أبواب الخراجىّ الأحكارُ على ما فيها من ٱلاختلاف ؛ ومهما ٱستخرجه المباشر وحصّـله من ذلك يَعتمِد فى إيراده نحوَ ما شرحناه فى الهلالىّ : من إيراده فى تعليق الياوَمة ، وشَطْبِه على الجريدة المبسوطة على أبوابه ؛ هـذا حكم الهلالىّ والجوالى والخراجىّ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) لعل أصل هذه الكلمة فى اللغة الفرنسية (Vassal) فسال ومعناه التابع الذى أعطاه متبوعه إقطاعا نظير واجبات يؤدّيها ، كما فى معجمات هذه اللغة ، فكأن أهل الشأم اشتقوا منه لفظ (الفسل) وأرادوا به المعنى المصدرىّ ، أى التبعية ، ثم حرّفته ألسنتهم الى (الفصـل) كما هنا حسب نطقهم العربى واشتقوا منه لفظ (مفصولة) السابق فى صفحة ٢٦٠ س ١٠ .

(٢) فى الأصل : «إدراك» ، وهو تبديل وقع من الناسخ لا يستقيم به معنى الكلام ؛ ويرشـد إلى ما أثبتنا ما يأتى بعد فى السطر الثامن من هذه الصفحة .

(٣) فى الأصل : «تقرر» ، وهو تحريف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، فقد تقدم ذكر هذه الخدم فى قوله فى ص ٢٤٥ من هذا السفر : «وما يستأدى من خدم الفلاحين» الخ .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٤ طبع المعهد العلمى الفرنسى ، ولعله « البرود » بدليل عطف البسط عليه ، والبرود : الثياب ، وكان ما يؤخذ على الثياب معروفا فى مصر الى زمن قريب .

(٥) العرق : دبس التمر ، أى عسله .

وأما ما يشترك فيه الهلاليّ والخراجيّ ويختلف باختلاف أحواله لجهاتٍ، وهى المراعى والمصايدُ والأحكار ؛

أما المراعى[(١)] — فالذى يَرِد منها فى أبواب الهلالىّ ما آستقرّ حُكمه بجهة، وتَقرَّر فى كل سنة، وصار ضريبةً مقرَّرة؛ فمن المباشرين من يَقبضه على شهور السنة، ويستخرجه أقساطا، ويورده فى جملة أبواب الهلالىّ ؛ والذى يَرِد منه فى أبواب الخراجىّ هو ما يُستخرَج من أرباب المواشى فى كلّ سنة عند هبوط نيل مصر ونباتِ الكلإِ، فى مقابلة ما رعته مواشيهم من نبات الأرض، وهو يزيد وينقُص بحسب كثرة المواشى وقلّتها ؛ وعادتُهم فيه أن يُندَب لمباشَرة ذلك مشدٌّ[(٢)] وشهود وكاتب، ويعدّوا الأغنام وغيرَها، ويَستخرِجوا من أربابها عن كلّ رأسٍ شيئا معلوما بحسب ضريبة تلك آلجهة وعادتها؛ وهو على هذا الوجه لا ينبغى إيراده إلا فى أبواب الخراجىّ؛ ومن الكتّاب من يُورِده[(٣)] فى أبواب الهلالىّ، وهو غلط .

وأما المصايد[(٤)] — فمنها أيضا ما يورَد فى أبواب الهلالىّ كالنواحى التى تصاد

---

(١) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى أن أوّل من قرر فى مصر مالا على المراعى وأدخلها الديوان أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها، وذلك بعد سنة خمسين ومائتين .

(٢) لم نقف على ضبط هذا اللفظ فيما راجعناه من الكتب التى ورد فيها، كما أنه لم يرد فيما بين أيدينا من كتب اللغة، وكأنه عامى، وبعض العامة فى مصر ينطقون به بكسر أوّله وفتح ثانيه؛ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم المشدمن الأعمال عند ذكر أرباب الوظائف .

(٣) فى الأصل : « ما »؛ وهو تحريف .

(٤) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٨١، ٩٥ طبع المعهد العلمى الفرنسى ان أول من قرر مالا فى مصر على المصايد أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراجها وأنه احتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر أن يكتب فى الديوان : خراج مضارب الأوتاد ومغارس الشباك .

بها الأسماك على الدوام ، مِثل ثغر دمْياطَ والبُرُلُّس (١) وجنادل (٢) ثغر أُسوانَ وأشباهِ ذلك بالديار المصريّة ، و بالشأم مِثل نهر العاصى (٣) و بُحَيرةِ طَبَرِيَّة ، وغيرِهما من الأنهار والبِرَك ؛ ومنها ما يَرِد فى أبواب الخراجىّ ، وهو ما يصاد من الأسماك عند هبوطِ نيلِ مصر ورجوعِ المـاء من المزارع الى بحر النيل ؛ والعادة فى ذلك اذا انتهت زيادة النيل وشرع المـاء فى مبادئ النقص سَكَّروا (٤) أفواهَ التُّرَع ، وسَدّوا أبوابَ القناطر التى عليها حتى يرجع المـاء (ويتكاثف مما يلى المزارع) (٥) ثم ينصبون الشِّباكَ ، و يصرفون المياه ، (٥٢)
فيأتِى السمكُ وقد اندفع مع المـاء الجارى ، فيجد الشباكَ تَحُول بينه و بين الانحدار مع المـاء ، فيجتمع فيها ، ثم يُخْرَج منهـا الى البَرّ ، فيوضع على نخاخٍ (٦) و يملَّح و يودَع فى الأمطار ، وأكثرُ ما يكون ذلك فى طول الإصبَع ونحوه (٧) ، وله أسماء : منها البُلُطىُّ (٨)

(١) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى القاموس ؛ وضبطه ياقوت بفتحتين ؛ وهى بلدة بسواحل مصر من جهة الاسكندرية (شرح القاموس) .

(٢) الجنادل : موضع فوق أسوان بثلاثة أميال فى أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة ، وهى حجارة ناتئة فى وسط النيـل (ياقوت) . وقال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٩١ إنها هى الجبل الذى ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة فى انحدارها ومراكب مصر فى صعودها .

(٣) نهر العاصى : هو اسم لنهر حماة وحمص ، و يعرف بالمياس ، مخرجه من بحيرة قدس ، ومصبه فى البحر قرب انطاكية ؛ واسمه قرب انطاكية : الارند (ياقوت) وذكر فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٠ فى سبب تسميته بهذا الاسم أن غالب الأنهار تسقى الأرض بغير دواليب ولا نواعير بل تركب البلاد بأنفسها ، وهذا النهر لا يسقى إلا بنواعير تنزع المـاء منه .

(٤) سكروا ، أى سدوا .

(٥) هـذه العبارة فى الأصل مطموسة الحروف تتعـذر قراءتها ، وقد أثبتناها عن خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى .

(٦) النخاخ : جمع نخ بتشديد الخاء ، وهو بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ؛ وقد شاع فى مصر إطلاقه على الحصير الذى يتخذ من البردىّ ونحوه ، وهو المراد هنا .

(٧) فى خطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى : «فما دونه» .

(٨) كذا ضبط هذا اللفظ بالعبارة فى مستدرك التاج ؛ وقال عنه : إنه أطيب الأسماك ، ويشبهون به المترعرع فى الشباب والنعمة .

والرّاىُ[١] والبُنِّىُّ[٢] وغيرُ ذلك، وما يؤكَل منه طريًّا بعد قَلْيه يسمّونه الإبسارية[٣]؛ ومنها ما يكون بقدر الفِتْر، ويسمّى الشال[٤]، وهو يُملَّح أيضا[٥]؛ فهذا الذى يتعيّن إيرادُه فى أقلام الخراجىّ، ومنهم من يورده فى الهلالىّ، ومن الكُتّاب من يورد المصايدَ والمراعىَ قلما مستقلاّ بعد الجوالى وقبل الخراجىّ.

وأما الأحكار — فقد تقدّم الكلامُ عليها عند ذكرنا للهلالىّ.

وهذه الاختلافات بين الكُتّاب هى بحسب آرائهم وعاداتِ النواحى وما استقرّت عليه قواعدها؛ وإنما أوردنا ذلك على سبيل التنبيه عليه، وذكرِ مصطلَح الكُتّاب فيه.

وأما أقصاب السكّر ومعاصرها — فهى[٦] تختلف بحسب الأماكنِ والبقاعِ والنواحى والديارِ المصريّة والشأم، وتختلف أيضا فى الديار المصريّة بحسب الأعمال والنواحى والأراضى؛ وقاعدتُها الكليّةُ التى لا تكاد تختلف فى الديار المصريّة أن تُختارَ لها الأراضى الجيّدةُ الدِّمِثةُ[٧] التى شمِلها الرِّىُّ وعلاها النيل، ويُقلَع ما بها من الحَلْفاء وتُنظَّف، ثم تُبَرْش بالمقلقِلات — وهى محاريثُ كِبار — ستةَ وجوه، وتجرَّف

(١) فى الأصل: «الزاى»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما هو الشائع فى مصر؛ ولم نجد الزاى بالمعجمة فيما لدينا من المظان. (٢) كذا ضبط هذا اللفظ فى القاموس.

(٣) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٩٦ طبع المعهد العلمى الفرنسى؛ وعامة مصر يقولون: «بسارية» بحذف الألف الأولى وكسر الباء؛ والظاهر أنه ليس بعربىّ، إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٤) كذا فى مستدرك التاج؛ والذى فى الأصل: «الرشال» والراء زيادة من الناسخ.

(٥) فى الأصل: «نقصا»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق.

(٦) فى الأصل: «وهى»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق الكلام؛ ويرشد اليه ما يأتى فى أقصاب الشأم صفحة ٢٧١ سطر ١٤. (٧) الدمثة: السهلة اللينة.

حتى تُمَهَّد، ثم تُبْرَش ستةَ وجوهٍ أخرى وتجرَّف — ومعنى البَرْش[1] الحرث — ؛ فإذا صَلَحتْ وطابتْ ونَعُمتْ وصارت ترابا ناعمـا وتساوت بالتجريف تُشَقّ عند ذلك بالمقلقِلات، ويُرمَى القصبُ فيها قطعتين : [قطعةً[2]] مثناةً[3]، وقطعةً مفردة؛ وذلك بعد أن تُجعلَ أحواضا وتُفرزَ لها جداولُ يصل المـاء منها الى تلك الأحواض، ويكون طول كلٍّ [illegible] منها ثلاثةَ أنابيبَ كواملَ وبعضَ أُنبوبةٍ من أعلى القطعة وبعضَ أخرى من أسفلها؛ ويختار برسم النَّصْب من الأقصاب ما قصرتْ أنابيبُها، وكثُرت عيونُها؛ فإذا تكامل النَّصْبُ أعيد التّرابُ عليه؛ وصورة النصب أن تكون القطعة ملقاةً لا قائمة؛ ثم يُسقَى من حال نصبه في أوّل فصل الربيع في كلّ أسبوع مرّة؛ فإذا نبت القصب وصار أوراقًا ظاهرةً على وجه الأرض نبتتْ معه الحَلْفاءُ والبَقْلةُ[4] الحَمْقاء، فعند ذلك تُعْزَق أرضُه — ومعنى العَزْق أن تُنْكَش الأرضُ وينظَّف ما نبت مع القصب — ويُتعاهد[5] بذلك[6] مرّةً بعد أخرى إلى أن يَغْزُر القصب ويقوَى ويَتكاثف، فلا يتمكّن العُزّاقُ من الأرض، فيقال فيه عند ذلك : طَرَدَ القصبُ عُزّاقَه، وذلك عند بروز الأُنبوب منه؛ ومجموعُ ما يُسقَى بالقادوس ثمانيةٌ وعشرون ماءً .

(١) لم نجد البرش بمعنى الحرث فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا؛ وكأن هذا الاستعمال عاميّ.

(٢) لم ترد هذه الكلمة في الأصل؛ وقد أثبتناها عن خطط المقريزي ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق.

(٣) كذا في خطط المقريزي ج ١ ص ١٠٢ طبع بولاق؛ والذي في الأصل : «جفناد» وهو تحريف لا يظهر له معنى.

(٤) البقلة الحمقاء : هي المعروفة في مصر بالرجلة؛ وإنما سميت بذلك لأنها تنبت على مجاري المياه [illegible] الماء فيقتلعها، ثم تعود فتنبت هناك أيضا.

(٥) في كتب اللغة أن يتعهد أفصح من يتعاهد، لأن التعاهد إنما يكون بين اثنين؛ وأجازها الفـــراء.

(٦) هذه الباء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها، فإن المعنى ان القصب يتعاهد بذلك العمل؛ وستأتي هذه العبارة أيضا في صفحة ٢٦٦ سطر ٩

والعادةُ أن الذى يُنصَب من الأقصاب على كلّ محالٍ[1] بحْرانىّ[2] — أى مجاور للبحر[3] — إذا كان مُزاحَ[4] العِلّة[5] بالأبقار[6] الجياد مع قُرْب أرْشِيَة الآبار ثمانيةُ أفدنة، ويحتاج إلى ثمانية أرؤس بقرا، فإذا[7] كانت الآبارُ بعيدةً عن مجرى النيل لا يَقُوم المَحال[1] بأكثر من ستة أفدنة الى أربعة أفدنة؛ فإذا طلع النيلُ وارتفع سُقِيَ القصب عند ذلك ماءَ الراحة؛ وصفةُ ذلك أنه يُقطَع عليه من جانب جسرٍ يكون قد أُدير عليه ليقيَه من الغرق عند ارتفاع المـاء بالزيادة، فيَدخُل المـاء من تلك الثُّلْمة التى فُرِضتْ من الجسر، ويعلو على وجه أرضه نحوا من شبر، فتُسَـدّ[8] عند ذلك، ويُمنَع المـاء من الوصول اليـه، ويُترَك ذلك المـاءُ عليه مقدارَ ساعتين أو ثلاثٍ الى أن يَسخُن، ثم يُصرَف عنه من جانبٍ آخرَ إلى أن يَنضُب، ثم يجدَّد عليـه المـاءُ مرّةً أخرى؛ يُتعاهد بذلك مرارا فى أيّام متفرّقة بقدر معلوم، ثم يفطَم بعد ذلك؛ هذا هو القصب الذى يوفَّى حقّه فى حرثِه ونَصْبِه[9] وسَقْيِه وعَزْقِه وغيرِ ذلك؛ فما نَقَص من ذلك كان المباشرُ قد أخَلَّ به إلا النصبَ على الرِّىّ وسقىَ ماءِ الراحة فإنه أمرٌ ربّانىٌّ لا قـدرة للمبـاشر على استجلابه .

---

(١) المراد بالمحال آلة الرى المعـروفة بالساقية، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٥٤ سطر ٢ . والمحال والمحالة فى الأصل : البكرة العظيمة التى يستقى بها، كما فى اللسان والتاج مادة « محل » . (٢) قال ابن سيده : ان النسب إلى البحر بحرانىّ على غير قياس؛ وقد ردّ عليه السهيلىّ فى ذلك وأنكرهذه النسبة انظر اللسان مادة (بحر) . (٣) فى الأصل : "أو"، وهو تحريف . (٤) عبارة الأصل : « إذا كانت مزاحة »؛ والذى يؤخذ من كتب اللغة أن المحال مذكر، قال حميد الأرقط :

يردن والليل مرم طائره * مرخى رواقاه هجود سامره

* ورد المحـال قلقت محاوره *

انظر اللسان والتاج مادة (محل) .

(٥) فى الأصل وخطط المقريزى ج ٢ ص ٧٧ طبع المعهد العلمى الفرنسى : « الغلة »؛ وهو تصحيف لا يظهر به معنى الكلام . (٦) « بالأبقار » أى يدار بالأبقار، فالمتعلق محذوف لفهمه من الكلام . (٧) هذه الفاء ساقطة من الأصل، والسياق يقتضيها . (٨) فى الأصل : «فيشتد»؛ وهو تحريف . (٩) فى الأصل : « ونضبه » بالضاد المعجمة، وهو تصحيف .

ولا غُنْيةَ للقصب عن القِطْران قبل أن يحلوَ، فإنه يمنع السـوسَ من الوصول إليه؛ وصفةُ ذلك أنهم يجعلون القَطْران فى قادوسٍ مبخوشٍ(١) من أسفله، ويُسَدّ ذلك البُخْشُ(١) بشىء من الحَلْفـاء، ويُعلَّق القادوسُ على جَدْوَل المـاء، ويُمزَج القَطْران بالمـاء فيَقطُر من خلال ذلك البُخْش المسدود، ويمتزج قَطْرُه بالمـاء الذى يصل الى القصب، ويحصل به المقصود .

وإن خشِىَ المباشر على القصب من فساد الفأر أدار حوله حيطانا رقيقة مقلوبةَ (٥٣) الرأس إلى خارج أرض القصب تُسمَّى حيطانَ الفار، وتُصـنَع من الطين المخلوط بالتبن فتمنع الفأرَ من الوصول إلى القصب، فإنه إذا تَسلَّق(٢) فى الحائط وانتهى إلى آخرها منعتْه تلك الحافَةُ المقلوبةُ وأصابت رأسـه فيسقُط إلى الأرض .

هذا ما يلزم المبَاشرَ الاحتفالُ به واعتمادُه فى أمر القصب .

فإذا كان فى أوّل كيهك من شهور القبط كُسِرت الأقصابُ وقُشِرتْ، ونُقِلتْ إلى المعاصر؛ وإذا كان فى أوان نصب القصب من السنة الثانية حُرِقتْ آثار الأقصاب وسُقِيتْ وعُزِقتْ كما تقدّم، فتُنبِت أرضُها القصبَ؛ ويسمُّونه بمصر: الخِلْفَة، ويسمّون الأوّل: الرأس؛ وقنود(٣) الخلفة فى الغالب أجوَدُ من قنود(٣) الرأس .

ذكر كيفية الاعتصار والطبخ وتقدير المتحصّل

الذى جرت عليـه العادة بالديار المصرية أن الأقصاب إذا نُقِلت من المَكْسِر إلى المعصرة على ظهور الجمال أو الحمير وُضِعت فى مكان برسمها يسمَّى دارَ القصب،

(١) مبخوش، أى مثقوب . والبخش : الثقب، ينطق به العامة بضم أوّله وسكون ثانيه؛ والظاهر أنه لفظ عامى إذ لم نجده فيما راجعناه من المظان، بل إن مادته لم ترد فى كتب اللغة التى بين أيدينا .

(٢) الذى وجدناه فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن «تسلق» يتعدّى بنفسه لا بالحرف كما هنا؛ ولعله ضمن هذا الفعل معنى «صعد» فعدّاه «بفى» .

(٣) القنود : جمع قند، وهو عسل القصب اذا جمد، وهو معرّب «كند» .

بها وَتَراتٌ[1] وحطبٌ ورجالٌ مُرْصَدون لإصلاح القصب بالسكاكين الكبار التى مقدارُ حديدِها ثلثا ذراع، فى عَرْض سدس ذراع فى سُمْك إبهام، فينظّفون عيدانَ القصب، ويقطعون من أعلاه ما ليس فيه حلاوة، ويسمّونه اللُّكلوك[2]، وينظّفون أسفلَ العود ممّا لعلّه به من عروق وطين؛ ويسمّى هذا الإصلاحُ التطهيرَ؛ ثم يُنقل من تلك الوَتَرات الى وَتَرات أُخَر مؤبّدةٍ بأعلى حائطٍ عريضٍ مرتفعٍ عن الأرض، أحدُ جانبى الحائط ممّا يلى دار القصب، والوجهُ الآخَرُ إلى بيتٍ آخر يسمّى بيتَ النُّوَب[3]؛ وعلى ذلك الحائط رجالٌ جالسون فى مقاعدَ أُعِدّتْ لهم، وبأيديهم السكاكين التى ينظّف بها القصب، والوَتَراتُ المؤبّدةُ أمامَهم، فيجمَع الرجل منهم عدّةَ عيدان من القصب، ويضعها على الوَتَرة، ويقطّعها قِطعا صغارا فتسقط فى بيت النُّوَب[3]؛ ثم تُنقَل من بيت النُّوَب الى الحَجَر فى أفرادٍ[4] تسمّى العِيارات[5] متساويةِ المقادير؛ فيوضَع ذلك القصبُ المقطَّع تحت الحَجَر، ويدوِّرُ الحَجَرَ عليه الأبقارُ الجِياد فيَعصِره؛ ويَنزل ما يخرج منه من الماء فى أبخاشٍ[6] فى القاعدة التى تحت الحَجَر إلى مكانٍ ضَنْكٍ[7]

(١) فى الأصل: «الذى»؛ وهو تحريف.

(٢) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى الذى ذكره فيما راجعناه من كتب اللغة، والظاهر أنه من ألفاظ العامة، وهم ينطقون به بفتح أوّله؛ ويسمونه أيضا: «الزعزوع».

(٣) لم نجد هذا اللفظ فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا؛ وقد أخبرنا بعض من لهم علم بالمعاصر القديمة لقصب السكر أنهم يسمون المكان الذى يغسل فيه القصب قبل عصره بيت النوبة؛ فلعله اصطلاح لهم.

(٤) الأفراد: أوعيـة تتخذ من خوص، واحده فرد بفتح فسكون؛ وهو لفظ شائع الاستعمال بين العامة فى مصر؛ ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة.

(٥) فى الأصل: "القبارات"؛ وهو تصحيف اذ لم نجد له معنى يناسب السياق.

(٦) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر.

(٧) فى الأصل: «مضنك»؛ ولم نقف عليه فيما راجعناه من كتب اللغة بمعنى الضيق بتشديد الياء كما هو المراد هنا.

مُعَـدٌّ له ؛ فإذا انتهى ذلك القصب من العَصْر تحت الحَجَر نُقِل إلى مكانٍ آخر ، ثم يجعل فى قفاف مُتخذةٍ من الحَلْفاء مشبّكة الأسافلِ والجوانب ، ويُلقَى تحت دولاب التَّخْت[١] ، ويدور الدولاب عليـه بالأعواد حتى يأخذ حدّه ، ويخرج ما بقى فيه من المـاء ؛ ويجتمع ما تحصّل من ماء القصب من الحَجَر والتَّخْت[١] فى مكان واحد ؛ ثم يُنقَل ذلك المـاء فيصفّى من مُنْخُلٍ موضوعٍ فى قفص مُعَـدٍّ له ، وينزل ما يخرج الى مكانٍ متصلٍ يسمّونه البَهْو[٢] ، له عِيـارٌ معلومٌ محرَّر ؛ فإذا امتلأ من ذلك المـاء المصفّى نُقِل إلى المطبخ ، وصفّى تصفية ثانيـة فى قِدْرٍ كبيرةٍ يسمّونها الخابية يُصَبّ فيها بعـد التصفية جميعُ ما كان فى البَهْو ، وهو ستون مَطَرا[٣] من ماء القصب ضريبةُ كلّ مَطَر نصفُ[٤] قنطار بالليثىّ على التحرير — والرطل الليثىّ مائتا درهم — فيكون ما فى الخابية ثلاثةَ آلاف رطل وهو ما كان فى البَهْو ؛ ثم يوقَد عليها من خارج المعصرة إلى أن يغلىَ المـاء غليانا كثيرا ، وينقُص نقصا معلوما ، فعند ذلك يبطل الوقيد[٥] عنها ؛ فإذا سكن غليانُها نُقِل ما فيها من المـاء المسلوق فى يقاطِينَ كِبار ، فى كلّ قرعة منها خشبةٌ منجورةٌ طويلةٌ كالساعد نافذةٌ فى جانبى القرعة ، ويُصَبّ فى أكسية من الصوف

---

(١) لم نجد هذا اللفظ بالمعنى المراد هنا فيما راجعناه من المظان ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف عند أصحاب المعاصر .

(٢) عبارة الأصل : «السهولة عيار» الخ وهو تحريف . والبهو : حوض مبنى ينزل فيه ما يصفى من العصير كما أنبأنا بذلك من له علم بمعاصر القصب ؛ والظاهر أنه لفظ اصطلاحى معروف بين هذه الطائفة اذ لم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من المظان .

(٣) كذا ضبط هذا اللفظ بالقلم فى كتاب المعرب والدخيل المحفوظ منه بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة تحت رقم ٦٤ لغة وقال مؤلف هذا الكتاب : كأنها لغة مصرية ، ولم أرها فيما وقفت عليه من كتب اللغـة اه . وفى هامش كتاب مناقب الليث بن سعد لابن حجر ص ٥ طبع بولاق : أن المطروعاء معروف عند بعض اهل مصر .

(٤) فى مناقب الليث بن سعد ص ٥ طبع بولاق : أن المطر مائة وعشرون رطلا ؛ وفى هامش هذه الصفحة انه يسع مائة رطل مصرىّ تقريبا . (٥) الوقيد مصدر كالوقود بضم الواو انظر لسان العرب .

تحتها دِنَانٌ كِبار فيصفَّى المـاء منها تصفية ثالثة، ويستقرّ فى تلك الدِّنان؛ ثم يُنقَل من الدنَانِ فى دُسوت[١] إلى القُدور ، فيُطبَخ فيها إلى أن يأخذ حدّه من الطبخ ؛ ويحتاج كلُّ حَجرٍ الى خابية وثمانى قدور لطبخ ما يُعتصَر تحت الحَجَر والتَّخْت ؛ ثم يُنقَل بعد طبخه فى دُسوت[١] من النُّحاس ، لكلِّ دَسْت منها قبضتان من الخشب مسمورتان فى أعلاه يقبض الرجـل عليهما ليقيـاه حرارةَ الدَّسْت ؛ ويُصَبُّ ذلك المطبوخ ـ ويسمَّى إذ ذاك المَحْلب ـ فى أباليجَ من الفخّار ضَيِّقةِ[٢] الأسافل ، متسعةِ الأعالى، مبخوشٌ[٣] فى أسفل كلّ أُبْلوجة منها ثلاثةُ أبخاش[٣] مسدودةٌ بقَشّ القصب، وهـذه الأباليجُ موضوعةٌ فى مكان يسمَّى بيتَ الصبّ، فيه مصاطبُ مبنيّةٌ مستطيلة تشبه المذاود[٤] ، ويُجعل تحت كلّ أُبْلوجة من تلك الأباليج قادوس يقطُر فيـه ما يتخلّص من رقيق ذلك المَحْلب[٥] ـ وهو العسل القَطْر[٦] ـ ثم يَخْدُمها الرجال بالكرانيب مرّة بعد أخرى حتى تمتلئ تلك الأباليج، وهى تختلف، فمنها ما يسع أكثر من قنطار، وأقلَّ منه؛ فإذا امتلأتْ وتكاملتْ خدمتها وأخذت فى الجفاف نُقِلت من بيت الصبّ الى بيت الدفن[٧]؛ فتعلَّق فيه على قواديسَ يَقْطُر فيها ما بقِيَ من أعسالها . (٥٤)

---

(١) اطلاق الدسوت على القدور المتخذة من النحاس — كما هو المراد هنا — اطلاق عامىّ شائع الاستعمال فى مصر وغيرها من بلدان المشرق انظر تاج العروس .

(٢) فى الأصل : «رقيقة» ؛ وهو تحريف .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٦٧ من هذا السفر .

(٤) المذاود : معالف الدواب، واحده «مذود» وزان منبر .

(٥) فى الأصل : «المجلب» بالجيم ؛ وهو تصحيف، والتصويب عن القاموس .

(٦) فى الأصـل : «الركانيب» ؛ وهو تحريف لا معنى له . والكرانيب : المغارف، واحده كرنيب ؛ وهو لفظ عامىّ شائع الاستعمال فى مصر حتى اليوم، وفى مستدرك التاج : الكرنبـة : المغرفة، مصرية .

(٧) لعل وجه تسميته بيت الدفن أن الأباليج تستر فيه وتوارى مدّة حتى يقطر منها ما بقى من أعسالها .

وأما أوساخ الأقصاب التى تنظّف منها فى دار القصب فإنها تُعتَصَر على آنفرادها، وتُطبَخ بمفردها، وتسمَّى الخابية ، وهى أردأ من عسل القصب .

ولِما يتحصّل من الاعتصار أسماءٌ وعِبر[1]: منها الضريبة، ومنها الوضعة[2]، ومنها اليد؛ فالضريبة عبارة عن ثمانى أيادٍ ؛ واليدُ ملءُ خابيةٍ ؛ والخابيةُ ثلاثة آلاف رطل من عصير القصب بالرطل اللّيثىّ كما تقدّم؛ فتكون الضريبة أربعةً وعشرين ألف رطل من المـاء، يَجمُد منها مع جَودة القصب وصلاحه من القَنْد خمسةٌ وعشرون قنطارا إلى خمســةَ عشرَ قنطارا ، ومن الأعسال آثنا عشر قنطارا إلى ثمانية قناطيرَ؛ ونهايةُ ما يتحصّل من الفــدان القصب ثلاثُ ضرائب : منها قَنْدٌ وقَطْرٌ ضريبتان ونصف وعسلُ خابيةٍ نصفُ ضريبةٍ مقدارها أربعة وعشرون قنطارا بالمصرىّ؛ ومن الأقصاب ما يفسد فلا يَجمُد طبيخُ مائه ولا يصير قَنْدا، فيُطبَخ عسلا، ويسمّونه المُرْسَل ؛

وهــذا الذى ذكرناه من الوَضْــع[3] والمتحصِّل والتسميةِ آصطلاحُ بلاد قوصَ من الصعيد الأعلى بالديار المصريّة، وهو وإن آختلف فى غيرها من البلاد فلا يبعد من هذا الترتيب .

وأما أقصاب الشأم — فهى تختلف أوضاعها بحَسَب البقاع والنواحى والأعمـال، فمنها ما هو بالسواحل الطَّرابُلُسيّة والبَيْروتيّة والعكّاويّة؛ ولهم آصطلاحٌ فى نصب الأقصاب وآعتصارها : فمنها ما يُعتصَر بحجارة المـاء ، ومنها ما يُعتصَر بالأبقار، ومنها ما يُعتصَر بالسِّهام[4]؛ وليس ذكرُها وبسطُ القول فيها من المهمّات التى

(١) يريد بالعبر المقادير، لأنها تعبر، أى توزن .

(٢) لم يذكر مقدار الوضعة كما ذكر مقدار الضريبة واليد فيما يأتى ؛ ولم نقف على تعيين مقدارها فيما بين أيدينا من المظان .

(٣) فى الأصل : « الموضع »؛ وهو غير مستقيم ؛ والمراد بالوضع المصطلح .

(٤) السهام : الأعواد من الخشب .

تقتضى الأنصباب[1] اليها ، والذى قدّمنا ذكَره أيضا من أمر أقصاب مصر هو على الحقيقة فلاحةٌ ودَولَبة[2] ، وليس هو كتابة ، وهو للباشر زيادةٌ على صناعته ، على أنه لايَستغنِى عن معرفته والأطلاع عليه .

وعمـدةُ ٱلمباشر فى الأعتصار ضبطُ ما يتحصّل ، وحراستُه من السارق والخائن والمفرِّط ؛ ويلزم مباشرَ الأعتصار أن يَنظِم فى كلّ يوم وليـلة مخزومةً[3] بمـا ٱعتُصِر وبمـا تَحصَّل ؛ فإذا انتهى الأعتصـار نَظَمَ عمـلا[4] شاملا لجميعـه على ما نشرحه فى الأوضاع الحسابيّة .

والقَنْد إذا جَفَّ وأخذ حدّه من البياض نُقِل إلى مطابخ السكّر ، فيُحَلّ بالمـاء وشىء من اللبن الحليب ، ويُطبَخ فيصير منه السكّرُ البياضُ[5] والقُطارة ؛ ويتحصّل من كلّ[6] قنطار من القَنْد ربعُه وسدسُه سكّرا ، وثلثُه وربعُه قُطارة ؛ ومنه ما يُكرَّر ثانيا فيصير فى غاية البياض والنقاء ، وقُطارتُه تقارب قَطرَ النبات ؛ ومنه أيضا ما يُطبَخ نباتا ؛

وهذه أمور جمليّة يُستدَلّ منها على المقاصد ، والمباشَرةُ تشمَل مالا يمكن إيرادُه فى كتاب ، وتُظهِر ما لا يكاد ينحصر بخطاب ، فلنذكر الأوضاع ٱلحسابيّة .

---

(١) لعل صوابه : « الأنصراف » .

(٢) الدولبة : العمل بالدولاب .

(٣) تقدم تفسير المخزومة فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ ، فانظره .

(٤) تقدّم بيان المراد بكلمة « العمل » فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٦٠ وسيأتى فى هذا السفر الكلام على الأعمال وأنواعها وكيفية كل نوع منها .

(٥) البياض ؛ أى ذو البياض ؛ فوجه الوصف به ظاهر .

(٦) فى الأصل : « ذلك » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه سياق العبارة .

ذكر أوضاع الحساب وما يسلكه المباشر و يعتمده فيها

أوّل ما يحتاج اليه كلّ مباشر أن يضع له تعليقا ليوميّته ، يذكُر فيه تاريخَ اليوم والشهر من السنة الهلاليّة، ويذكر فيه جميعَ ما تجدّد ويقع فى ذلك اليوم فى ديوانه : من مُحْضَرٍ ومستخرَجٍ ومُجرًى ومُبتاعٍ ومُباعٍ (١) ومَبِيع ومصروف، وما يتجدّد من زيادات فى الأُجَر والضمانات ، وعطـلٍ ، وتقريرِ أجائر ، وترتيبِ أرباب استحقاقات على جهات ، وتنزيلِ (٢) من يستخدمه، وصَرْفِ من يصرفه من أرباب الخِدَم، وغير ذلك بحيث لا يُخِـلّ بشىء مما وقع له فى مباشَرته قلّ أو جلّ ؛ وهـذا التعليق هو أصل المباشَرة ، فمَن ضَبَطَ اليـومَ انضبط ما بعده (٣) ؛ وكُلّ المباشرين فى وضعه سواء، يضع الشاهدُ (٤) فيه ما يضعه العامل (٥) ، فإذا كان فى آخر النهار قوبل على مجموعه بين المباشِرين ، (٥٥) ويُساق ما يُحتاج إلى سياقته من العين والغَلّة والأصناف .

---

(١) المبتاع : المشترى بفتح الراء . والمباع : الشىء المعروض للبيع ، وهو من أبعت السلعة — بالألف فى أوّله — أى عرضتها لأن تباع .

(٢) التنزيل : كلمة شاع استعمالها بين العامة فى مصر بمعنى التولية والتنصيب — أى فى مقابلة العزل — فيقولون : « نزل السلطان فلانا فى العمل وعزل فلانا عنه » ؛ وهذا هو المراد هنا أخذا من السياق . والتنزيل فى اللغة : الإحلال فى المنزلة ؛ وما هنا منه .

(٣) فى الأصل : « ما نقده » ؛ وهو تصحيف .

(٤) الشاهـد هو الذى يشهد بمتعلقات الديوان نفيا و إثباتا انظـر صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم الشاهد من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

(٥) العامل هو الذى ينظم الحسبانات و يكتبها ؛ وقد كان هذا اللقب فى الأصـل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ، ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦ وسيأتى فى هذا السفر شرح ما يلزم العامل من الأعمال فى ذكر أرباب الوظائف .

ثم يكتب العـامل مخزومةً يورِد فيها المستخرَجَ والمُحضَر والمُجرَى والمصروف[1]، ويرفعها على عدّة نُسَخٍ بحَسَب المسترفِعين؛ وإن شاحّه[2] المسترفِـعُ لَزِمه أن يوردها فيما أورده فى مياوَمته من سائر المتجدِّدات والأحوال، فيصير بها المسترفِعُ الغـائبُ كالمباشر الحاضر، وتَشمَل المخزومـةُ خَطَّ مَن هو مباشرٌ: مِن ناظرٍ مباشَرةٍ فمَن دونَه؛ وقـد قدّمنا ذكرَ بسطِ الجرائد على الأموال والغلال، وكيفيّة خِدمتها فى الأصول؛ ونظيرُ ذلك أن يبسُط أسماءَ أرباب ٱلاستحقاقات وأربابِ المصاريف تِلوَ أصول الأموال ومضافاتِهـا، ويضعَ لكلّ ٱسم ما يسـتحقّه مشاهرةً ومسانهةً عينا وغلّة، أو ثمنَ صنفٍ أو غيرَ ذلك؛ ثم يشطب قُبالَةَ كلّ ٱسمٍ ما قبضه مفصَّلا بتواريخه من جهة قبضه، لتَسهُل عليه بذلك محاسبةُ كلِّ نفرٍ[3] عند الاحتياج الى محاسبته كما شرحناه فى الأصول؛ ولا بدّ لكلّ مباشر من جريدة على هـذه الصفة تشتمل على الأصـل والخصم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

(١) فى الأصل : «والمضروب» ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «شاححه» وهذا مما يجب فيه الإدغام ؛ وشاحه بتشديد الحاء، أى ناقشه ؛ ومنه قولهم : «لا مشاحة فى الاصطلاح» أى لا مناقشة فيه ولا منازعة .

(٣) إطلاق النفر على الواحد كما هو المراد هنـا إطلاق شائع بين عامة مصر، والذى وجدناه فيما بين أيدينا من كتب اللغة أن النفر الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة، وقيل : الى سبعة ؛ ولا تصح إرادته هنا كما لا يخفى .

ذكر ما ينتج عن التعليق من الحسبانات بعد المخازيم[1]

وهى الخِتَمُ والتَّوالى والأعمالُ والسياقاتُ التى[2] تلك كلّها شواهد الارتفاع :

فأما الخِتَم — فتختصّ بجهات العَين من سائر الأموال ؛ وكيفيّتها أنه إذا مضت على المباشر مدّةٌ لا تتجاوز أحد عشر شهرا فما دون الشهر إلى عشرة أيام — وما دون[3] الشهر لا يقع إلا عند انفصال كاتب فى أثناء الشهر أو اقتراح مقترِح — نَظَمَ[4] حسابا سَمّاه الكُتّاب فى مصالحهم : الخَتْمة ، يَشرح فى صدرها ما مثالُه بعد البسملة : خَتْمة بمبلغ المستخرَج والمُجرَى من أموال الجهات ، أو المعاملةِ الفلانيّة لاستقبال كذا ، وإلى آخر كذا ؛ ويَذكُر أسماءَ المباشرين فيقول : بولايةِ فلان ، ونظرِ فلان ، ومشارَفةِ فلان ، وكتابةِ فلان ؛ ويَعقِد فى صدرها جملةً على ما استخرجه فى تلك المدّة وأجراه من أصول الأموال ، يفصِّل ذلك بسنيه ، ويشرحه بجهاتِه وأسماءِ أربابه وتواريخِ مُحضَره ومُجرَاه ، إلى نهاية ذلك ؛ ثم يقول : وأضيف إلى ذلك ما وجبت إضافته ؛ يَبدأ بالحاصل المساق إلى آخر المدّة التى قبلها ، ثم يذكُر ما لعلّه استخرجه من الجهات التى تَرِد فى باب المضاف ، وما ورد من أثمان المبيعات والمصالحات والخدم ، وما لعلّه اقترضه ، وما لعلّه حصّل من المواريث الحَشْريّة[5] والمجتذبات والتأديبات ، وما لعله اعتدّ به لمعامَلةٍ أخرى ونُقِل عليه[6] ، إلى غير ذلك من أبواب

---

(١) فى الأصل : « المخاريم » ، وهو تصحيف ، وقد سبق تفسير المخازيم فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ من هذا السفر ، فانظره .

(٢) فى الأصل : « الذى ذلك » الخ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٣) يظهر لنا أن هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه ؛ فلذلك وضعناها بين خطين .

(٤) « نظم » جواب « لإذا » ؛ والذى فى الأصل : « ونظم » ؛ والواو زيادة من الناسخ .

(٥) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ من هذا السفر ، فانظره .

(٦) « ونقل عليه » ، أى ونقل محسوبا عليه ؛ وإرادة المؤلف لهذا المعنى سوّغت له ذكر « على » مكان « إلى » التى هى مقتضى اللغة .

المضاف على اختلافها . ممـا يطول شرحه لو آستُقصِى ؛ ثم يفذلِك (١) على الأصـل والإضافة ؛ وإن صرف نقدا بنقدٍ ذَكَرَه بعـد الفذلَكة ، وآستَقرّ بالجمـلة بعـده وإلّا فالفذلَكة بمفردها ؛ ثم يخصم تلك الجملةَ بما لعلّه حَمَله أو نَقَله على (٢) معاملة أخرى أو صَرَفَه ، ويذكُر الحملَ بتواريخه ورسائله ، وآسم من حُمِل على يده ، والمنقولَ كذلك والمصروف بأسماء أربابه وتواريخه (٣) ، ثم يسوق إلى التحصيل إن آنطرد (٤) له حاصـل وإلّا فيقول في آخرها : ولم يَبقَ حاصلٌ فنذكره .

وقد آقتُرِح في بعض الممالك الشاميّة في بعض السنين على المباشرين أن يضمّنوا خِتَمهم ما يوردونه في الأصل من جهات الأصول — كلّ جهة من المستخرَج والمُجرَى — الأصلَ مختوما والخصمَ مفصّلا بجهاته ؛ مثال ذلك أن يقول في الأصل : الجهةُ الفلانيّة في التاريخ الفلانيّ كذا [و] كذا درهما ، ويذكُرَ تحت ذلك التاريخ خصمَ تلك الجملة ؛ وفي الخصم إذا ذَكَر آسمَ ربّ آستحقاق وما وَصَل اليـه في كل تاريخ يقول : التـاريخ الفلانيّ ، ويعيّن جهاته ؛ ويشطب المسترفعُ الأصلَ على الخصم ؛ وفي هذا تضييق كثير على المباشر ، ولَم يستقِرّ ذلك ، وعادت الأوضاعُ على ما بيّنّاه ؛ هذا مصطلَحُهم في الختم ؛ والله أعلم .

وأما التوالى — فهي إذا أُطلِقتْ أُريدَ بها توالى الغـلال ؛ وكيفيتها أنه (٥٦) إذا مضت مدّة على ماقدّمناه في شرح الخِتَم نَظَم كاتب الجهة حسابا للغلّة آسمـه التالى

(١) يقال : فذلك الحاسب حسابه اذا أنهاه وأجمله ؛ والفذلكة : جملة الحساب ؛ وهو لفظ منحوت من قول الحاسب إذا أجمل حسابه : فذلك كذا وكذا .

(٢) ذكر «على» مكان «إلى» لإرادة المعنى الذي ذكرناه في الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥ .

(٣) هذه الكلمة في الأصل مطموس بعض حروفها ؛ وسياق الكلام والحروف الواضحة منها يرشدان إلى ما أثبتنا .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٣٠ من هذا السفر .

يَشرح فى صدره بعد البسملة : تالٍ بما انساق حاصلا من الغـلال بالجهة الفلانيّة إلى آخر المدّة الفلانيّـة ، مضافا مخصوما إلى آخر كذا ؛ ويذكُر أسماء المباشرين على ما تقـدّم، ثم يوصِل فى صدره ما آنساق إلى آخر آلمدّة التى قبلها من الغـلال على آختلافها، ويفسِّر(١) الغلالَ بسنيها، ويضيف اليـه ما لعلّه آنضاف(٢) من متحصِّلٍ ومبتاعٍ وقرضٍ وغيرِ ذلك؛ ثم يفذلِك عليه، ويذكر بعد الفذلكة ما لعلّه وقع من تبـديل صنف بصنفٍ لوجود ذلك الصنف وعدمِ غيرِه، إما فيما قَبَضه أو فيما صَرَفه، وما لعلّه أُبيع(٣) وثُمِّن، وما لعلّه يُنقل من كيْل إلى كيل؛ ويستقِرّ بالجملة بعد ذلك على ثمن ما أُبيع(٣) وما آستقرّ من الغلال بعـد التبديل والتنقيل، ويَستخرِج ثمَنَ البيع بمقتضَى خَتْمة تلك المدّة؛ وهى شاهـده؛ ويخصمُ بالمحمول والمنقول والمصروف على آختلافه؛ ويفصِّل ذلك بتواريخه على ما شرحناه فى آلخَتْمة، ويسوق الحاصلَ من الغلّة إن كان؛ هذا مصطلَحهم فى توالى الغلال .

ولهم أيضـا توالٍ يسمّونها توالى الآرتفاع — تشتمل على العين والغلّة والأصناف، ولا تُعمَل إلّا عند اقتراحها ؛ وصورتها أن يُوصِل فى صدر تالى الآرتفاع ما آنساق آخر الآرتفاع الذى قَبله من الحاصل والباقى عينا وغلّة؛ ويفصّله بسنيه؛ ثم يضيف اليـه ما آستُحِقّ فى تلك السـنة أصلا ومضافا، ويخصم بالخصم السائغ المقبول، ويطرده بعد ذلك إلى حاصلٍ وباقٍ .

---

(١) « يفسر » ؛ أى يوضح ويبين .

(٢) أنكر الحريرى فى درة الغوّاص أنه يقال : «انضاف» ؛ وقد ردّ عليه فى ذلك، ووردت هذه الصيغة فى اللسان مادة «ملد» .

(٣) أبيع بالألف فى أوّله : أى عرض للبيع وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٧٣ من هذا السـفر .

ولهم أيضا توالى الاعتصار — وصورتها أن يوصل ما انساق حاصلا آخر [المدّة][1] على الاعتصار أو تاليه[2]، ويضيف ما لعله تحصّل من قطر وغيره، ويفذلك عليه، ويكرّر منه ويبيع، ويستقرّ بالجملة، ويخصم، ويسوق إلى الحاصل.

وأما الأعمال — وهى تختلف —: فمنها أعمال متحصّل الغلال والتقاوى، وأعمال الاعتصار، وأعمال المبيع، وأعمال المبتاع، وأعمال الحوالى، وأعمال الخدم والتأديبات والجنايات[3].

فأما أعمال الغلال والتقاوى — فكيفيّتها أن يشرح فى صدر العمل بعد البسملة ما مثاله: عملٌ بما تحصّل من الغلال بالناحية الفلانيّة لمغلّ سنة كذا وكذا الخراجيّة، المدرك فى شهور سنة كذا وكذا الهلاليّة، مضافا إلى ذلك ما[4] وجبت إضافته، ويوصل فى صدره ما تحصّل من الغلال على اختلافها وأكيالها مفصّلا بأسماء الفلاحين؛ ويضيف إليه ما لعله استعاده من التقاوى والفروض أو حصّله من رسوم أو غير ذلك؛ ويفذلك عليه؛ فمن الكتّاب من يسوقه بجملته حاصلا، ويخصم بمقتضى التالى؛ ومنهم من يخصم بما حمله وصرفه فى مدّة تحصيله للمغلّ، ويسوق ما بقى إلى الحاصل، ويستغنى بذلك عن تالٍ لتلك المدّة.

وأما عمل الاعتصار — فصورته أن يترجم فى صدره بعد البسملة بما مثاله: عملٌ بما تحصّل من اعتصار الأقصاب بالجهة الفلانيّة لاعتصار أقصاب سنة

---

(١) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل؛ والمعنى لا يتضح بدونها؛ ويرشد الى هذه الكلمة ما سبق فى سطر ٣ من صفحة ٢٧٧ عند الكلام على توالى الغلال، فانظره.

(٢) فى الأصل: «ثالثه»؛ وهو تصحيف.

(٣) فى الأصل: «والكتابات»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يدل عليه ما يأتى فى صفحة ٢٨٢ سطر ٧.

(٤) فى الأصل: «وما»؛ والواو زيادة من الناسخ.

كذا وكذا الخراجيّة؛ ويقول فى يَمْنة العمل : عن كذا وكذا فدانا أو مَنظَرةً[1] إن كان بالأغوار ، أو قسما إن كان بالسواحل ؛ ويفصِّل الفُدُن بما فيها رأسا[2] وما فيها خِلفةً[2] إن كان بمصر، ومقنطرا[3] أو قائما[4] إن كان بالشأم، ويبرز عن يَسرته بكمّية ما تحصّل فيقول : من أصناف الحُلو كذا وكذا قنطارا ، ويحصِّل ذلك بالقَنْد والأعسال على اختلافها : من المرسَلِ والقَطْرِ[5] والحُر والأسطروس والمردودة؛ والمرسَلُ هو من القصب الذى لا يجُد ولا يصير قَنْدا . والقَطْرُ هو ما يتحصّل من قَطْر أباليج القَنْد . والحُرُّ هو ما يتحصّل من أطراف الأقصاب ، وهذه الأطراف يسمّونها بالشأم : العيكون[6]، ولا يعتصرونها ألبتّة، بل تُرْصَد للنَّصْب[7]، فإنّهم يستغنون

(١) المنظرة فى الأصل : المرقبة ، أى الموضع المشرف الذى يكون فيه الرقيب ، والمراد هنا : مقدار من الأرض يمكن للحارث الذى يجلس فى المنظرة أن يراه ويحرس ما فيه من المزروعات .

(٢) تقدّم بيان الرأس والخلفة فى ص ٢٦٧ س ١٤ من هذا السفر، فانظره .

(٣) المقنطر : لفظ عامى معناه الملقى على قطره أى جانبه ؛ يقولون : تقنطر أى وقع ؛ وعربيته تقطر بتشديد الطاء ؛ انظر شرح القاموس مادة (قطر) وشفاء الغليل ؛ والمراد بهذه الكلمة القصب المزروع أوّل مرة وهو المسمى بالرأس فى مصر؛ وذلك لأن طريقتهم فى زراعة القصب أن يضعوا قطعه فى الأرض ملقاة لا قائمة ، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٦٥ سطر ٧ و ٨ من هذا السفر . هذا ما يظهر لنا من معنى هذه الكلمة أخذا من السياق . وفى الأصل : «مقنطارا» ؛ وهو تحريف لا يظهر له معنى .

(٤) المراد بالقائم القصب الذى ينبت تاليا للقصب الأوّل ، وهو الخلفة ، وسمى قائما لأنه ينبت من الجذور القائمة فى الأرض بعد قطع القصب الأوّل .

(٥) كذا ورد هذا اللفظ فى الأصل فى هذا الموضع ، وفيما يأتى بالشين المعجمة فى آخره مكان السين المهملة ؛ ولم نقف على كلتا الكلمتين فيما راجعناه من المظان التى بين أيدينا .

(٦) لم نجد هذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر اللغة ولا فى الكتب المدوّنة فى الألفاظ الدخيلة ، ولعله : «العنكرل» ، تشبيها له بعنكول النخلة ، وهو قنوها .

(٧) تقدّم تفسير نصب القصب فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٥٤ من هذا السفر، فانظره .

بها عن العيدان(١)، ومنهم من يسمّى الحُرّ المردودة(٢) . وأما الأسطروش : فهو ما يُعمل من جُرادة وجوه الأباليج حالَ الطبخ ، وما يتأخّر على البوَارىّ(٣) عند خلعه بالشأم . (٥٧) وأما الخابيــة(٤) فهى ما يتحصّــل من الأوساخ والرِّيْم(٥) . والمرسَل والحُرُّ والخابيــةُ لا تُعرَف بالشأم أَبتّة ، وإنمــا يعرفون القَطْر والأسطروش(٢) ؛ ثم يذكُر بعــد ذلك تفصيلَ المتحصِّل بجهاته إن كان بمصر ـ يفصّل كلَّ ساقية وقُدُنها وما يُحصَّل منها من الضرائب ـ وتفصيلَ الأقصاب الرأسِ والخلفة ، ويذكُر آسمَ الطبّاخ ؛ ثم يبيــع من عرض ذلك ويُثمِّن ، ويستقِرّ بالجملة ، ويَحمِل ويَصرِف ويسوق إلى الحاصل .

وأما عمل المَبيع — فصورته أن يقول فى صدره بعد البسملة : [عمــلٌ(٦)] بمــا بِيعَ من الغلال والأصناف بالجهة الفلانيّــة لمدّة كذا وكذا ؛ ويَعقِــد على الثمن جملة ، ثم يفصّلها بأصنافهــا ، يذكر عن يَمْنة القائمة الصنفَ ، وفى الوسط الســعرَ إن كان سعرا واحدا ، وإلّا فيقول مكانه : بأسعارٍ تُذكَر ، وفى اليَسْرة الثمنَ ، ثم يفصّله بأسماء مبتاعِيه ؛ فإذا كَمَل ذلك أضاف ما آنساق له آخرَ العمل الذى قَبله

(١) فى الأصل : «الإيدان» ؛ وهو تحريف ؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٧٩ من هذا السفر .

(٣) البوارىّ بتشــديد الياء هى الحصر المنســوجة من القصب ، واحده بورىّ وبارىّ ، فارسىّ معرّب . وقوله : «عند خلعه» : أى عنــد اخراج السكر الجامد من القوالب التى يوضع فيها ؛ وكأنهم كانوا عند اخراجه من القوالب يضعونه على الحصر ليكمل جفافه .

(٤) لم يذكر الخابيــة فى أصناف العسل التى سردها فيما سبق ؛ ولعلها هى المرادة بالمردودة السابق ذكرها ضمن أنواعه .

(٥) يريد بالريم فضول الشىء وزوائده التى لا يعتنى بها لخستها ، وفى كتب اللغة : الريم بفتح الراء : الزيادة والفضل ، والعامة فى مصر يكسرون راءه .

(٦) هــذه الكلمة ساقطة من الأصل والسياق يقتضى اثباتها ، كما يرشد اليه ماسبق فى أعمال الغلال وأعمال الاعتصار وما يأتى بعد ذلك من الأعمال .

من أثمان المبيعات؛ ويفصِّل ذلك بأسماء من تأخّر عليه منها شيءٌ إن كان؛ ثم يفذلك على الجملة، ويستخرج من عرضه بمقتضى ختم المدّة، ويسوق إلى الباقى دون الحاصل .

وأما عمل المبتاع — فيقول فى صدره : عَمَلٌ بالمبتاع بالجهة الفلانيّة من الأصناف التى تُذكر لمدّة كذا وكذا، ويَعقِد على ثمن المبتاع جملة يجعلها عن يَمْنة نصف القائمة، ويبرز بالأصناف المبتاعة إن أمكن، وإلّا فيقول : ما يُذكَر؛ ويَشرح ما ابتاعه صنفا صنفا بتواريخه، وأسماءِ من ابتاع منهم، وأسعاره، ويضيفُ إلى جملة الثمن ما لعلّه تأخّر عليه من ثمن ما ابتاعه فى العمل الذى قَبله، ويفصّله بأسماء أربابه؛ ويفذلك على ذلك، ويخصم بما صرفه من عرضه بمقتضى ختم المدّة، ويسوق إلى متأخّرٍ أو فائِض (١) إن كان قد سَلَف عليه [شيء] (٢) .

وأما عمل الجوالى — فيقول فى صدره ما مثاله بعد البسملة : عَمَلٌ بما وجب من مال الجَوالِى بالمعامَلة (٣) الفلانيّة لسنة كذا وكذا الهلاليّة مخصوما مساقا إلى آخر المدّة، ويُوصِل ما كان قد استقرّ من الأنفار (٤) على ما تقدّم (٥)؛ ويضيف النوابتَ والطوارئَ (٦) بأسمائها ومِللِها، وما لعلّه انساق باقيا إن كان، وقلّما يكون، ويفذلك

(١) يريد بالفائض : الزائد، وهو من قولهم : فاض الماء إذا كثر حتى سال .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل يسع كلمة؛ والسياق يقتضى إثباتها أو إثبات ما يفيد معناها .

(٣) الظاهر من سياق الكلام أنه يريد بالمعاملة : الناحية والجهة؛ وسيأتى هذا اللفظ فى مواضع أخرى من هذا السفر مرادا به هذا المعنى .

(٤) يريد بالأنفار : الأشخاص؛ وإطلاق النفر على الشخص الواحد إطلاق عامىّ، إذ لم نجده فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا؛ وقد سبق التنبيه على ذلك فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر، فانظره .

(٥) يشير بقوله : «على ما تقدّم» إلى ما ورد فى صفحة ٢٤٣ سطر ٥ من هذا السفر، فانظره .

(٦) انظر تفسير النوابت والطوارئ فى الحاشية رقم ٩ من صفحة ٢٤٢ من هذا السفر .

على ذلك، ثم يذكر بعد الفذلكة من اهتدى بالإسلام، أو هلك بالموت، أو تَسحّب[(١)] إلى عملٍ آخر على ما قدّمناه[(٢)] من الاختلاف فى ايراد ذلك فى هذا الموضع، والاستثناءِ به فى الصدر بالتعدية[(٣)] أو إيرادِه فى باب المحسوب، وكلُّ ذلك سائغ فى الوضع؛ ثم يستقِرّ بالجملة بعد ذلك، ويستخرج بمقتضى الختَم، ويسوق ما لعلّه انساق إلى الباقى؛ وإن عاد اليه متسحّبٌ[(٤)] أو نازحٌ وبيَــده وُصولٌ[(٥)] من مباشرِ عَمَلٍ آخَر اعتدّ له به، وأَوردَه فى باب المحسوب، وفذلكه على الجملة .

وأما عمل الخــدم والجنايات والتأديبات — فصورته أن يُوصِــل فى صدر العمل بعــد الترجمة عليه ما تعيّن من أموال الخدم أو ما تقرّر من الجنايات والتأديبات، يَذكُر فيه الأسماء والجرائم؛ ويضيف إلى ذلك ما لعلّه انساق قبل تقرير هذا المـال آخِرَ العمل الذى قبله؛ ويفذلك عليه؛ ويَستخرِج من عرضه بمقتضى ختم المدّة، ويَعتدّ بمـا لعلّه رُسِم بالمسامحة به ممـا كان قُرّر، ويسوق ما ينطرد بعد ذلك إلى الباقى؛ فهذه هى الأعمال .

وأما السياقات — فهى مختلِفة : فمنها[(٦)] سِياقة الأَسْرَى والمعتقَلين، وسياقة الكُراع[(٧)]، وسياقة العُلوفات، وسياقات الأصناف والعُدَد .

(١) تسحب : أى هرب، أخذا من السياق، ولم نجده بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة، غير أنه شائع الاستعمال بين العامة فى مصر .

(٢) يشير بقوله : «على ما قدمناه» الى الخلاف بين الكتّاب المذكور فى صفحة ٢٤٣ من هــذا السفر، فانظره .

(٣) فى الأصل : «بالنقدية»؛ وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا، كما يرشد إلى ذلك ما سبق فى صفحة ٢٤٣ سطر ٦ من هذا السفر .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٦) فى الأصل : «فيها»؛ وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٧) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

فأما سِياقة الأَسْرَى والمعتَقَلين — فصورتها أن يُوصِل فى صـدرها عِدّة من آنساق عنده الى آخر المدّة التى قبلها، و يفصّلَها بالمعتقَلين وأسمائهم وجرائمهم، والأَسْرَى ومِللهم وأجناسِهم، و يضيفَ اليها ما لعلّه تجدَّد عنده من معتقَلٍ أو أسير، و يفذلِكَ عليها، ثم يذكُر من أُفرِج عنه: إما بمقتضى المراسيم «فيذكُر تواريخَها وأسماءَ من حضرتْ على يده، ومن تسلّمَ المعتقَل» وإما بالهداية الى دين الإِسلام من الأَسْرَى (٥٨) «فيذكُر آسمَ آلمهتدى وجنسَه، ومن أى آلملل كان، وتاريخَ إسلامه والإفراجِ عنه، أو من فُودِىَ به، أو من تسحَّب[1]، أو من هلك بالموت بعد آعتبار ما يجب آعتباره فى الهالك، ويستقِرّ بالجملة بعد ذلك، وآستقرار آلجملة هو آلحاصل.

وأما سِياقة الكُراع[2] — فهى سِياقةٌ تشتمل على الخيل والجمال والدوابّ والأبقارِ والأغنام، وصورتها أن يوصِل الكاتبُ ما انساق عنده حاصلا آخِرَ السياقة التى قبلها، و يضيفَ [الى][3] ذلك ما لعلّه آبتاعه بتواريخه وأسمـاء من آبتيع منهم، وما لعلّه نُتِج، وما لعلّه آجتُذب، و يفذلِك على ذلك، ثم يذكر بعد ذلك ما باعه من عرض الجملة وما نَفَق[4] وتُنُبِّل[5] وذُكِّىَ[6]، و يستقِرّ بالجملة على ما آستقرّ من حيوانٍ وجلود وثَمن، ويَصرِف ويَنقُل ما لعلّه صَرَفه أو نَقَله، و يسوق الى آلحاصل.

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر.

(٢) الظاهر أن إطلاق الكراع على الدواب التى ذكرها إطلاق اصطلاحى ثان فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن الكراع اسم يجمع الخيل؛ ولم نقف على أنه يطلق على الجمال والأبقار والأغنام و يدل على أن هذا الاطلاق من مصطلحات الكتّاب أن الخوارزمىّ ذكره فى كتاب مفاتيح العلوم ص ٥٩ طبع أوربا فى الكلام على مواضعات كتّاب ديوان الخراج.

(٣) عبارة الأصل: «و يصيب ذلك» وفيها تحريف ونقص؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

(٤) نفق، أى مات.

(٥) فى الأصل: «تبل»؛ وهو تصحيف؛ وتُنبّل بالبناء للجهول، أى اختـير، يقال: فلان تنبل، أى يأخذ الأنبل فالأنبل؛ والمراد ما يختار من المواشى للقنية. (٦) ذكى، أى ذبح.

ويحتاج المباشر لذلك الى ملاحظة أحوال الأغنام ، ومعرفةِ أوقات نِتاجِها وما يكون منها توأمًا ، واستقبالِ النِّتاج لينضبط له نِتاجُ النِّتاج .

وأما سياقة العُلوفات — [فصورتها][(١)] أن يوصل فى صدرها ما صرفه على الكُرّاع فى المدّة التى نَظَم لها السِّياقة ، ثم يفصِّل ذلك كلَّ صنفٍ من الكُرّاع وعددَه فى الزيادة والنقص ، وما صرفه على ذلك النـوع فى كلّ مـدّة ، فى اليـوم كذا فى المدّة كذا ، والزيادة والنقص على حَسَب الاتفاق ، و يراعِى فى ذلك ما تضمّنته سـياقةُ الكُراع ؛ وإن صَرَف عُلوفةً لطارئٍ لا يستقرّ عنده ميَّزه فى التفصيل من المستقرّ فيقول : المستقرُّ كذا ، والطارئُ كذا إضافةً إلى هذه السياقة ، ولا فذلكة ، ويَتجنّب أن يصرف عُلوفةً عن أيّامِ نقصِ[(٢)] الشهور الهلاليّة ، وهى ستةُ أيام فى السـنة فإن ذلك من المُخرَّج اللازم ، وكذلك أيّامُ الربيع .

وأما سِياقات الأصناف والزَّرَدخاناه[(٣)] والعُدَدِ والآلاتِ والخزائنِ والبِيمارِستانات[(٤)] — فإنه لا يمكن استيعابُها لمؤلّف كتاب ، وقلّمـا عُمِلتْ فيما كَثُر ،

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ؛ والسياق يقتضى إثباتها ، كما يرشـد اليه ما سبق فى السياقتين اللتين قبلها .

(٢) فى الأصل : « بعض » ؛ وهو تصحيف .

(٣) الزردخاناه ، أى بيت الزرد ، وهى الدروع ؛ وفى صبح الأعشى ج ٤ ص ١١ أن هذا اللفظ ربما أطلق على السلاح خاناه ، فقـد قال عند الكلام على السلاح خاناه ما نصه : السلاح خاناه ومعناها بيت السلاح ، وربما قيل الزرد خاناه الخ .

(٤) البيمارستان : لفظ فارسى استعمله العرب ، ومعناه مجمع المرضى ؛ وهذا اللفظ مؤلف من كلمتين : « بيمار » ومعناه المريض ؛ « وستان » ومعناه الموضع ؛ وأول من صنعه أبقراط ، وسماه : (أخشندوكين) انظر شفاء الغليل .

وإنما تعمل فيما قلّ من الأصناف؛ وصفتُها إذا أمكن عَملُها أن يوصل ما عنده من الأصناف مفصّلة، ويضيف إليها ما ابتاعه أو ما وَصَل اليه، ويفذلكَ على ذلك ثم يذكر بين الفذلكة واستقرارِ الجملة ما يَرِد من الأبواب: من المنتقِل(١) والمستهلَك وغيرِ ذلك على كثرته؛ وإذا استُقصِىَ ما يَرِد بين الفذلكة واستقرارِ الجملة زاد على مائة باب لا يعرفها إلا أفاضِلُ الكُتّاب ومن له حِذْقٌ بهذه الصناعة. واختلفت مباشَراتُه وتكررتْ؛ فاذا ذَكَر ما وقع عنده استقرّ حينئذ بالجملة على ما قام عليه ميزان عمله؛ ثم يخصم بما يَسُوغُ الخصمُ به، ويسوق إلى حاصله.

فهذه هى الخِتَمُ والتَّوالِى والأعمالُ والسياقات، وهى شواهد الارتفاع.

وأما الارتفاع — فهو العملُ الجامعُ الشاملُ لكلّ عمل؛ وصورة وضعه أن يشرح الكاتب فى صدره بعد البسملة ما مثالُه: عملٌ بما اشتمل عليه ارتفاعُ المعاملة(٢) الفلانيّة لمدّة سنة كاملة، أوّلُها المحرّمُ سنةَ كذا وكذا، وآخرُها سَلْخُ ذى الحجّة منها، ممّا اعتُمِد فى إيراد ذلك الهلالىُّ والجَوالِى للسنة المذكورة، والخراجىُّ والأقصابُ لسنة كذا وكذا الخراجيّة، مضافا إلى ذلك ما وجبت إضافته، مفذلَكا عليه، وما استقرّت عليه الجملة، مخصوما(٣) مساقا إلى حاصل، وما اعتُدّ به محسوبا إن كان، وما اشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل، وما انساق إلى الباقى والموقوف فى المدّة؛ ويذكر أسماءَ المباشرين كما قدّمناه فى الخَتْمة؛ وإن انفصل أحدٌ من المباشرين

(١) فى الأصل: «من النقل» بصيغة المصدر، والسياق يقتضى ما أثبتنا كما يقتضيه قوله بعد: «والمستهلك» ولم يقل: والاستهلاك ويرشد الى ذلك أيضا ما يأتى بعد فى صفحة ٢٨٨ سطر ١٢ إذ قال: «والمنتقل من سنة الى سنة» الخ.

(٢) تقدّم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر، فانظره.

(٣) فى الأصل: «مخصوصا» وهو تحريف؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا.

فى أثناء تلك السـنة و باشر آخَرُ بعدَه قال : بمباشرة فلانٍ الى آخر المدّة الفلانيّـة وفلانٍ بعده الى آخر المدّة؛ و يقول فى صدره عن يَسْرة نصف القائمة : ما مبلغُه من الذهب كذا، ومن الدراهم كذا، ومن الغلات كذا، ومن الأقصاب كذا، ومن الأصناف كذا، ومن الكُراع كذا؛ يفصِّل ذلك بسنيه، ثم يأخذ فى تفصيل كلّ مال (٥٩) بجهاته، فيبدأ بمال الهلالىّ، يَذْكُر كلَّ جهة، وآسمَ مستأجِرِها أوضامنها، وآستقبالَ عَقدِ إجارته أو تقريرِه، و يوجِب عليه فى الشهر وفى السنة، الى أن يستوعب أبوابَ الهلالىّ، و يشطب فى مسوّدته التى ينظمها لنفسه قُبَالةَ كلِّ جهةٍ ما آستخرجه بمقتضى خَتَمات المستخرَج ليقوم له ميزانُ كلّ جهة فى الباق والفائض(١)؛ ولا يلزمه هذا العملُ فى الحساب المرفوع منـه؛ فاذا آنتهت أبواب الهـلالىّ ذكر الجَوالِى وآعتَمَد فيها كذلكِ؛ ثم يذكر الخراجىّ، و يفصّله بأقلامه وجهاته مستقصًى واضحا جليّا، ويَعتمِد من الشطب قُبالةَ كلِّ جهةٍ ما تقدّم شرحُه؛ فاذا تحرّرتْ له جهاتُ الأصول قال : وأضيف الى ذلك ما وجبت إضافته؛ و يعقِـد على المضاف جملة، و يذكر أبوابه يبدأ فيها بالحاصل والباقى المُساقَيْن(٢) آخرَ العمل الذى قَبْله ، و يعقِد عليهما جملة ، ثم يقول : الحاصلُ كذا، والباقى كذا؛ و يفصِّل ما أمكن تفصيلُه من الحاصـل بسنيه ويفصِّـل الباقىَ بجهاته وأسماءِ أربابِه وسنيه وأسماءِ مباشريه إن أمكن ، و يشطب فى مسوَّدته قُبالةَ كلّ آسم ما لعـلّه آستخرجه من عرض ما هو عليـه كما تقدّم؛ ثم يذكر جهاتِ مضافِ السـنة الحاضرة، يبدأ بمـا هو مستقرّ من الأموال التى تَرِد [فى] جهات المضاف ، و يشطب قُبالةَ كلّ آسم ما تقدّم بيانه؛ ثم يذكر بعد ذلك ما لعلّه وَصَل اليه أو آعتَدّ به : من الأموال والغلال على آختلافها، وأثمانِ المبيعات

(١) فى الأصل : « القابض » ؛ وهو تصحيف ؛ وقد تقدّم شرح « الفائض » فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ .

(٢) فى الأصل : « المساق » بصيغة المفرد؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

والمواريثِ الحَشْرِيّة[١] والمجتذَباتِ والجناياتِ والتأدياتِ والقروضِ والأصنافِ المبتاعة، يستقصِي أبوابَ المضاف على حسب ما ورد عنده منها فى طول السنة بمقتضى ما ورد فى الشواهد التى ذكرناها بحيث لا يخلّ منها بشىء .

ومن أبواب المضاف ما يضاف بالقلم — ولا أصل له، بل يكمّله الكاتب على نفسه فى حسابه لينطرد نظيرُه الى الباقى، ويقومَ به الميزان، وهو نظير التقاوى والقروض[٢]؛ وكُتّاب الشأم يفعلون ذلك دون كُتّاب الديار المصريّة، وهم على الصواب فى إيراده، لأن الكاتب اذا أوردَ نظيرَ التقاوى[٢] والقروض آنطرد له الى الباقى نظيرُ ذلك، وصحّ ميزان العمل، فإنه لا يمكن أن ينطرد الى الباقى إلا بإضافة نظيره، فاذا آنطرد الى الباقى وجب إيراده [فى] المضاف فى السنة الثانية وما بعدها الى أن يُستخرَج ويحصَّل[٢]؛ وكُتّاب مصر يقتصرون فى ذلك على أعمال التقاوى والقروض، والتحريرُ ما يورد كُتّابُ الشأم فى ذلك .

ومن وجوه المضاف الغريبةِ : آلمستعادُ نظيرَ المُعاد، مثال ذلك أن يكون المباشر أحال ربَّ آستحقاقٍ على ضامنِ جهةٍ بمبلغٍ بمقتضى وُصولِ[٣] أجراه

(١) تقدّم تفسير المواريث الحشرية فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٠٩ نقلا عن صبح الأعشى فانظره؛ وقال المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ١١٠) طبع المعهد العلمى الفرنسى انها هى التى يستحقها بيت المال عند عدم الوارث؛ وقال قبل ذلك : إنها فى الدولة الفاطمية لم تكن كما هى اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الأرحام، وأن البنت اذا انفردت استحقت المال بأجمعه، فلما انقرضت أيامهم واستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مال المواريث الحشرية الخ.

(٢) التقاوى من الحبوب : ما يعزل لأجل البذر؛ وهى عامية .

(٣) الوصول بصيغة المصدر : هو البطاقة المعروفة عندنا بالإيصال؛ وقد سبق فى الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر ان هذه الكلمة مولدة عامية انظر شفاء الغليل .

وآعتـدّ به لضامن تلك آلجهـة ، واعتدّ على ربّ الآستحقاق بمبلغه ، وقطَع الباقَ والمتأخِّرَ بعده ، وصدر حسابه بذلك ، فأعِيدَ(١) عليــه وُصولُه فى أثناء السـنة الثانية فمِثْلُ هـذا تجب إضافتُه وإضافةُ نظيرِه ، فيكون خصمُ إضافته الأولى المُعـادَ على الضامن ، وخصمُ الثانيــة الباقىَ المُساق ، ويكمّل لربّ الآستحقاق نظـير ذلك المبلغ فى محاسبته — على ما يأتى بيانه فى المحاسبات ؛ فاذا آستوعب ما ورد عنده من أبواب المضاف فَذْلَك على ذلك فيقول : فَذْلك الأصل وما أُضيفَ اليه ؛ ويَعقِد على الفذلكة جملةً ، ومعناها أن يضمّ ما عَقَد عليــه الجملةَ فى صدر الآرتفاع الى ما عَقَد عليه جملةَ المصاريف ، فتشتمل الفذلَكة على الجملتين ، ويفصّل ذلك عينا وغلّة وأصنافا وكُراعا على ما تقدّم ، ويفصّل ماهو متميّز بسنيه ؛ وما لم يتميّز كالحواصل من العين والكُراع وغير ذلك يقول فيه : ما لم يتميّز بسنة ؛ ويشرحه ؛ ثم يذكر الأبواب التى تَرِد بين الفذلكة وآستقرارِ الجملة على آختلافها بحَسَب ما وقع عنده منها ، يبدأ بالصرف من نَقْد إلى نَقْد ، والمبدَّلِ من صنفٍ إلى صنف ، والمنتقِلِ من سنة إلى سـنة ، ومن كيلٍ إلى كيل ومن وزنٍ إلى وزن ، ومن عَدَدٍ إلى وزن ، ومن وزنٍ إلى عَدَد ، ومن صفةٍ إلى صفة (٦٠) وما وقع من مَبيع ومُثمَّنٍ(٢) ونافقٍ ومستهلَك ، وغير ذلك ؛ وقد جَمَع بعض فضلاء الكُتّاب جميعَ ذلك وآختصره فى لفظتين فقال : هو عبارة عن منقول ومعدوم ؛ وإذا نظرت إلى حقيقة هاتين اللفظتين وجدت جميع هذه الأبواب وإن كثرت مندرجة فيها(٣) ، كما أن جميع الكلام لا يتعدّى أن يكون آسما أو فعلا أو حرفا ؛ فإذا آنتهت هذه الأبواب قال : واســتقرّت الجملة بعـد ذلك على ... ويذكر ما آستقرّت عليه آلجملة بمقتضى

---

(١) فى الأصل : «فاعتدّ» ؛ وهو تصحيف ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٨٣ من هذا السفر .

(٣) فى الأصل : « عنها » ؛ واللغة تقتضى ما أثبتنا .

قيام ميزانه، ويفصّله بسنيه، ثم يقول: ٱستُخرِج من ذلك وتحصّل ... ويذكر المستخرَج بمقتضى الِحتَم، فيشرح ما ٱستقرت عليه جملةُ الخَتْمة الأولى، وما ٱشتملتْ عليه فذلكتُها بعد وضع ٱلحاصل من ٱلجهة (١) الثانية وما بعدها لئلا يتكرر عليه؛ ويحصّل بمقتضى الأعمال والتّوالِي والسّياقات على هذا الحكم؛ ويفصّل ٱلمستخرَجَ والمتحصّل بسنيه، ثم يخصم ما ٱستخرجه وحصّله، فيبدأ فى الخصم بالحَمْل من الأموال، والحمولِ من الغلال والأصناف، والمُساقِ من الكُراع؛ ويتلوه ما لعلّه نَقَلَه على (٢) معاملة أخرى مفصّلا بأبوابه ومعقودِ ٱلجملة على كل باب فيها؛ فإذا تكامل له الخصم فى العين والغلّة والمواشى والأصناف ساق ما تأخّر من جملة ما ٱستخرجه وحصّله إلى حاصل، ويفصّله بالعينِ والغلّةِ والصنف وغيرِه، فيكون ما حمله ونَقَلَه وصَرَفَه وساقه إلى الحاصل خَصْمَ ما ٱستخرجه وحصّله؛ ثم يذكر بعد سياقة الحاصل ما لعلّه ورد عنده (٣) من المحسوب على ٱختلافه: من عُطْلة، ويذكر أسبابها، وما لعلّه ثبت من الجوائح الأرضية (٤) والسمائيّة (٥) بمقتضى المَحاضر (٦) الشرعيّة إذا بَرَزت المراسيمُ بالحَمْل على حكمها؛ فيذكر كلَّ جهة وٱسمَ مستأجِرِها أو ضامنها، وتاريخَ مَحضَر الجائحة، وتاريخَ ٱلمرسوم بحمل الأمر على حكمه، وجملةَ ٱلمبلغ المتروكِ بسبب ذلك، وما لعلّه سوِمح به من البواقى المُساقة، وغير ذلك ممّا هو داخل فى باب

(١) لعل صوابه: « من الختمة » كما يرشد إليه السياق.

(٢) ذكر « على » مكان « الى » مع أن الفعل قبلها يقتضيها لإرادة المعنى السابق فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٧٥، فانظره.

(٣) فى الأصل: « عنه »؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه التعبير بذلك فى السطر الخامس من صفحة ٢٨٨، فانظره.

(٤) عبارة الأصل: « نبت من الحوائج الأصلية »؛ وهو تحريف فى الكلمات الثلاث؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا؛ ويرشد إلى ذلك ما سبق فى صفحة ٢٣٢ س ١٢ من هذا السفر، فانظره.

(٥) ينسب إلى السماء فيقال: «سمائى» على لفظها، و«سماوىّ» بالواو اعتبارا بالأصل (المصباح).

(٦) انظر تفسير المحضر فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٥٥ من هذا السفر.

المحسوب؛ وسائرُ المسامحات تَرِد بعد سياقة الحاصل، وتَرِد فى أماكنَ نذكرها بعد إن شاء الله تعالى؛ فإذا آستوعب الكاتب جملة ما عنده من المحسوب فى بابه قال بعد ذلك : فتلك جملةُ آلمستخرَج والمتحصّل والمحسوب؛ ويعقِد عليه جملة يفصّلها بسنيها وأقلامها؛ ويسمّون هذه الفذلكةَ فذلكةَ الواصل؛ وما بقِىَ بعد ذلك مما آستقرّت عليه آلجملةُ بعد هذه الفذلكة تعيّنتْ سياقتُه إلى الباقى والموقوف، فيطرده باقيا وموقوفا، أو باقيا بغير موقوف، معقودَ آلجملة، مفصّلا بالسنينَ والجهات والأسماء والمباشَرات، ويميِّز ما يُرجَى آستخلاصُه وتحصيلُه منه ومالا يرجَى؛ وما آنعقد عليه الباقى والموقوفُ وآشتملتْ عليه فذلكةُ الواصل هو خَصْمُ ما آستقرّت عليه جملة الآرتفاع .

وأما الحواصل المعدومة المُساقة بالأقلام — ولا حقيقة لوجودها، وإنما يُورِدُها الكُتّابُ حفظا لذكرها، كالحواصل آلمسروقة وآلمنهوبة — فإنه إذا رُسِم بالمسامحة بها فقد اختلفت آراء الكُتّاب فى إيرادها على وجوه كثيرة : منها ما يَسُوغ، ومنها ما لا يجوز فعله، ونحن نذكر أقوالَهم وطرقَهم فى ذلك، ونوضح ما يجوز منها وما لا يجوز، ونذكر ما ينبغى أن يُسْلَك فيها : فمن الكُتّاب من يرى أن ينقُل هذا الحاصلَ بين الفذلكة واستقرارِ آلجملة من الحاصل الى الباقى، ولا يورده فى باب آلمستخرَج، ويطرده إلى الباقى، ويورده فى باب المسموح بعد سياقته الحاصلَ؛ وهذا لا يجوز، وفى إيراده على هذا الوجه غلطٌ وسوءُ صناعة، لأن آلحاصل لا يجوز نقله إلى الباقى، والباقىَ أيضا، فلا بدّ أن يكون بآسم إنسان أو أُناس، فإن ساقه باقيا بآسم مباشِره فقد أتى بغير الواقع، وعَرّض المباشرَ الى الغرامة، ولا يفيده، إذ[1] مرسومُ المسامحة يتضمّن المسامحةَ بحاصل معدوم، وقد آنتقل هذا من تسمية الحاصل إلى الباقى .

(١) فى الأصل : « إذا » ؛ وما أثبتناه هو مقتضى اللغة .

ومن الكُتّاب من يرى آستثناءه من جملة ٱلمستخرَج، ثم يورده أيضا [فى][١] باب المسموح؛ وفى هذا أيضا ما فيه مِن نقلِه من الحاصل إلى غيره تسميةً، فإنه لا عِبرة عند ذلك بتسميته ولا بنسبته إلى الباقى والموقوف؛ و إن نُقِلَ فلا يجوز، لأن الحواصل لا يجوز نقلُها إلى تسمية أخرى ألبتّة؛ فهذه الوجوه لا تجوز فى صناعة الكتابة .

وأما الذى يجوز فى هـــذا فوجوه[٢] : منها أن يكمّله الكاتب فى باب المستخرَج من ذلك، ويخصمَ إلى نهاية المصروف، ويقولَ قبل سياقة الحاصل : ما نُقِل رُسم بالمسامحة به عن الحاصل المعدومِ المُساقِ بالقــلم حفظا لذكره، بمقتضى مرسومٍ تاريخُه كذا[٣]؛ ويشرح مقاصدَ المرسوم، وسببَ عدمِ الحــاصل، وجملتَه؛ ويكتفى بذلك عن إيراده فى باب المســموح؛ ويَعقِد جمــلةَ الخصم على الحَمــل والمصروف[٤] والمسموح به . (٦١)

ومنها أنه إذا ساق الحاصلَ بعد الحَمْل والمصروف يقول : من جملة كذا بعــد مَآمَنه ما سوِمح به عن الحاصل المعــدومِ والمُساقِ بالقــلم؛ ويَشرح ما تقدّم، ويبرز بالحاصل بعد ذلك .

ومنها أن يستثنيَه عند[٥] ذكر المضاف، فيقول عند إضافة الحــاصل ما صورتُه : الحاصلُ المُساقُ إلى آخر السنة الحاليّة من جملة كذا بعــد مَآمَنه ماعُدِم فى تاريخ كذا

(١) فى الأصل : « فان » ؛ وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : «فرجوة» ؛ وهو تحريف .

(٣) عبارة الأصــل : « تاريخ مرسومه » ؛ وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير لايستقيم بهما المعنى ويرشد إلى ما أثبتنا ما يأتى فى السطر الأوّل والثانى من صفحة ٢٩٢ ، فانظره .

(٤) فى الأصل : «والموصوف» ؛ وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : «عن» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا ، كما يرشد إليه قوله بعد : «فيقول عند» الخ .

وورَد فى سياقات الحـاصل حفظا لذكرِه، ورُسم بالمسامحة به بمقتضى مرســوم شريف تاريخُه كذا، ويعيِّن جملةَ المسموح به، وهى جملةُ المعدوم، ويبرز بما بقى، ويستثنيه أيضا من المستخرَج عندما يَستشهِد بالخِتَم والتَّوالى والأعمال.

فهذه صورة نَظْم الارتفاع وشــواهدِه التى قدّمناها قَبـله ؛ والارتفاعُ هو جُلُّ العمل ، وقاعدةُ الكتابة، والجامعُ لسائر ما يَرِد فى المعاملة .

وإن انفصل الكاتب أثناء السنة لزمه أن ينظِم لمـا مضى من السنة فى مبـاشرته حسابا يسمّونه بالشأم الملخَّص، وبمصر التـالىَ، وهو نظيرُ الارتفاع فى نَظْمه ، إلا أنه يكون لمـا دون السنة، والملخَّصُ عند المصريّين هو الارتفاع ، ويَلزَم الكاتبَ المباشرَ بعده عمــلُ ملخَّصٍ أوتالٍ يتلوه لمـا بقىَ من المدّة، ثم يعمل جامعــةً على الملخَّصين أو التاليـين[1]، وهما شاهداها[2] ؛ ويسـتغنى الكاتبُ فى إيراد المستخرَج والمتحصِّل والمصروفِ عن الاستشهاد بالخِتَم والتَّوالى والأعمال، ويَستشهِد بهـذين الملخَّصين فيقول : ما تضمّنه ملخَّصُ مدّة كذا وكذا [كذا[3]] وما تضمّنه ملخَّصُ مدّة كذا وكذا كذا ؛ وقـد تكون الملخصات أكثرمن اثنين بحسب الاستبدال بالأعمال[4] .

---

(١) فى الأصل : «و» ؛ والسياق يقتضى العطف "بأو" كما أثبتنا .

(٢) فى الأصل : « شواهدها » ؛ وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتنا ؛ إذ به تحصل المطابقة بين المبتدا والخبر .

(٣) هـذه الكلمة ساقطة من الأصل ، والسياق يقتضى إثباتها كما يرشد الى ذلك ورودها فى الجملة التى بعدها .

(٤) الظاهر أن الباء هنا بمعنى «فى» الظرفية ، أى بحسب استبدال العمال بعضهم ببعض فى الأعمال .

ومما يلزم الكاتب رفعه المحاسبات — وتختلف :

فمنها محاسبة أرباب النقود الجيشية والمكيلات والجامكيات[1] والجرايات، وأرباب الوظائف والرواتب والصلات عما هو مستقر مشاهرة أو مسانهة؛ وهذه المحاسبة تنظم من الجريدة المبسوطة على أسمائهم، المشتملة على كمية استحقاقاتهم، المشطوبة بقبوضهم؛ وصورة عملها أن يقول الكاتب: محاسبة لأرباب النقد والمكيل والقرارات[2] والجامكيات والرواتب والصلات بالمعاملة الفلانية لاستقبال مدة كذا، والى آخر كذا، ويعقد جملة صدرها على ما يستحق لهم فى تلك المدة المعينة من عين وغلة وأصناف، ويضيف الى تلك الجملة ما تأخر لهم الى آخر المدة التى قبلها، ويفذلك على ذلك، ويقبضهم ما صرفه لهم بمقتضى ختم المدة وأعمالها وتواليها، ويعتد عليهم بما لعله انساق فائضا[3] على من قبض منهم زيادة على استحقاقه فى المدة التى قبلها، ثم يطرد ما انساق لهم الى متأخر، وما انساق عليهم الى فائض، ثم يفصل ذلك بالأسماء، فيضع الاسم ويذكره واستحقاقه فى الشهر وعن المدة، ويضيف اليه ما لعله تأخر له إن كان، ويفذلك عليه، ويخصم بقبضه، ويسوق إلى متأخر إن بقى له، أو فائض إن زاد قبضه على استحقاقه؛ ومن كان منهم قد تعجل قبل تلك المدة زيادة على استحقاقه استحق له ما وجب له فى المدة، واعتد عليه بما انساق فائضا[3]؛ وما لعله صرفه له فى تلك المدة يسوقه[4] إلى متأخر أو فائض[3]، يفعل ذلك فى جميع الأسماء.

(١) قد سبق تفسير الجامكيات فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥، فانظره.

(٢) الظاهر أنه يريد بالقرارات: الاستحقاقات؛ وقد ورد لفظ «القرار» فى كتاب قوانين الدواوين صفحة ٢٠ سطر ٢٦ مرادا به هذا المعنى أخذا من سياق العبارة التى ورد فيها، فانظره.

(٣) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر.

(٤) فى الأصل: «ويسوقه»؛ والواو زيادة من الناسخ فإن السياق يأباها.

وهذه المحاسبة إذا كان الكاتب مستمرَّ المباشرة عَمِلَها لسنة، وان آنفصل قبل آستكمال السنة أو آقترحها مقترِحٌ عليه لزمه عملُها؛ والله أعلم .

ومنها محاسبات أربابِ الأُجَر[1] والآستعمالات[2]، ويعتمِد الكاتب فيها نظيرَ تلك، إلا أنه لا يُستحَقّ لكلّ نفرٍ[3] إلّا بمقدار عملِه، ويضيف إليه ما لعلّه تأخر له (٦٢) ويفذلِك عليه، ويخصمه بالقبض والآعتداد بالمُسْلَف ان كان؛ وهـذه المحاسبة على منوال تلك، إلا أنها تُعمل بمفردها .

وممـا يلزم الكاتبَ رفعُـه ضريبةُ أصول الأموال ومضافاتِهـا عن كلّ سـنة كاملة، يَذكُرفيهـا كلَّ جهـةٍ من جهات الهـلالىّ، وآسمَ مستأجِرِها أو ضامنِها، ومبلغَ إجارتها أو تقرير ضمانها مشاهرةً ومسانهة، واستقبالَ العقد، وتاريخَ الحجّة المكتَتَبة به، ويشطب[4] قُبالتَها أسمـاءَ كُفلاءِ[5] ضامنِ الجهة؛ ويذكُر الجوالىَ ويفصّلها بالأسمـاء والمِلل، ويفصِّـل الخراجىَّ بجهاته وأقلامه، والأحكارَ بأسمـاء أربابها؛ وإن كان بتلك المعاملة[6] شىء من نواحى الخاصّ

(١) فى الأصل: «اثبات»؛ وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يرشد اليه ما سبق فى صفحة ٢٩٣ سطر ٢ من هذا السفر .

(٢) لعل صوابه «والعمالات» بضم العين، كما يقتضيه عطفه على الأجر؛ والعمالة: ما يأخذه العامل من الأجر على عمله .

(٣) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٧٤ من هذا السفر .

(٤) الظاهر أن المراد بالشطب هنا ما سبق بيانه فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ٢٠٢ من هذا السفر فانظره .

(٥) فى الأصل: «لفلا»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا، فإنه لا بد لضامن كل جهة من كفيل يكفل بما عليه من المال كما سبق ذلك فى صفحة ٢٢٩ من هذا السفر، فانظره .

(٦) تقدم تفسير المعاملة فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١، فانظره .

ذكرَ كلّ ناحية، واسمَ رئيسها، وحدودَها وعدّةَ فُدُنها[1] الرومية[2] والكادية[3] والعاطلة، وأسماءَ من بها من الفلّاحين القَرارية[4]، وما يُبذَره كلّ فدان من الشَّتْوىّ والصيفىّ، ورَيْعه فى الثلاث سنين المقبِلة[5] والمتوسّطة والمجدبة، وشروطَ المقاسَمة، وما على كلّ فدان من الحقوق والرسوم، وما بها من المطلَق، وما فيها من جهات العين وما عليها من الخِدم[6] والضيافات، وغير ذلك من معالمها بحيث لا يخلّ بشىء من جميع أحوال القرية، بل يوضحها إيضاحا شافيا كافيا حتى يَعلمَ الغائبُ عنها جليّةَ أمرها كالحاضر فيها.

فإذا تكامل ذكرُ جهات الأصل[7] فى هذه الضريبة ذَكَرَ جهاتِ المضاف الراتبة كالخدَم وما يناسبها، وذَكَرَ فى آخرها ما تتعيّن إضافتُه من المتوفّر من العين والغلّة على آختلاف ضرائبه؛ وهذه القواعد تكون فى ضِياع الشأم.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٤٧ من هذا السفر.

(٢) لم نجد للفظ الرومية معنى يناسب سياق الكلام، ولعل صوابه: «الردمية» بفتح فسكون، أى الأرض التى فيها الردم، وهو تراب يكون من الطين الذى يأتى به النيل عند فيضانه فى كل سنة، وهو مخصب للأرض ومصلح لزرعها؛ واستعمال هذا اللفظ فى ذلك شائع بين العامة فى مصر؛ والذى فى كتب اللغة أن الردم هو ما يسقط من الجدار المتهدم.

(٣) فى الأصل: «الكادنة»، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا؛ والكادية من الأرض: التى يبطئ نباتها.

(٤) القرارية، أى المقيمون، نسبة الى القرار.

(٥) فى الأصل: «المعتلة» وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ ويريد بالمقبلة السنة التى تقبل بالنبات، أى تجىء به.

(٦) تقدّم بيان المراد بالخدم فى ص ٢٤٥ من هذا السفر، فانظره.

(٧) هذه الكلمة فى الأصل ناقص بعض حروفها؛ وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا.

ويلزمه رفعُ المؤامَرات — وتُسمَّى ضرائبَ المستقرِّ إطلاقُه — وهي تشتمل على أسماء من هو مرتَّبٌ على تلك المعاملة : من ربِّ نقدٍ ومَكِيلٍ ومقرَّرٍ (١) وصدقة، يذكر اسمَ كلٍّ واحد واستحقاقَه مشاهرةً ومسانَهة، ويعقد على ذلك جملةً في صدر المؤامَرة مشاهرةً ومسانَهة ؛ فإن كان في حصن ذكر في صدر الأوراق عدّةَ أرباب الاستحقاقات، ثم يفصّلهم بوظائفهم وأسمائهم من الخَرَجيّة (٢) والأَجْيَة (٣) وغيرِهم .

ويلزمه رفعُ ضريبة مايُستأَدى من الحقوق، يذكر فيها ما يستأديه ضامنُ كلِّ جهة من رسومها وحقوقها، وما لعلّه يُستأدَى بالدُّروب من الخَفَر (٤)، وغيرذلك من سائر مايُستأدَى من حقوق تلك المعاملة، وما لعلّه يُقتَطع من أرباب النقود والمَكِيلات وغيرِهم من الوفر والمقتطَع على اختلاف الضرائب، بحيث لايخلّ بشيء منها، لتُعلَم بذلك أحوالُ تلك الجهة، فلا يمكن للضُّمّان أن يستأدوا زيادة على ذلك، لما فيه من تجديد الحوادث على الرعيّة .

---

(١) في الأصل : «ومولد» ؛ وهو تحريف، ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

(٢) لم نجد من معاني هـذا اللفظ ما يناسب سياق الكلام فيما راجعناه من الكتب التي بين أيدينا ، وقد سألنا بعض من لهم علم بالمصطلحات التركية القـديمة فأخبرنا أن المراد بهذه الكلمة الذين يقبضون استحقاقهم حنطة ولحما ونحو ذلك من المأكولات ؛ ويرجح ذلك عطف الأجية عليه .

(٣) المراد بالأجية الذين يقبضون استحقاقهم نقودا ، وهو نسـبة الى الأجة، وهو لفظ تركي يراد به نوع من النقود، كما في معجمات هذه اللغة . والذي في الأصل : «والأجة» بدون ياء النسبة ؛ والسياق يقتضي إثباتها .

(٤) "من الخفر" بيان « لما » يريد من أجرة الخفر، وهو الحراسة .

ومما يلزمه رفعُه فى كلّ سنة تقديرُ الآرتفاع — وهو الآرتفاع بعينه إلا أنه لا يضيف فيه حاصلا ولا باقيا، ولا يفصِّل فيه الجوالىَ بالأسماء، بل يعقد الجملةَ فى صدره على ما يُستحَقّ بتلك المعاملة من جهات الأصول والمضاف، ويخصم بالمرتَّب عليها عن سنة كاملة، ويسوقه إلى خالص أو فائض[1]، ليَظهَر بذلك ميزانُ تلك الجهة .

هذا ما يَلزَم المباشرَ رفعُه مشاهرةً ومسانَهة .

ويلزمه فى كل ثلاث سنين رفعُ الكشوف الجيشيّة، يذكر فيها أسماء النواحى العامرة والغامرة، والفُدُنَ الكاديةَ[2] والعاطلةَ وما تقدّم شرحه فى الضريبة: مِن ذكرِ البِذار والرَّيْع والشروطِ والمطلَقِ وغيرِه؛ ثم يذكر المتحصّل منها فى ثلاث سنين لثلاث مُغَلّات، يعقد على ذلك جملة، ويفصّله بسنيه وأقلامه، ولا يخلّ بشىء مما بكلّ ناحية من الحقوق الديوانيّة والإقطاعيّة، ويعقد فى صدر الكشف جملة على عدّة النواحى وعدّة الفُدُن، وجملةَ جهات العين والغلّة، مفصّلا بالمعاملات[1]؛ هذه هى الحسابات اللازمة .

وأما المقترَحات — فلا يمكن ضبطها، إلا أنه مهما آقتُرِح مما يكون سائغَ الآقتراح مُمكنَ العملِ لَزِمَ الكاتبَ عَملُه .

وحيث آنتهينا إلى هذه الغاية فلنذكر أرباب الوظائف .

---

(١) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٢) فى الأصل : « الكادنة » ، وهو تحريف؛ ولعل صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق؛ وقد تقدم تفسير الكادية فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٩٥ من هذا السفر .

ذكر أرباب الوظائف وما يلزم كلا منهم مع حضور رفقته ومع غيبتهم وما يسترفعه كل مباشر عند مباشرته وما يلزمه عمله

أما المشدّ[١] أو المتولّى — فالذى يَحتاج إلى استرفاعه عند مباشرته ضرائبُ (٦٣) أصول الأموال والمرتَّبُ عليها ليَعلَم حالَ المعامَلة، وما بها من الخالص، أو عليها من الفائض؛ ويسترفع أوراقا بالحاصلِ والباقى والفائِض والمتأخر[٢]، ليَعلَمَ أحوالَ الناس ومحاسباتهم، ويعلَمَ ممّن يَطلُب وإلى من يَصرِف؛

والذى يلزمه عمارةُ البلاد، واستجلابُ من نزح منها، وإقامةُ السطوة، وإظهارُ المَهابة والحرمة، وتسهيلُ السُّبل، وإقامةُ الخُفَراء عليها، وتشييدُ مَنار الشرع الشريف، والتسويةُ بين القوىّ والضعيف؛

ويلزمه استخراجُ الأموال من سائرجهاتِها ووجوهِها المستحِقّة[٣] فى مباشرته، والبواقى التى رُفِعتْ إليه بعد تحقيقها بحيث لا ينطرد إلى الباقى الدرهمُ الفرد؛ ومتى انساق فى مباشرته شىءٌ لَزِمَه؛

ويلزمه تقريرُ الجنايات[٤] والتأديبات على أرباب الجرائم لتنحسم بذلك مَوادُّ المفسدين.

---

(١) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٢ .

(٢) فى الأصل : « والمتأجر» بالجيم؛ وهو تصحيف .

(٣) سياق العبارة يقتضى أن المراد بالمستحقة هنا ، المطلوبة منها الحقوق ، يقال : «استحقه» اذا طلب منه حقه انظر لسان العرب .

(٤) فى الأصل : « الجبايات » بالباء، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا كما يقتضيه السياق .

وأما الناظر على ذلك — فيحتاج عنـد مباشرته الى آستـرفاعِ ضرائبِ أصول الأموال ومضافاتِها، والمستأدَى من الحقوق، وضرائبِ[١] بمـا آستقرّ إطلاقُه، وأوراق الحاصل والباقى، وأوراقِ الفائض والمتأخر، وتقديرِ الآرتفاع، والكشوفِ الجيشيّة، ويطالب بمخازيم[٢] المياوَمة لآستقبال مباشَرته، والخِتَمِ والتّوالِى عنـد مضىّ المدّة ، والأعمـالِ وسائرِ الحُسبانات المتقـدّم ذكرُها فى أوقاتها، وما لعلّه يقترحه ممّـا يَسُوغ آقتراحُه ويمكن عملُه ؛

والذى يلزمه الآجتهادُ فى عمارة نواحى آلخاصّ، وتمييز آلجهات ونمّوها[٣]، والنظر فى أحوال المعاملات[٤] ، وإزاحةُ أعذارها، وتقرير قواعدها ، وآختبـار من بها من المبـاشرين، والكشف عن أحـوالهم، وكَتْبِ[٥] كلِّ واحد منهم بمـا يلزمه مباشرةً وعملا، ويَتصفّح ما يَرِد عليه من الحُسبانات الصادرة عنهم ؛ وينظُرُ فيما يتجدّد من أحوال المعاملاتِ[٤] وما يطرأ من الحوادث على آختلافها ممـا لا يحصره ضبط ، بل هو بحسَب ما يقع ؛ وإنمـا جعلنا هـذه الإشاراتِ أُنْمُوذَجا يُستدَلّ بهـا على ما بعدها ؛

ويقيِّـد بخطّه الآستدعاءاتِ والإفراجاتِ والمراسـيمَ والتواقيعَ وغيرَ ذلك ممـا جرت به العادة : من الكتابة بالمقابلةِ والثبوتِ والتّحِيَة[٦] والآعتمادِ وغيرِ ذلك .

---

(١) ضرائب المستقر إطلاقه : هى التى تسمى عند الكتّاب بالمؤامرات ، كما سبق ذلك فى صفحة ٢٩٦ من هذا السفر مع بيان كيفية عملها ، فانظره .

(٢) انظر الحاشية رقم ٢ من صفحة ٢٦٠ .

(٣) لعل صوابه : «وتميتها» كما يقتضيه العطف على «تمييز» .

(٤) انظر الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : "وكشف" وهو لا يستقيم مع قوله بعد : "بما يلزمه" . ولعل صوابه ما أثبتنا ؛ والمعنى أنه يكتب كل مباشر بما يلزمه من الأعمال ليسأل كل مباشر عن عمله وتكون عليـه التبعة دون غيره فيما قصر فيـه .

(٦) فى الأصل : « التجهية » ؛ وهو تحريف لا معنى له ؛ وما أثبتناه هو المناسب لاصطلاحات الكتّاب .

وأما صاحب الديوان — فإنه يسترفع مايسترفعه الناظر من المعالم خاصّة، وليس [له] أن يسترفع الارتفاعاتِ ولا شواهدَها؛ فإن آسترفعها لزمه من دَرَكها(١) ما يلزم المستوفي؛ وهو يكتُب على ما يكتب عليه الناظر، وله زيادةٌ على ذلك: وهى الترجمة على التذاكر والآستدعاءات، والكتابةُ على تواقيع المباشرين بأخذ خطوطهم عند آستخدامهم، والكتابةُ على محرَّراتهم بالتخليد، والكتابةُ على تذاكر المخرَّج والمردود الصادرةِ عن مستوفِي العمل بأن يجيب المباشرون عنها بما يَسُوغ قبولُه، والكتابةُ بقبول الجواب عند عَوده إن كان سائغا، والكتابةُ على الحساب الصادرِ عن المباشِرين بتخليده [فى] ديوان الآستيفاء بعد أن يتصفّحه وتَظهَرَ له سياقةُ(٢) أوضاعه؛ وكلُّ عمل لا يكون له صاحبُ ديوانٍ قام الناظر بهذه الوظيفة إلّا الكتابةَ بقبول آلحساب.

وأما مقابِل الآستيفاء — وهو بمنزلة الشاهد فى ديوان الأصل — فله أن يسترفع المعالمَ لنفسه فى كلّ سنة، ويسترفِعَ نتيجةَ الحُسبانات اللازمة التى تصدر الى الديوان العالى بالباب الشريف، ويضبُطَ(٣) يِاومة المجلس، ويكتبَ على ما يكتب عليه المستوفِي، ويكتبَ على الحُسبانات الواصلة من جهة المباشرين بتاريخ حضورها إلى الديوان قبل تخليدها [فى] ديوان الآستيفاء، ويَسُدُّ(٤) بقلمه تواريخَ التذاكر والمراسيم، ويتصفّحَ ما يصدر عن المستوفى من المخرَّج والمردود

(١) الدرك : التبعة .

(٢) فى الأصل : «سباغة» ، وهو تصحيف .

(٣) ضبط هذا اللفظ فى اللسان بضم الباء ضبطا بالقلم؛ وفى المصباح أنه من باب ضرب .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ هنا وفى ص ٣٠٢ س ١١ من هذا السفر؛ ولم نقف على المعنى الاصطلاحى الذى يريده كتّاب الدواوين به .

ويطالِب بحَمْل ما ثبت منه، ويطالِب أربابَ الخطوط والبُذول(١) بما يُستحَق عليهم ويُنِيب شادُّ(٢) الدواوين عنـه(٣)، ويكتُب فى كلّ يوم بمـا يطالب به ؛ واذا لم يكن للديوان مقابل قام المستوفى بوظيفته. (٦٤)

وأما المستوفِى — فله أن يسترفعَ سائرَ الحُسبانات اللازمة، وما تدعو إليه حاجتـه من المقترَحات فى المُدد المـاضية والحاضرة ممّـا يمكن عمـله ؛ فاذا صار الحساب إليـه مشمولا بخطّ صاحب الديوان بتخليـده ومؤرّخا حضورُه بخـطّ المقابِل تصفَّحَه وٱستوفَى تفاصيـلَه على جُمَلِه أصلا وخصما، وشَطَبَ ما يحتاج إلى شـطبه — كلَّ عمـلٍ على شواهده — وخرَّج(٥) ورَدّ ما يتعيّن تخـريجُه وردُّه، وكتب بذلك مطالَعةً تُعرَض على المقابِل، فإذا وافقه عليهـا عُرِضت على صاحب الديوان وكَتَب بالإجابة عنهـا، ثم يطالِب المباشرَ بالإجابة عمّـا تجب الإجابة عنه، وإضافةِ ما تجب إضافتُه [الى](٤) حساب المدّة التالية لتلك المدّة، وحَمْلِ ما يجب حمـلُه ؛ وتكون إضافتُه فى الحساب منسوبةً إلى قلم مسـتدركِه ؛ فإن أَخَّر ٱستيفاءَ الحُسبانات وشطْبَها وتخريجَ(٥) ما يَلُوح فيهـا ومضت عليها مدّة يمكن فيها العملُ، كان

---

(١) الظاهر أنه يريد بأرباب الخطوط والبـذول : الذين يكتب لهم من السلطان ببـذل شىء من الإقطاعات ونحوها.

(٢) شادّ الدواوين هو شخص يكون رفيقا للوزير متحدثا فى استخلاص الأموال وما فى معنى ذلك ؛ والعادة أن يكون أمير عشرة. انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ فى شرح وظيفة شدّ الدواوين.

(٣) فى الأصل : «عليه» ؛ والسياق يقتضى ما أثبتنا.

(٤) لم ترد هذه الكلمة فى الأصل ؛ والسياق يقتضيها.

(٥) فى الأصل : «ونخرج» وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا كما يرشد اليه ما ورد فى قوانين الدواوين صفحة ٨ طبع مطبعة الوطن، فى الكلام على المستوفى إذ قال : «وإن ظهر أنه لم ينبه على وجوب مال أو استرفاع حساب أو آخر ما يجب تقديمه، أو أهمل ما تعين تخريجه» الخ.

ما يتعيّن فيهـا لازما له إذا عُنِّتَ[١]، وإلا فتلزمه إعادةُ ماتناوَله من الجامِكيّة[٢] عن تلك المدّة، ويطالَب مَن صدر عنه الحسابُ بمـا يلزمه ؛

ويتعيّن على المستوفِي أنه إذا رُفِـع اليه حسابُ معاملة تأمّل[٣] خطوطَ المباشرين على عاداتهم،[و][٤]نظر فيه[٥] بعد ذلك ، فإن تغيّرت عن العادة، فإن كان بزيادة تأكيد فلا بأس، وإن كان بإخلال مثلَ أن يكتُب الشاهدُ على الحساب بالمقابلة، وعادتُه أن يكتُب : «الأمرُ على ماشُرِح» يَلزَمه الكشفُ عن موجِب ذلك ؛

ويَلزَم المستوفَ ضبطُ مياوَمة المَجلس،وكتابةُ الكشوف بخطّه والتـذاكر ونُسَخ المحرَّرات، وتعيينُ الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة،وعليه نَظْمُ جوامع التقدير بعـد عمل موازينها وتحريرها وشـطْبها على التقادير الصادرة عن المباشرين وجوامعِ الحواصـل : من العَين والغلالِ والكُراع[٦] والأصـناف المعدودة والموزونة والمذروعة[٧] والسـلاح خاناه والعُدَدِ والآلاتِ وغيرِ ذلك، يَسُدّ على ما أمكن سـدُّه جملة، ومالايمكن نَثْرَه أقلاما يستشهد فيها بما رُفِـع اليه من جهة المباشرين،وكذلك يَعتمِد فى جامعة البواقى،يَعقِد عليها جملة،ويفصّلها بمعاملاتِها وجهاتِها وسنيها وأسماءِ

---

(١) عنت بالبناء للجهول ، أى شدّد عليه وأريد به العنت ، وهو المشقة .

(٢) تقدّم شرح الجامكية فى الحاشية رقم ٨ من صفحة ٢٠٥ من هذا السفر، فانظره.

(٣) «تأمل خطوط المباشرين على عاداتهم» . أى نظر فيها مطابقا لها على عاداتهم فى الكتابة .

(٤) فى الأصل، « نظر » بدون واو؛ والسياق يقتضى إثباتها .

(٥) « فيه » ، أى فى الحساب السابق ذكره .

(٦) الكراع : هى الدواب «انظر مفاتيح العلوم للخوارزمى» ، وانظر سياقة الكراع فى صفحة ٢٨٣ من هذا السفر.

(٧) المذروعة، أى المقيسة .

مباشريها ، وما يُرجَى منها ومالا يُرجَى بمقتضى أوراق المباشرين ؛ وكذلك يَعتمِد فى جامعة الفائض والمتأخّر وغيرِ ذلك من الجوامع ؛

وعليه عملُ ما يُطلَب من الأبواب من المقترَحات والمطاوَلات ؛

ويَلزمه عملُ المقايَسات وفوائدِ المتأخّر، وغير ذلك من لوازم قلم الآستيفاء ؛

ويَلزَمه محاسباتُ أرباب النَّقْدِ والكيلِ المرتّبين على ما تَعيَّن بقلم الآستيفاء، فيحاسبهم على آستحقاقاتهم، ويَعتدّ[1] عليهم بما ثبت مما عيّنه لهم بقلمه ؛

ويَلزَمه التنبيهُ على خوالص المعامَلات وطلبها : حَمْلاً[2] الى بيت المال، أو حَوالةً على ما يعيّنه بقلمه ؛

ويلزمه تخريجُ تَفَاوُت[3] المُدد والمحلولات[4] وغيرِ ذلك ؛

ويلزمه التفريعُ[5] بما يصل اليه من الخَوْطات الجيشيّة لِوقتِه على ما جرت به العادة.

ووظيفة الآستيفاء كبيرة ، كثيرةُ الأعمال، لا تنحصر لوازمها فى كتاب ، وانما هى بحسب الوقائع .

فاذا آنفصل المستوفى من المباشرة فليس له أن يأخذ ورقةً من حسابه الذى آسترفعه أو وضعه بقلمه، ويتلقّاه المباشرُ بعده .

---

(١) فى الأصل : «ويعتمد» ، والميم زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل : «جملا» بالجيم ، وهو تصحيف .

(٣) «تفاوت المدد» ، أى ما توفر من الأموال عما فات من المدد ، كما يستفاد من قوانين الدواوين ص ٢٠ طبع مطبعة الوطن وقد ذكر صاحب قوانين الدواوين مثالا لذلك يوضح هذا المعنى ، فانظره .

(٤) يريد بالمحلولات : الاقطاعات التى انحلت عن أصحابها ولم تقطع لآخرين .

(٥) لعل صوابه : «التعريف» .

(٦٥) وأما المُشارِف — فله أن يسترفع عنـد مباشرته مَعالِمَ الجهـة ليستعين بها على المباشرة : من ضرائبَ وتقاديرَ(١) وحاصـلٍ و باقٍ وفائِض ومتأخّرٍ وغيرِ ذلك ؛ وهو مطلوب بتحقيق الحواصل، وله الخَتْمُ عليها ؛ وهو مطلوب بنَظْم سائر الحُسبانات اللازمة والمقترَحة إن تَسحّب(٢) العامل أو مات، ومع وجود العامل إن كان قد ٱلتزم عند مباشرته العملَ؛ وتلزمه المقابَلةُ مع العامل على الحساب الصادر عنهما، وسِياقةُ التعليق معه ، والكِتابةُ على الوُصولات(٣) والحُسبانات ؛ وهو مطلوب بجميع ما يُطلَب به العاملُ من المخرَّج وغيرِه .

وأما الشاهد — فيلزمــه ضبطُ تعليق المياوَمة ، والكِتابةُ على الوُصولات(٣) والحُسبانات؛ومتى فُقِد العاملُ والمُشارِفُ لَزِمه رفعُ ٱلحساب اللازم دونالمقترَحات ؛ ولا بدّ له من جريدة مبسوطة على الأصل والخصم .

وأما العامل — فقد قدّمنا ذ كرَ ما يحتاج إليه كلُّ مباشر مِن ضبطِ تعليق المياوَمة(٤) وبسْطِ الجريدة وخدمتِها فى الأصـل والخصم أوّلا فأوّلا ، والتيقُّظِ لذلك وأنّ من أهمله فقـد قصّر فى مباشرته وأخَلّ بوظيفته ؛ والعاملُ أَحْرَى بجميع ذلك ممن سواه من سائر المستخدَمين،لـما هو مطلوب به من نَظْمِ الحُسبانات ومَوْقِعِه(٥) مِن

(١) يريد بالتقادير ، تقادير الأرتفاعات ، وقد سبق الكلام على تقدير الأرتفاع فى صفحة ٢٩٧ من هذا السفر، فانظره . والذى فى الأصل : « مقادير » بالميم ؛ وهو تحريف .

(٢) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٨٢ من هذا السفر .

(٣) انظر الحاشية رقم ٤ من صفحة ٢٣١ من هذا السفر .

(٤) فى الأصـل : «مياومة التعليق» وفى هاتين الكلمتين تقديم وتأخير وقعا من الناسخ ؛ والصواب ما أثبتنا ، كما سبق فى سطر ٨ من هذه الصفحة ومواضع أخرى من هذا السفر .

(٥) فى الأصل : «ومتوقعه» ، ولعل صوابه ما أثبتنا إذ به يستقيم الكلام .

عملِ المقترَحات والأجوبةِ عن المخرَّج والمردود ، وأنه هو الملتزِمُ لذلك(١) دون غيره وأنه لا يَلزم من سواه شيءٌ من الأعمال مع وجوده .

وقد ذكرنا تلخيصَ قواعد هذه الكتابة والمباشِرين وأوضاعِهم ولوازمِهم والأوضاع الحسابيّة وغير ذلك من مَعالم المباشَرات ، مجملا غيرَ مفصَّل ، وبعضا من كلّ ، وقليلا من كثير ؛ إذ لو آستقصينا ذلك لطال ولتَعَذَّر لآختلاف المباشَرات والوقائع والأوضاع والآراء ؛ ولقد حصل الآجتماعُ بجماعة من مشايخ أهلِ هذه الصناعة ممّن آتّخذها حرفة من مبادئ عمره إلى أن طَعَنَ فى سنّه ، وما منهم إلا من يُخبِر أنه يَستجِدّ(٢) له فى كلّ وقت من أحوال المباشَرات ما لم يسمع به قبل ، ولا طرأ له(٣) فيما سلف من عمره ؛ فكيف يمكن حصرُ ما هو بهذه السبيل؟ ! وفيما نبّهنا عليه مَقْنَعٌ لطالب هذه الصناعة ، والعمدةُ فيها على الدُّرْبة والمباشرة ، وقد قيل :

ولا بدّ من شيخ يريك شخوصَها وإلّا فنَصُّ العلم عندك(٤) ضائعُ

كمل الجزء الثامن من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى
— رحمه الله تعالى — ويليه الجزء التاسع وأوّله :
ذكر كتابة الحكم والشروط

---

(١) فى الأصل : «بذلك» ولم نجد فيما لدينا من كتب اللغة أن «التزم» يتعدّى بالباء .

(٢) «يستجدّ» بكسر الجيم ، أى يتجدد ؛ وفى المصباح أن استجد قد يستعمل لازما .

(٣) لم نقف فيما راجعناه من كتب اللغة على أنه يقال : «طرأ له» والذى وجدناه أنه يقال : «طرأ عليه» ؛ ولعله ضمن «طرأ» معنى «وقع» فعدّاه باللام مكان «على» .

(٤) فى الأصل : «منك» ولا يستقيم الوزن به ؛ ولعله تحريف صوابه ما أثبتنا .

اســـــتدراك

راجعنا هذا الجزء بعد طبعه فبدت لنـا فى تفسير بعض ألفاظه معانٍ أخرى، نرجّحها على ما كتبناه أوّلا فى حواشيه فرأينـا أن نستدركها فى آخره خدمة للعـلم وتتميما للفائدة .

ص	س	
٦٠	٩	«بنوء المُرزِم» وكتبنا على قوله : «المُرزِم» ما نصه : المرزم : «من أرزم الرعد اذا اشتدّ صوته» اهـ ومع صحة هذا الضبط واحتمال اللفظ لذلك التفسير المتقدّم فإننا نرجّح أن يضبط : «المِرزَم» بكسر الميم وفتح الزاى ، وهو من نجوم المطر قال فى اللسان : «المِرزَمان، نجمان من نجوم المطر، وقد يفرد» .
١٩٣	١١	«من ضريبة وموافرة» وكتبنا على قوله : «وموافرة» ما نصـه : «فى الأصل : «ومواءرة» بالميم، وهو تحريف» اهـ وقد بدا لنـا بعدُ أنّ للفظ «المؤامَرة» معنًى مصطلحا عليه بين كتّاب الدواوين، وتصح إرادته فى هذا الموضع؛ فقد ورد فى مفاتيح العلوم ص ٥٦ طبع أوربا ما نصه : «المؤامرة عملٌ تُجمع فيه الأوامر الخارجة فى مدّة أيام الطمع، ويوقّع السلطان فى آخره بإجازة ذلك؛ وقد تُعمَل المؤامرة فى كل ديوان تجمَع جميع ما يُحتاج اليه من استئمار واستدعاء توقيع» اهـ وانظر صفحة ٢٩٦ من هذا الجزء .
٢٠٢	٥	«والبذول»، وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «كذا فى الأصل؛ ولم نجد من معانى هذه الكلمة ما يناسب سياق ما هنا» اهـ ويظهر لنا أن البذول فى هذا الموضع جمع بذل، والمراد ما يبذله السلطان من الإقطاعات لخواصّه وأجناده؛ وقد نبهنا على هذا المعنى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٠١، فانظره .

ص	س	
٢٠٢	٨	«مبقلة» وكتبنا على هذه الكلمة ما نصه : «فى الأصل : «مقبلة» ، وفيه قلب صوابه ما أثبتنا كما يرشــد اليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه الخ» . ومع جواز ما اخترناه واستقامة الكلام به فقد بدا لنـا أنه يصح أن يراد بقوله : «مقبلة» ، السنة التى تقبل بالنبات، أى تجىء به . وقد ذكرنا هذا المعنى فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢٩٥ ، فانظره .
٢٠٣	١	«ويحتاج الى أن يتعاهد مباشرى المعاملات» ولم نفسّر لفظ المعاملات فى هذا الموضع ، وقد فسرناه فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٢٨١ ، فانظره .
٢٠٤	١٣	كلمة «الزردكشية» وكتبنا عن هذه الكلمة ما نصه : «الزردكشية» هم لابسو الدروع ؛ وكش باللغة الفارسية معناه لابس انظر المعجم الفارسى الإنجليزى تأليف ستاين جاس مادة (كشيدن) . هذا ما كتبناه فى تفسير هذا اللفظ ؛ وقد وقفنا بعد ذلك على أنهم يريدون بالزرد كاشــية : صانعو الزرد والأسلحة انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢ ونحن نرجّح هذا المعنى ونؤثره على الأوّل .
٢٢٩	٣	قوله : «فإن تعذر فبالوجه» وكتبنا فى تفسير هذه العبارة ما نصه : «الظـاهر أنه يريد بالوجه هنا : الجـاه ، أى إن تعـذر الكفيل ذو المـال والغنى قبلت الكفالة بذى الجاه وإن لم يكن غنيا» اهـ وقد بدا لنا بعد ذلك فى تفسير هذه العبارة معنى آخر نرجّحه على الأوّل ، وهو أن الكفالة بالوجه هى أن يضمن الكافل إحضـار المكفول بوجهه، أى بذاته، اذا طُلِب منه أن يُحضِره؛ فمعنى العبارة إذن أنه إن تعذّر الكفيل بالمـال قبلت الكفالة بأن يُحضِر الكافل شخص المكفول .

إصلاح خطأ

ص	س	خطأ	صواب
٤٦	١٤	ذُكِرَ	ذَكَا
٦١	٢٢	حاضرة أى سابقة	حاضَرَه، أى سابَقَه
« »	« »	التفضّل	الفضل
١٢٣	١	ونرجوا	ونرجو
١٢٨	٥	ونرجوا	ونرجو
١٣٢	١٦	كان كان صحيح	كان صحيح
١٣٣	٥	نرجوا	نرجو
١٤٤	١٨	أنّ	إنّ
١٦٥	١٣	أثارك	آثارك
١٨٧	٢	الرّضىَ	الرِّضا
٢٠٤	١٣	والزَّرَد كَشِيّة	والزَّرَد كاشِيَة
٢٠٨	٢	وأقدرَ	وأقدرُ

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٩/٨١٣/٢٥٠٠)

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الثامن

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

فهرس

السفر الثامن

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى

صفحة

صفحة

بيــان

ليس لدينا من نسخ هــذا الجزء غير نسـخة واحدة مأخوذة بالتصوير الشمسى ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٠ تاريخ، وهى المشار اليها فى بعض حواشى هــذا الجزء بحرف (أ) ، وقطعتين من نسختين أخريين أُخذتا بالتصوير الشمسى وحُفِظتا بدار الكتب المصرية : إحداهما تحت رقم ٤١٦ (معارف عامة)؛ وهى المشار اليها فى بعض حواشى الجزء بحرف (ب) وتنتهى فى السطر التاسع من صفحة ٦٩ من هذ الجزء؛ وقد نبّهنا الى موضع انتهائها فى حواشيه ؛ والثانية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة)، وهى المشار اليها فى بعض الحواشى بحرف (ج) وتبتدئ من السطر السادس من صفحة ١٠١ وتنتهى فى السطر السادس من صفحة ١١٣ وقد نبهنا على موضع انتهائها فى الحواشى أيضا .

وليس التحريف فى هاتين القطعتين بأقلّ منه فى النسخة الأولى ، فإن التحريف فى جميع هده الأصول يكاد يكون متفقا ، كما يتبين ذلك مما كتبناه فى بعض الحواشى إذ نقول : «فى كلا الأصلين » أو « فى كلتا النسختين كذا ؛ وهو تحريف » أو « تصحيف » .

وعلى كل حال فقد بذلنا ما نستطيع فى إصلاح المحرّف والمصحّف من كلماته ، وتكميل الناقص من جُمَله ؛ وتحقيق أعلامه وضبطها ، وضبط الملتبس من ألفاظه ، وتفسير غريبه ، و إيضاح الغامض من عباراته ، وشرح ما أشكل من أبياته ونسبتها الى قائليها ، وشرح ما فيه من أسماء البلاد والأمكنة ، والتنبيه على ما فى هذا الجزء — ولا سيّما فى كتابة الديوان — من الكلمات العاميــة ، والألفاظ الاصطلاحية التى لم ترد فيما لدينا من كتب اللغة ، و بيان المراد منها ؛ فإن المؤلف قد استعمل بعض

هـذه الكلمات جريا على مصطلح كتّاب الدواوين فى استعمالها ؛ كما أننـا لم ندع التنبيه أيضا على ما استعمله المؤلف فى هذا الباب (أى كتابة الديوان) من مخالفات لغويّة فى صِيَغ الجموع وتعديَةِ الأفعال، كأن يعدِّىَ الفعل بنفسه ومقتضى اللغـة أن يتعدّى بالحرف ، أو العكس ، أو أن يعدّيَه بحرف واللغة تقتضى تعديَتَـه بحرف آخر؛ وغير ذلك ممـا استعمله المؤلف متّبعا فيه آصطلاح كتّاب الدواوين فى ذلك العهد ولم نجده فى كتب اللغة التى بين أيدينا؛ ولم نغيّر بعض هـذه الآستعمالات، بل أبقينا الأصل فيها على حاله لِعلْمنا أنهـا ترد كثيرا فى عبارات كتّاب الدواوين، وأوّلْنا ما يستطاع تأويله منها .

أمّا الصعوبات التى صادفناها فى تصحيح هذا الجزء فإننا لم نكد نجـدُ صفحة من أصوله التى بين أيدينا خاليـة من عدّة كلمات وعبارات محرّفة أو مصحّفة غير مستقيمة المعنى ولا واضحة الغرض ، يحتـاج إصلاحها إلى زمن طويل ، وبحث غير قليل، وتحفُّظ من الخطإ، وحُسن اختيارٍ فى المحو والإثبات، وتفهُّمٍ لمـا يقتضيه السـياق من المعانى والأغراض ، ومعرفةٍ بأساليب الكتّاب ومصطلحاتهم فى كل عصر، ليكون المحو والإثبات تابعَين لمـا تقتضيه هذه الأساليب وتلك المصطلحات وخبرة بالكتب وأغراضها ، ومكان الفائدة منها، لئلا يضيع الزمن فى البحث عنها وتصفُّح جملتها .

أمّا طريقتنا فى التصحيح فقد كنّا نقف بالكلمة المحرّفة أو العبارة المغلقة فنحملها على ما يستطاع حملها عليه من المعانى، ونقلّبها على ماتحتمله من الوجوه، ونقرأ مادّة الكلمة فيما لدينا من كتب اللغة، ونرجع إلى ما نعرفه من مظانّها، فاذا لم يستقم المعنى بعد ذلك قلّبنا حروفها بين التحوير والتغيير، والتقديم والتأخير ، والحذف والزيادة،

والإعجام والإهمال، حتى يستقيم المعنى و يظهر الغرض ، منبهين فى الحواشى على ماكان فى الأصل من حروف هذا اللفظ و وجهِ آختيار غيره و إثباتِه مكانه .

وقد تمّ طبع هذا الجزء فى عهد المدير الحازم ، والمربّى الفاضل ، الأستاذ "محمد أسعد براده بك" مدير دار الكتب المصرية .

فلا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نشكره الشكر الجزيل على ما بذله ويبذله من العناية الصادقة بهذه الكتب ، وما يسديه إلى مصححيها من الإرشادات القويمة ، والآراء السديدة .

كما لا يفوتنا أن نثنى الثناء الجميل على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ "السيد محمد البيلاوى" مراقب إحياء الآداب العربيّة على حسن معاونته بما لديه من المعلومات الواسعة عن الكتب وأغراضها ، والبحوث ومظانّها . ونسأل الله سبحانه حسن المعونة والتوفيق فى العمل .

مصحّحه

أحمد الزين

أسماء أهمّ الكتب والمصادر التى رجعنا اليها فى تصحيح هذا الجزء

وهى مرتّبة على حروف المعجم ومبيّنٌ فيها ماهو مطبوع فى غير مصر وما هو مخطوط أو مأخوذ بالتصوير الشمسى، ورقمه فى دار الكتب المصرية

أساس البلاغة، لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى .

الأغانى، لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى .

إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، وهو معجم الأدباء لأبى عبد الله ياقوت الرومى الحموى .

أعيان العصر وأعوان النصر ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ .

الأمالى، لأبى علىّ القالى .

الإرشاد الشافى على متن الكافى فى العروض والقوافى، وهو الحاشية الكبرى للسيد محمد الدمنهورى .

أقرب الموارد فى فُصَح العربية والشوارد ، لسعيد الخورى الشرتونى اللّبنانى.

إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلانى .

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للوزير جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى، طبع أوربا .

الأحكام السلطانية، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردى طبع أوربا ومصر .

الأوائل ، لأبى هلال العسكرى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٧٠٥ تاريخ .

الأطعمة المعتادة، المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية؛ ولم يُعلَم مؤلفه .

بدائع الزهور فى وقائع الدهور، المشهور بتاريخ مصر، لمحمد بن أحمد المعروف بابن إياس المصرى .

تاريخ العينى ، المسمى بعقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، للحافظ بدر الدين محمود، المعروف بالعينى المأخوذ منه بالتصوير الشمسى نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

تاج العروس، وهو شرح القاموس، لمحب الدين السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى .

تاج اللغة وصحاح العربيـة، لأبى نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهرىّ الفارابى .

التذكرة الصفدية، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، المحفوظ منها بدار الكتب المصرية بعض أجزاء مخطوطة تحت رقم ٤٢٠ أدب .

تاريخ أبى الفداء ، وهو المختصر فى أخبار البشر، للملك المؤيد أبى الفـداء ، المعروف بصاحب حماة .

تاريخ ابن الأثير ، وهو المسمى بالكامل ، لعز الدين على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرىّ، طبع ليدن .

تاريخ الأمم والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، طبع أوربا .

تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى، طبع بغداد .

التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية ، لشرف الدين يحيي المعروف بابن الجيعان .

الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

الجامع لديوان الأدب ، فى اللغة ، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ لغة تأليف أبى ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابى .

حاشية الخضرى، على شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك .

حاشية الصبّان، على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك .

الحاوى الكبير، فى الفقه، لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢ فقه شافعى .

خريدة القصر وجريدة أهل العصر، للوزير أبى عبد الله محمد بن محمد بن أبى الرجاء الكاتب الأصبهانى. وهذا الكتاب مأخوذ منه بالتصوير الشمسى بعض أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب .

الخراج، ليحيي بن آدم بن سليمان القرشى .

الخراج، لأبى يوسف يعقوب صاحب الإمام أبى حنيفة .

خطط المقريزى، وهو المسمى بالمواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار .

ديوان الشريف الرضىّ .

ديوان جرير .

ديوان الحماسة، لأبى تمّام حبيب بن أوس الطائى .

ديوان أبى الطيّب المتنبيّ .

دائرة المعارف، للبستانى .

درّة الغـوّاص فى أوهام الخواصّ ، تأليف أبى محمد القاسم بن على الحريرى.

الروضتين فى أخبار الدولتين، لشهاب الدين أبى شامة المقدسى .

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، للسـيد محمود بن عبد الله الألوسي البغدادى .

زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبى اسحاق ابراهيم بن على المعـروف بالحصرى القيروانى .

سقط الزند، لأبى العلاء المعرّى .

سيرة ابن هشام، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى .

سرح العيون ، شرح رسالة ابن زيدون، لجمـال الدين أبى بكر محمـد بن محمد المعروف بابن نباتة المصرى .

شرح التنوير على سقط الزند، لأبى يعقوب يوسف بن طاهر النحوى .

شرح ديوان أبى تمّـام حبيب بن أوس الطائى، لأبى زكريا يحيي بن على المعروف بالخطيب التبريزى، وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش .

شرح حماسة أبى تمّـام، لأبى زكريا يحيي بن على المعروف بالخطيب التبريزى.

شرح ديوان أبى الطيّب المتنبيّ ، وهو المسمى بالتبيان لأبى البقاء عبد الله بن الحسين المعروف بالعكبرى .

شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي .

شرح كافية ابن الحاجب فى النحو ، لرضىّ الدين محمد بن الحسن الإستراباذى النحوىّ .

صبح الأعشى فى كتابة الإنشا ، لشهاب الدين القلقشندى .

صحيح البخارى .

الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، لكمال الدين أبى الفضل الإدفوى .

طبقات الشعراء ، تأليف أبى عبدالله محمد بن سلّام الجمحىّ البصرىّ ، طبع أوربا .

الطبقات الكبرى ، لأبى عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدى طبع أوربا .

عيون الأخبار ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة الدينورى .

العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبىّ .

الفاضل من كلام القاضى الفاضل ، اختيار جمال الدين أبى بكر المعروف بابن نباتة المصرىّ ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٨٢ أدب .

القاموس ، لمجد الدين الفيروزابادى .

قوانين الدواوين ، للأسعد بن مماتى .

لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الإفريقىّ المصرىّ .

لزوم ما لا يلزم ، لأبى العلاء المعرّى .

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، لشهاب الدين المعروف بابن فضل الله العمرى القرشى ، وهذا الكتاب مأخوذة منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٦٨ تاريخ .

مغنى اللبيب ، لجمال الدين بن هشام الأنصارى .

ملخّص تاريخ الخوارج، للشيخ محمد شريف سليم .

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، لأبى المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغرى بردى وهذا الكتاب محفوظة منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ تاريخ .

المصباح المنير، لأحمد بن محمد المقرى الفيومى .

المغرب فى ترتيب المعرب، لأبى الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى .

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى .

المستطرف فى كل فن مستظرف، لشهاب الدين أحمد الأبشيهى .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لأبى الفتح عبد الرحيم العباسى .

معيد النعم ومبيد النقم، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، طبع أوربا .

المعرّب والدخيل ، للشيخ مصطفى المدنى، المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤ لغة .

المعرّب من الكلام الأعجمى ، لأبى منصور موهوب المشهور بالجواليقى ، طبع أوربا .

معجم البلدان، لياقوت، طبع أوربا .

مقدّمة ابن خلدون .

المعجم الفارسى الإنجليزى، تأليف ستاين جاس .

مفاتيح العلوم، لأبى عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمى، طبع أوربا .

مناقب الليث بن سعد، للحافظ أبى الفضل شهاب الدين أحمد الشهير بابن حجر العسقلانى .

المخصّص، فى اللغة، لأبى الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده .

مفردات الأدوية والأغذية، لضياء الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد الأندلسى المعروف بابن البيطار .

نهاية الأرب فى فنون الأدب، للنويرى .

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، للأمير أبى المحاسن جمال الدين المعروف بابن تغرى بردى المأخوذ منه نسخة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٣ تاريخ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين المعروف بابن خلّكان .

يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر، لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى النيسابورى .